

البراهين على عقائد

عقلا

ومجود الامم النجاني عشرين

البراهين

تأليف
آية الله العظمى السيد محمد باقر

مؤسسة دار الكتب والمخطوطات



البراهين المتعبدية

علاء

وجود الأمل الثاني عشر
عَلَى اللَّهِ تَعَالَى
الشَّهِيدِ

الجزء الثاني

تأليف

آية الله السيد طيب الجزيري رحمته الله

مؤسسة دار الكتاب (الجزيري)، شارع إم-قم

الهاتف ٧٤٢٤٢٨ الفاكس ٧٤٤٥٦٨





هوية الكتاب

- اسم الكتاب : البراهين الاثنا عشر على وجود الامام الثاني عشر
المؤلف : آية الله السيد طيب الموسوي الجزائري
تحقيق : مؤسسة علوم آل محمد صلى الله عليه وآله - قم
صفّ الحروف: مؤسسة دارالكتاب (قسم الكمبيوتر) تليفون : ٧٤٣٣٠٠
الفلم والزنك : تيزهوش
المطبعة : امير - قم
الطبعة الاولى : شعبان المعظم ١٤١٧ هـ . ق
العدد : ١٥٠٠ نسخة
الناشر : مؤسسة دارالكتاب (الجزائري)
شارع ارم ، قم ، ايران - تليفون : ٧٤٢٤٢٨ فاكس : ٧٤٤٥٦٨





البراهين الانفاشر

على وجود

الامام الثاني عشر



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ ٥ ﴾

﴿ هارون الرشيد بن المهدي ﴾

هو أبو جعفر هارون الرشيد بن محمد المهدي بن المنصور بن عبدالله بن محمد بن علي بن العباس استخلف بعهد من أبيه عند موت أخيه الهادي ليلة السبت لأربع عشرة بقيت من ربيع الأول سنة سبعين و مائة .

و هذه الليلة ولد له عبدالله المأمون و لم يكن في سائر الزمان ليلة مات فيها خليفة ، و قام خليفة ، و ولد خليفة الا هذه الليلة^١ و كان عمر الرشيد يومئذ ثنتان و عشرين سنة^٢ .

و ربما يبلغ أهل التاريخ في مدحه كما مدحه الحافظ السيوطي قائلاً : « انه كان من أمير الخلفاء ، له نظر في العلم و الأدب ، و كان يصلي في خلافته في كل يوم

١ - تاريخ الخلفاء ص ٢١٧ .

٢ - البداية و النهاية ج ١٠ ص ١٧١ .

مائه ركعة الى أن مات لا يتركها الا لعلّة، و يتصدّق من صلب ماله كل يوم بألف درهم، وكان يحبّ العلم و أهله»^١.

و قال الآخرون: انه كان يبكي حينما يغيظه واعظاً، و ازدهرت الممالك الاسلامية في أيام حكومته علماً و أدباً، الى غير ذلك من المدائح المبالغ فيها، أنّها لو صحّ سندها لم تنفعه، لأنه أغرق نفسه في المعاصي الموبقة، و المآسي المهلكة، من الظلم و العدوان و الغدر و الطغيان، و جله الأبرياء، و سفك الدماء، طلباً للدنيا الفانية، و ابقاءً لحكومته الجانية، مع ما كان عليه من الترف و الخلاعة و ارتكاب الفجور، و شرب الخمر، و اتخاذ القينات، و غير ذلك من المساوي المهلكات، و المخازي التي يخجل الانسان الغيور بذكرها، كل ذلك فعله على منصبة الخلافة النبوية، و الحكومة الدينية الالهية فيصدق عليه قوله تعالى ﴿ فأما من طغى و آثر الحياة الدنيا فإنّ الجحيم هي المأوى ﴾^٢ و قوله تعالى: ﴿ من كان يريد الحياة الدنيا و زينتها نوفّ اليهم أعمالهم فيها و هم فيها لا يبخسون أولئك ليس لهم في الآخرة الا النار و حبط ما صنعوا فيها و باطل ما كانوا يصنعون ﴾^٣.

الخوض في اللهو و اللذات المحظورة

قال الذهبي: « له أخبار في اللهو و اللذات المحظورة و الغناء سامحه الله »^٤ و

١ - تاريخ الخلفاء ص ٢١٧ .

٢ - النازعات ٧٩ : ٣٩ .

٣ - هود ١١ : ١٦ .

٤ - تاريخ الخلفاء ص ٢١٩ .

كان الرّشيد - سامحه الله على قول الذهبي - أوّل من لعب الصّوّالجة و الكرة و رمى النّشاب في البرجاس ، و أوّل خليفة لعب بالشطرنج من بني العباس «^١ .
وكان يسرف أموالاً هائلة من بيت مال المسلمين في اللهو و اللعب و الغناء ،
قال ابن خلّكان :

«مات سالم في أيام الرشيد و قد اجتمع عنده ستة و ثلاثون ألف دينار فأودعها أبا السمرء الغساني ، و أنّ ابراهيم الموصلي (مغني هارون) دخل يوماً على الرشيد و غناه فأطربه فقال : سل ما شئت ، قال : نعم يا سيدي ! أسأل شيئاً لا يزرك ، قال : ما هو ؟ قال : مات سالم و ليس له وارث و خلف ستة و ثلاثين ألف دينار عند أبي السمرء الغساني تأمره أن يدفعها لي ، فتسلّمها»^٢ .

قدم اسماعيل بن الهربذ (المغني) على الرّشيد من مكّة فدخل اليه و عنده ابن جامع و ابراهيم و ابنه اسحاق و فليح و غيرهم ، و الرّشيد يومئذ خائر ، فغنى ابن جامع ، ثم فليح ثم ابراهيم ثم اسحاق ، فما حرّكه أحدٌ منهم و لا أطربه ، فاندفع ابن الهربذ يغني ، فعجبوا من اقدمه في تلك الحال على الرّشيد ، فغنى :

يا راكب العيس التي وفدت من البلد الحرام

الى آخر الأبيات ، فكاد الرّشيد يرقص ، و استخفّه الطرب حتى ضرب بيديه و رجليه ، ثم أمر له بعشرة آلاف درهم^٣ .

١ - المصدر ص ٢١٧ .

٢ - وفيات الأعيان ج ٢ ص ٣٥١ .

٣ - قصص العرب ج ٤ ص ٩٦ .

ابن جامع (المغني) في قصر الخلافة

قال ابن جامع (مغني الرشيد المشهور) ضمني الدهر ضمّاً شديداً بمكة فانتقلت منها الى المدينة ، فأصبحت يوماً و ما أملك الا ثلاثة دراهم ...
ثم اني خرجت الى بغداد فدخلتها ، فنزل بي المكارى على باب محوّل^١ فبقيت لا أدري أين أتوجه و لا من أقصد ، فذهبت أمشي مع الناس حتى أتيت الجسر فعبرت معهم ثم انتهيت الى شارع المدينة فرأيت مسجداً بالقرب من دار الفضل بن الربيع مرتفعاً ، فدخلته و حضرت صلاة المغرب و أقمت بمكاني حتى صليت العشاء الآخرة على جوع و تعب ، و انصرف أهل المسجد ، و بقي رجلٌ يصلي ، خلفه جماعة خدم و حوّل ينتظرون فراغه ، فصلّى مليّاً ثم انصرف و رأيته فقال : أحسبك غريباً ؟ قلت : أجل . قال : فمتى كنت في هذه المدينة ؟ قلت : دخلتها آنفاً و ليس لي بها منزلٌ و لا معرفة . و ليست صناعتى مما يُمتُّ بها الى أهل الخير .

قال : و ما صناعتك ؟ قلت : أتغنى . فوثب مبادراً ، و وكل بي بعض من معه ، فسألت الموكل بي عنه ، فقال : هذا سلام الأبرش^٢ .

قال ابن جامع : و اذا رسولٌ قد جاء في طلبى فانتهى بي الى قصرٍ من قصور الخلافة ، و جاز بي من مقصورة الى مقصورة ، ثم أدخلت مقصورة في آخر الدهليز ، و دعا بطعام فأتيتُ بمائدة عليها من طعام الملوك فأكلت حتى امتلأت .

١ - محلّة كبيرة في بغداد .

٢ - من خدم المنصور و تولّى المظالم للمهدي ثم عاصر الهادي و الرشيد أيضاً .

فأتيت كذلك اذ سمعت ركضاً في الدهليز و قائلاً يقول : أين الرجل ؟ قيل هو ذا ، قال ادعوا له بغسول^١ و خلعة و طيب ، ففعل ذلك بي ، فحملت على دابة الى دار الخلافة - عرفتها بالحرس و التكبير و النيران - فجاوزت مقاصير عدة ، حتى صرت الى دار قوراء^٢ فيها أسرة في وسطها ، قد أضيف بعضها الى بعض .

فأمرني الرجل بالصعود ، فصعدت ، و اذا رجلٌ جالسٌ عن يمينه ثلاث جوارٍ في حجورهن العيدان ، و في حجر الرجل عودٌ ، فرحّب الرجل بي . و اذا مجالس حiale كان فيها قومٌ قد قاموا عنها ، فلم ألبث أن خرج خادمٌ من وراء الستر فقال للرجل : تغنّ . فانبعث يغني بصوتٍ لي ، و هو :

لم تمش ميلاً و لم تركب على قتبٍ و لم تر الشمس الا دونها الكليل
(الى آخر الأبيات) فغني بغير اصابة ، و بأوتار و دساتين^٣ .

ثم عاد الخادم الى الجارية التي تلي الرجل فقال لها : تغني . فغنت أيضاً بصوتٍ لي ، كانت فيه أحسن حالاً من الرجل ، و هو :

يا دار أضحت خلاءً لا أنيس بها الآ الظباء و الآ الناشط^٤ الفرد
(الى آخر الأبيات) .

ثم عاد الخادم الى الجارية التي تليها ، فانبعثت تغني :
فو الله ما أدري أيغلبني الهوى اذا جدّ وشك البين أم أنا غالبه
(الى آخر الأبيات) .

١ - الماء يغتسل به .

٢ - الواسعة .

٣ - الرباطات التي توضع الأصابع عليها ، واحدها دُستان .

٤ - الثور الوحشي .



ثم عاد الخادم الى الجارية الثالثة ، فغنت :

مررنا على قيسيّة عامريّة لها بشرُّ صافي الأديم هجان^١

(الى آخر الأبيات الكثيرة التي غنّى بها الرجل و الجواري بالتناوب الى أن) خرج الخادم فقال لي : تعرّن عافاك الله ! فتغنّيت بصوت الرجل الأوّل على غير ما غنّاه ، فقالوا ويحك ! لمن هذا الغناء ؟ قلت : لي . فانصرفوا عني . و خرج اليّ الخادم و قال : كذبت ! هذا الغناء لابن جامع .

و دار الدور ، فلما انتهى الغناء اليّ قلت للجارية التي تلي الرجل : خذي العود فعلمت ما اريد ، فسوّت العود على غنائها للصوت الثاني فتغنّيت به . فخرجت الجماعة الاولى من الخدم فقالوا : ويحك ! لمن هذا ؟ قلت : لي ، فرجعوا و خرج الخادم فقال : كذبت .

ثم تغنّيت بصوت لي ، فلا يُعرف الأبوي و هو :

عوجي عليّ فسلمّي جبرُ فيم الصدود و أنتم سفُرُ

ما نلتقي الآ ثلاث منى حتى يفرّق بيننا الدهرُ

فتزلزلت والله الدّار عليهم ، و خرج الخادم فقال : ويحك ! لمن هذا الغناء ؟ قلت : لي . فرجع ، ثم خرج فقال : كذبت ! هذا غناء ابن جامع ، فقلت : فأنا اسماعيل ابن جامع .

فما شعرت الآ و أميرالمؤمنين و جعفر بن يحيى [البرمكي] قد أقبلنا من وراء البستر الذي كان يخرج منه الخادم . فقال لي الفضل بن الربيع : هذا أميرالمؤمنين قد أقبل اليك ، فلما صعد السرير و ثبت قائماً ، فقال لي : ابن جامع ؟



قلت : ابن جامع ، جعلني الله فداك يا أمير المؤمنين !

قال : ويحك ! متى كنت في هذه البلدة ؟ قلت : آنفاً ، دخلتها في الوقت علم بي أمير المؤمنين . قال : اجلس ، ويحك يا ابن جامع !

ثم قال لي : غثني يا ابن جامع ، فخطر بقلبي صوت الجارية الحميراء ، فأمرت الرجل باصلاح العود على ما أردت من الطبقة ، فعرف ما أردت ، فوزن العود وزناً ، و تعاوده حتى استقامت الأوتار ، و أخذت الدساتين مواضعها ، و انبعثت اغني بصوت الجارية الحميراء :

شكونا الى أحببنا طول ليلنا فقالوا لنا : ما أقصر الليل عندنا
(الى قوله) :

فلو أنهم كانوا يلاقون مثل ما نلاقي لكانوا في المضاجع مثلنا
فنظر الرّشيد الى جعفر و قال : أسمعت مثل هذا قطّ ؟ فقال : لا والله ما خرق مسامعي قطّ مثله . فرفع الرّشيد رأسه الى خادم بالقرب منه . و دعا بكيس فيه ألف دينار فجاء و رمى به اليّ ، فصيرته تحت فخذي و دعوت لأmir المؤمنين .

فقال : يا ابن جامع ! ردّ على أمير المؤمنين هذا الصوت ، فرددته ، و تزيدت فيه ، فقال له جعفر : يا سيدي ! أما تراه كيف يتزيد في الغناء ! هذا خلاف ما سمعناه أولاً ، و ان كان الأمر في اللحن واحداً .

فرفع الرّشيد رأسه الى ذلك الخادم ، و دعا بكيس آخر فيه ألف دينار ، فجاءني به ، فصيرته تحت فخذي .

فلم أزل أفعل ذلك الى أن عسعس الليل . فقال : أتعبناك يا اسماعيل هذه الليلة بالغناء ، فدعا الخادم و أمره فأحضر كيساً ثالثاً فيه ألف دينار .

(الى أن قال) فنزلت من السرير و لا أدري أين أقصد ، فابتدرني فرّاشان



فصارا بي الى دار قد أمر بها أمير المؤمنين ، ففرشت و أعدّ فيها جميع ما يكون في مثلها من آلة جلساء الملوك و ندمائهم ، و من كل آلة و حَوَلٍ^١ الى جوار و وُصْفاء. فدخلت بغداد فقيراً و أصبحت من جِلَّةٍ^٢ أهلها و مياسيرها . هذا ملخّص ما ذكره ابن خلكان في قصص العرب (ج ٤ ص ٦٣ - ٧١) .

(و لا يقال) إنّ راوي هذه القصة رجلٌ مغنّ لا اعتبار له (لأنه) يذكرون أنه و ان اشتهر بالغناء ، لكنّه كان من أحفظ خلق الله لكتاب الله ، و كان ورعاً تقياً يخرج من منزله مع الفجر يوم الجمعة ، فيصليّ الصبح ثم يصفّ قدميه حتى تطلع الشمس ، و لا يصلي الناس الجمعة حتى يختم القرآن ، ثم ينصرف الى منزله^٣ .

و المقصود من نقل هذه القصة مع طولها بالرغم من أننا لخصناها و قصرناها ، الفات النظر الى أمور :

(الأول) أنّ الخليفة هارون الرّشيد كيف كان يصليّ مائة ركعة يومياً ؟ (كما عملت من كلام السيوطي) مع اشتغاله بالغناء طول الليل ، و لا يسهره كذلك الامن كان له عادة بذلك .

(الثاني) إنّ ابن جامع المسكين كيف تحوّل من فقره الى غنائه ، ببركة صوته و غنائه ، اجحافاً بأموال بيت مال المسلمين .

(الثالث) إنّ ابن جامع قد اعترف بأنّ صناعته مما لا يُرغب فيها عند أهل الخير ، لكنّ الخليفة قد استحسناها ، ألم يكن من أهل الخير ؟

١ - الخدم .

٢ - الجِلَّةُ جمع جليل : عظيم .

٣ - راجع هامش قصص العرب ج ٤ ص ٦٣ .



(الرابع) أليس وظيفة كل خليفة لرسول الله ﷺ و امام الامة أن يقضي حوائج الناس و يدبّر أمورهم في النهار، و يناجى ربه و يسأله التوفيق في الليل؟ و كيف يناجى ربه البارى، من يستمع الغناء في حلقة الجوارى؟

قال الحافظ ابن كثير الدمشقي: « ذكر ابن جرير و غيره: أنه كان في دار الرّشيد من الجوارى و الحظايا و خدمهنّ و خدم زوجته و أخواته، أربعة آلاف جارية، و أنهنّ حضرن يوماً بين يديه فغتنه المطربات منهن فطرب جداً، و أمر بمالٍ فنشر عليهنّ، و كان مبلغ ما حصل لكل واحدة منهنّ ثلاثة آلاف درهم في ذلك اليوم (قال) رواه ابن عساكر أيضاً.

(ثم قال ابن كثير) و روي أنه اشترى جارية من المدينة فأعجب بها جداً فأمر بإحضار مواليها و من يلوذ بهم ليقضي حوائجهم، فقدموا عليه بثمانين نفساً، فأمر الحاجب - و هو الفضل بن الربيع - أن يتلقاهم و يكتب حوائجهم (ثم أتبع قائلاً) و فضائل الرّشيد و مكارمه كثيرة جداً^١.

قال الجزائري: يا للعجب! لقد دخل اشترى آلاف من الجوارى و الحظايا و المطربات من أموال المسلمين المأخوذة منهم جبراً في المكارم! فما هي المساوي يا ترى؟

وفاة الجارية « غادر »

و ذكر ابن كثير أيضاً: « كانت « غادر » جارية لموسى الهادي، كان يحبّها

حباً شديداً جداً، وكانت تحسن الغناء جداً، فبينما هي يوماً تغنيه اذا أخذته فكرة غيبته عنها و تغير لونه ، فسأله بعض الحاضرين : ما هذا يا أمير المؤمنين ؟ فقال : أخذتني فكرة أن أموت و أخي هارون يتولى الخلافة بعدي و يتزوج جاريتي هذه ، ففداه الحاضرون و دعوا له بطول العمر .

ثم استدعى أخاه هارون فأخبره بما وقع ، فعوّذه الرّشيد من ذلك ، فاستحلفه الهادي بالأيمان المغلظه من الطلاق و العتاق و الحجّ ماشياً حافياً أن لا يتزوجها ، فحلف له ، و استحلف الجارية كذلك فحلفت له ، فلم يكن إلا أقل من شهرين حتى مات الهادي .

ثم خطبها الرّشيد ، فقالت : كيف بالأيمان التي حلفناها أنا و أنت ؟ فقال : اني أكفر عني و عنك ، فتزوجها و حظيت عنده جداً ، حتى كانت تنام في حجره فلا يتحرك خشية أن يزعجها .

فبينما هي ذات ليلة نائمة اذ انتبعت مذعورة تبكي ، فقال لها : ما شأنك ؟ فقالت : يا أمير المؤمنين ! رأيت الهادي في منامي هذا و هو يقول :

أخلفت عهدي بعد ما	جاورت سگان المقابر
و نسيتني و حنثت في	أيمانك الكذب الفواجر
ونكحت غادرة أخي	صدق الذي سمّاك غادر
أمسيت في أهل البلى	و عددت في الموتى الغوابر
لا يهنك الألف الجديد	دُ و لا تُدّر عنك الدوائر
ولحقت بي قبل الصبا	ح و صرت حيث غدوت صائر

فقال لها الرّشيد : أضغاث أحلام . فقالت : كلا ، والله يا أمير المؤمنين ! فكأنما كتبت



هذه الأبيات في قلبي . ثم ما زالت ترتعد و تضطرب حتى ماتت قبل الصباح^١ .

وفاة الجارية « هيلانة »

و ذكر ابن كثير : « فيها (اي في سنة ١٧٣) ماتت « هيلانه » جارية الرّشيد ، و هو الذي سمّاها هيلانة لكثرة قولها : « هي لأنه » .

قال الأصمعي : و كان لها محبّاً ، و كانت قبله لخالد بن يحيى بن برمك . فدخل الرّشيد يوماً منزله قبل الخلافة فاعترضته في طريقه و قالت : أما لنا منك نصيب ؟ فقال : و كيف السبيل الى ذلك ؟ فقالت : استوهبني من هذا الشيخ . فاستوهبها من يحيى بن خالد ، فوهبها له و حظيت عنده . و مكثت عنده ثلاث سنين ثم توفيت فحزن عليها شديداً و رثاها^٢ و كان من قوله فيها :

قاسيت أو جاعاً و أحزاناً	لمّا استخصّ الموت هيلانا
فارقت عيشي حين فارقتها	فما أبالي كيف ما كانا
كانت هي الدنيا فلما ثوت	في قبرها فارقت دنيانا
قد كثر الناس و لكنني	لست أرى بعديك انسانا
والله لا أنساك ما حركت	ريح بأعلى نجدٍ أعصانا ^٣

و قال العباس بن الأحنف في موتها :

١ - البداية و النهاية ج ١٠ ص ١٧٥ - ١٧٦ .

٢ - المصدر .

٣ - تاريخ الخلفاء ص ٢٢٦ .

يا من تباشرت القبور بموتها
 قصد الزمانُ مساءً تي فرماك
 أبغي الأنيس فما أرى لي مؤنساً
 الا التردد حيث كنت أراك
 (الى آخر الأبيات) قال: فأمر له الرّشيد بأربعين ألف، لكل بيت عشرة آلاف»^١.

الجواري المعطرة على الكراسي المبخرة

ذكر الطبري عن علي عن أبيه: «خبّرت أنه كان له في كل يوم القِيظ تغارٌ من فضة يعمل فيه العطار الطيب و الزعفران والأفوايه^٢ و ماء الورد، ثم يُدخل الى بيت مقيه، و يُدخل معه سبع غلائل قصب^٣ رشيدية تقطيع النساء، ثم تغمس الغلال في ذلك الطيب، و يؤتى في كل يوم بسبع جوار، فتخلع عن كل جارية ثيابها ثم تنخلع عليها غلالة و تجلس على كرسيّ مثقّب، و ترسل الغلالة على الكرسي فتجلّله، ثم تبخّر من تحت الكرسي بالعود المدرّج في العنبر أمداً حتى يجفّ القميص عليها، يفعل ذلك بهنّ، و يكون ذلك في بيت مقيه، فيعبق ذلك البيت بالبخور و الطيب»^٤.

١ - البداية و النهاية ج ١٠ ص ١٧٦.

٢ - جمع الأفواه، مفرده: فُوهُ: الطيب.

٣ - غلائل جمع الغلالة: شعار يلبس تحت الثوب، القَصْبُ: جمع القَصَبَةِ: الخصلة الملتوية من الشعر، و منه الثياب المقصّبة: أي المطوية و المزينة بالشريط المطروق من الذهب و الفضة (المنجد).

٤ - تاريخ الطبري ج ٨ ص ٣٥٦.

شرب الخمر

ذكر ابن خلكان ناقلاً عن أبي الفرج الاصبهاني ما لفظه : « كان الرّشيد كثيراً ما ينزل هذا الدير (أى دير عذارى)^١ و يشرب فيه ، و فيه يقول حجة البرمكي :

ألا هل الى دير العذارى و نظرة الى من به قبل الممات سبيل
 و هل لي به يوماً من الدهر سكرة تعلل نفسي و المشوق عليل
 اذا نطق القسيس بعد سكوته و شمعل مطران و لاح قتيل
 غدونا على كأس الصبوح بسحرة فدارت علينا قهوة و شمول
 نريد انتصاباً للمدام بزعمنا و يرعشنا ادمانها فنميل
 سقى الله عيشاً لم يكن فيه دولة أتمّ و لم يُنكر عليّ عدول^٢
 و قال الطبري « و كان الرّشيد قد عتب على الفضل بن يحيى و ثقل مكانه عليه لتركه الشرب معه »^٣.

الاسراف في بيت المال

قال الحافظ السيوطي : « كان الرّشيد يحبّ المديح و يجيز عليه الأموال

١ - كان في شمال بغداد على شاطي الدجلة بالقرب من مدينة بلد ، و كان من أنزه الأديار و أحسنها ، و يقال له دير العلت أيضاً (معجم البلدان ج ٢ ص ٥٢٣) و المنجد قسم الأعلام ص ٤٧٣ ، ط ٧ .
 ٢ - وفيات الأعيان ج ١ ص ٤٥٦ .
 ٣ - تاريخ الطبري ج ٨ ص ٢٩٣ .



الجزيلة»^١.

وقال أيضاً: «كان الرشيد يقتفي آثار جدّه أبي جعفر الا في الحرص فانه لم يُر خليفة قبله أعطى منه ، أعطى مرّه سفیان بن عيينة مائة ألف ، و أجاز اسحاق الموصلي (المغتي) مرّة بمائتي ألف ، و أجاز مروان بن أبي حفصة مرّة على قصيدة خمسة آلاف دينار و خلعة و فرساً من مراكبه و عشرة من رقيق الرّوم ، و كذلك أعطى مرّة الأصمعي خمسة آلاف دينار»^٢.

وقال أيضاً: «خلف الرشيد مائة ألف ألف دينار ، و من الأثاث و الجواهر و الورق و الدواب ما قيمته مائة ألف ألف دينار و خمسة و عشرون ألف دينار»^٣.

هارون الرشيد و بهلول

خرج الرشيد إلى الحجّ فلما كان بظاهر الكوفة إذ أبصر بهلولاً^٤ المجنون على قصبية ، و خلفه الصبيان و هو يعدو ، فقال : من هذا ؟ فقيل له : بهلول المجنون ، فقال : كنت أشتهى أن أراه ، فادعوه من غير ترويع ، فذهبوا إليه و قالوا : أجب أمير المؤمنين ؛ فلم يجب .

١ - تاريخ الخلفاء ص ٢١٧ .

٢ - المصدر ص ٢١٨ .

٣ - المصدر ص ٢٢٦ .

٤ - هو بهلول بن عمرو الصيرفي ، أبو وهيب : من عقلاء المجانين ، له أخبار و نوادر و شعر ، ولد و نشأ في الكوفة سنة نحو (١٩٠ هـ) و استقدمه الرشيد و غيره من الخلفاء لسماع كلامه . كان في منشأه من المتأدبين ثم وسوس فعرف بالمجنون (الأعلام للزركلي ج ٢ ص ٧٧) .

فذهب إليه الرّشيد ، و قال : السلام عليك يا بهلول ، فقال : عليك السلام يا أميرالمؤمنين !
 فقال : دعوتك لاشتياعي إليك ، فقال بهلول : لكّني لم أشتق إليك ! فقال
 الرشيد : عظني يا بهلول ، فقال : و بيم أعظك؟ هذي قصورهم و هذي قُبورهم !
 فقال الرشيد : زدني فقد أحسنت ! فقال يا أميرالمؤمنين : من رزقه الله مالاً و
 جمالاً ، فعفّ في جماله ، و واسبى في ماله ، كُتب في ديوان الابرار ، فظن الرشيد أنه
 يريد شيئاً ؛ فقال : قد أمرنا لك أن يقضى دينك ، فقال : لا ، يا أميرالمؤمنين ، لا
 يقضى الدّين بدّين ، ارزُد الحق على أهله و اقض دين نفسك من نفْسِك ، قال : فإنّا قد
 أمرنا أن يُجرى عليك . فقال : يا أميرالمؤمنين ؛ أترى الله يُعطيك و ينساني ! ثم ولى
 هارباً^١ .

هارون الرّشيد و الفضيل بن عياض^٢

حدّث سفيان بن عيينة ، قال : دعانا هارون الرّشيد فدخلنا عليه ، و دخل
 الفضيل آخرنا مقنعاً رأسه بردائه فقال لي : يا سفيان ، و أيهم أميرالمؤمنين ؟
 فقلت : هذا ، و أو مأت إلى الرشيد ، فقال له : يا حسن الوجه ، أنت الذي أمر هذه

١ - قصص العرب ج ٤ ص ٤٢٤ .

٢ - هو الفضيل بن عياض التميمي الطالقاني الزاهد المشهور ، كان في أول أمره شاطرأ يقطع الطريق ،
 وكان سبب توبته أنه عشق جارية فيبينا هو يرتقي الجدران إليها سمع تالياً يتلو : ﴿ ألم بأن للذين آمنوا
 أن تخشع قلوبهم لذكر الله ﴾ (الحديد : ١٦) فقال : يا رب قد آن ، فرجع وكان من كبار السادات (وفيات
 الأعيان ج ٤ ص ٤٧) .

الأمة في يدك و عنقك ؟ لقد تقلدت أمراً عظيماً ، فبكى الرشيد ، ثم أتى كل رجل منا ببذرة ، فكلُّ قلبها إلا الفضيل ، فقال الرشيد : يا أبا علي إن لم تستحل أخذها فأعطاها ذا دينٍ أو أشبع بها جائعاً أو اكس بها عارياً ، فاستعفاه منها ، فلما خرجنا قلت : يا أبا علي ، أخطأت ، ألا أخذتها و صرفتها في أبواب البرِّ ؟ فأخذ بلحيتي ثم قال : يا أبا محمد ، أنت فقيه البلد و المنظور إليه و تغلط مثل هذا الغلط ؟ لو طابت لأولئك لطابت لي .

و يحكى أنّ الرشيد قال له يوماً : ما أزهذك ! فقال الفضيل : أنت أزهد مني ، قال : وكيف ذلك ؟ قال : لأنني أزهد في الدنيا ، و أنت تزهد في الآخرة ، و الدنيا فانية و الآخرة باقية^١ .

هارون الرشيد و القاضي أبو يوسف

قال الحافظ ابن كثير الدمشقي ما لفظه : « القاضي أبو يوسف : اسمه يعقوب بن ابراهيم كان أكبر أصحاب أبي حنيفة . روى الحديث عن الأعمش و همام بن عروة و محمد بن اسحاق و غيرهم . و عنه محمد بن الحسن و أحمد بن حنبل . قال علي بن الجعد : سمعته يقول : توفي أبي و أنا صغير فأسلمتني أمي الى قصار ، فكنت أمر على حلقة أبي حنيفة فأجلس فيها ، فكانت أمي تتبعني فتأخذ بيدي من الحلقة و تذهب بي الى القصار ، ثم كنت أخالفها في ذلك و أذهب الى أبي حنيفة .

فلما طال ذلك عليها قالت لأبي حنيفة : انّ هذا صبيّ يتيّم ليس له شيء الآ ما أطعمه من مغزلي ، وانك قد أفسدته عليّ . فقال لها : اسكتي يا رعناء ! ها هو ذا يتعلم العلم و سياًكل الفالودج بدهن الفستق في صحون الفيروزج . فقالت له : أنّك شيخٌ قد خرفت .

قال أبو يوسف : فلما وليت القضاء فبينما أنا ذات يوم عند الرّشيد اذ أتيت بفالودج في صحن فيروزج ، فقال لي : كل من هذا ، فانه لا يصنع لنا في كل وقت . فقلت : ما هذا يا أمير المؤمنين ؟ فقال : هذا الفالودج .

قال : فتبسّمت ، فقال : ما لك تبسّم ؟ فقلت : لا شيء أبقى الله أمير المؤمنين . فقال : لتخبرني . فقصصت عليه القصة .

فقال : انّ العلم ينفع ويرفع في الدنيا والآخرة . ثم قال : رحم الله أبا حنيفة ، فلقد كان ينظر بعين عقله ما لا ينظر بعين رأسه .

وكان أبو حنيفة يقول : عن أبي يوسف : انه أعلم أصحابه «^١ .

و قال طلحة بن محمد بن جعفر : « أبو يوسف مشهور الأمر ، ظاهر الفضل ، أفاقه أهل عصره ، و أول من وضع الكتب في اصول الفقه على مذهب أبي حنيفة ، و أملى المسائل و نشرها ، و بثّ علم أبي حنيفة في أقطار الأرض ، و قال عمّار بن مالك : ما كان في أصحاب أبي حنيفة مثل أبي يوسف ، لولا أبو يوسف ما ذكر أبو حنيفة ، و لا محمد بن أبي ليلي ، ولكته هو نشر قولهما و بثّ علمهما «^٢ .

١ - البداية و النهاية ج ١٠ ص ١٩٣ - ١٩٤ .

٢ - وفيات الأعيان ج ٦ ص ٣٨٢ .

لمحة الى قضايا أبي يوسف العجبية

(القضية الاولى) قال الحافظ ابن كثير: « روى المعافي بن زكريا الجريري ، عن محمد بن أبي الأزهر ، عن حماد بن أبي اسحاق ، عن أبيه ، عن بشر بن الوليد عن أبي يوسف . قال : بينا أنا ذات ليلة قد نمت في الفراش اذا رسول الخليفة يطرق الباب ، فخرجت منزعجاً . فقال : أمير المؤمنين يدعوك .

فذهبت فاذا هو جالسٌ و معه عيسى بن جعفر فقال لي الرّشيد : انّ هذا قد طلبت منه جارية يهنيها فلم يفعل ، أو يبيعنها ، و أنّي أشهدك ان لم يجبني الى ذلك أقتله .

فقلت لعيسى : لِمَ لمَ تفعل؟ فقال : أنّي حالف بالطلاق و العتاق و صدقة ما لي كلّه أن لا أبيعها و لا أهبها .

فقال لي الرّشيد : فهل له من مخلص ؟ فقلت : نعم ! يبيئك نصفها و يهبك نصفها . فوهبه التّصف و باعه التّصف بمائة ألف دينار . فقبل منه ذلك .

و أحضرت الجارية ، فلما رآها الرّشيد ، قال : هل لي من سبيل عليها الليلة ؟ والله لئن لم أبت معها ليلتي هذه اني أظنّ أنّ نفسي ستخرج ، فقلت : يا أمير المؤمنين تعتقها و تزوّجها فإنّ الحرّة لا تستبرأ .

قال : فأعتقها و تزوّجها منه بعشرين ألف دينار ، و أمر لي بمائتي ألف درهم و عشرين تختاً من ثياب ، و أرسلت اليّ الجارية بعشرة آلاف دينار^١ .

(أقول) : انّ بيع الجزء و كذا هبته داخلٌ في بيع الكل ، فاذا حرم بيع الكل و

هبته حرم جزؤه أيضاً ، فما أدري كيف أفادت هذه الحيلة أبا يوسف ، نعم أفادته بلحاظ الجائزة التي حصلها من هارون ، فانا لله وانا اليه راجعون .

(القضية الثانية) ذكر الحافظ جلال الدين السيوطي : « أخرج السلفي في الطيوريات بسنده عن ابن المبارك ، قال : لما أفضت الخلافة الى الرّشيد وقعت في نفسه جارية من جوار أبيه المهدي ، فراودها على نفسها .

فقلت : لا أصلح لك ، انّ أباك قد طاف بي ، فشغف بها ، فأرسل الى أبي يوسف ، فسأله أعندك في هذا شيء ؟ فقال : يا أمير المؤمنين أو كلما ادّعت أمة شيئاً ينبغي أن تصدّق ، لا تصدّقها ، فانها ليست بمأمونة .

قال ابن المبارك : فلم أدر ممن أعجب . من هذا الذي وضع يده في دماء المسلمين وأموالهم يتحرّج عن حرمة أبيه ، أو من هذه الأمة التي رغبت بنفسها عن أمير المؤمنين ، أو من هذا فقيه الأرض وقاضيتها قال : اهتك حرمة أبيك و اقض شهوتك و صيرّه في رقبتي .

(القضية الثالثة) و عن عبدالله بن يوسف قال : قال الرّشيد لأبي يوسف اني اشتريت جارية و أريد أن أطأها الآن قبل الاستبراء ، فهل عندك حيلة ؟ قال : نعم . تهبها لبعض ولدك ، ثم تتزوجها .

و عن اسحاق بن راهويه قال دعا الرّشيد أبا يوسف ليلاً فأفتاه فأمر له بمائة ألف درهم . فقال أبو يوسف : ان رأى أمير المؤمنين بتعجيلها قبل الصبح ، فقال : عجلوها . فقال بعض من عنده : انّ الخازن في بيته و الأبواب مغلقة .

فقال أبو يوسف : فقد كانت الأبواب مغلقة حين دعاني ففتحت « ١ .

الظلم و الجور و سفك الدماء

ذكر اليعقوبي: «أخذ الرشيد العتال و التثناة و الدهاقين و أصحاب الضياع و المتبايعين للغلات و المقبلين ، و كان عليهم أموال مجتمعة فولّى مطالبتهم عبدالله بن الهيثم فطالبهم بصنوف من العذاب»^١.

حدّث أبو عمر ابن عبد ربه الاندلسي: «قام رجلٌ الى هارون الرشيد ، و هو يخطب بمكة ، فقال: ﴿كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون﴾^٢ فأمر به فضرب مائة سوط ، فكان يئنّ الليل كلّه و يقول: الموت ! الموت !»^٣.

ذكر الحافظ ابن كثير الدمشقي: انّ جعفرًا كانت له جارية يقال لها فتينة مغنّية لم يكن لها في الدنيا نظير ، كان يشتراها بمن معها من الجوارى مائة ألف دينار ، فطلبها منه الرشيد ، فامتنع ذلك فقتله الرشيد ، فلما قتله اصطفى تلك الجارية ، فأحضرها ليلة في مجلس شرابه و عنده جماعة من جلسائه و سمّاره ، فأمر من معها أن يغنين ، فاندفعت كل واحدة تغني ، حتى انتهت التوبة الى فتينة ، فأمرها بالغناء ، فأسبلت دمعتها و قالت: أما بعد السادة فلا . فغضب الرشيد غضباً شديداً ، و أمر بعض الحاضرين أن يأخذها اليه فقد وهبها له . ثم لمّا أراد الانصراف قال له فيما بينه و بينه : لا تطأها . ففهم أنه انما يريد بذلك كسرها .

فلمّا كان بعد ذلك أحضرها و أظهر انه قد رضي عنها و أمرها بالغناء ،

١ - تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ٤١٥ .

٢ - الصّف ٦١ : ٣ .

٣ - العقد الفريد ج ١ ص ٦٠ .

فامتنت و أرسلت دمعها و قالت : أما بعد السادة فلا .

فغضب الرشيد أشد من غضبه في المرة الاولى ، و قال : النطع و السيف . و جاء السياف فوقف على رأسها ، فقال له الرشيد : اذا أمرتك ثلاثاً و عقدت أصابعي ثلاثاً فاضرب .

ثم قال لها : غتي . فبكت و قالت : أما بعد السادة فلا . فعقد أصبعه الخنصر . ثم أمرها الثانية فامتنت ، فعقد اثنتين ، فارتعد الحاضرون و أشفقوا غاية الاشفاق و أقبلوا عليها يسألونها أن تغتي لثلاث تقتل نفسها ، و أن تجيب أمير المؤمنين الى ما يريد .

ثم أمرها الثالثة فاندفعت تغتي كارهةً :

لما رأيت أن الدنيا قد درست أيقنت أن التعميم لم يعد
قال : فوثب اليها الرشيد و أخذ العود من يدها ، و أقبل يضرب به وجهها و رأسها حتى تكسر ، و أقبلت الدماء و تطايرت الجوار من حولها ، و حملت من بين يديه ، فماتت بعد ثلاثة أيام^١ .

العقاب بلا جناية

قال ابن منذر (الشاعر) حج الرشيد بعد ايقاعه بالبرامكة و حج معه الفضل بن الربيع ، فهيات فيه قولاً أجدت تنسيقه و تنوقت فيه^٢ ، فدخلت اليه في يوم

١ - البداية و النهاية ج ١٠ ص ٢٠٨ .

٢ - أي بالغت في تجويده .

التروية ، و اذا هو يسأل عني و يطلبني ، فبدرني الفضل بن الربيع قبل أن أتكلّم ، فقال : يا أمير المؤمنين ! هذا شاعر البرامكة و مادحهم - وكان البشر ظهر لي في وجهه لما دخلت - فتنكّر و عبس في وجهي ، فقال الفضل : مره يا أمير المؤمنين أن ينشذك قوله فيهم :

أتانا بنو الأملاك من آل برمك .

فقال : أنشدني ، فأبيت ، فتوعّدني و أكرهني فأنشدته :

أتانا بنو الأملاك من آل برمك فياطيب أخبارٍ و يا حسن منظر
(الى آخر الأبيات) ثم أتبعته ذلك بأن قلت : كانوا أولياءك يا أمير المؤمنين أيام مدحتهم ، و كانوا في طاعتك ، لم يلحقهم سخطك ، و لم تحلل بهم نعمتك ، و لم أكن في ذلك مبتدعاً ، و لا خلا أحدٌ من نظرائي من مدحهم ، و كانوا قوماً قد أظلّني فضلهم ، و أغناني رفدهم ، فأثنت بما أوتوا .

فقال : يا غلام ! الطم وجهه ، فلطمتُ و الله حتى سدرت^١ و أظلم ما كان بيني و بين أهل المجلس . ثم قال : اسحبوه على وجهه ، و الله لأحرمّك ، و لا تركت أحداً يعطيك شيئاً هذا العام ! فسحبت حتى أخرجت .

و انصرفت و أنا أسوأ الناس حالاً في نفسي و حالي و ما جرى عليّ ، لا والله ما عندي ما يكفي عيالي لعيدهم ، فاذا بشاب قد وقف عليّ ، ثم قال : عزيزٌ عليّ و الله يا كبيرنا بما جرى عليك ، و دفع اليّ صرة و قال : تبّلغ بما في هذه ! فظننتها دراهم ، فاذا هي ثلاث مائة دينار ، فقلت : من أنت ؟ جعلني الله فداك ! قال : أنا أخوك أبو نواس ، فاستعن بهذه الدنانير و أعذرني ، فقبلتها و قلت : وصلك الله يا أخي و أحسن

جزائك! ١.

فتك الرّشيد بالبرامكة

كانت البرامكة أحبّ الناس و أعزّهم على هارون الرّشيد ، لم يقدر على مفارقتهم يوماً ما ، وكانت العلاقة بينهم و بينه من قديم الزمان ، لأنّ أول من وزر من آل برمك خالد بن برمك لأبي العباس عبدالله السّقاح^٢ فكانوا يعدّون في الحقيقة من مؤسسي الدولة العباسية ، و من المخلصين لهم و المفدّين عليهم ، بل إنّ جعفرأ كان أخا هارون من الرضاة و كان فعّالاً لما يشاء في اموره ، يدخل عليه كل وقت يريد بلاستيذان منه ، لكنّ كل ذلك لم يفده شيئاً ، لأنّ الرّشيد قد تغيّر عليه و على عشيرته مرّة واحدة فدمرهم تدميراً ، و لم يبق من ملكهم فقيراً . و نذكر لمحّة من أخبارهم ليكون عبرة للقارئين ، و تبصرة للمتطلّعين .

قال المؤرّخ المسعودي : « ذكر ذو معرفة بأخبار البرامكة أنه لما بلغ جعفر بن يحيى بن خالد بن برمك و يحيى بن خالد و الفضل و غيرهم من آل برمك ما بلغوا من الملك ، و تناهوا اليه من الرياسة ، و استقامت لهم الأمور حتى قيل : إنّ أيتامهم عروسّ و سرورّ دائم لا يزول ، قال الرّشيد لجعفر بن يحيى : ويحك يا جعفر ! انه ليس في الأرض طلعة أنا بها آنس ، و لا اليها أميل ، و أنا بها أشد استمتاعاً و أنساً من رؤيتك ، و إنّ للعباسة اختي متي موقعا ليس بدون ذلك ، و قد نظرت في

١ - قصص العرب ج ٢ ص ٣٠٣ .

٢ - وفيات الأعيان ج ١ ص ٣٢٢ .

أمري معكما ، فوجدتني لا أصبر عنك و لا عنها ، و رأيتني ناقص الحظّ و السرور منك يوم أكون معها ، و كذلك حكمني منك في يوم كوني معك دونها ، و قد رأيت شيئاً يجتمع لي به السرور ، و تتكاثف لي به اللذة و الأُنس .

فقال : و ففك الله يا أمير المؤمنين .

قال الرّشيد : قد زوّجتكما تزويجاً تملك به مجالستها و النظر اليها و الاجتماع بها في مجلسٍ أنا معكما فيه ، لا سوى ذلك .

فزوجه الرّشيد بعد امتناعٍ كان من جعفر اليه في ذلك ، و أخذ الرّشيد عليه عهد الله و موثيقه و غليظ أيمانه أنّه لا يخلو بها ، و لا يظلّه و اياها سقف بيت الا و الرّشيد ثالثهما . فحلف له جعفر على ذلك .

و كانوا يجتمعون على هذه الحالة التي وصفناها و جعفر في ذلك صارف بصره عنها هيبه لأيمر المؤمنين ، و وفاءً بعهده و ايمانه و موثيقه «^١ .

ذكر الحافظ ابن كثير الدمشقي : « قد كان جعفر يدخل على الرّشيد بغير اذنٍ حتى يدخل عليه و هو في الفراش مع حظاياه^٢ . و هذه و جاهة و منزلة عالية . و كان عنده من أحظى العشاء على الشراب المسكر . فإنّ الرّشيد كان يستعمل في أواخر أيام خلافته المسكر . و كان أحبّ أهله اليه أخته العباسة بنت المهدي ، و كان يحضرها معه ، و جعفر البرمكي حاضر أيضاً معه . فزوجه بها ليحلّ النظر اليها ، و اشترط عليه أن لا يطأها .

و كان الرّشيد ربما قام و تركهما وهما ثملان من الشراب ، فربما واقعها

١ - مروج الذهب ج ٣ ص ٣٧٦ .

٢ - الحظايا كالخطايا جمع الخطيئة : السريّة المكرّمة عند ملك .



جعفر فحبلت منه ، فولدت ولداً وبعثته مع بعض جواريتها الى مكة .

(ثم قال ابن كثير) و ذكر ابن خلكان : أن الرّشيد لما زوج اخته العباسة من جعفر أحبّته حبّاً شديداً ، فراودته عن نفسه ، فامتنع أشدّ الامتناع خوفاً من الرّشيد . فاحتالت عليه - وكانت امه تهدي له في كلّ ليلة جمعة جاريةً حسناء بكرةً - فقالت لأمه : أدخليني عليه بصفة جارية ، فهابت ذلك فتهدّتها حتى فعلت ذلك . فلما دخلت عليه لم يتحقّق وجهها فواقعها ، فقالت له : كيف رأيت خديعة بنات الملوك ؟ و حملت تلك الليلة . فدخل على أمه فقال : بعثيني والله برخيص « ١ . وقال ابن خلكان : « وكان جعفر متمكناً عند الرّشيد ، غالباً على أمره ، و بلغ من علو المرتبة عنده ما لم يبلغه سواه ، حتى إن الرّشيد اتخذ ثوباً له زيقان ، فكان يلبسه هو و جعفر جملة ، و لم يكن للرّشيد صبرٌ عنه ، و كان الرّشيد أيضاً شديد المحبّة لأخته العباسة ابنة المهدي (ثم ذكر قصة تزويجهما و علوق العباسة من جعفر الى أن قال) :

و كان يحيى بن خالد (أبو جعفر) ينظر الى قصر الرّشيد و حرمه ، و يغلق أبواب القصر و ينصرف بالمفاتيح معه ، حتى ضيق على حرم الرّشيد ، فشكته زبيدة الى الرّشيد .

فقال (الرّشيد) له : يا أبتِ - و كان يدعوه بذلك - ما لزبيدة تشكوك ؟ فقال يحيى : أمّتهم أنا في حرمك يا أمير المؤمنين ؟ قال : لا ، قال : فلا تقبل قولها فيّ ، و ازداد يحيى عليها غلظة و تشديداً .

فقالت زبيدة مرّة أخرى للرّشيد في شكوى يحيى ، فقال الرّشيد لها : يحيى

عندي غير متهم في حرمي ، فقالت : فلم لم يحفظ ابنه مما ارتكبه ؟ قال : و ما هو ؟
فخبرته بخبر العباسة ، قال : و هل على هذا دليل ؟ قال : و أيّ دليل ادلّ من الولد ؟
قال : و اين هو ؟ قالت : كان هنا ، فلما خافت ظهوره و جّهت به الى مكّة .

قال : و علم بذا سواك ؟ قالت : ليس بالقصر جارية الا و علمت به ، فسكت
عنها ، فأظهر ارادة الحج ، فخرج له و معه جعفر ، فكتبت العباسة الى الخادم و الدّاية
بالخروج بالصبيّ الى اليمن ، و وصل الرشيد مكّة ، فوكل من يثق به بالبحث عن أمر
الصبيّ حتى وجده صحيحاً ، فأضمر السوء للبرامكة .

و قال الواقديّ : نزل الرشيد العُمَر بناحية الأنبار في سنة (١٨٧) منصرفاً من
مكّة ، و غضب على البرامكة ، و قتل جعفرأ في أول يوم من صفر ، و صلبه على
جسر بغداد ، و جعل رأسه على الجسر و في الجانب الآخر جسده .

و قال السندي بن شاهك : كنت ليلة نائماً في غرفة الشرطة بالجانب الغربي
حتى سمعت صيحة الزابطة و الشرط و دُقّ باب الغرفة فأمرت بفتحها ، فصعد سلام
الأبرش الخادم ، و كان الرشيد يوجهه في المهمات ، فانزعجت و أرعدت مفاصلي ،
و ظننت أنه أمر فيّ بأمر ، فجلس الى جانبي و أعطاني كتاباً ففضضته ، و اذا فيه :

يا سندي ! هذا كتابنا بخطنا مختم بالخاتم الذي في يدنا ، و موصله سلام
الأبرش ، فاذا قرأته فقبل أن تضعه من يدك فامض الى دار يحيى بن خالد ، و سلام
معك حتى تقبض عليه ، و توقره حديداً ، و تحمله الى الحبس في مدينة المنصور
المعروف بحبس الزنادقة ، و تقدّم الى الفضل ابنه - قبل انتشار الخبر - و أن تفعل به
مثل ما تقدّم به اليك في يحيى و أن تحمله أيضاً الى حبس الزنادقة ، ثم بثّ بعد
فراغك من هذين ، أصحابك في القبض على أولاد يحيى و أولاد اخوته و قراباته .
(و قال ابن خلكان) و سرّد صورة الايقاع بهم ابن بدرون أيضاً سرداً فيه



فوائد زائدة على هذا المذكور ، فأحبيت ايراده مختصراً ههنا ، قال عقيب كلامه المتقدم :

ثم دعا (الرّشيد) السندي بن شاهك فأمره بالمضيّ الى بغداد و التوكّل بالبرامكة و كتابهم و قراباتهم و أن يكون ذلك سرّاً ، ففعل السنديّ ذلك سرّاً ، و كان الرّشيد بالأنبار بموضع يقال له العُمُرُ ، و معه جعفر و كان بمنزله ، و قد دعا أبا زكار و جواريه و نصب الستائر و أبو زكار يغنيته :

ما يريد الناس منا ما ينام الناس عنا
انما همهم أن يظهروا ما قد دفنا

و دعا الرّشيد ياسراً غلامه و قال : قد انتخبتك لأمر لم أر له محمداً و لا عبداً و لا القاسم (يريد أولاده الثلاثة الأمين و المأمون و المؤمن) فحقّق ظني ، و احذر أن تخالف فتهلك .

فقال : لو أمرتني بقتل نفسي لفعلت .

فقال : اذهب الى جعفر بن يحيى و جئني برأسه السّاعة ، فوجم لا يحير جواباً ، فقال له : ما لك و يلك ؟

قال : الأمر عظيمٌ ، وددت أني متّ قبل وقتي هذا ، فقال : امض لأمرى ، فمضى حتى دخل على جعفر و أبو زكار يغنيته :

فلا تبعد فكل فتى سيأتي عليه الموت يطرُق أو يغادي
و كل ذخيرة لآبَد يوماً و ان بقيت تصير الى نفاذ
ولو فوديت من حدّث الليالي فديتك بالطريف و بالتلاد

فقال له جعفر : يا ياسر سررتني باقبالك و سوّتني بدخولك من غير اذن ،

فقال : الأمر أكبر من ذلك ، قد أمرني أمير المؤمنين بكذا و كذا .



فأقبل جعفر يقبل قدمي ياسر و قال : دعني أدخل و أوصي ، قال : لا سبيل الى الدخول ، ولكن أوص بما شئت «^١ .

قال المسعودي : « فلما كان في اليوم الذي عزم فيه الرّشيد على قتل جعفر - و جعفر عنده في موضع يعرف في الأنبار بالعمُر - فأقاما يومها بأحسن هيئة و أطيب عيش ، فلما انصرف جعفر من عنده خرج الرّشيد حتى ركب مشيعاً له ، ثم رجع الرّشيد فجلس على كرسي و أمر بما كان بين يديه فرفع . فمضى جعفر الى منزله .

(ثم ذكر المسعودي حضور ياسر عند جعفر) فقال له : أنّ أمير المؤمنين قد أمرني فيك بكيت و كيت . فقال جعفر : إنّ أمير المؤمنين يمازحني بأصناف من المزاح فأحسب أنّ هذا جنس منه . فقال : والله ما رأيته الا جاداً ، قال : فان يكن الأمر كما قلت فهو اذاً سكران . قال : لا والله ما افتقدت من عقله شيئاً ، و لا ظننته شرب نبيذاً في يومه مع ما رأيت من عبادته .

قال : فارجع اليه فأعلمه أنك قد نقّدت ما أمرك به فان أصبح نادماً كانت حياتي على يديك جارية ، و كانت لك عندي نعمة مجدّدة ، و ان أصبح على مثل هذا الرّأي نقّدت ما أمرت به في غدٍ . قال : ليس الى ذلك سبيل .

قال : فأصير معك الى مضرب أمير المؤمنين حتى أقف بحيث أسمع كلامه و مراجعته اياك ، فاذا أبديت عذراً و لم يقنع الا بمصيرك اليه برأسي خرجت فأخذت



رأسي من قرب .

قال : أما هذا فنعم ، فمضيا جميعاً الى مضرب الرّشيد ، فدخل اليه ياسر ، فقال : قد أخذت رأسه يا أمير المؤمنين . وها هو ذا بالحضرة .

فقال له : اثنتي به و الا والله قتلتك قبله . فخرج فقال له : أسمعت الكلام ؟ قال : فشأنك و ما أمرت به .

فأخرج جعفر من كتمه منديلاً صغيراً فعصب به عينيه ، و مدّ رقبته فضربها ياسر و أدخل رأسه الى الرّشيد [قال في تاريخ الفخري ص ٢١٠ : و أتى برأسه على ترس الى الرّشيد و بيدنه في نطع] .

فلما رأى الرأس بين يديه أقبل عليه و جعل يذكره بذنوبه ، ثم قال : يا ياسر ! اثنتي بفلان و فلان فلما أتى بهم قال لهم : اضربوا عنق ياسر ، فأتى لا أقدر أن أنظر الى قاتل جعفر^١ .

و قال الحافظ ابن كثير : « و بعث الرّشيد برأس جعفر و جثته فنصب الرأس عند الجسر الأعلى ، و شُقّت الجثة باثنين ، فنصب نصفها الواحد عند الجسر الأسفل ، و الآخر عند الجسر الآخر ، ثم أحرقت بعد ذلك .

و نودي في بغداد أن لا أمان للبرامكة و لا من آواهم .

(ثم ذكر ابن كثير) و قد كان الرّشيد في اليوم الذي قتل جعفرأ في آخره ، هو و اياه راكبين في الصيد في أوله ، و قد خلا به دون ولاة العهود ، و طيبه في ذلك بالغالية بيده فلما كان وقت المغرب و دعه الرّشيد و ضمّه اليه و قال : لولا أنّ الليلة ليلة خلوتى بالنساء ما فارقتك ، فاذهب الى منزلك و اشرب و اطرب و طب عيشاً

حتى تكون على مثل حالي ، فأكون أنا و أنت في اللذة سواء .

فقال : والله يا أمير المؤمنين ! لا أشتهي ذلك الا معك . فقال : لا ! انصرف الى منزلك . فانصرف عنه جعفر فما هو الا أن ذهب الليل بعضه حتى أوقع به من البأس و التكال ما تقدم ذكره . وكان عمر جعفر اذ ذاك سبعاً و ثلاثين سنة ^١ .

(قال الجزائري) : من الذي يسائل الرّشيد : أيّ ذنب كان لجعفر حتى استحقّ هذا العذاب الأليم ؟ و ما هذا الجفاء بعد نهاية القرب و الوفاء ، و هل يجوز اجبار الزوج على أن لا يقارب حليلته المشروعة ؟ و اذا لم يمتنع فهل يجوز قتله ؟ و ما كان ذنب خادمك الوفي المخلص ياسر حتى حرّمته حياته ؟ و مجرد أنّك لا تقدر أن ترى وجه قاتل جعفر ، هل هو عذرٌ يقبله ربّك ؟ هو قتله بأمرك فالقاتل الأول أنت .

ثم ما كان ذنب شقيقتك العباسة حتى صيرتها أرملة و أيتمت طفلها .
ثم ماذا جنى والده يحيى و سائر أسرته حتى لاقوا منتهى عقابك ، و عذبوا بأنواع عذابك ؟ و بعد اللتيا و التي أنت أمير المؤمنين و خليفة المسلمين !

عبرتان من غير الزمان

(الأولني) قال ابن الطقطقا : « و من طريف ما وقع في ذلك ما رواه العمرانيّ المؤرّخ قال : حدّث فلانٌ قال : دخلت الديوان فنظرت في بعض تذاكر النوّاب فرأيت فيها أربعمائة ألف دينار ثمن خلعةٍ لجعفر بن يحيى الوزير ، ثم دخلت بعد

أيام فرأيت تحت ذلك عشرة قراريط ثمن نفظ و بوارى لاحراق جثة جعفر بن يحيى ، فعجبت من ذلك»^١ .

(الثانية) حدّث المسعودي : « قال محمد بن عبدالرحمن الهاشمي : دخلت على والدتي يوم نحر ، فوجدت عندها امرأة برزة متكلمة في أثواب رثة ، فقالت لي : أتعرف هذه ؟ قلت : لا ، قالت : هذه عبادة أم جعفر بن يحيى . فأقبلت إليها بوجهي أحدثها وأعظمها ، ثم قلت لها : يا أمّاه ما أعجب ما رأيت ؟ قالت : يا بني ! لقد أتني عليّ عيدٌ مثل هذا ، وأنا على رأسي أربعمائة وصيفة ، واتي لأعدُّ ابني عاقاً لي ، و لقد أتني عليّ هذا العيد و ما أتمنتى سوى جلد شاتين افترش أحدهما و ألتحف الآخر .

قال : فدفعت إليها خمسمائة درهم ، فكادت تموت فرحاً بها »^٢ .

أسباب نكبة البرامكة

قد قيل في ايقاع الرّشيد بهم أمورٌ مختلفة ، منها : قضية العباسة التي ذكرها أكثر المؤرّخين^٣ .

ومنها : اتّساع سلطتهم على العام والخاص ، و اظهار سعة باعهم على الناس ، لا سيما على الشعراء ، فصاروا يمدحونهم أزيد مما كانوا يمدحون به الرّشيد ، فحسد

١ - تاريخ الفخري ص ٢١٠ .

٢ - مروج الذهب ج ٣ ص ٣٨٣ .

٣ - تاريخ الفخري ص ٢٠٨ .

عليهم و خاف منهم على ملكه لأنّ الناس كانوا أميل اليهم من الرّشيد ، و يحبّونهم من أجل عطاياهم اليهم كما هو ظاهرٌ من القصص المعروفة فيهم ليس هذا مكان ذكرها .

و الظاهر أنه لا مناسبة بين هذين السبيين فيمكن صدق أحدهما دون الآخر ، لكننا اذا تأملنا في قضايا الرّشيد و سياسته و حبه للجاه و الملك ، رأينا أنّ هناك مناسبةً شديدةً بين القضيتين ، و كل واحدة منهما مربوطة بالأخرى ، و ذلك لأنّ أصل اختلاف الرّشيد مع البرامكة كما ذكر محبوبيتهم عند الناس ، و غلبتهم على جميع أمور السلطنة ، فحسد عليهم و خاف منهم كما روي عن طيبيه الخاص بختيشوع أنه قال : دخلت يوماً على الرّشيد و هو جالس في قصر الخلد من مدينة السلام ، و كان البرامكة يسكنون بحذائه من الجانب الآخر و بينهم و بينه عرض دجلة .

قال : فنظر الرّشيد فرأى اعتراض الخيول و ازدحام الناس على باب يحيى بن خالد . فقال : جزى الله يحيى خيراً تصدّى للامور و أراحني من الكدّ و وفرّ أوقاتي على اللذة .

ثم دخلتُ عليه بعد أوقات ، و قد شرع يتغيّر عليهم ، فنظر فرأى الخيول كما رآها تلك المرّة ، فقال : استبدّ يحيى بالأمور دوني فالخلافة في الحقيقة له و ليس لي منها إلا اسمها ، قال : فعملت أنّه سينكبهم . ثم نكبهم عقيب ذلك ^١ .

فعلم من هذا أنّ أصل سبب ازلتهم و هو الحسد أو الخوف منهم لكنّه لما لم يجد لقتلهم مبرراً مكرّبهم مكرراً و هو اقتراحه أن يزوّج جعفر من اخته العباسة مع

منعه عن الاتصال بها .

و هذا الشرط كما ترى من قبيل أن تأمر أحداً أن يأكل الطعام و لا يحرك لحييه ، أو تأمره بالمشي بدون أن يحرك رجليه ، ففي الحقيقة جعل الرّشيد اخته العباسة طعمةً لصيده ، ليوقع جعفر في شرك كيده ، لأنه كان يعلم علم يقين أنّ جعفرًا لا يتمالك نفسه عن مقاربتها ، لكونه ميثالاً الى النساء ، و لا يبالي مخالفة الرّشيد لأنه يعلم أنّه يحبّه حبّاً شديداً فيغضّ البصر عن اقدمه ، أو يعفو عنه بعد اظهار شيء من انكاره .

وكيف كان فقد وقع جعفر في الشرك ، فأباده الرّشيد و أباد معه كل عشيرته ، فراحت شوكة البرامكة ريح الصبا ، و لم يبق منها الا ذكرها بين الملاء .

هذا سبب ظاهريّ - لكنّ لهذه النكبة سبباً باطنياً أيضاً ذكره جدنا السيد نعمة الله الجزائري رحمته الله في الأنوار النعمانية : فانه روى عن محمد بن الفضل قال : كان أبو الحسن (الرضا) عليه السلام واقفاً بعرفة يدعو ، ثم طأطأ رأسه فسئل عن ذلك ؟ فقال : اتى كنت أدعو الله على البرامكة قد فعلوا بأبي ما فعلوا ، فاستجاب الله لي فيهم اليوم ، فلما انصرف لم يلبث الا يسيراً حتى بطش بجعفر و حبس يحيى و تغيّرت حالهم^١ .

ثم انّ يحيى بن خالد أبا جعفر ، أشار على الرّشيد بقتل الامام الرضا عليه السلام أيضاً فقال له : « هذا علي ابنه قد قعد و ادعى الأمر لنفسه ، فقال الرّشيد : ما يكفيننا ما صنعنا بأبيه ؟ تريد أن نقتلهم جميعاً »^٢ .

١ - الأنوار النعمانية ج ٤ ، ص ٧٨ .

٢ - هامش الأنوار النعمانية ج ٣ ص ٣٨ .

و ذكر أبوالفرج الاصبهاني أيضاً ائتمار البرامكة بموسى بن جعفر عليه السلام بالتفصيل^١ بل انّ يحيى هو الذي وقف مراقباً على السندي بن شاهك حتى انه أجرى عملية قتله أمام عينيه^٢.

مقتل يحيى بن عبدالله

ذكر الحافظ ابن كثير الدمشقي: «و في هذه السنة (١٧٦) كان ظهور يحيى بن عبدالله بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام ببلاد الديلم^٣ و اتبعه خلق كثير و جم غفير و قويت شوكته، و ارتحل اليه الناس من الكور و الأمصار، فانزعج لذلك الرّشيد و قلق أمره.

فندب اليه الفضل بن يحيى بن خالد بن برمك في خمسين ألفاً، و ولاءه كور الجبل و الرّي و جرجان و طبرستان و قموس و غير ذلك . فسار الفضل بن يحيى الى تلك الناحية في أبهة عظيمة، و كتّبت الرّشيد تلحقه مع البرد في كل منزلة و أنواع التحف و البرّ.

و كاتب الرّشيد صاحب الديلم و وعده بألف ألف درهم ان هو سهّل خروج يحيى اليهم^٤.

١ - مقاتل الطالبين ص ٣٣٤ .

٢ - مقاتل الطالبين ص ٣٣٦ .

٣ - قال اليعقوبي (في تاريخه ج ٢ ص ٤٠٨) : و كان يحيى بن عبدالله بن الحسن قد هرب الى خراسان و دخل أرض الديلم ، فكتب هارون الى صاحب الديلم بطلبه و يتهدّده .

٤ - البداية و النهاية ج ١٠ ص ١٧٨ .

كتاب الأمان ثم الغدر به

كتب الفضل إلى يحيى بن عبد الله يعده و يمتيه و يؤمله و يرجيه ، و أنه ان خرج اليه أن يقيم له العذر عند الرّشيد . فامتنع يحيى أن يخرج اليهم حتى يكتب له الرّشيد كتاب امان بيده .

فكتب الفضل الى الرّشيد بذلك ففرح الرّشيد و وقع منه موقعاً عظيماً و كتب الأمان بيده و أشهد عليه القضاة و الفقهاء و مشيخة بني هاشم ، منهم عبد الصمد بن علي (و غيرهم) .

و بعث الأمان و أرسل معه جوائز و تحفاً كثيرة اليهم ، ليدفعوا ذلك جميعه اليه . ففعلوا و سلمه اليه ، فدخلوا به بغداد ، و تلقاه الرّشيد و أكرمه و أجزل له في العطاء و خدمه آل برمك خدمة عظيمة ^١ .

قال ابن الطقطقا : « فقدم يحيى مع الفضل فلقبه الرّشيد في أول الأمر بكلّ ما أحبّ ثم حبسه عنده و استفتى الفقهاء في نقض الأمان ، فمنهم من أفتى بصحّته فحاجه ، و منهم من أفتى ببطلانه فأبطله ، ثم قتله بعد ظهور آية له عظيمة ^٢ .

الآية التي ظهرت في قضية يحيى

قال ابن الطقطقا حضر رجل من آل الزبير بن العوام عند الرّشيد ، و سعى

١ - المصدر .

٢ - تاريخ الفخرى ص ١٩٥ .



بيحيى و قال : انه بعد الأمان فعل و صنع ، و دعا الناس الى نفسه ، فأحضره الرّشيد من محبسه ، و جمع بينه و بين الزّبيرى .

فقال له يحيى : ان كنت صادقاً فاحلف .

فقال الزّبيرى : والله الطالب الغالب - و أراد أن يتمّ اليمين - .

فقال له يحيى : دع هذه اليمين ، فإنّ الله تعالى اذا مجّده العبد لم يعجل عقوبته ، ولكن احلف بيمين البراءة ، و هي يمين عظمى و صورتها أن يقول عن نفسه : برئى من حول الله و قوته ، و دخّل في حول نفسه و قوتها ان كان كذا و كذا . فلما سمع الزّبيرى هذه اليمين ارتاع لها ، و قال : ما هذه اليمين الغربية ! و امتنع أن يحلف بها .

فقال له الرّشيد : ما معنى امتناعك ان كنت صادقاً فيما تقول ؟ فما خوفك من هذه اليمين .

فحلف بها ، فما خرج من المجلس حتى ضرب برجله و مات .

فحملوه الى القبر و حطّوه فيه ، و أرادوا أن يطمّوا القبر بالتراب ، فكانوا كلما جعلوا التراب فيه ذهب التراب و لا ينطمّ القبر ، فعلموا انها آية سماوية ، فسقّفوا القبر و راحوا .

و الى ذلك أشار أبو فراس بن حمدان في ميمته بقوله :

يا جاهداً في مساويهم يكتمها غدرُ الرّشيد بيحيى كيف ينكتم؟

ذاق الزبيرى غبّ الحنث و انكشفت عن ابن فاطمة الأقوال و التّهم

(ثم أردفه ابن الطقطقا قائلاً) و مع ظهور مثل هذه الآية العظيمة قتل يحيى



في الحبس شرّ قتلة»^١.

قال الطبري^٢: «دعا الرّشيد يوماً بيحيى بن عبدالله بن حسن، وقد حضره أبو البختريّ القاضي و محمد بن الحسن الفقيه صاحب أبي يوسف، و أحضر الأمان الذي كان أعطاه يحيى، فقال لمحمد بن الحسن: ما تقول في هذا الأمان، أصحيح هو؟ قال: هو صحيح، فحاجّه في ذلك الرّشيد.

فقال محمد بن الحسن: ما تصنع بالأمان لو كان محارباً ثم ولى كان آمناً. فاحتملها الرّشيد على محمد بن الحسن. ثم سأل أبا البختري أن ينظر في الأمان. فقال أبو البختري: هذا منتقض من وجه كذا وكذا.

فقال الرّشيد أنت قاضي القضاة و أنت أعلم بذلك، فخرق الأمان و تفل فيه أبو البختري^٣.

١ - تاريخ الفخري ص ١٩٥

٢ - تاريخ الطبري ج ٨ ص ٢٤٧.

٣ - و هو وهب بن وهب بن كبير بن عبدالله المشهور بأبي البختري (.... - ٢٠٠) متفق على الكذب و الافتراء بين الفريقين (السنة و الشيعة)

قال النجاشي: «وهب بن وهب بن عبدالله... أبو البختري روى عن أبي عبدالله عليه السلام و كان كذاباً و له أحاديث مع الرّشيد في الكذب» (رجال النجاشي ١١٥٥ ص ٤٣٠ ط قم).

قال الرّزكلي: «وهب بن وهب بن كبير بن عبدالله... من قريش أبو البختري قاض من العلماء بالأخبار و الأنساب متهم بوضع الحديث، ولد و نشأ في المدينة و انتقل الى بغداد في خلافة هارون الرّشيد، فولّاه القضاء بعسكر المهدي (في شرق بغداد) ثم قضاء المدينة... قال الامام أحمد: هو أكذب الناس.

و قال ابن الجارود: كان عامة الليل يضع الحديث. و فيه يقول المعافي التميمي: =



و حدّث الطبري أيضاً عن عيسى بن جعفر فقال : « كنت يوماً عند أمير المؤمنين الرّشيد فدعا بيحيى بن عبدالله فأخرج من السجن مكبلاً في الحديد ، و عنده بكّار بن ذعبالله بن مصعب بن ثابت بن عبدالله بن الزبير - وكان بكّار شديد البغض لآل أبي طالب ، وكان يبلغ هارون عنهم ، و يسيء بأخبارهم ، وكان الرّشيد

و بلّ و عولّ لأبي البختري اذا توفى الناس في المحشر

= وهو الذي أفتى الرّشيد بتمزيق كتاب أمانه ليحيى بن عبدالله الطالبي (راجع الأعلام ج ٨ ص ١٢٦) . قال محمّد صديق حسن (المؤرخ و المحدث السنّي الهندي المتوفى ١٣٠٧ هـ) ناقلاً عن تاريخ ابن عساكر برواية زكريا الساجي قال : « بلغني أنّ أبا البختري دخل على الرّشيد و هو يطير الحمام فقال هل تحفظ في هذا شيئاً ؟ قال حدّثني هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة أنّ النبي ﷺ كان يطير الحمام « نعوذ بالله من ذلك) (فلك النجاة ج ١ ص ٧٨ عن منهج الوصول ص ٩٦ تأليف السيد محمد صديق حسن خان) .

و له قضيه أخرى أيضاً مع الرّشيد نقله الدميري : « و ذكر أنّ هارون الرّشيد كان يعجبه الحمام و اللعب به فأهدي له حمام و عنده أبوالبختري وهب القاضي ، فروى له بسنده عن أبي هريرة أنّ النبي ﷺ قال : لا سبق الا في خوف أو حافر (أو جناح) فزاد (أو جناح) و هي لفظة وضعها للرّشيد ، فأعطاه جائزة سنبيه ، فلمّا خرج قال الرّشيد : تالله لقد علمت أنه كذب على رسول الله ﷺ و أمر بالحمام فذبح ، فقيل له : و ما ذنب الحمام ؟ قال : من أجله كذب على رسول الله ﷺ فترك العلماء حديث أبي البختري لذلك « (راجع حياة الحيوان ج ١ ص ٣٧٠) .

(أقول) من كان مذهبه الكذب ، و سجيته الافتراء على الله و رسوله ﷺ كيف ينصب على منصب القضاء و الفتيا حتى يلعب بدماء المسلمين و يهتك ناموس الدين .

و ان تعجب فاعجب من هذا الخليفة الذي ذبح الحمام اظهاراً لتقواه ، و لم يذبح هذا الكذاب الأشتر لعظيم رزئه و بلواه ، نعم أبقاه و حيّاه ، لأنّه كان محتاجاً الى هذا المدّلس و فتواه ، و اشترى به دنياه ، و ترك آخرته و عقباه ، و لقد طال بنا الكلام في هذا المقام لأنّه كان مشتتلاً على العجائب المودعة في تاريخ الخلفاء المدّعين الاسلام ، و العبر الموجودة لاولي الأبصار و الأفهام .



ولاه المدينة و أمره بالتضييق عليهم - قال : فلما دُعي يحيى قال له الرّشيد : هيه هيه ! متضحكاً ، وهذا يزعم أيضاً أنا سمّمناه !

فقال يحيى : ما معنى يزعم ؟ ها هوذا الساني - قال : و أخرج لسانه أخضراً مثل السلق - قال : فتربّد هارون و اشتدّ غضبه .

فقال يحيى : يا أمير المؤمنين ! إنّ لنا قرابةً و رحماً ، و لسنا بترك و لا ديلم ، يا أمير المؤمنين ! أنا و أنتم أهل بيت واحد ، فاذكرك الله و قرابتنا من رسول الله ﷺ علامّ تحبّسني و تعذبني ؟^١ .

قال اليعقوبي : « خبّرني رجلٌ من موالي بني هاشم قال : كنت محبوساً في الدار التي فيها يحيى بن عبدالله ، فكنت الى جانب البيت الذي هو فيه ، فربّما كلمني من خلف حائط قصير ، فقال لي يوماً : أتى قد مُنعت الطعام و الشّراب من تسعة أيام . فلما كان اليوم العاشر دخل الخادم الموكل به ، ففتّش البيت ، ثم نزع عنه ثيابه ، ثم حلّ سراويله ، فاذا بأنبوبة قصب شدّها في باطن فخذه ، فيها سمن بقر كان يلحس منه الشيء بعد الشيء يقيم برمقه ، فلما أخذها لم يزل يفحص برجله حتى مات .

فحدّثني أبو جميل قال : خرجت الى البصرة في أيام المأمون ، فركب معنا في السفينة خادم ، فكان يخبرنا أنّه من خدم الرّشيد ، ثم حدّثنا بحديث يحيى بن عبدالله و أنّه الذي تولّى قتله بمثل ما تقدّم ذكره ، فلما كان في الليل قام اليه رجلٌ كان في السفينة ، فدفعه في الماء ، و السفينة تسير ، فغرّقه »^٢ .

١ - تاريخ الطبري ج ٨ ص ٢٤٥ .

٢ - تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ٤٠٨ .

شهادة الامام موسى بن جعفر عليه السلام

قال ابن الأثير : « وكان سبب حبسه أن الرّشيد اعتمر في شهر رمضان من سنة تسع و سبعين و مائة ، فلما عاد الى المدينة ، على ساكنها السلام ، دخل الى قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم يزوره ومعه الناس ، فلما انتهى الى القبر وقف فقال : السّلام عليك يا رسول الله ! يا ابن عمّ ! افتخاراً على من حوله ، فدنا موسى بن جعفر فقال : السّلام عليك يا أبة ، فتغيّر وجه الرّشيد و قال : هذا الفخر يا أبا الحسن جدّاً^١ ثم أخذه معه الى العراق ، فحبسه عند السندي بن شاهك ، و تولّت حبسه اخت السندي بن شاهك ، وكانت تتدين ، فحكّت عنه أنه كان اذا صلّى العتمة حمد الله و مجّده و دعاه الى أن يزول الليل ، ثم يقوم فيصلّي حتى يصلّي الصّبح ، ثم يذكر الله تعالى حتى تطلع الشمس ، ثم يقصد الى ارتفاع الضحى ، ثم يرقد ، و يستيقظ قبل الزوال ، ثم يتوضأ و يصلّي حتى يصلّي العصر ، ثم يذكر الله حتى يصلّي المغرب ، ثم يصلّي ما بين المغرب و العتمة ، فكان هذا دأبه الى أن مات .

وكانت اذا رأته قالت . خاب قومٌ تعرّضوا لهذا الرجل الصّالح !
وكان يلقّب بالكاظم لأنه كان يُحسن الى من يُسيء اليه ، كانت هذه عادته أبداً .

ولما كان محبوباً بعث الى الرّشيد برسالة أنّه لن ينقضي عني يومٌ من البلاء الا ينقضي عنك معه يومٌ من الرّخاء ، حتى ينقضيا جميعاً الى يوم ليس له انقضاء

١ - وفي وفيات الأعيان ج ٥ ص ٣٠٩ أنه قال له : هذا هو الفخر يا أبا الحسن حقاً .



يخسر فيه المبطلون»^١.

رؤيا الرّشيد يؤمر فيها بالتخلية عن موسى بن جعفر

ذكر عبدالله بن مالك الخزاعي - وكان على دار الرشيد و شرطته - قال : أتاني رسول الرشيد في وقت ما جاءني فيه قط ، فانتزعتني من موضعي و منعتني من تغيير ثيابي ، فراعني ذلك منه ، فلما صرت إلى الدار سبقني الخادم ، فعرف الرشيد خبري ، فأذن لي في الدخول عليه ، فدخلت ، فوجدته قاعداً على فراشه ، فسلمت فسكت ساعة ، فطار عقلي و تضاعف الجزع عليّ ثم قال لي : يا عبدالله ! أتدري لم طلبتك في هذا الوقت ؟ قلت : لا والله يا أمير المؤمنين ! قال : إني رأيت الساعة في منامي كأنّ حبشياً قد أتاني و معه حربة فقال لي : إن لم تُخَلَّ عن موسى بن جعفر الساعة نحررتك بهذه الحربة ، فاذهب فخلّ عنه .

فقلت : يا أمير المؤمنين ، أطلق موسى بن جعفر ؟ ثلاثاً .

قال : نعم ، أمض الساعة حتى تطلق موسى بن جعفر و أعطه ثلاثين ألف درهم ، و قل له : إن أحببت المقام قَبَلْنَا فلك عندي ما تحب ، و إن أحببت المضي إلى المدينة فالإذن في ذلك إليك .

قال : فمضيت إلى الحبس لأخرجه فلما رأيته موسى و ثب إليّ قائماً و ظنّ أنّي قد أمرت فيه بمكروهٍ فقلت : لا تخف ، قد أمرني أمير المؤمنين بإطلاقك ، و أن أدفع إليك ثلاثين ألف درهم و هو يقول لك : إن أحببت المقام قبلنا فلك ما تحب ، و

ان احببت الانصراف الى المدينة فالأمر في ذلك مطلق اليك ، و أعطيته ثلاثين ألف درهم و خليت سبيله ، و قلت : لقد رأيت من أمرك عجباً ؟

قال : فإني أُحبرك : بينما أنا نائم إذ أتاني النبي ﷺ ، فقال : يا موسى ! حبست مظلوماً ، فقل هذه الكلمات فانك لا تبيت هذه الليلة في الحبس .

فقلت بأبي و أمي ما أقول ؟

فقال : قل :

« يَا سَامِعَ كُلِّ صَوْتٍ ، وَ يَا سَابِقَ الْقَوْتِ ، وَ يَا كَاسِيَ الْعِظَامِ لِحَمًا وَ مُنْشِرَهَا »

« بَعْدَ الْمَوْتِ . أَسْأَلُكَ بِأَسْمَائِكَ الْحُسْنَى وَ بِأَسْمِكَ الْأَعْظَمِ الْأَكْثَرِ الْمَخْرُوجِ »

« الْمَكْتُونِ الَّذِي لَمْ يَطَّلِعْ عَلَيْهِ أَحَدٌ مِنَ الْمَخْلُوقِينَ ، يَا حَلِيمًا ذَا أَنَاةٍ لَا »

« يُقَوِّى عَلَى أَنَاتِهِ^١ يَا ذَا الْمَعْرُوفِ الَّذِي لَا يَنْقَطِعُ أَبَدًا وَ لَا يُخْصَى عَدَدًا »

« فَتَرَجَّ عَنِّي »

فكان ما ترى^٢ .

لكنّ هذا الاخطار لم ينفع الرّشيد ، لأنه حبس الامام موسى بن جعفر مرّة أخرى و كان لم يزل في حبسه الى أن قتله مسموماً ، قال المسعودي :

« و قبض موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام ببغداد مسموماً لخمس عشرة سنة خلت من ملك الرّشيد ، سنة (١٨٦) و هو ابن أربع و خمسين سنة »^٣ .

١ - كذا في المروج و الوفيات لعلّ معناه : أنه لا يغلب على حلمه و وقاره أحدٌ و لا يقدر على كسره أحدٌ .

٢ - مروج الذهب ج ٣ ص ٣٤٦ ، وفيات الأعيان ج ٥ ص ٣١٠ .

٣ - مروج الذهب ج ٣ ص ٣٥٥ .



وقال ابن الطقطقي : « و أمّا الرّشيد ، فانه حجّ في تلك السنة ، فلما ورد المدينة قبض على موسى بن جعفر عليه السلام ، و حمله في قبة الى بغداد فحبسه عند السنديّ بن شاهك ، و كان الرّشيد بالرقّة فأمر بقتله فقتل قتلاً خفياً . ثم أدخلوا عليه جماعة من العدول بالكرخ ليشاهدوه إظهاراً أنه مات حتف أنفه »^١ .

مقاتل كثيرة من آل الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم

لم يقنع الرّشيد بصبغ يده من دم الامام موسى بن جعفر عليه السلام و يحيى بن عبدالله فحسب ، بل هناك فهرس طويل من آل رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم و اسرته المظلومين المقتولين الذين صبغ الرّشيد يده بدمائهم الطاهرة ، و لم يكن جريمتهم غير انهم كانوا آل الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم أو آل أبي طالب عليه السلام فاتهم لما رأوا ضنك العيش و الذلّ و الهوان عليهم من ناحية الدولة العباسية خرجوا عليها مختارين الموت في عزّ على الحياة مع الذلّ .
كما قال الشاعر :

هوان الحياة و ذلّ المماة وكلاً أراه طعاماً وبيلا

قد ذكر أبو الفرج الاصبهاني في مقاتل الطالبين (ص ٣٠٨ الى ٣٣٧) عدّة من هؤلاء السادة الذين قتلهم الرّشيد مفصلاً ، و نحن نذكرهم عنه مختصراً و مفهراً :
(١) يحيى بن عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام
ص ٣٠٨ .

- (٢) ادريس بن عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام قتله الرّشيد بواسطة يحيى بن خالد البرمكى ببلاد البربر (قرب افريقيه) ص ٣٢٤.
- (٣) عبدالله بن الحسن بن علي بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام (أبن الأفطس) الذي قُتل بيد جعفر بن يحيى البرمكي في حبسه . ص ٣٢٨.
- (٤) محمد بن يحيى بن عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام توفي في حبس الرّشيد . ص ٣٢٩.
- (٥) الحسين بن عبدالله بن اسماعيل بن عبدالله بن جعفر بن أبي طالب رضوان الله عليهم الذي أخذه بكّار الزّبيري عامل الرّشيد على المدينة فضربه بالسوط ضرباً مبرحاً فمات من ذلك الضرب . ص ٣٣٠.
- (٦) العباس بن محمد بن عبدالله بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام دخل على هارون فكلّمه كلاماً طويلاً فقال له هارون : يا ابن الفاعلة ! فقال العباس : تلك أمك^١ التي تواردها النّخّاسون فأمر به فأدني فضربه بالجرز حتى قتله . ص ٣٣١.
- (٧) موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام و قد مضى شطر من كيفية وفاته ، و أضاف أبوالفرج ما حاصله : أنّ الرّشيد

١ - وهي الخيزران جارية المهدي ، قال الحافظ ابن كثير : وفيها (أي في سنة ١٧٣) توفيت الخيزران جارية المهدي و أمّ أميرالمؤمنين الهادي و الرّشيد ، اشتراها المهدي و حظيت عنده جداً ، ثم أعتقها و تزوّجها ، و لما عرضت الخيزران على المهدي ليشتريها أعجبته الآدقة ساقها ، فقال لها : يا جارية انك لعلی غاية المنی و الجمال لولا أدقة ساقك و خموشهما . فقالت : يا أميرالمؤمنين ! أنّك أحوج ما تكون اليهما لا تراهما . فاستحسن جوابها و اشتراها . (البداية و النهاية ج

أمر أولاً الفضل بن الربيع بقتله فأبى ، فكتب اليه ليسلمه الى الفضل بن يحيى البرمكي و أراد ذلك منه فلم يفعله . و بلغ يحيى بن خالد الخبر ، فحضر عند الرشيد و قال له : يا أمير المؤمنين ! انّ ابني الفضل حدث و أنا أكفيك ما تريد . ثم خرج يحيى بن خالد بنفسه على البريد حتى وافى بغداد و دعا بالسندي و أمره بقتل موسى بن جعفر فقتله . و نودي عليه : هذا موسى بن جعفر الذي تزعم الرافضة أنه لا يموت . ص ٣٣٢ - ٣٣٦ .

(٨) اسحاق بن الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام حبسه هارون فمات في حبسه . ص ٣٣٧ .

موت الرشيد

و بالأخير انتهت حكومة هارون الرشيد و شوكته بعد ما تسيطر على هذه الأمة المضطهدة و ملك رقابها من سنة (١٧٠) الى سنة (١٩٣) ثلاثة و عشرين عاماً ، و الدليل على أنه كان يحسب نفسه مالكا لرقاب المسلمين أنه أقطع ملكه بين أولاده الثلاثة (الأول) محمد الأمين (الثاني) عبدالله المأمون (الثالث) القاسم المؤتمن ، فولّى الأمين العراق و الشام الى آخر المغرب ، و ولّى المأمون من همدان الى آخر المشرق ، و ولّى المؤتمن الجزيرة و الثغور و العواصم ، و جعل كل واحد منهم ولياً لعهد بالترتيب . و أخذ على ذلك البيعة من الناس ، و علّق كتاب العهد في الكعبة^١ .

قال ابن الأثير: «لما سار الرشيد عن بغداد الى خراسان بلغ جرجان في صفر و قد اشتدت علته و سار الى طوس و اشتد به الوجع حتى ضعف عن الحركة فلما أثقل أرجف به الناس ، فبلغه ذلك ، فأمر بمركوب ليركبه ليراه الناس فأتي بفرس فلم يقدر على النهوض ، فأتي بيرزون فلم يطلق النهوض ، فأتي بحمار فلم ينهض ، فقال : ردوني ! ردوني ! صدق والله الناس»^١.

آخر أعماله الذي جعله ذُخراً ليوم مآله

قال ابن الأثير: «و وصل اليه - و هو بطوس - بشير بن الليث أخو رافع بن الليث بن نصر بن سيار^٢. فقال الرشيد : والله لو لم يبق من أجلي الا أن أحرك شفتي بكلمة لقلت ، اقتلوه . ثم دعا بقصاب فأمر به ، ففصل أعضائه ، فلما فرغ منه أعغمي عليه ، و تفرق الناس عنه .

فلما أيس من نفسه أمر بقبره ، فحفر في موضع من الدار التي كان فيها ، و أنزل و هو في محفة على شفير القبر يقول : و اسوأته من رسول الله ﷺ . و قال الهيثم بن عدي : لما حضرت الرشيد الوفاة غشي عليه ، ففتح عينيه منها فرأى الفضل بن الربيع على رأسه ، فقال : يا فضل :

١ - المصدر ، ص ٢١٢ .

٢ - ظهر رافع بن الليث على الرشيد بسمرقند ، و لمقابلته خرج الرشيد من الرقة الى خراسان في حالة مرضه فلم يقدر عليه ، و أخذ أخو رافع أسيراً فانتقم منه كما ستقرأ .



أحين دنا ما كنت أرجو دنوه
رمتني عيون الناس من كل جانب
فأصبحت مرحوماً وكنت محسداً
فصبراً على مكروه تلك العواقب
سأبكي على الوصل الذي كان بيننا
و أندب أيام السرور الذواهب^١
هكذا مات هارون الرشيد متحسراً على دنياه، متحملاً أوزاره و خطاياها، سنة (١٩٣)
و دفن في طوس .

قال المسعودي: «و أمر بحفر قبر، فلما أطلع فيه قال: ﴿ ما أغنى عني ماليه .
هلك عني سلطانيه^٢ ﴾^٣ .»
نعم ! هكذا مات ذلك الجبار (هارون الرشيد) سنة (١٩٣) و دفن في طوس .
ثم ولي مكانه حسب توليته ابنه محمد الأمين .

﴿ ٦ ﴾

﴿ محمد الأمين ﴾

و هو أبو عبدالله محمد الأمين بن هارون الرشيد، أمه زبيدة بنت جعفر بن
المنصور الدوانيقي، كان ولي عهد أبيه فولي الخلافة بعده، كان مولده سنة (١٧٠)^٤
فكان عمره لما بويع (٢٣) سنة .

١ - الكامل لابن الأثير ج ٦ ص ٢١٣ .

٢ - الحاقّة ٦٩ : ٢٩ .

٣ - مروج الذهب ج ٣ ص ٣٦٦ .

٤ - البداية و النهاية ج ١٠ ص ٢٦٢ .

قال الحافظ جلال الدين السيوطي : « كان من أحسن الشباب صورة أبيض طويلاً ذا قوة مفرطة ، لكن كان سيء التدبير ، كثير التبذير ، ضعيف الرأي ، أرعن لا يصلح للامارة ، فأول ما بويغ بالخلافة أمر ثاني يوم ببناء ميدان جوار قصر المنصور للعب بالكرة .

ثم في سنة أربع و تسعين عزل أخاه القاسم عمّا كان الرّشيد وآه ، و وقعت الوحشة بينه و بين أخيه المأمون .

ثم بايع بولاية العهد لابنه موسى و لقبه « الناطق بالحق » و هو اذ ذاك طفل رضيع^١ .

اللهو و اللعب و الاشتغال بالغلما ن

قال الحافظ السيوطي : « قال ابن جرير : لما ملك الأمين ابتاع الخصيان و غالى بهم ، و صيرهم لخلوته و رفض النساء و الجواري .

و قال غيره : لما ملك وجه الى البلدان في طلب الملهين ، و أجرى لهم الأرزاق ، و اقتنى الوحوش و السباع و الطيور ، و احتجب عن أهل بيته و امرائه و استخفّ بهم ، و محق ما في بيوت الأموال ، و ضيّع الجواهر و النفائس ، و بنى عدّة قصور للهو في أماكن .

و أجاز مرّةً من غنى له :

هجرتك حتى قلت لا يعرف القلب^١ و زرتك حتى قلت ليس له صبر
 (الى آخر الأبيات) بملاً زورقه ذهباً ، و عمل خمس حرّاقات على خلقة الأسد و
 الفيل والعقاب و الحية و الفرس ، و أنفق في عملها أموالاً كثيرة ، فقال أبو نواس :
 سخر الله للأمين مطايا لم تسخر لصاحب المحراب
 (الأبيات) قال الصولي : خرج كوثر خادم الأمين ليرى الحرب ، فأصابته رجمة في
 وجهه ، فجعل الأمين يمسح الدم عن وجهه ثم قال :

ضربوا قرّة عيني و من أجلي ضربه

أخذ الله لقلبي من أناس أحرقوه

و لم يقدر على زيادة فأحضر عبدالله بن التيمي الشاعر ، فقال له : قل عليهما ، فقال :

ما لمن أهوى شبيهه فبه الدنيا تتيه

وصله حلؤ ولكن هجره مرّ كربه

(الأبيات) فأوقر له ثلاث بغال دراهم .

و له أيضاً في خادمه كوثر :

ما يريد الناس من صبّ بمن يهوى كئيب

كوثر ديني و دنياي و سُقمي و طيبي

(الى آخره)^٢ و قال بعض الشعراء فيه :

أضاع الخلافة غشّ الوزير و فسق الأمير ، و جهل المشير

ففضل وزير ، و بكر مشير يريدان ما فيه حتف الأمير

١ - القلب كالعري : البغض .

٢ - تاريخ الخلفاء ص ٢٣١ .

لواط الخليفة أعجوبة^١ و أعجب منه حُلاق الوزير^٢
(الى آخر الأبيات)^٢

كثرة الفساد و خراب بغداد

ثم تأججت نار الحرب بين الأخوين (الأمين و المأمون) بعد ما دار بينهما المراسلات بالقال و القيل ، فعزم كل واحد منهما أن يلعب مع أخيه دور قابيل ، كل منهما يريد الخلافة ، ولو ابتلى الامة بكل مصيبة و آفة ، مع أن كل واحد منهما كان بما في يده غنياً ، و بالحصون و المئون منيعاً ، لم يكن أحدهما من الآخر متقارباً ، و لا من حيث المكان متجاوراً ، لأنه كان بينهما مسافة شاسعة ، و أراض واسعة ، كان المأمون في خراسان ، و الأمين في بغداد ، لكنهما لم يقنعا بما أوتيا من البلاد ، بل حاولا أن يُظهرا العناد ، و يكثرا في الأرض الفساد ، فأراد كل واحد منهما أن يسلب من الآخر ما في يده بالعدوان ، ولو ترتب على الناس ما ترتب من الخسران ، فالتقى العسكران ، و وقعت بينهما المعارك و الحداثان ، و فجرت الأنهار من دماء المسلمين ، تلفت فيها آلاف النفوس من الآدميين ، و وقعت على الناس أضرار كثيرة ، و نزلت عليهم آفات خطيرة ، الى أن ظهرت الهزيمة في عسكر الأمين ، و دخلت جيوش المأمون بغداد ، فأكثروا فيها الفساد ، و لم يكن أهلها من خطر

١ - الحُلاق : معناه أن لا تشعب الأنتى من السُفاد و المراد هنا علّة الأبتة (الهامش على تاريخ الخلفاء ص ٢٢٨).

٢ - تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ٢٢٨ .



المأمون مأموناً، و لا من القتل و النهب مصوناً، كثر بين الناس اراقة الدماء، و تصاعد الدخان من البيوت المحرقة الى عنان السماء، و هتكت العصم و الستور، و خرجت منها ربّات الخدور، داعيات بالويل و الثبور، هذه تنوح لأطفالها، و تلك تبكي لمالها، و الحاصل كأنّ القيامة قائمة، لا تحيط بأفاتها قائمة، و دونك نبذة ممّا ذكره المؤرّخون :

قال الحافظ ابن كثير الدمشقيّ: «... و اشتدّ حصار بغداد، و نصب عليها المجانيق و العرّادات و ضاق الأمين ذرعاً. و لم يبق معه ما ينفق في الجند. فاضطرّ الى ضرب آنية الفضة و الذهب دراهم و دنانير، و هرب كثير من جنده الى طاهر، و قُتل من أهل البلد خلقٌ كثيرٌ، و أخذت الأموال الكثيرة منهم.

و بعث الأمين الى قصور كثيرة، و دور شهيرة مزخرفة، و أماكن و محال كثيرة فحرقها بالنار، لما رأى في ذلك من المصلحة، فعل كل هذا فراراً من الموت و لتدوم الخلافة له، فلم تدم، و قتل و خربت دياره. كما سيأتي قريباً.

و فعل طاهر (رئيس جيش المأمون) مثل ما فعل الأمين حتى كادت بغداد تخرب بكمالها، (الى أن قال) و ضعف أمر الأمين جدّاً، و لم يبق عنده مالٌ ينفقه على جنده و على نفسه، و تفرّق أكثر أصحابه عنه، و بقي مضطهداً ذليلاً.

ثم انقضت هذه السنة (١٩٧) بكمالها و الناس في بغداد في قلاقل و أهوية مختلفة، و قتال و حريق و سرقات، و ساءت بغداد فلم يبق فيها أحدٌ يرّد عن أحد كما هي عادة الفتن.

ثم دخلت سنة (١٩٨) ... و دخل طاهر يوم الخميس الى الجانب الشرقي فباشر القتال بنفسه و نادى بالأمان لمن لزم منزله، و جرت عند دار الرقيق و الكرخ و غيرها وقعات، و أحاطوا بمدينة أبي جعفر و الخلد و قصر زبيدة، و نصب



المجانيق حول السور و حذاء قصر زبيدة ، و رماه بالمنجنيق ، فخرج الأمين بأمه و ولده الى مدينة أبي جعفر ، و تفرق عنه عامة الناس في الطريق ، لا يلوي أحدٌ على أحدٍ حتى دخل قصر أبي جعفر ، و انتقل من الخلد لكثرة ما يأتيه فيه من رمي المنجنيق ، و أمر بتحريق ما كان فيه من الأثاث و البسط و الأمتعة و غير ذلك «^١ .
 و قال المسعودي « و لم تزل الحرب قائمة بين الفريقين أربعة عشر شهراً ، و ضاقت بغداد بأهلها ، و تعطلت المساجد ، و تركت الصلاة ، و نزل بها ما لم ينزل بها قطّ مثله منذ بناها أبو جعفر المنصور . . . و كان عسكر الأمين يقاتلون عراة في أواسطهم التبايين و الميازير ، و قد اتخذوا لرؤوسهم دواخل من الخوص و سموها الخوذ ، و ذرّقا من الخوص و البواري و قد قيرت و حشيت بالحصى و الرّمل . . .
 و عملت المنجنيقات بين الفريقين ، و كثر الحريق و الهدم ببغداد و الكرخ و غيره من الجانبين ، حتى درست محاسنها فقال الشاعر :

من ذا أصابك يا بغداد بالعين ألم تكوني زماناً قرّة العين
 ألم يكن فيك قومٌ كان قريهم و كان مسكنهم زيناً من الزين
 (الآيات) و قال الآخر :

بكت عيني على بغداد لما فقدت غضارة العيش الأنيق
 تبدّلنا هموماً من سرور و من سعة تبدّلنا بضيق
 أصابتنا من الحساد عين فأفنت أهلها بالمنجنيق
 فقوم أحرقوا بالنار قصرأ و نائحة تنوح على غريق
 و صائحة تنادي : يا صحابي و قائلة تنادي : يا شقيقي



و حوراء المدامع ذات دَلٍّ
تنادي بالشفيق ، فلا شفيق
و قومٌ أُخرجوا من ظل دنيا
و مغترب بعيد الدار ملقىً
توسط من قتالهم جميعاً
فلا ولد يقيم على أبيه

مضمخة المجاسد بالخلوق
و قد فقد الشفيق مع الرفيق
متاعهم يباع بكلّ سوق
بلا رأس بقارعة الطريق
فما يدرون من أي الفريق
و قد هرب الصديق عن الصديق^١

حال الخليفة خلال هذه الاضطرابات

لقد رأينا في طبيعة الانسان ، مهما بلغ من الطغيان و العصيان ، أنه اذا حلت به المصيبة يخرج من طغيانه ، و يتضرع الى ربه ، رجاء أن ينجيه من هذه البليّة ، كما قال الله العزيز : ﴿ و اذا مسّ الانسان ضرّاً دعا ربه منيباً اليه ﴾^٢ ولكن هذا الانسان ، لم ندر كيف كانت طبيعته ؟ و من أي شيء أُتست سيرته و سريرته ؟ فانه لم يفتح عينيه ، حتى اذا أحاطت البلية جانبيه ، لم يزل غارقاً في شهواته ، منهمكاً في لذاته ، معرضاً عن آفاته ، هالكاً في عاهاته ، فانه بدل أن يدعو ربه و ينجيه ، كان مشغولاً بغلمانه و ملاحيه .

قال ابن الأثير : « و أمّا الأمين فانه أتاه نعي علي بن عيسى (قائد جيشه) و هو يصطاد السمك ، فقال للذي أخبره : و يلك دعني : فانّ كوثرأ (غلامه) قد اصطاد

١ - مروج الذهب ج ٣ ص ٤٠٢ الى ٤٠٥ .

٢ - الزمر ٣٩ : ٨ .



سمكتين ، و أنا ما صدت شيئاً بعد»^١.

و قال المسعودي : « ذكر ابراهيم بن المهدي : استأذنت على الأمين يوماً ، و قد اشتدّ الحصار عليه من كلّ وجه ، فأبوا أن يأذنوا لي بالدخول عليه ، الى أن كاثرت و دخلت ، فاذا هو قد تطلّع الى دجلة بالشباك ، و كان في وسط قصره بركة عظيمة لها مخترق إلى الماء في دجلة ، و في المخترق شباك حديد ، فسلمت عليه و هو مقبل على الماء ، و الخدم و الغلمان قد انتشروا الى تفتيش الماء و هو كالواله . فقال لي - و قد ثنيت بالسلام و كرّرت - : لا تدري يا عمّي ! مقرّطي قد ذهبت من البركة الى دجلة - و المقرّطة : سمكة كانت قد صيدت له ، و هي صغيرة فقرّطها حلقتين من ذهب ، فيهما حبّتا دُرّ ، و قيل : يا قوت - قال : فخرجت و أنا آيس من فلاحه ، و قلت : لو ارتدع من وقت لكان هذا الوقت »^٢.

عاقبة أمر الخليفة الأمين

قال الطبري : « أنّ طاهراً (رئيس جيش المأمون) غدا يوم الخميس على المدينة المشرقية و أرباضها ، و الكرخ و أسواقها ، و هدم قنطرتي الصراة العتيقة و الحديثة و اشتدّ عندهما القتال ، و اشتدّ طاهر على أصحابه ، و باشر القتال بنفسه (الى أن قال) و خرج محمد بأمه و ولده الى مدينة أبي جعفر و تفرّق عنه عامة جنده و خصيانه و جواريه في السكك و الطرق ، لا يلوي منهم أحد على أحد ، و تفرّق

١ - تاريخ الكامل لابن الاثير ج ٦ ص ٢٤٥

٢ - مروج الذهب ج ٣ ص ٣٩٤ .



الغوغاء و السفلة»^١.

وقال المسعودي: «وأتاه هرثمة^٢ في الحرّاقة^٣ الى باب خراسان، ودعا الأمين بفرسٍ يقال له الزهيري أغرّ محجّل أدهم محذوف، ودعا بابنيه موسى و عبدالله فعانقهما و شتمهما و بكى، و قال: الله خليفتي عليكما، فلست أدري ألتقي معكما بعدها أو لا، و عليه ثياب بيض و طيلسان أسود، و قدّامه شمعةٌ، حتى أتى باب خراسان الى المشرعة، و الحرّاقة قائمة، فنزل و دخل الحرّاقة، فقبل هرثمة بين عينيه، و قد كان طاهر نمي اليه خروجه فبعث بالرجال و الملاحين في الزوّارق على الشطّ، فدفعت الحرّاقة، و لم يكن مع هرثمة عدة من رجاله، فأتى أصحاب طاهر عراةً فغاصوا تحت الحرّاقة فانقلبت بمن فيها، فلم يكن لهرثمة شاغلٌ الا أن نجا بحشاشة نفسه، و شقّ محمد ثيابه عن نفسه و سبح فوق نحو السراة الى عسكر قرين الديراني غلام طاهر، فأخذه بعض السوّاس حين شمّ منه رائحة المسك و الطيب»^٤.

مقتل الخليفة الأمين

قال المسعودي: «و ذكر أحمد بن سلام - و قد كان مع الأمين في الحرّاقة

١ - تاريخ الطبري ج ٨ ص ٤٧٤ .

٢ - رئيس آخر في جيش المأمون و كان بين الرئيسين ، طاهر و هرثمة مناقشةً في الأمين فأراد هرثمة أن يأخذه حباً و أراد طاهر أن يقتله لئلا يكون الفخر لهرثمة .

٣ - الحرّاقة : سفينة فيها مرامي نيران يُرمى بها العدو .

٤ - مروج الذهب ج ٣ ص ٤١١ - ٤١٢ .



حين انقلبت ، فسبح فقبض عليه بعض أصحاب طاهر و أراد قتله ، فأرغبه في عشرة آلاف درهم ، و انه يحملها اليه في صبيحة تلك الليلة - قال : فأدخلت بيتاً مظلماً ، فبينما أنا كذلك اذ دخل عليّ رجلٌ عريان عليه سراويل و عمامة قد تلثم بها ، و على كتفه خرقة فجعلوه معي ، فلما استقرّ في الدار حسر العمامة عن وجهه فاذا هو محمد (الأمين) .

فاستعبرت و استرجعت فيما بيني و بين نفسي ، و جعل ينظر اليّ ثم قال : أيّهم أنت ؟ قلت : أنا مولاك يا سيّدي ، قال : و أي الموالي أنت ؟ قلت : أحمد بن سلام .

ثم قال : يا أحمد ! قلت : لبيك يا سيدي ! قال ادن متي و ضمّني اليك فاني أجد وحشة شديدة .

قال فضمّمته اليّ ، فاذا قلبه يخفق خفقاناً شديداً .

ثم قال أخبرني عن أخي المأمون أحيّ هو ؟ قلت له : فهذا القتال عمّن اذن ؟ قال : قبحهم الله ! ذكروا أنه مات ، قلت : قبح الله وزراءك فهم أوردوك هذا المورد . فقال لي : يا أحمد ليس هذا موضع عتاب ، فلا تقل في وزرائي الا خيراً ، فما لهم ذنبٌ ، و لست بأول من طلب أمراً فلم يقدر عليه .

قلت : البس ازارني هذا و ارم بهذه الخرقة التي عليك ، فقال : يا احمد ! من كان حاله مثل حالي فهذه له كثير ، ثم قال لي : يا أحمد ! ما أشكّ أنه سيحملونني الي أخي ، أفترئ أنّ أخي قاتلي ؟

قلت : كلا ، إنّ الرجم سيعطّفه عليك ، فقال لي : هيهات ، الملك عقيم لا رجم له ، فقلت : إنّ أمان هرثمة أمان أخيك .

قال : فلقنته الاستغفار و ذكر الله ، فبينما نحن كذلك اذ فُتح باب البيت فدخل



فأمر المأمون بنصب الرأس في صحن الدار على خشبته ، وأعطى الجند ، وأمر كل من قبض رزقه أن يلعنه ، فكان الرجل يقبض و يلعن الرأس ، فقبض بعض العجم عطاءه فقيل له : العن هذا الرأس . فقال : لعن الله هذا و لعن والديه و ما ولدا و أدخلهم في كذا و كذا من أمهاتهم .

فقيل له : لعنت أمير المؤمنين . و ذلك بحيث يسمعه المأمون فتبسم و تغافل ، و أمر بحط الرأس^١ .

و ذكر الحافظ ابن كثير الدمشقي : «ثم ذبحوه و أخذوا رأسه و جثته فأتوا بهما طاهراً ، ففرح بذلك فرحاً شديداً ، و أمر بنصب الرأس فوق رمح هناك حتى أصبح الناس فنظروا اليه فوق الرمح عند باب الأنبار ، و كثر عدد الناس ينظرون اليه .

ثم بعث طاهر برأس الأمين مع ابن عمه محمد بن مصعب ، و بعث معه البردة و القضيب و النعل - و كان من خوص مبطن - فسلمه الى ذي الرياستين ، فدخل به على المأمون على ترس . فلما رآه سجد و أمر لمن جاء به بألف ألف درهم .

و قد قال ذو الرياستين حين قدم الرأس يؤنب طاهراً : أمرناه بأن يأتي به أسيراً فأرسل به الينا عقيراً .

فقال المأمون : مضى ما مضى^٢ .

١ - مروج الذهب ج ٣ ص ٤١٢ الى ٤١٤ .

٢ - البدايه و النهايه ج ١٠ ص ٢٦٤ .



يا أمّ قومي و اطلبني الثأر مثل عائشة

و من لطيف ما يذكر في المقام أنّ بعض الناس أشاروا زبيدة أمّ الأمين أن تقوم على المأمون قيام عائشة بنت أبي بكر لطلب ثأر دم عثمان ، قال المسعودي : « و لما قتل محمد دخل الى زبيدة بعض خدمها فقال لها : ما يجلسك و قد قتل أمير المؤمنين محمد؟! »

فقال : و يلك و ما أصنع ؟

فقال : تخرجين فتطلبين بثأره كما خرجت عائشة تطلب بدم عثمان .

فقال : احسأ لا أمّ لك ، ما للنساء و طلب الثأر و منازل الأبطال ؟ ثم أمرت بشيائها فسوّدت ، و لبست مسحاً من شعر^١ .

هكذا انتهى دور الخليفة الأمين صاحب العادات العجيبة ، و الصفات القبيحة الغريبة ، جامع المنكرات ، فاعل الفضائح ، لكنّه مع ذلك كان خيراً من أبيه ، و أحسن من أخيه ، حيث أنه لم يظلم الانفسه ، و لم يجدهع الا أنفه ، لأنه لم يُسمع أنه ضرب عنق أحد من عباد الله ، و لا قتل واحداً من آل رسول الله ﷺ أما سائر أعماله القبيحة ، و حركاته الشنيعة ، فأمرها راجع الى نفسه ، و الجائر على نفسه خيرٌ من الذي يجور على غيره .

كانت ولايته أربع سنين و سبعة أشهر و ثمانية أيام و قتل سنة (١٩٨) و عمره آنذاك ثمانية و عشرون عاماً .

كيف كان انعقاد نطفة المأمون

ذكر صاحب عيون التواريخ وغيره : أن المأمون مر يوماً على زبيدة أم الأمين ، فرآها تحرك شفتيها بشيء لا يفهمه : فقال لها : يا أماه أتدعين عليّ لكوني قتلت ابنك و سلبته ملكه ؟ فقالت : لا والله يا أمير المؤمنين . قال : فما الذي قلته ؟ قالت : يعفني أمير المؤمنين ، فألحّ عليها و قال : لا بدّ أن تقويه .

قالت : قلت : قبح الله الملاححة . قال : وكيف ذلك ؟ قالت : لأنني لعبت يوماً مع أمير المؤمنين الرشيد بالشطرنج على الحكم و الرضا فغلبنني ، فأمرني أن أتجرّد من أثوابي و أطوف القصر عريانة ، فاستعفيت ، فلم يعفني فتجرّدت من أثوابي و طفت القصر عريانة ، و أنا حانقة عليه ، ثم عاودنا اللعب فغلبته ، فأمرته أن يذهب إلى المطبخ و يطأ أقبح جارية و أشوهها خلقة فيه ، فاستعفاني من ذلك فلم أعفه ، فبذل لي خراج مصر و العراق فأبيت و قلت : والله لتفعلن ذلك ، فأبى فألححت عليه و أخذت بيده و جئت به للمطبخ ، فلم أر جارية أقبح و لا أقدر و لا أشوه خلقة من أمك مراجل ، فأمرته أن يطأها فوطئها فعلمت منه بك ، فكنت سبباً لقتل ولدي و سلبه ملكه ، فولى المأمون و هو يقول : لعن الله الملاححة ، أي التي ألحّ عليها حتى أخبرته بهذا الخبر^١ .



﴿ عبدالله المأمون الرشيد ﴾

هو أبو العباس عبدالله المأمون الرشيد بن هارون الرشيد جلس على سرير
الخلافة بعد ما قتل أخاه (الأمين) و عمره حينئذ (٢٨) عاماً .

قال الديار بكري : « كان أمره نافذاً من إفريقية الى أقصى خراسان ، و ماوراء
النهر و السند ، و برع في الفقه و العربية من النحو و اللغة و أيام الناس و الأدب ، و
لما كبر عني بالفلسفة و علوم الأوائل حتى مهر فيهما فجزأه ذلك الى القول بخلق
القرآن و امتحان العلماء ، ولو لا ذلك لكان أعظم بني العباس . فحمل الناس على
القول به ، و كل من لم يقل به عاقبه أشد عقوبة .

و كان الامام أحمد بن حنبل امام أهل السنة من الممتنعين من القول بخلق
القرآن فحمل الى المامون مقتيداً^١ .

و الى مذهبه أشار بعض الشعراء و رماه بالزندقة :

يا أيها الناس لا قولٌ و لا عملٌ	لمن يقول : كلام الله مخلوق
ما قال ذلك أبوبكر و لا عمر	و لا النبي و لم يذكره صديق
و لم يقل ذلك الاكلّ مبتدع	على الرسول و عند الله زنديق
بشرُّ أراد به إحقاق دينهم	لأنّ دينهم و الله مـمـحوق

يا قوم أصبح عقلٌ من خليفتمكم مقتيداً وهو في الأغلال موثوق^١
 وقد كان أوصى الى أخيه المعتمصم وكتب وصيته بحضرته و بحضرة ابنه
 العباس و جماعة القضاة و الامراء و الوزراء و الكتاب و فيها القول بخلق القرآن و
 لم يتب من ذلك، بل مات عليه، و انقطع عمله و هو على ذلك لم يرجع عنه و لم يتب
 منه، و أوصى أخاه المعتمصم أن يعتقد ما كان يعتقد أخوه المأمون في القرآن و أن
 يدعو الناس الى ذلك^٢.

و مما زاد الطين بلةً ادعائه التشيع في اعتقاده، و نصبه الامام علي بن موسى
 الرضا عليه السلام ولي عهده، قال المسعودي:

« و هجا المأمون ابراهيم بن المهدي المعروف بابن شكلة عمه، و كان
 المأمون يظهر التشيع، و ابن شكلة التستن، فقال المأمون:

اذ المرجيء^٣ سرك أن تراه يموت لحينه من قبل موته
 فجدد عنده ذكرى علي و صل على النبي و آل بيته
 فأجابه ابراهيم راداً عليه:

اذ الشيعي جمجم في مقالٍ فسرك أن يبوح بذات نفسه

١ - البداية و النهاية ج ١٠ ص ٣٠٦.

٢ - المصدر ص ٣٠٧.

٣ - قال جدنا السيد الجزائري رحمه الله: (الفرقة الرابعة) من كبار الفرق الاسلامية: المرجئة، لقبوا به لأنهم
 يرجئون العمل عن النية، أي يؤخرونه في الرتبة عنها و عن الاعتقاد، أو لأنهم يقولون لا يضر مع الايمان
 معصية، كما لا ينفع مع الكفر طاعة، فهم يعطون الرجا فعلى هذا ينبغي أن لا يهمز لفظ (المرجئة) و فرقهم
 خمس (الى أن قال) و قد كان المعتزلة في الصدر الأول يلقبون من خالفهم في القدر « مرجئاً » (راجع
 الأنوار النعمانية ج ٢ ص ٢٤٩ - ٢٥٠) و المراد هنا هو المعنى الأخير.

فصل على التّبي و صاحبيه وزيريه و جاريه برمه^١

فكان في الوقت هناك خليفتان : خليفة ستّي و خليفة شيعي .

قال ابن الأثير : « فأخبروه بالبيعة لابراهيم بن المهدي ، و أنّ أهل بغداد قد سمّوه الخليفة الستّي ، و أنّهم يتهمون المأمون بالرّفص لمكان علي بن موسى عليه السلام منه »^٢ .

قال الحافظ السيوطي : « و في سنة (٢٠١) خلع أخاه المؤتمن من العهد ، و جعل ولي العهد من بعده علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق عليه السلام ، حمّله على ذلك افراطه في التشيع ، حتى قيل انه همّ أن يخلع نفسه و يفوض الأمر اليه ، و هو الذي لقبه الرضا^٣ و ضرب الدراهم باسمه ، و زوجته ابنته (أمّ حبيب) و كتب الى الآفاق بذلك ، و أمر بترك السواد و لبس الخضر ، فاشتد ذلك على بني العباس جدّاً و خرجوا عليه و بايعوا (عمّ المأمون) ابراهيم بن المهدي (ابن شكلة) »^٤ .

(أقول) كون المامون شيعياً سفسطة أهل التأريخ و من الدعايات الكاذبة ، لأنه لم يكن شيعياً في الواقع ، بل كان متظاهراً فيه و متصانعاً ، و اليه التفت بعض المؤرّخين نحو المسعودي ، فقال : « كان المأمون يظهر التشيع »^٥ .
ولو كان شيعياً لم يقتل الامام الرضا عليه السلام (كما سنّينه ان شاء الله تعالى) .

١ - مروج الذهب ج ٣ ص ٤١٧ .

٢ - الكامل لابن الأثير ج ٦ ص ٣٤٧ .

٣ - اعتقاد الشيعة أنّ أسامي أئمتهم و كذا ألقابهم كلها من الله تعالى .

٤ - تاريخ الخلفاء ص ٢٣٥ .

٥ - مروج الذهب ج ٣ ص ٤١٧ .



انما كان اظهاره التشيع من كمال مكره و دهائه ، و وسيلةً الى بقائه ، و آلهً لتحكيم بنائه ، و ذلك لأنه لما قتل أخاه للخلافة ، و خالف أباه في الولاية ، كان رد فعله طبعاً نقمة الناس عليه ، و انقباضهم عنه كما ذكر الحافظ ابن كثير الدمشقي : « ركب المأمون يوماً في حَرَاقَة فسمع ملاحاً يقول لأصحابه : ترون هذا المأمون ينبل في عيني ؟ و قد قتل أخاه الأمين - يقول ذلك و هو لا يشعر بمكان المأمون - فجعل المأمون يبتسم و يقول : كيف ترون الحيلة حتى أنبل في عين هذا الرجل الجليل القدر؟ »^١ .

فمن أجل هذا ثار عليه العلويون لأنهم كانوا مضطهدين من أول هذه السلسلة من الخلافة لا سيما في دور بني أمية و بني العباس ، فاغتنموا هذه الفرصة ، فخرج عليه محمد بن ابراهيم بن طباطبا بالعراق ، و ابراهيم بن موسى بن جعفر باليمن ، و الحسين بن الحسن الأفطس بالمدينة^٢ ، و محمد بن جعفر الصادق عليه السلام بمكة و نواحيها ، فدعت هذه الامور الى أن يصالح شيعة علي عليه السلام و يجذبهم اليه لكي يتقوى بهم ، و لم يكن آنذاك أرقى مقاماً عند الشيعة من علي بن موسى الرضا عليه السلام ، فاستماله اليه و أجبره على أن يتقبل ولاية عهده .

و الامام الرضا عليه السلام أيضاً كان يعلم أنّ هذا الاقدام منه ليس الآ حيلة سياسية ، فامتنع عن قبوله ، لكنّه لما هدّده بالقتل ان لم يقبل ، و جب عليه اتقاءً لنفسه ، و اغتناماً للفرصة لنشر مذهبه في بلاد ايران و غيرها .

و لما استكمل المأمون غرضه ، و أقام أوده ، رفع سدّ طريقه (الامام الرضا

١ - البداية و النهاية ج ١٠ ص ٣٠٤ .

٢ - تاريخ الطبري ج ٨ ص ٥٢٨ - الى - ٥٣٦ و مروج الذهب ج ٣ ص ٤٣٨ .



طَائِلًا) بقتله بالسّم كما سيأتي .

شرب الخمر

كيف كان المأمون مأموناً و الحال أنّه كان يشرب الخمر علناً ، و جميع المسكرات محرّم في الاسلام بالاجماع .

قال الحافظ السيوطي : « أخرج الصّولي من طرق عدّة : أنّ المأمون كان يشرب النبيذ »^١ و المراد من النبيذ هو النبيذ المسكر المحرّم و الآما كانت الحاجة الى ذكره .

و صرح غيره بالشراب ، قال ابن الأثير : « فلما علم اليزيديّ جلوس المأمون مع ندمائه ، و تيقن أنّهم قد أخذ الشراب منهم ، أتى الباب فدخل فدفع الى الخادم رقعة »^٢ .

انّي رأيت كثيراً من الفسقه أنّهم يتركون فسقهم في شهر رمضان المبارك خوفاً من الله تعالى ان كان ، و الآحياء من الناس ، لكنّ هذا الخليفة لم يكن يرفع يده عن الشراب حيناً ما حتى في شهر رمضان .

قال الطبريّ : « و شخص المأمون من بغداد حين شخص الى هنا لك للبناء بيوران راكباً زورقاً ، حتى أرسى على باب الحسن (الى أن قال) فاعتقه الحسن و هو راكب و دخلا جميعاً منزل الحسن ، و وافى المأمون في وقت العشاء ، و ذلك في

١ - تاريخ الخلفاء ص ٢٤٨ .

٢ - الكامل لابن الاثير ج ٦ ص ٤٣٧ .



شهر رمضان من سنة عشر و مائتين ، فأفطره و الحسن و العباس ، و غسلوا أيديهم ، فدعا المأمون بشراب ، فأتي بجام ذهب فصبت فيه و شرب ، و مديده بجام فيه شراب الى الحسن ، فتباطأ عنه الحسن ، لأنه لم يكن يشرب قبل ذلك .

فقال له الحسن : يا أمير المؤمنين ! أشربه باذنك و أمرك ؟

فقال له المأمون : لولا أمري لم أمدد يدي اليك . فأخذ الجام فشربه «^١ .
و كذلك نرى أنّ عديداً من أهل المعاصي يتوبون الى الله في آخر عمرهم ، لكنّ الخليفة كان متعاطياً به حتى الموت .

قال الطبري : « و ذكر عن العباس بن أحمد بن أبان الكاتب قال : أخبرني الحسين بن الضحّاك قال : قال لي علّويه : أخبرك أنّه مرّ بي مرّة ما أيست من نفسي معه لولا كرم المأمون ، فانه دعا بنا ، فلمّا أخذ فيه التبيذ ، قال : غثوني (الى أن قال) فحين لي أن تغنيت و كان قد همّ بالخروج الى دمشق يريد الثغر :

الحين^٢ قد ساق الى دمشق و ما كانت دمشق لأهلها بلداً

فضرب بالقدح الأرض ، و قال : ما لك ! عليك لعنة الله . و أخذ بيدي فأقمت و عيناه تدمعان و هو يقول للمعتصم : هو والله آخر خروجي ، و لا أحسبني أن أرى العراق أبداً ، فكان والله آخر عهده بالعراق عند خروجه كما قال «^٣ .

و قال الحافظ ابن كثير الدمشقي : « و قد أضاف المأمون الى بدعته هذه التي أزرى فيها على المهاجرين و الأنصار ، البدعة الأخرى و الطاقة الكبرى و هي القول

١ - تاريخ الطبري ج ٨ ص ٦٠٧ .

٢ - الهلاك .

٣ - تاريخ الطبري ج ٨ ص ٦٦٥ - ٦٦٦ .

بخلق القرآن مع ما فيه من الانهماك على تعاطي المسكر و غير ذلك من الأفعال التي فيها المنكر^١.

إترف بالجواري

كان المأمون من صباه منهمكاً في الجواري حتى في جوار أبيه ، مراداً عن نفسه حظياته و جواريه ، لم يردعه عن ذلك أدب الولد عند والده ، و لاسطورة الرّشيد على معانده .

قال الحافظ السيوطي : « أخرج الخطيب عن منصور البرمكي ، قال : كان للرّشيد جارية ، و كان المأمون يهواها ، فبينما هي تصبّ على الرّشيد من ابريق معها و المأمون خلفه ، اذ أشار اليها بقُبلة^٢ ، فزبرته^٣ بحاجبها و أبطأت من الصّبّ . فنظر اليها هارون ، فقال : ما هذا ؟ فتلكأت^٣ عليه . فقال : ان لم تخبرني لأقتلتك .

فقالت : أشار اليّ عبدالله بقُبلة .

فالتفت اليه ، و اذا هو قد نزل به من الحياء و الرّعب ما رحمه منه ، فاعتنقه فقال : أتحبّها ؟ قال : نعم ، قال : قم فادخل بها في تلك القبّة . فقام ، فلما خرج قال له : قل في هذا شعراً ، فقال :

١ - البداية و النهاية ج ١٠ ص ٣٠٣ .

٢ - أي منعته .

٣ - أي توقفت .

ظبيُّ كنيْتُ بطرفي عن الضمير اليه
 قَبَلته من بعيد فاعتلَّ من شفّيته
 و ردّ أحسن ردِّ بالكسر من حاجبيه
 فما برحت من مكاني حتى قدرت عليه^١

و أخرج ابن عساكر عن أبي خليفة قال : سمعت بعض النخّاسين يقول :
 عرضت على المأمون جارية شاعرة فصيحة متأدّبة شطرنجية ، فساومته في ثمنها
 بألفي دينار .

فقال المأمون : ان هي أجازت بيتاً أقوله بيت من عندها اشتريتها بما تقول
 وزدتك ، فأنشد المأمون :

ماذا تقولين فيمن شفّه أرُقُّ من جهد حبّك حتى صار حيراناً^٢
 فأجازته :

إذا وجدنا محبباً قد أضربه داء الصبابة^٣ أوليناها احساناً^٤
 وقد بلغ حرصه على الجواري أنّه قتل أحسن وزرائه الفضل بن سهل اذ
 ضايقه في جارية أراد شراءها^٥ .

١ - تاريخ الخلفاء ص ٢٤٧ .

٢ - شفّه : أهرله و أفناه ، أرُقُّ : كعزقٍ : ذهب النوم في الليل .

٣ - الصبابة : العشق .

٤ - تاريخ الخلفاء ص ٢٤٧ .

٥ - راجع مروج الذهب ج ٣ ص ٤١٧ .



الاسراف المفرط

الاسراف في العطاء

ذكر الحافظ ابن كثير الدمشقي : « روى ابن عساكر أن المأمون قال يوماً لمحمد بن عباد بن المهلب : يا أبا عبدالله ! قد أعطيتك ألف ألف ، و ألف ألف دينار .

فقال : يا أمير المؤمنين ! إنّ منع الموجود سوء ظنّ بالمعبود .

فقال : أحسنت يا أبا عبدالله ! أعطوه ألف ألف و ألف ألف و ألف ألف «^١ .

الاسراف في الزواج

كان زواج المأمون ببنت الحسن بن سهل من تلك الزواجات التاريخية التي لم ير الدهر مثلها . و ذكر المؤرخون كلّهم هذا الزواج العظيم و تفاصيلها من التزينات المدهشة التي أخذت فيها ، و الأموال الهائلة التي صرفت فيها ، و نحن نكتفي بما ذكره المسعودي فقط ، فإنه قال :

« زواج المأمون ببوران بنت الحسن بن سهل : و انحدر المأمون الى (فم الصلح) في سنة تسع و مائتين ، و أمك بخديجة ابنة الحسن بن سهل التي تسمى بوران .

و نشر الحسن في ذلك الإملاك من الأموال ما لم ينشره و لم يفعله ملك قط في جاهلية و لا في إسلام .

و ذلك أنه نشر على الهاشميين و القواد و الكتاب و الوجوه بنادق مسك فيها رقع بأسماء ضياع ، و أسماء جوارٍ ، و صفات دواب و غير ذلك .

فكانت البندقة إذا وقعت في يد الرجل فتحها فقرأ ما فيها فيجد على قدر إقباله و سعوده فيها ، فيمضي الى الوكيل الذي نصب لذلك فيقول له : ضيعة يقال له فلانة الفلانية من طسوج كذا و رُستاق كذا ، و جارية يقال لها فلانة الفلانية ، و دابة صفتها كذا .

ثم نشر بعد ذلك على سائر الناس الدنانير و الدراهم و نوافج المسك و بيض العنبر .

و أنفق على المأمون و قواده و على جميع أصحابه و من كان معه من جنوده أيام مقامه عنده حتى المكارين و الحمالين و الملاحين و كل من ضمّه العسكر من تابع و متبوع مرتزق و غيره ، فلم يكن أحد من الناس يشتري شيئاً في عسكر المأمون مما يطعم ، و لا ممّا تعتلفه البهائم .

فلما أراد المأمون أن يصعد في دجلة منصرفاً الى مدينة السلام قال للحسن : حوائجك يا أبا محمد ؟

قال : نعم يا أميرالمؤمنين ! أسألك أن تحفظ عليّ مكاني من قلبك ، فإنه لا يتهيأ لي حفظه إلا بك .

فأمر المأمون بحمل خراج فارس و كور الأهواز اليه سنة . فقالت في ذلك الشعراء فأكثرت ، و أطنبت الخطباء في ذلك و تكلمت ، فمما استظرف مما قيل في ذلك من الشعر قول محمد بن حازم الباهلي :



بارك الله للحسن و لبوران في الختن

يا ابن هارون قد ظفرت و لكن ببنت من

فلما نمي هذا الشعر الى المأمون قال : و الله ما ندرني خيراً أراد أم شراً^١ .
و من البديهي أنّ هذه الأموال الهائلة التي نشرت على رأس العريس ، و
صرفت في هذا العرس ، كانت من بيت مال المسلمين ، لأنّ ما يملكه الوزير متعلق
بالأمير .

الاسراف في الطعام

قال الحافظ السيوطي : « أخرج نبطويه عن محمد بن حفص الأنماطي ، قال :
تغدينا مع المأمون في يوم عيد ، فوضع على مائدته أكثر من ثلاث مائة لون ، قال :
فكلما وضع لون ، نظر المأمون اليه فقال هذا نافع لكذا ، ضارّ لكذا ، فمن كان منكم
صاحب بلغم فليجتنب هذا ، و من كان منكم صاحب صفراء فليأكل من هذا ، و من
غلب عليه السوداء فلا يعرض لهذا ، و من قصد قلة الغذاء فليقتصر على هذا .

فقال له يحيى بن أكثم : يا أمير المؤمنين ! ان خضت في الطب كنت جالينوس
في معرفته ، أو في النجوم كنت هرمس في حسابه ، أو في الفقه كنت علي بن أبي
طالب في علمه (معاذ الله) أو ذكر السخاء كنت حاتم طي في صفته ، أو صدق
الحديث كنت أباذر في لهجته (معاذ الله) ، أو الكرم فأنت كعب بن أمية في فعاله ،

أو الوفاء فأنت سَمَوْتَلُ بن عاديا في وفائه .

فسرّ المأمون بهذا الكلام و قال : انّ الانسان انما فضلّ بعقله ولولا ذلك لم يكن لحمٌ أطيب من لحم ولا دمٌ أطيب من دم»^٢ .

سيرة يحيى بن الأكثم القاضي

لم لا يمدح يحيى بن الأكثم المأمون بهذه الاطراءات المفرطة ، وانه قد نال مرتبة القضاء بيميناه ، و جمع الأموال الطائلة من نداءه ، و لولاه لما دنى اليه أحدٌ أبداً و ذلك لقباحة سيرته ، و وقاحة سريرته :

قال المسعودي : « وكان يحيى بن أكثم قد ولي قضاء البصرة قبل تأكد الحال بينه و بين المأمون ، فرفع إلى المأمون أنه أفسد أولادهم بكثرة لواطه ، فقال المأمون : لو طعنوا عليه في أحكامه قبل ذلك منهم .

قالوا : يا أمير المؤمنين ، قد ظهرت منه الفواحش و ارتكاب الكبائر ، استفاض ذلك عنه ، و هو القائل يا أمير المؤمنين ، في صفة الغلمان و طبقاتهم و مراتبهم في أوصافهم قوله المشهور .

فقال المأمون : و ما الذي قال ؟

فدفعت إليه القصة فيها جُمِلَ مما رمي به و حكي عنه في هذا المعنى ، و هو

قوله :

١ - سَمَوْتَلُ كَسَفَزَجَل : رجلٌ كان مشهوراً في وفاء العهد (هامش تاريخ الخلفاء ص ٢٤٢) .

٢ - المصدر .

أربعة تَفْتِنُ الحَاظِهِم
فواحد دنياه في وجهه
فحين من يعشقهم ساهره
و آخر دنياه مفتوحة
منافق ليست له آخره
و ثالث قد حاز كليهما
من خَلْفِهِ آخرة وافره
و رابع قد ضاع ما بينهم
قد جمع الدنيا مع الآخرة
ليست له دنيا و لا آخره
فأنكر المأمون ذلك في الوقت و استعظمه ، و قال : أيكم سمع هذا منه ؟

قالوا : هذا مستفاض من قوله فينا يا أمير المؤمنين ؟
فأمر بإخراجهم عنه ، و عزل يحيى عنهم .

و في يحيى و ما كان عليه بالبصرة يقول ابن أبي نعيم :

يا ليت يحيى لم يلد له أكثمه
ألوط قاضٍ في العراق نعلمه
و لم تطأ أرض العراق قَدَمُهُ
أي دواة لم يلقها قلمه

و أي شِعْبٍ لم يلججه أرقمه

و ضرب الدهر ضربانه فاتصل يحيى بالمأمون و نادمه ، و رَخَّص له في أمور
كثيرة ، فقال له يوماً : يا أبا محمد ، من الذي يقول :

قاضي يرى الحدَّ في الزناء ، و لا يرى علي من يلوط من باس
قال : ذلك ابن أبي نعيم يا أمير المؤمنين ، و هو القائل :

أميرنا يرتشي ، و حاكمنا يلوط ، و الرأس شر ما راس
قاضي يرى الحد في الزناء ، و لا يرى علي من يلوط من باس
ما أحسب الجور ينقضي و على الـ أمة و الـ من آل عباس

فأطرق المأمون خجلاً ساعةً ، ثم رفع رأسه و قال : ينفي ابن أبي نعيم إلى

وكان يحيى إذا ركب مع المأمون في سفر ركب معه بمنطقة و قَبَاء و سيف
بمعاليق و شاشية^١ و إذا كان الشتاء ركب في أقبية الخبز و قلانس السمور و السروج
المكشوفة ، و بلغ من إذاعته و مجاهرته باللواط أنّ المأمون أمره أن يفرض لنفسه
فرضاً يركبون بركوبه و يتصرفون في أموره ، ففرض أربعمئة غلام مُزداً اختارهم
حسان الوجوه ، فافتضح بهم ، و قال في ذلك راشد بن إسحاق يذكر ما كان من أمر
يحيى في الفرض :

خليلي انظرا متعجبين
لفرض ليس يقبل فيه إلا
و الإكلُّ أشقر أكثمي
يقدم دون موقف صاحبيه
يقودهم إلى الهيجاء قاضٍ
إذا شهد الوغى منهم شجاع
لأظرف منظر مقلته عيني
أسيل الخد حلو المقتلين
قليل نبات شعر العارضين
بقدر جماله و بقبح ذين
شديد الطعن بالرمح الرديني
تجدل للجبين و لليدين
(الى آخر الأبيات) و فيه يقول راشد أيضاً :

و كنا نرجي أن نرى العدل ظاهراً
متى تصلح الدنيا و يصلح أهلها
فأعقبنا بعد الرجاء قنوط
و قاضي قضاة المسلمين يلوط^٢
انما نقلنا نبذة من سيرة هذا الرجل مع كونه نائياً عن أدب الكاتب و متانته ، ليتبين
أنه لما كان حال قاضي قضاة المأمون هكذا فما يكون شأن الخليفة حينئذ ، لأنه لو لم
يكن من جنسه لما أعطاه هذا المنصب الجليل .

١ - طربوش من قماش أحمر له طرّة صغيرة يلبسه الأتراك .

٢ - مروج الذهب ج ٣ ص ٤٣٤ الى ٤٣٦ .



ثم لينظر أنه ماذا كان حال المسلمين آنذاك ، اذ فوّضت امورهم الى مثل هذا القاضي !
 ألم يأن لنا أن نقول أنه ترتّبت هذه المفاسد كلها من أجل أنّ الخلافة (الحكومة) سُلبت من يد علي بن أبي طالب عليه السلام يوم السقيفة - فافهم و استقم .

الظلم و الجور و سفك الدماء

قتل ابن عائشة العباسي

قال الطبريّ : و فيها (أي في سنة ٢١٠) ظهر المأمون على ابراهيم بن محمد بن عبد الوهاب بن ابراهيم الامام (العباسي) الذي يقال له ابن عائشة . و محمد بن ابراهيم الافريقي ، و مالك بن شاهي ، و فرج البغوارى و من كان معهم ممن كان يسعى في البيعة لابراهيم بن المهدي .

فأمر المأمون بابراهيم بن عائشة أن يقام ثلاثة أيام في الشمس على باب دار المأمون ، ثم ضربه يوم الثلاثاء بالسياط ، ثم حبسه في المَطْبِق^١ .

(أما الآخرون وهم) محمد بن ابراهيم الافريقي و فرج البغوارى و مالك بن شاهي و جماعة معهم ممن كان يسعى في البيعة لابراهيم فحبسهم المأمون بعد أن ضربوا بالسياط .

فرفع بعض أهل المَطْبِقِ أنّهم يريدون أن يشغبوا و ينقبوا السجن ، فلما بلغ

المأمون خبرهم ركب اليهم من ساعته بنفسه ، فدعا بهؤلاء الأربعة فضرب أعناقهم صبراً ، وأسمعه ابن عائشة شتماً قبيحاً ، فلما كانت الغداة صُلبوا على الجسر الأسفل ، فلما كان من الغداة يوم الأربعاء أنزل ابراهيم بن عائشة ، فكفّن و صلي عليه ، و دفن في مقابر قريش ، و أنزل ابن الافريقي فدفن في مقابر الخيزران ، و ترك الباقر^١ .
و قال ابن الأثير : و صلب ابن عائشة ، و هو أول عباسي صلب في الاسلام^٢ .

قتل الوزير ذي الرياستين

كان الفضل بن سهل أحسن وزراء المأمون من حيث أنه كان يدير عيشه و جيشه معاً ، فجمع بين الوزارة و امارة الجيش ، و لذا لقبه المأمون بذي الرياستين ، و كان مع ذلك مخلصاً له و ناصحاً ، أما اخلاصه ، فانه لم يرد أن يقتل أخاه « الأمين » لثلاث أسباب به وجهة المأمون و يترتب عليه آثار السوء التي ترتبت بعد قتله ، فأعطى الأمين الأمان و أراد أن يسلمه بيد المأمون حياً ، لكن طاهر بن الحسين أحد أعوان المأمون حسد عليه ، و أفسد عليه الأمر بقتله (كما تقدّم) .

أما كونه ناصحاً للمأمون فانه كان يأمره و ينهاه فيما لم يكن يراه مناسباً للخليفة ، و ربما كان يضايقه فيما يريده المأمون ، كما ضايقه في شراء جارية غالية جداً ، و هذا صار سبباً لقتله .

و كان الفضل ذا فضل كثير في العلوم المختلفة منها النجوم ، فكان يخبر

١ - تاريخ الطبري ج ٨ ص ٦٠٢ الى ٦٠٤ .

٢ - الكامل لابن الأثير ج ٦ ص ٣٩٢ .

المأمون بالحوادث الواقعة قبل وقوعها ، فاستفاد المأمون منه كثيراً .
وكذا الناس كانوا يستفيدون من علومه و أدبه و كانوا يحترمونه جداً و يمدحه
الشعراء الكبار ، كما قال أبو محمد عبدالله بن محمد فيه :

لعمرك ما الأشرف في كل بلدة و ان عظموا للفضل الاصنائع
ترئى عظماء الناس للفضل خشعاً اذا ما بدا ، و الفضل لله خاشع
تواضع لما زاده الله رفعةً و كل جليل عنده متواضع
هذه الأمور كلها صارت وبالأعلى عليه ، لأن المأمون خاف من اقبال الناس اليه ، فدس
اليه في الحمام من قتله ، كما قتل أبوه وزير جعفر البرمكي من أجل هذه الأمور .
و لقد كملت هذه المشابهة حينما قتل قاتليه أيضاً ، كما قتل هارون قاتل
جعفر البرمكي بعد قتله جعفر . فلما جيء المأمون بقاتلي الفضل فقالوا : أنت أمرتنا
بقتله ، لكنّه مع ذلك أمر بهم فضربت رقابهم ، ثم أرسل رؤسهم الى أخيه الحسن بن
سهل تعزية و نصبه مكانه وزيراً^١ .

لم يكن الفضل شيعياً

ربما يظهر من كلمات بعض المؤرخين أنّ الفضل بن سهل كان شيعياً ، لأنه
هو الذي أشار على المأمون بنصب علي الرضا عليه السلام كولي عهده^٢ .
قال ابن خلكان فيه : « وكان فيه فضائل ، وكان يلقب بذي الرياستين ، لأنه

١ - راجع وفيات الأعيان ج ٤ ص ٤١ ، الكامل لابن الأثير ج ٦ ص ٣٤٧ .

٢ - تاريخ الفخري ص ٢١٧ .

تقلد الوزارة و السيف و كان يتشيع^١ .

و حقيقة الأمر عكس ذلك لأنه لم يكن شيعياً و لا محبباً لهم ، بل كان عدواً للشيعة بل جميع المسلمين لأنه كان مجوسياً بالاصالة .

قال ابن خلّكان : « أنه أسلم على يد المأمون في سنة تسعين و مائة »^٢ .

فكان إظهاره التشيع لمصالح سياسية كمولاه المأمون .

و يظهر من الكتب المعتبرة أنّ الفضل هو الذي قال للمأمون ان بلغ الرضا المصلّى يوم العيد على هذا السبيل افتتن به الناس ، و الرأي أن تسأله الرجوع ، فبعث المأمون ، فسأله الرجوع^٣ .

و في العيون - بعد نقله خبراً مشتملاً على أنّ الفضل أشار على المأمون بجعل الرضا عليه السلام ولي عهده - « و الصحيح عندي أنّ المأمون انما بايع له عليه السلام للنذر الذي تقدّم ذكره ، و أنّ الفضل لم يزل معانداً له عليه السلام و مبغضاً ، لأنه من صنائع آل برمك »^٤ .

(أقول) انّ اظهار المأمون بأنه نذر كذا ، لم يكن لداع مذهبي و جذبة دينية ، بل أنّه كان حيلة أراد أن يقنع بها الامام الرضا عليه السلام و كذا غيره من الناس ، ولو كان معتقداً بأنّ الرضا عليه السلام رجلٌ مقربٌ عند الله ، و عبدٌ صالحٌ ينجز الله به ما سئل بالنذر له ، لما قتله ، و سيأتي عن قريب أنّ القاتل للرضا عليه السلام هو المأمون لا غيره ، و ان كتمه أهل التاريخ لكنّه حقيقة واقعة لا تستر بإستار أحد من الناس .

١ - وفيات الأعيان ج ٤ ص ٤١ .

٢ - المصدر .

٣ - عيون اخبار الرضا عليه السلام ج ٢ ص ١٥١ .

٤ - المصدر ج ٢ ص ١٦٦ .

المأمون و الامام علي بن موسى الرضا عليهما السلام

لقد مضى فيما سبق أنّ المأمون كان في بداية أمره ضعيفاً جداً من أجل قتله أخاه ، و بعده عن دار الخلافة بغداد ، وكون امه أمة ، فقام عليه العباسيون من ناحية ، و العلويون من أخرى ، فاقتضت سياسته أن يستميل اليه شيعة علي عليه السلام .

و لما كان الامام علي بن موسى الرضا عليه السلام اعلى مكاناً عند الشيعة قدم له ولاية عهده بعد ما أظهر للناس تشييعه الكاذب .

و حيث أنّ الامام الرضا عليه السلام كان عالماً بهذه الدسيسة ، لم يقبل منه هذه الأطروحة بل رفضها بشدة قائلاً: إنّ مقتضى علمي المأثور أنني لا أبقي بعدك حتى أكون ولي عهدك و خليفة بعدك ، لكنّ المأمون لم يقبل منه كل عذر و أجبره على ذلك بل هدّده بالقتل ، فلم ير الامام عليه السلام بداً غير القبول انجاءً لنفسه ، مع ما كان فيه المصالح الكثيرة أيضاً كإنجاء كثير من شيعة من القتل و الأسر ، و اغتنام الفرصة لنشر مذهب أهل البيت عليهم السلام في العالم كله لا سيما في بلاد خراسان و ما والاها .

كما روي مسنداً عن أبي الصلت الهروي ، قال : إنّ المأمون قال للرضا علي بن موسى عليه السلام : يا ابن رسول الله ! قد عرفت فضلك و علمك و زهدك و ورعك و عبادتك و أراك أحقّ بالخلافة مني .

فقال الرضا عليه السلام : بالعبودية عزّ وجلّ أفتخر ، و بالزهد في الدنيا أرجو النجاة من شرّ الدنيا ، و بالورع عن المحارم أرجو الفوز بالمغانم ، و بالتواضع في الدنيا أرجو الرفعة عند الله عزّ وجلّ .

فقال له المأمون : فإني قد رأيت أن أعزل نفسي عن الخلافة ، و أجعلها لك و

أبايعك .



فقال له الرضا عليه السلام: إن كانت هذه الخلافة لك و جعلها الله لك فلا يجوز أن تخلع لباساً ألبسهك الله و تجعله لغيرك ، و إن كانت الخلافة ليست لك فلا يجوز لك أن تجعل لي ما ليس لك .

فقال له المؤمنون : يا ابن رسول الله لابد لك من قبول هذا الأمر .

فقال : لست أفعل ذلك طائعاً أبداً فما زال يجهد به أياً ما حتى يئس من قبوله .

فقال له : فان لم تقبل الخلافة و لم تحبّ مبايعتي لك فكف و ليّ عهدي لتكون لك الخلافة بعدي .

فقال الرضا عليه السلام : والله لقد حدّثني أبي عن آبائه عن أمير المؤمنين عن رسول الله ﷺ أنني أخرج من الدنيا قبلك مقتولاً بالسمّ مظلوماً تبكي عليّ ملائكة السماء و ملائكة الأرض و أدفن في أرض غربة إلى جنب هارون الرّشيد فبكي المؤمنون .

ثم قال له : يا ابن رسول الله و من الذي يقتلك أو يقدر على الاساءة إليك و أنا حيٌّ ؟

فقال الرضا عليه السلام : أما إني لو أشاء أن أقول من الذي يقتلني لقلت .

فقال المؤمنون : يا ابن رسول الله إنّما تريد بقولك هذا التخفيف عن نفسك ، و دفع هذا الأمر عنك ، ليقول الناس إنّك زاهدٌ في الدنيا .

فقال الرضا عليه السلام : والله ما كذبت منذ خلقتني ربّي عزّوجل و ما زهدت في الدنيا للدنيا و إني لأعلم ما تريد .

فقال المؤمنون : و ما أريد ؟

قال : الأمان على الصدق ؟

قال : لك الأمان .



قال : تريد بذلك أن يقول الناس : إن علي بن موسى لم يزهد في الدنيا بل زهدت الدنيا فيه ، ألا ترون كيف قبل ولاية العهد طمعاً في الخلافة .
فغضب المأمون ثم قال : إنك تتلقاني أبداً بما أكرهه . وقد آمنت سطوتي ، فبالله أقسم لئن قبلت ولاية العهد و إلا أجبرتك على ذلك فان فعلت و إلا ضربت عنقك .

فقال الرضا عليه السلام : قد نهاني الله عز وجل أن ألقى بيدي إلى التهلكة ، فان كان الأمر على هذا ، فافعل ما بدالك ، و أنا أقبل ذلك على أني لا أولي أحداً ، و لا أعزل أحداً ، و لا أنقض رسماً و لا سنة ، و أكون في الأمر من بعيد مشيراً ، فرضي منه بذلك ، و جعله ولي عهد على كراهة منه عليه السلام لذلك ^١ .

هكذا أدخل المأمون الامام الرضا عليه السلام في الحكومة جبراً و قهراً ، و لما قضى منه و طره ، و بلغ مُنيته ، أزاله عن طريقه بدس السم اليه ، ذكره بعض المؤرخين و ان كتبه الآخرون .
فمتمن أظهره ابن الطقطقي ، فقال :

« و أمر المأمون الناس بخلع لباس السواد و لبس الخضرة ، و كان هذا في خراسان . فلما سمع العباسيون ببغداد ما فعل المأمون من نقل الخلافة عن البيت العباسي إلى البيت العلوي و تغيير لباس آباءه و أجداده بلباس الخضرة أنكروا ذلك و خلعوا المأمون من الخلافة غضباً من فعله ، و بايعوا عمته إبراهيم بن المهدي ، و كان فاضلاً و شاعراً فصيحاً أديباً مغنياً حاذقاً ، و إليه أشار أبو فراس بن حمدان في

١ - علل الشرايع ج ١ ص ٢٢٦ ، عيون أخبار الرضا عليه السلام ج ٢ ص ١٣٩ ، امالي الصدوق ص ٦٨

ميميته بقوله :

منكم عليّة أم منهم وكان لكم
و كانت تلك الأيام أيامَ فِتْنٍ و وقائع و حروب .

فلما بلغ المأمونَ ذلك قام و قعد فقتل الفضل بن سهل . و مات بعده عليّ بن موسى من أكل عنب ، فقيل : إنّ المأمونَ لما رأى إنكار الناس ببغداد لما فعله من نقل الخلافة إلى بني عليّ ، و انهم نسبوا ذلك إلى الفضل بن سهل و رأى الفتنة قائمة ، دس جماعة على الفضل بن سهل فقتلوه في الحمام . ثم أخذهم و قدّمهم ليضرب أعناقهم ، فقالوا له : أنتَ أمرتنا بذلك ثم تقتلنا !

فقال لهم : أنا أقتلكم بإقراركم ، و أما ما ادّعتموه عليّ من أني أمرتكم بذلك فدعوى ليس لها بيّنة . ثم ضرب أعناقهم و حمل رؤوسهم إلى الحسن بن سهل و كتب يعزيه و يوليّه مكانه ، و انضمّ إلى ذلك أمور أخرى سنذكرها عند ذكر وزارة الفضل .

ثمّ دس إلى عليّ بن موسى الرضا عليه السلام سمّاً في عنب ، و كان يحبّ العنب ، فأكل منه و استكثر فمات من ساعته . ثم كتب إلى بني العباس ببغداد يقول لهم : إنّ الذي أنكرتموه من أمر عليّ بن موسى قد زال و إن الرجل مات . فأجابوه أغلظ جواب «^١ .

و ممّن صرح بكون الامام الرضا عليه السلام مسموماً بيد مأمون الرشيد ، المؤرّخ أبو الفرج الاصبهاني ، حيث قال :

« و اختلف في أمر وفاته ، و كيف كان سبب السّم الذي سقيه ، فذكر محمد

بن علي بن حمزة، أن منصور بن بشير ذكر عن أخيه عبدالله بن بشير: أن المأمون أمره أن يطول أظفاره، ففعل، ثم أخرج إليه شيئاً يشبه التمر الهندي، و قال له: افركه و اعجنه بيديك جميعاً، ففعل.

ثم دخل على الرضا عليه السلام، فقال له: ما خبرك؟ قال: أرجو أن أكون صالحاً. فقال له: هل جاءك أحدٌ من المترفين اليوم؟ قال: لا، فغضب و صاح على غلمانه، و قال له: فخذ ماء الرمان اليوم فانه ممّا لا يستغنى عنه.

ثم دعا برمان فأعطاه عبدالله بن بشير و قال له: اعصر ماءه بيدك، ففعل و سقاه المأمون الرضا عليه السلام بيده فشربه، فكان ذلك سبب وفاته، و لم يلبث الا يومين حتى مات.

قال محمد بن علي بن حمزة، و يحيى: فبلغني عن أبي الصلت الهروي: أنه دخل على الرضا عليه السلام بعد ذلك فقال له: يا أبا الصلت! قد فعلوها (أي قد سقوني السم) و جعل يوحد الله و يمجّده^١.

(أقول) لا يضرّ اختلاف وسيلة السم، في حقيقة الواقعة، سواء كان في العنب، أم في الرمان، لاتفاق الخبرين على أن المأمون هو الذي باشر قتل الامام الرضا عليه السلام بالسم، مع احتمال صدق الخبرين معاً باستعمال الوسيلتين في خلال أيام متقاربة، لأن يكون الموت حتمياً.

و قال الديار بكري: «و في سنة إحدى و مائتين جعل المأمون ولي عهده من بعده علي بن موسى الرضا العلوي، و أمر الدولة برمي السواد و لبس الخضرة، فشقّ هذا على أقاربه و قامت قيامتهم بادخاله في الخلافة الرضا، فخلعوا المأمون و بايعوا

عمّه وهو المنصور بن المهدي ، فضعف عن الأمر و قال : بل أنا خليفة المأمون ، فأهملوه و أقاموا أخاه ابراهيم بن المهدي ، و كان أسود ، فبايعوه و جرت لذلك حروب يطول شرحها «^١ .

و قال الحافظ جلال الدين السيوطي : « فلم يلبث علي الرضا أن مات في سنة (٢٠٣) فكتب المأمون الى أهل بغداد يعلمهم أنهم انما نعموا عليه ببيعته لعلي ، و قد مات «^٢ .

قتل المأمون عدّة من العلويين

انّ الذين قُتلوا من أسرة رسول الله ﷺ كثيرون في حكومة المأمون ، علاوة الامام علي بن موسى الرضا عليه السلام ، ذكر بعضهم المؤرّخ أبو الفرج الاصبهاني في كتابه (مقاتل الطالبين ص ٣٣٩ الى ٣٨١) و هم على ما يلي :

- ١ - علي بن عبدالله بن محمد بن عبدالله بن محمد بن علي بن عبدالله بن جعفر بن أبي طالب عليه السلام ، قُتل باليمن ، في أيام أبي السرايا .
- ٢ - الحسن بن الحسين بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام ، و هو القتل يوم قنطرة الكوفة .
- ٣ - الحسن بن اسحاق بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام ، قتل في وقعة السوس .

١ - تاريخ الخميس ج ٢ ص ٣٧٣ .

٢ - تاريخ الخلفاء ص ٢٣٥ .

٤ - محمد بن الحسين بن الحسن بن علي بن علي بن الحسين بن علي
أبي طالب عليه السلام ، قتل باليمن .

٥ - محمد بن محمد بن زيد بن علي بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام ،
قتل باليمن .

٦ - محمد بن عبدالله بن الحسن بن علي بن علي بن الحسين بن علي بن
أبي طالب عليه السلام ، وهو ابن الأفتس الذي ذكرنا قتله في أيام الرّشيد .
أما هو فقتله المعتصم بالسّم بايماءٍ من المأمون .

حلم المأمون عمّن يدعي النبوة

رجل ادعى الرّسالة

نعم ! هذا هو الخليفة المأمون الرّشيد الذي قتل أخاه ، و وزيره ، و ولي عهده
و غيرهم من أهم أصحابه ، و لم يتجاوز عن زلّاتهم المزعومة ، لكنّه أظهر حلمه
العجيب ، بل رضاه بجسارة المتنبئين المرتدّين المارقين عن الدين ، ذكر
المؤرّخون بعضاً منهم :

قال المسعودي : « ادعى رجل النبوة بالبصرة أيام المأمون فحُمل اليه موثقاً
بالحديد ، فمثل بين يديه .

فقال له : أنت نبيّ مرسل ؟

قال : أمّا الساعة فأنا موثق .

قال : ويلك من غرّك ؟ قال : أهكذا تخاطب الأنبياء ؟ أما والله لولا أنّي موثق



لأمرت جبريل أن يدمدمها عليكم .

قال له المأمون : و الموثق لا تجاب له دعوة ؟

قال الأنبياء خاصة اذا قيدت لا يرتفع دعاؤها .

فضحك المأمون ، و قال : من قيتك ؟ قال : هذا الذي بين يديك .

قال : فنحن نطلقك ، و تأمر جبريل أن يدمدمها ، فان أطاعك آمنا بك و

صدقتك .

فقال : صدق الله اذ يقول : ﴿ فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم ﴾^١ ان شئت

فافعل .

فأمر باطلاقه ، فلما وجد راحة العافية ، قال : يا جبريل ! - و مدّ بها صوته -

ابعثوا من شئتم ، فليس بيني و بينكم الآن عملٌ ، غيري يملك الأموال و أنا لا شيء

معني ، ما يذهب لكم في حاجة الاكشخان ، فأمر باطلاقه و الاحسان اليه^٢ .

المأمون و رجل يدعي انه ابراهيم الخليل

و حدث ثمامة بن أشرس قال : شهدت مجلساً للمأمون و قد أتني برجل ادعى

انه ابراهيم الخليل ، فقال له المأمون : ما سمعت بأجرأ على الله من هذا .

قلت : إن رأى أميرالمؤمنين أن يأذن لي في كلامه ، قال : شأنك و

إياه .

١ - يونس ١٠ : ٨٨ .

٢ - مروج الذهب ج ٣ ص ٤٣٨ .

قلت : يا هذا إن إبراهيم عليه السلام كانت له براهين ، قال : و ما براهينه ؟
 قلت : أضرمت له النار و ألقى فيها فكانت عليه برداً و سلاماً ، فنحن نُضرمُ
 لك ناراً و نطرحك فيها فإن كانت عليك برداً و سلاماً كما كانت عليه آمناً بك و
 صدقناك .

قال : هات ما هو ألينُ عليّ من هذا .

قلت : فبراهين موسى عليه السلام ، قال : و ما هي ؟

قلت : ألقى العصا فاذا هي حية تسعى تَلْقَف ما يأفكون ، و ضرب بها البحر
 فانفلق ، و بياض يده من غير سوء .

قال : هذا أصعب ، ولكن هات ما هو ألين عليّ من هذا .

قلت : فبراهين عيسى عليه السلام ، قال : و ما براهينه ؟

قلت : إحياء الموتى ، فقطع الكلام في براهين عيسى و قال : جئت بالطامة
 الكبرى ، دعني من براهين هذا .

قلت : فلا بد من براهين ، قال : ما معي من هذا شيء ، و قد قلت لجبريل
 إنكم توجهونني الى شياطين فأعطوني حجة أذهب بها و إلا لم أذهب ، فغضب
 جبريل عليه السلام عليّ ، و قال : جئت بالشر من ساعة ، اذهب أولاً فانظر ما يقول
 لك القوم ، فضحك المؤمنون و قال : هذا من الأنبياء التي تصلح
 للمنادمة^١ .

موت المأمون الرشيد

مات المأمون في سنة (٢١٨) في البديدون على عين القشيرة^١ و حمل الى طرسوس^٢ فدفن بها على يسار المسجد ، و هو ابن تسع و أربعين سنة ، فكانت خلافته احدى و عشرين سنة^٣ .

قال ابن الأثير : انّ المأمون لما حضره الموت قال : لئنظر ما كنتُ فيه من عزّ الخلافة ، هل أغنى عني ذلك شيئاً اذ جاء أمر الله ؟ لا والله ، ولكن أضعف عليّ به الحساب ، فياليت عبدالله بن هارون لم يكن بشراً بل ليته لم يكن خلقاً^٤ .

و ذكر أيضاً : أنه لما اشتدّ مرضه ، و حضره الموت ، كان عنده من يلقّنه ، فعرض عليه الشهادة ، و عنده ابن ما سويه الطبيب ، فقال لذلك الرجل : دعه ! فاتّه لا يفرّق في هذه الحالة بين ربّه و ماني ، ففتح المأمون عينيه و أراد أن يبطش به ، فعجز عن ذلك ، و أراد الكلام ، فعجز عنه أيضاً^٥ .

١ - لم نعر عليه في المعجم ، و الموجود القشيرةُ : بضمّ أوله و ثانيه و سكون الباء الموحّدة و راء ، و هي مدينةٌ في نواحي طليطلة من إقليم سثلة بالأندلس ، ينسب اليها أبو الحسن علي بن محمد الأنصاري القشيري (معجم البلدان ج ٤ ص ٣٥٣) .

٢ - طرسوس : بفتح أوله و ثانيه ، و ضم سين و سكون واو ، بوزن قرْبوس : و هي مدينةٌ بنبغور الشّام بين انطاكية و حلب (معجم البلدان ج ٤ ص ٢٨) .

٣ - مروج الذهب ج ٣ ص ٤١٦ .

٤ - الكامل لابن الأثير ج ٦ ص ٤٢٩ .

٥ - المصدر ص ٤٣١ .

﴿ ٨ ﴾

﴿ المعتصم بالله بن هارون الرشيد ﴾

وهو أبو اسحاق محمد المعتصم بن هارون الرشيد ، جلس على سرير الخلافة يوم موت المأمون .

قال الديار بكري : « انه كان عارياً عن العلم أُمياً ، روى الصولي عن محمد بن سعد عن ابراهيم بن محمد الهاشمي قال : كان مع المعتصم غلام في الكتاب يتعلم معه ، فمات الغلام . فقال الرشيد : يا محمد ! مات غلامك . قال : نعم يا سيدي ! استراح .

قال : و ان الكتاب ليبلغ منك مثل هذا ، دعوه لا تُعلموه .

بويج بالخلافة بعد أخيه المأمون بعهد منه اليه لَمَّا احتضر في رابع يوم من شهر رجب سنة (٢١٨) . وكان أبوه قد أخرجه من الخلافة و عهد الى الأمين و المؤتمن^١ .

و كان المعتصم يقال له « المَثْمَن » أيضاً لأنه :

١- ثامن خلفاء بني العباس .

٢- الثامن من ولد العباس .

٣- ثامن أولاد الرشيد .

٤- و ملك سنة ثمان عشرة .

و ملك ثمانى سنين و ثمانية أشهر و ثمانية أيام .
 و مولده سنة ثمان و سبعين .
 و عاش ثمانى و أربعين سنة .
 و طالعه العقرب ، هو ثامن برج .
 و فتح ثمانية فتوح .
 و قتل ثمانية أعداء .
 و خلف ثمانية أولادٍ ذكور .
 و من الإناث كذلك .
 و مات لثمان بقين من ربيع الأول^١ .

قال الحافظ السيوطي : انه اذا غضب لا يبالي من قتل . و كان أول من
 ثرا الطعام^٢ و كثره حتى بلغ ألف دينار فى اليوم . و كان من أشد الناس بطشاً ، كان
 يجعل زند الرجل بين أصبعيه فيكسره .
 و هو أول الخلفاء أدخل الأتراك الديوان ، و كان يتشبه بملوك الأعاجم و
 يمشي مشيهم ، و بلغت غلمانه الأتراك بضعة عشر ألفاً .

و هجاه دعبل بهذه الأبيات :

ملوك بني العباس في الكتب سبعة
 كذلك أهل الكهف في الكهف سبعة
 و انى لأزهي كلبهم عنك رغبة
 و لم يأتنا في ثامنٍ منهم الكتب
 غداة ثووا فيها و ثامنهم كلب
 لأنك ذو ذنب ، و ليس له ذنب

١ - تاريخ الخلفاء ص ٢٥٥ و تاريخ الخميس ج ٢ ص ٣٧٥ .

٢ - ثرا الطعام : أي كثره ، و منه ثرا الله القوم ، أي كثرهم .



لقد ضاع أمر الناس حيث يسوسهم
وصيفٌ وأشناسٌ^١ وقد عظم الخطب^٢

حبّه الغلمان

قال الحافظ السيوطي: «أخرج الصولي عن محمد بن عمرو الرومي قال: كان للمعتصم غلامٌ يقال له عجيب، لم ير الناس مثله قط، وكان مشغوفاً به، فعمل فيه أبياتاً ثم دعاني وقال: قد علمت أني دون اخوتي في الأدب لحب أمير المؤمنين بي، وميلي الى اللعب وأنا حدث، فلم أنل ما نالوا، وقد عملت في عجيب أبياتاً، فان كانت حسنة، والآ فاصدقني حتى أكتمها، ثم أنشد:

لقد رأيت عجيباً	يحكي الغزال الرّيبيا
الوجه منه كبدرٍ	و القّد يحكي القضيبا
وان تناول سيفاً	رأيت ليثاً حربيا
وان رمى بسهامٍ	كان المُجيد المصيبا
طبيب ما بي من الحب	فلا عدت الطبييا
اتي هويت عجيباً	هوى أراه عجيبا

فحلفت له بأيمان البيعة أنه شعرٌ مليحٌ من أشعار الخلفاء الذين ليسوا بشعراء، فطابت نفسه، وأمر لي بخمسين ألف درهم»^٣.

١ - الوصيف: الغلام دون المراهق، و الأشناس: ضابطٌ في جند الأتراك.

٢ - تاريخ الخلفاء ص ٢٥٥.

٣ - تاريخ الخلفاء ص ٢٥٨.

و قال : « تحوّل المعتصم من بغداد و بنى (سرّ من رأى) ^١ و ذلك أنّه اعتنى باقتناء الترك ، فبعث الى سمرقند و فرغانة و النواحي في شرائهم ، بذل فيهم الأموال ، و ألبسهم أنواع الدّيباج ، و مناطق الذهب ، فكانوا يطردون خيلهم في بغداد و يؤذون الناس ، و ضاقت بهم البلد ، فاجتمع اليه أهل بغداد و قالوا : ان لم تخرج عنّا بجندك حاربناك ، و قال : و كيف تحاربونني ؟ قال : بسهام الأسحار . قال : لا طاقة لي بذلك ، فكان ذلك سبب بنائه سر من رأى و تحوّلها اليها » ^٢ .

الظلم و الجور و سفك الدماء

قال كمال الدين محمد بن موسى الدّميري : « كان فيه ظلمٌ و عنفٌ و بذلك أُرهب الأعداء » ^٣ .

قتل العباس بن المأمون

إنّ المأمون قد عهد الى أخيه المعتصم ، دون ابنه العباس ، لكون المعتصم أقرب الى هارون الرّشيد ، لأنّه ابنه ، و رجاء أن يعهد الى ابنه العباس بعده ، و كذلك تنازل العباس أيضاً ايثاراً له عليه .

١ - مدينةٌ في العراق بين بغداد و تكريت على ضفّة دجلة و يقال لها اليوم « سامراء » .

٢ - تاريخ الخلفاء ص ٢٥٦ .

٣ - حياة الحيوان ج ١ ص ١١٥ مادة الأوز .



قال ابن الأثير: « و لما بويع للمعتصم شغب الجند ، و نادوا باسم العباس بن المأمون ، فأرسل اليه المعتصم ، فأحضره ، فبايعه ، ثم خرج الى الجند ، فقال : ما هذا الحُبُّ البارد ؟ قد بايعت عمِّي . فسكتوا »^١ .

لكنَّ المعتصم لم يتأثر من ايثار أخيه و لا ابنه العباس ، و في مقام مجازاة احسانهما ، لم يكتف بحرمان ابن أخيه فحسب ، بل قتله بطرز فجيع جديد ، لئلا يزاحمه فيما بعد .

قال ابن الأثير : « و تتبع المعتصم أولئك القوَّاد (الذين نصرُوا العباس) و كانوا يحملون في الطريق على بغال بأكف بلا وطاء ، و أخذ أيضاً الشاه بن سهل ، و هو من أهل خراسان ، فقال له المعتصم : يا ابن الزانية ! أحسنت اليك فلم تشكر ! فقال : ابن الزانية هذا - و أوماً الى العباس و كان حاضراً - لو تركني ماكنت السَّاعة تقدر أن تجلس هذا المجلس ، و تقول لي هذا الكلام !

فأمر به فضربت عنقه . و دفع العباس الى الأفسين^٢ .
فلما نزل (مَنبج) طلب العباس بن المأمون الطعام ، فقدم اليه طعامٌ كثيرٌ ، فأكل و منع الماء ، و أدرج في مسح ، فمات بـ (مَنبج) .

أما عمر الفرغاني (ناصر آخر للعباس من الجند) فلما وصل المعتصم الى نصيبين حضر له بئراً ، و ألقاه فيها ، و طمَّها عليه .

و أما عجيف (مساند آخر للعباس) فمات بباعيناثا من بلد الموصل ، و قيل بل أُطعم طعاماً كثيراً و منع الماء حتى مات .

١ - الكامل لابن الأثير ج ٦ ص ٤٣٩ .

٢ - قائد جيش المعتصم .

و تتبّع جميعهم ، فلم يمض الآ أيامٌ قلائل حتى ماتوا جميعاً ، و وصل المعتصم الى سامراء سالماً ، و حبس أولاد المأمون من (سندس) فحبسهم في داره حتى ماتوا بعد^١ .

قتل بابك بطرز موحشٍ عجيب

قال المسعودي: « و اشتدّ أمر بابك ببلاد الرّان و البيلقان ، ففرّق الجيوش ، و هزم العساكر ، و قتل الولاية ، و أفنى الناس ، فسير اليه المعتصم الجيوش و عليها الأفشين ، و كثرت حرابه و اتصلت (ثم ذكر غلبة الأفشين على بابك و القاء القبض عليه : ثم قال) فسار الأفشين ببابك ، و تنقل بالعساكر ، حتى أتى سُرّ مَنْ رأى ، و ذلك سنة ثلاث و عشرين و مائتين ، و تلقى الأفشين هارون بن المعتصم و أهل بيت الخلافة و رجال الدولة ، و نزل بالموضع المعروف بالقاطول على خمسة فراسخ من سامرا ، و بعث إليه المعتصم بالفيل الأشهب ، و كان قد حملة بعض ملوك الهند إلى المأمون ، و كان فيلاً عظيماً قد جللّ بالديباج الأحمر و الأخضر و أنواع الحرير الملون ، و معه ناقة عظيمة بُخّتية قد جلّلت بما وصفنا .

و حمل إلى الأفشين دُرّاعة من الديباج الأحمر منسوجة بالذهب قد رُصّع صدرها بأنواع الياقوت و الجواهر ، و دُرّاعة دونها ، و قلنسوة عظيمة كالبرنس ذات سفاسك بألوان مختلفة ، و قد نظم على القلنسوة كثير من اللؤلؤ و الجواهر .
و ألبس بابك الدُرّاعة الجليلة ، و ألبس أخوه الأخرى ، و جعلت القلنسوة على

رأس بابك ، و على رأس أخيه نحوها . و قُدِّمَ اليه الفيل ، و إلى أخيه الناقة .

فلَمَّا رأى صورة الفيل استعظمه و قال : ما هذه الدابة العظيمة ؟ و استحسنته
الدُّرَاعَة ، و قال : هذه كرامة ملك عظيم جليل ، إلى أسير فقد العزّ ذليل ، أخطأته
الأقدار ، و زالت عنه الجدود ، و تورّطته المحن ، إنها لفرحة تقتضي ترحة .

و ضرب له المصاف صفين في الخيل و الرجال و السلاح و الحديد و
الرايات و البنود من القاطول إلى سامرا مدد واحد متصل غير منفصل ، و بابك على
الفيل و أخوه وراءه على الناقة ، و الفيل يخطر بين الصفين به ، و بابك ينظر إلى ذات
اليمين و ذات الشمال ، و يميّز الرجال و العدد ، و يظهر الأسف و الحنين على ما
فاته من سفك دمائهم ، غير مستعظم لما يرى من كثرتهم ، و ذلك يوم الخميس
لليلتين خلّتا من صفر سنة ثلاث و عشرين و مائتين ، و لم ير الناس مثل ذلك اليوم ،
ولا مثل تلك الزينة .

و دخل الأفشين على المعتصم فرفع منزلته ، و أعلى مكانه ، و أتى ببابك
فطوّف به بين يديه ، فقال له المعتصم : أنت بابك ؟ فلم يجب ، و كرّرها عليه
مراراً ، و بابك ساكت ، فمال إليه الأفشين و قال : الويل لك ! أمير المؤمنين يخاطبك
و أنت ساكت ؟ فقال : نعم أنا بابك ، فسجد المعتصم عند ذلك ، و أمر بقطع يديه
و رجله .

(قال المسعودي) : و رأيت في كتاب أخبار بغداد أنه لمّا وقف بابك بين يديه
ثم يُكلّمه ملياً ، ثم قال له : أنت بابك ؟ قال : نعم ، أنا عبدك و غلامك ، و كان اسم
بنيك الحسن ، و اسم أخيه عبدالله .

قال : جرّدوه ، فسلبه الخدام ما عليه من الزينة ، و قطعت يمينه ، و ضرب بها
وجهه ، و فعل مثل ذلك بيساره ، و تُلِّتْ برجليه ، و هو يتمرغ في النطع في دمه ، و



قد كان تكلم بكلام كثير يرغب في أموال عظيمة قبله ، فلم يلتفت إلى قوله ، و أقبل يضرب بما بقي من زنديه وجهه ، و أمر المعتصم السيف أن يدخل السيف بين ضلعين من أضلاعه أسفل من القلب ليكون أطول لعذابه ، ففعل .

ثم أمر بحزّ لسانه و صلب أطرافه مع جسده ، فصلب ثم حمل الرأس إلى مدينة السلام ، و نصب على الجسر ، و حمل إلى خراسان بعد ذلك ، يطاف به كل مدينة من مدنها و كورها لما كان في نفوس الناس من استفحال أمره ، و عظم شأنه ، و كثرة جنوده ، و إشرافه على إزالة مُلكٍ و قلب ملّةٍ و تبديلها .

و حمل أخوه عبدالله مع الرأس إلى مدينة السلام ، ففعل به إسحاق بن إبراهيم أميرها ما فعل بأخيه بابك بسامرا ، و صلبت جثة بابك على خشبة طويلة في أقاصي سامراء ، و موضعه مشهورٌ الى هذه الغاية يعرف بخشبة بابك ^١ .

(اقول) هب أنّ بابك و أخاه كانا مرتدين كافرين ظالمين قاتلين مفسدين في الأرض ، فمع ذلك كلّه هل كانا مستحقين لهذا العذاب الأليم ؟ ثم ماذا كان من المصلحة في اكرامهما أولاً ، و اجلاسهما على الفيلة و الناقة و ترصيعهما بأنواع الحلل و الجواهر ؟ و بعد ذلك ألم يبلغ المعتصم قول رسول الله ﷺ : اياكم و المثلة ولو بالكلب العقور ؟

عاقبة الأفشين

(ثم اعلم) ماذا صارت عاقبة الأفشين القائد العام لعسكر المعتصم الذي فتح له

البلاد، و أذّل له العباد، و من جملتهم بابك القهرمان الصلب، فانه لولا الأفشين لما قدر على بابك، لكن مع هذاكلّه نال الأفشين جزاءه من يد المعتصم كمثل ما ناله فضل بن سهل، و جعفر البرمكي، و أبوأيوب المورياتي، و أبو مسلم الخراساني من يد الخلفاء السابقين .

قال ابن الأثير: « و في هذه السنة (٢٢٥) غضب المعتصم على الأفشين و حبسه (الى أن قال) و كان قد أنفذ الى المعتصم يطلب أن ينفذ اليه من يثق به، و أنفذ اليه حمدون بن اسماعيل، فأخذ يعتذر عمّا قيل فيه، و قال: قل لأمير المؤمنين أنّما مثلي و مثلك كرجلٍ ربّي عجلاً حتى أسمنه و كبُر و كان له أصحاب يشتهون أن يأكلوا من لحمه، فعرضوا بذبحه، فلم يجيبهم، فاتفقوا جميعاً على أن قالوا: لمّ تربّي هذا الأسد. فانه اذا كبر رجع الى جنسه! فقال لهم: انما هو عجل، فقالوا: هذا أسدٌ، فسل من شئت. و تقدّموا الى جميع من يعرفونه، و قالوا لهم: ان سألكم عن العجل فقولوا له: إنه أسدٌ، فكلّمنا سأل انساناً قال: هو سبعٌ، فأمر بالعجل فذبح، و لكنني أنا ذلك العجل، كيف أقدر أن أكون أسداً؟ الله! الله! في أمري!! »

قال حمدون: فقمتم عنه، و بين يديه طبق فيه فاكهة قد أرسله المعتصم مع ابنه الواثق، و هو على حاله، فلم ألبث الا قليلاً حتى قيل انه يموت، أو قد مات، فحمل الى دار ايتاخ فمات بها، و أخرجوه، و صلبوه على باب العامة ليراه الناس، ثم ألقى و أحرق بالنار^١.

مصائب أحمد بن حنبل صاحب المسند

قال ابن الأثير: « وفيها (أي سنة ٢١٩) أحضر المعتصم أحمد بن حنبل (امام أهل السنة و صاحب المسند المشهور) و امتحنه بالقرآن ، فلم يجب الى القول بخلقه ، فأمر به فجلد جلدًا عظيمًا حتى غاب عقله ، و تقطع جلده ، و حُبس مقيدًا^١ . قال الدميري: « آتته (أي المأمون) طلب الإمام أحمد بن حنبل و جماعة فحمل إليه الإمام أحمد ، فلما كان ببعض الطريق توفي المأمون و عهد إلى أخيه المعتصم بالخلافة و أوصاه بأن يحمل الناس على القول بخلق القرآن ، و استمرّ الإمام أحمد محبوساً إلى أن بويع المعتصم ، فأحضر الإمام أحمد إلى بغداد و عقد له مجلساً للمناظرة و فيه عبدالرحمن بن إسحاق و القاضي أحمد بن أبي دؤاد و غيرهما فناظروه ثلاثة أيام ، و لم يزل معهم في جدال إلى اليوم الرابع ، فأمر بضربه بالسياط ، و لم يزل عن الصراط إلى أن أُغمي عليه ، و نخسه عجيف بالسيف ، و رمي عليه بارية ، و ديس عليه ، ثم حمل و صار إلى منزله .

و كانت مدة مكثه في السجن ثمانية و عشرين شهرا ، و لم يزل بعد ذلك يحضر الجمعة و الجماعات و يفتي و يحدث إلى أن مات المعتصم و ولي الواثق فأظهر ما أظهره المأمون و المعتصم من المحنة ، و قال للإمام أحمد : لا تجمعن إليك أحداً و لا تساكن في بلد أنا فيه ، فأقام الإمام أحمد مختفياً لا يخرج إلى صلاة و لا غيرها حتى مات الواثق . و ولي المتوكل فرفع المحنة و أمر بإحضار الإمام أحمد و إكرامه و إعزازه و أطلق له ما لا كثيرًا فلم يقبله و فرّقه على الفقراء و المساكين ، و

أجرى المتوكل على أهله و ولده في كل شهر أربعة آلاف درهم ، فلم يرض الإمام أحمد بذلك .

و ذكر العراقي في [مجمع الأخبار] وغيره : أنه نوظر في الأيام الثلاثة ، و أن المعتصم كان يخلو به و يقول له : ويحك يا أحمد ! أنا والله شفيق ، و إني لأشفق عليك مثل شفقتي على ابني هارون : يعني الواثق فأجبنى ، فوالله لئن أجبنتني لأطلقن غلّك بيدي و لأطأنّ عتبتك و لأركبنّ إليك بجندي .

فيقول : يا أمير المؤمنين أعطوني شيئاً من كتاب الله تعالى أو سنة رسول الله ﷺ ، فإذا أطال به المجلس ضجر و قام وردّ أحمد في الموضوع الذي كان فيه ، و تتردّد إليه رسل المعتصم يقولون : يا أحمد ! أمير المؤمنين يقول لك ما تقول في القرآن ؟ فيردّ عليهم كما ردّ أولاً ، فلما كان في اليوم الثالث طلب للمناظرة فأدخل على المعتصم و عنده محمد بن عبد الملك الزيات و القاضي أحمد بن أبي داؤد .

فقال المعتصم : كلّموه و ناظروه ، فلم يزلوا معه في جدال إلى أن قالوا : يا أمير المؤمنين اقتله و دمه في أعناقنا ، فرفع المعتصم يده و لطم بها وجه الإمام أحمد ، فخرّ مغشياً عليه فتمعّرت و جوه قواد خراسان و كان عمّ أحمد فيهم ، فخاف الخليفة منهم على نفسه فدعا بماء و رشّ على وجهه ، فلما أفاق من غشيته رفع رأسه إلى عمّه و قال : يا عمّ لعلّ هذا الماء الذي رشّ على وجهي غصب عليه صاحبه .

فقال المعتصم : ويحك أما ترون ما يتهجم به عليّ هذا ، و قرابتي من رسول الله ﷺ لا رفعتُ السوط عنه حتى يقول القرآن مخلوق ، ثم التفت إلى أحمد و أعاد عليه القول ، فردّ أحمد كالأول .

فلم يزل كذلك حتى ضجر ، و طال المجلس فعند ذلك قال : عليك لعنة الله ،



لقد كنت طمعتُ فيك قبل هذا ، خذوه اخلعوه اسحبوه ، فأخذ و سُحب ثم خُلع .
قال الإمام أحمد : وكان عندي شعرات من شعر النبي ﷺ قد صررتها في
كم قميصي ، فجاء بعض القوم إلى قميصي ليحرقه فقال له المعتصم : لا تحرقوه و
انزعوه عنه ، وإنما درىء عن القميص الحرق ببركة شعر النبي ﷺ .
ثم قال المعتصم للجلّادين : تقدّموا ، و نظر إلى الشياطين فقال لأحدهم : أدمه
و أوجع قطع الله يدك ، فتقدّم و ضربه سوطين ثم تنحى .
ثم قال لآخر أدمه و شدّ قطع الله يدك ، فتقدّم و ضربه سوطين ثم تنحى ، و لم
يزل يدعو رجلاً رجلاً فيضربه كل واحد سوطين و ينتحي .
ثم قام المعتصم و جاءهم و هم محدقون به و قال : يا أحمد ! تقتل نفسك
أجبنني حتى أطلق غلّك بيدي ، و جعل بعضهم يقول له : يا أحمد ! إمامك على رأسك
قائم فأجبه ، و عجيف ينخسه بسيفه و يقول : أتريد أن تغلب هؤلاء كلهم ؟ و
بعضهم يقول يا أمير المؤمنين اجعل دمه في عنقي .
فرجع المعتصم إلى الكرسي ثم قال للجلّاد : أدمه قطع الله يدك ، ثم جاء
المعتصم إليه ثانياً و قال : يا أحمد أجبنني ، فقال كالأول ، فرجع المعتصم و جلس
على الكرسي ثم قال للجلّاد : شد عليه قطع الله يدك . قال أحمد : فذهب عقلي فما
عقلت إلا و أنا في حجرة مطلق عني ، و كل ذلك و هو صائم لم يفطر .
ثم وجه المعتصم رجلاً ينظر الضرب و الجراحات و يعالجه فنظر إليه و قال :
والله لقد رأيت من الضرب ألف سوط ، فما رأيت أشدّ ضرباً من هذا ، ثم عالجه و
بقي أثر الضرب بيتناً في ظهره الى أن مات «^١ .

قتل كثير من العلماء

قال السيوطي : « بويغ له بالخلافة بعد المأمون في شهر رجب سنة (٢١٨) فسلك ما كان المأمون عليه و ختم به عمره من امتحان الناس بخلق القرآن ، فكتب الى البلاد بذلك ، و أمر المعلمين أن يعلموا الصبيان ذلك ، و قاسى الناس منه مشقة في ذلك ، و قتل عليه خلقاً من العلماء »^١.

شهادة الامام محمد الجواد عليه السلام

كما أنّ المأمون قتل الامام الرضا عليه السلام كذلك أخوه المعتصم قتل ابن الرضا الامام محمد الجواد عليه السلام بواسطة زوجته أم الفضل بنت المأمون فقتلته بالسم . صرح به من علماء الشيعة ابن شهر آشوب في المناقب (ج ٣ ص ٤٨٧) وجدنا السيد نعمة الله الجزائري رحمه الله في الأنوار النعمانية (ج ١ ص ٣٨٣) و من علماء العامة : ملا مبین الهندي في وسيلة النجاة (ص ٢٩٧) .

مقتل عبدالله بن الحسين

قال أبو الفرج : أنّ عبدالله بن الحسين بن عبدالله بن اسماعيل بن عبدالله بن جعفر بن أبي طالب امتنع من لبس السواد و خرقه لَمَّا طولب بلبسه ، فحبسه

(المعتصم) بسر من رأى حتى مات في حبسه ، رضوان الله عليه^١ .

موت أبي دُلف

قال المسعودي : « وفي سنة ست و عشرين و مائتين مات أبو دُلف القاسم بن عيسى العجليّ ، وكان سيد أهله و رئيس عشيرته ، من عجل و غيرها من ربيعة . و كان شاعراً مُجيداً و شجاعاً بطلاً ، مغتياً مصيباً ، و هو القائل :

يوماً تراني على طِمْرٍ ترهني الأَجْبُلُ الرواسي
و يوم لهو أحتُّ كاساً و خلف أذني قضيب آس

و ذكر أن أبا دُلف طعن فارساً ، فنذت الطعنة إلى أن وصل السنان إلى فارس آخر كان من خلفه فقتلها ، ففي ذلك يقول بكر بن النطاح من كلمة له :

قالوا و ينظم فارسين بطعنة يوم الهياج و لا نراه كليلا
لا تعجبوا فلو أنّ طول قناته ميل إذاً نظم الفوارس ميلا

و ذكر عيسى بن أبي دُلف أن أخاه دُلف - و به كان يكنى أبوه أبا دُلف - كان ينتقص علي بن أبي طالب عليه السلام ، و يضع منه و من شيعته ، و ينسبهم إلى الجهل ، و أنه قال يوماً ، و هو في مجلس أبيه و لم يكن أبوه حاضراً : إنهم يزعمون أن لا ينتقص عليّاً أحد إلا كان لغير رشدة ، و أنتم تعلمون غيرة الأمير ، يعني أباه ، و أنه لا يتهياً الطعن على أحد من حرمة ، و أنا أبغض عليّاً .

قال : فما كان بأوشك من أن خرج أبو دُلف ، فلما رأيناه قمنا له ، فقال : قد

سمعت ما قال دُلف ، و الحديث لا يكذب ، و الخبر الوارد في هذا المعنى لا يختلف ، هو والله لَزْنِيَّةٍ و حَيْضَةَ ، و ذلك أني كنت عليلاً فبعثت إليّ أختي جارية لها ، كنت بها معجباً ، فلم أتمالك أن وقعت عليها و كانت حائضاً فعلقت به ، فلما ظهر حملها وهبتها لي^١ .

موت المعتصم

حدّث السيوطيُّ : عن أحمد اليزيديّ قال : « لَمَّا فرغ المعتصم من بناء قصره بالميدان و جلس فيه دخل عليه النَّاس ، فعمل اسحاق الموصلي (المغنيّ) قصيدة فيه ما سمع أحد بمثلها في حسنها الا أنّه افتتحها بقوله :

يا دارُ غَيْرِكَ البلى و محاكٍ يا ليت شعري ما الذي دهاك

فتطيّر المعتصم ، و تطيّر الناس ، و تغامزوا و تعجّبوا كيف ذهب هذا على اسحاق مع فهمه و علمه و طول خدمته للملوك . و خرب المعتصم القصر بعد ذلك^٢ .

و قال : « مات المعتصم يوم الخميس لإحدى عشرة ليلة بقيت من ربيع الأول سنة (٢٢٧) و يقال : انه قال في مرض موته : ﴿ حتى اذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتةً فاذا هم مبلسون ﴾^٣ .

١ - مروج الذهب ج ٣ ص ٤٧٤ - ٤٧٥ .

٢ - تاريخ الخلفاء ص ٢٥٧ .

٣ - الأنعام ٦ : ٤٤ .

و لما احتضر جعل يقول : ذهبت الحيلة فليست حيلة .
و قيل جعل يقول : أُوخذ من بين هذا الخلق «^١ .



﴿ الواثق بالله هارون بن المعتصم ﴾

و هو أبو جعفر هارون بن المعتصم بن هارون الرشيد الملقب بالواثق بالله .
قال السيوطي : « ولي الخلافة بعهد من أبيه (المعتصم) في تاسع عشر
ربيع الأول سنة (٢٢٧) و في سنة (٢٢٨) استخلف على السلطنة أشناس التركي و
ألْبسه وُشاحين^٢ مجوهرين ، و تاجاً مجوهراً ، و أظن أنه أوّل خليفة استخلف
سلطاناً ، فإنّ الترك انما كثروا في أيام أبيه (المعتصم)^٣ .

قتل أحمد الخزاعي

قال الحافظ السيوطي : و في هذه السنة (أي ٢٢٨) قتل أحمد بن نصر
الخزاعي ، و كان من أهل الحديث قائماً بالأمر بالمعروف و التّهي عن المنكر ،

١ - تاريخ الخلفاء ص ٢٥٧ .

٢ - الوُشاح : بضم الواو : قلادة من نسيج عريض يرصع بالجوهر تشدّها المرأة بين عاتقها وكشحتها .

٣ - تاريخ الخلفاء ص ٢٦٠ .

أحضره من بغداد الى سامراء ومقيّداً وسأله عن القرآن؟ فقال: ليس بمخلوق؟ وعن الرؤية في القيامة؟ فقال: كذا جاءت الرواية وروى له الحديث .
فقال الواثق له: تكذب، فقال للواثق: بل تكذب أنت، فقال: ويحك يُرى كما يُرى المحدود والمتجسم ويحويه المكان ويحصره الناظر؟ انما كفرت بربّ وصفته ثم قال للفقهاء: ماتقولون فيه؟

فقال جماعة من فقهاء المعتزلة الذين حوله: هو حلال الضرب .
فدعا بالسيف فقال: إذا قمت عليه فلا يقوم أحدٌ معي، فأتى احتسب خُطاي الى هذا الكافر الذي يعبد ربّاً لا عبده ولا نعرفه بالصفة التي وصفه بها .
ثم أمر بالنطع فأجلس عليه وهو مقيّد فمشى اليه فضرب عنقه وأمر بحمل رأسه الى بغداد، فصلب بها، و صلبت جثته في سر من رأى واستقرّ ذلك ست سنين الى أن ولي المتوكل فأنزله ودفنه .

ولمّا صُلب كتب ورقة وعلقت في أذنه، فيها: هذا رأس أحمد بن نصر بن مالك دعاه عبدالله الامام هارون الى القول بخلق القرآن ونفي التشبيه فأبى الا المعاندة فعجله الله الى ناره . و وكلّ بالرأس من يحفظه و يصرفه عن القبلة برُوح «^١ .
حكى الدميري عن الحافظ أبي نعيم في حليته، قال :

نهاية مصيبة خلق القرآن

« قال الحافظ أبو بكر الآجريُّ : بلغني عن المهتدي أنه قال : ما قطع أبي يعني

الواثق ، إلا شيخٌ جيء به من المصيصة ، فمكث في السجن مدةً ، ثم إنَّ أبي ذكره يوماً فقال : عليّ بالشيخ ، فأُتي به مقيداً . فلَمَّا وقف بين يديه سلّم عليه ، فلم يردّ عليه السلام ، فقال له الشيخ : يا أمير المؤمنين ! ما استعملت معي أدب الله عزّ و جل ، ولا أدب رسول الله ﷺ ، قال الله تعالى ﴿ و إذا حийتم بنحية فتحياوا بأحسن منها أو ردوها ﴾^١ و أمر النبي ﷺ برّد السلام .

فقال له أبي : و عليك السلام ! ثم قال لابن أبي داؤد : سله ، فقال الشيخ : يا أمير المؤمنين ! أنا محبوسٌ مقيدٌ أصلي في الحبس ، و أتيتم للصلاة فمر لي بحلّ القيد و بالوضوء .

فأمر بحلّه و أمر بماء فتوضأ و صلى . ثم قال الواثق لابن أبي داؤد : سله .

فقال الشيخ : المسألة لي فمره أن يجيبني .

فقال : سل ، فأقبل الشيخ على ابن أبي داؤد : فقال أخبرني عن هذا الأمر الذي

تدعو الناس اليه (أي خلق القرآن) أشيء دعا إليه رسول الله ﷺ ؟

قال : لا .

قال : فشيءٌ دعا إليه أبو بكر بعده ؟

قال : لا .

قال : فشيءٌ دعا إليه عمر بن الخطاب بعدهما ؟

قال : لا .

قال : فشيءٌ دعا إليه عثمان بن عفان بعدهم ؟

قال : لا .

قال : فشيءٌ دعا إليه علي ابن أبي طالب بعدهم ؟

قال : لا .

قال الشيخ : فشيء لم يدع إليه رسول الله ﷺ ، ولا أبو بكر ، ولا عمر ، ولا عثمان ، ولا عليؑ ، و تدعو أنت الناس إليه ، ليس يخلو من أن تقول : علموه أو جهلوه ، فإن قلت علموه و سكتوا عنه ، و سعني و إياك من السكوت ما وسع القوم .

و إن قلت : جهلوه و علمته أنت ، فيالكع ابن لكع ! يجهل النبي ﷺ و

الخلفاء الراشدون رضی الله تعالى عنهم شيئاً و تعلمه أنت و أصحابك ؟

قال المهتدي : فرأيت أبي و ثب قائماً و دخل الحجرة و جعل ثوبه في فيه و هو يضحك ، ثم جعل يقول : صدق ليس يخلو من أن يقول : علموه ، أو جهلوه ، فإن قلنا علموه و سكتوا عنه و سعنا من السكوت ما وسع القوم ، و إن قلنا : جهلوه ، و علمته أنت فيالكع ابن لكع يجهل النبي ﷺ شيئاً و أصحابه و تعلمه أنت و أصحابك ؟

ثم قال : يا أحمد ، فقلت : لبيك ، قال : لست أعنيك إنما أعني ابن أبي داؤد ، فوثب إليه فقال : أعط هذا الشيخ نفقةً و أخرجه عن بلدنا .^١

و هكذا تخلص الناس من مصيبة خلق القرآن ، و الأكانت جارية الى هذا الزمان .

الوائق والغناء

قال الحافظ السيوطي: «كان الواثق أعلم الناس بكل شيء، وكان شاعراً، و كان أعلم الخلفاء بالغناء، وله أصوات و ألحان عملها نحو مائة صوت، وكان حاذقاً بضرب الأعود»^١.

الوائق و حبّه الغلمان

قال الحافظ السيوطي: «و كان (الواثق) يحبّ خادماً أهدي له من مصر، فأغضبه الواثق يوماً، ثم أنه سمعه يقول لبعض الخدم: والله أنه ليروم أن أكلّمه بالأمس فما أفعل، فقال الواثق:

يا ذا الذي بعذابي ظلّ مفتخراً
لولا الهوى لتجارينا على قدرٍ
و من شعر الواثق في خادمه:

مُهَجِّجٌ يملك المُهَجِّجِ^٣
بَسْجِي اللَّحْظِ وَ الدَّعْجِ^٤

١ - تاريخ الخلفاء ص ٢٦١.

٢ - المصدر.

٣ - مُهَجِّجٌ: الأول: اسم غلام الواثق، والثاني جمع مُهَجِّجَةٍ: الزوج والنفس.

٤ - سَجِيٌّ: السكون والصحيح سَجُوٌّ و سَجُوَاءٌ، و منه امرأةٌ سَجَوَاءُ الطرف، دَعْجٌ: محرّكة: سواد العين مع سعتها.

حسن القَدِّ مَخْطِفٌ

ذو دلالٍ ذُو غَنَجٍ^١

ليس لـللعين ان بدا

عنه باللحظ منعرَجٍ^٢

اخذ المال قهراً

قال ابن الأثير: «في هذه السنة (٢٢٩) حبس الواثق الكُتَّابُ و أَلزَمَهُمُ أموالاً عظيمة ، و أخذ من أحمد بن اسرائيل ثمانين ألف دينار بعد أن ضربه ، و من سليمان بن وهب كاتب ايتاخ أربع مائة ألف دينار ، و من الحسن بن وهب أربعة عشر ألف دينار ، و من ابراهيم بن رياح و كتابه مائة ألف دينار ، و من أحمد بن الخصب و كتابه ألف ألف دينار ، و من نجاح ستين ألف دينار ، و من أبي الوزير مائة ألف و أربعين ألف دينار»^٣.

و لم يذكر ابن الأثير أنه أخذ منهم هذه الأموال الهائلة بعد المحاجة أو اقامة البينة عليهم .

موت الواثق

قال الـذميرِيُّ: «كان الواثق مؤثراً لكثرة الجماع ، فقال لطبيبه : اصنع لي دواء

١ - غَنَجٌ : دلال ، و الصحيح غُنْجٌ أو غُنْجٌ .

٢ - تاريخ الخلفاء ص ٢٦١ .

٣ - الكامل لابن الأثير ج ٧ ص ١٠ .

للباه ، فقال له الطبيب : يا أمير المؤمنين لا تهدم بدنك بالجماع و اتق الله فى نفسك .
فقال : لا بد من ذلك ، فأمره الطبيب أن يأخذ لحم سبع فيغلى عليه سبع غليات
بخلّ خمر ، و يتناول منه إذا شرب وزن ثلاثة دراهم و لا يجاوز هذا القدر ، فأمر
بذبح سبع ، فذبح و طبخ له من لحمه و صار يتنقل منه على شرابه فلم يكن إلا قليلاً
حتى استسقى ، فأجمع رأي الأطباء على أن لا دواء له إلا أن يبزل بطنه ، ثم يترك فى
تنور قد سجر بحطب زيتون حتى يصير جماً ثم يجلس فيه ، ففعل ذلك و منع الماء
ثلاث ساعات ، فجعل يستغيث و يطلب الماء فلم يسقوه ، فصار فى جسده نفاطات
مثل البطيخ ، ثم أخرجه فجعل يقول : ردوني فى التنور و إلامت ، فردوه فسكن
صياحه ، ثم انفجرت النفاطات و قطر منها ماء ، فأخرج من التنور و قد اسودّ جسده
و مات بعد ساعة ، و لما احتضر جعل يقول :

الموت فيه جميع الناس تشترك لا سوقة منهم يبقى و لا ملك
ما ضر أهل قليل فى مقابرهم و ليس يغني عن الملاك ما ملكوا
ثم أمر بالبسط فطويت و لما مات سجي بثوب ، و اشتغل الناس بالبيعة
للمتوكل ، فجاء حرذون^١ من البستان فاستلّ عينيه و ذهب بهما ، و لم يعلموا به حتى
غسلوه و هذا من أغرب ما سمع .

و حكى أن ذلك له سبب^٢ ، و هو أنّ الواثق^٢ قال : كنت أمرّض الواثق إذ لحقته
غشية فما شككت أنه قد مات ، فقال بعضنا لبعض : تقدّموا ، فما جسر أحد منا ،
فتقدّمت أنا فلما أردت أن أضع إصبعي على أنفه فتح عينيه فكادت أن أموت فرعاً ،

١ - دويبة شبه الوزغ .

٢ - هكذا فى المصدر ، و الظاهر هنا تصحيف و الصحيح محمد بن الواثق .

و تأخرت إلى خلفي فتعلقت قبعة السيف بالعتبة و عثرت فاندق السيف فكاد أن يدخل في لحمي ، فخرجت و طلبت سيفاً غيره ثم رجعت فوقفت عنده فوجدته مات بلا شك ، فشددت لحية و غمضته و سجيته و أخذ الفراشون تلك الفرش الثمينة ليردوها إلى الخزانة و ترك وحده في البيت ، فقال لي أحمد بن أبي داؤد القاضي ، إنا نشتغل بعقد البيعة فاحفظه حتى يدفن ، فرجعت و جلست عند الباب فسمعت بعد ساعة حركة أفرعتني ، فدخلت فإذا بحرذون قد جاء فاستل عينيه فأكلهما فقلت : لا إله إلا الله هذه العين ! التي فتحها من ساعة فعثرت و اندق سيفي هيبة لها .

توفي الواثق (بسر من رأى) في رجب سنة (٢٣٢) و هو ابن ست و ثلاثين سنة و أشهر ، و كانت خلافته خمس سنين و تسعة أشهر^١ .

﴿ ١٠ ﴾

﴿ المتوكل على الله بن المعتصم ﴾

و هو أبو الفضل جعفر بن المعتصم بن هارون الرشيد ، المتوكل على الله . قال ابن الأثير : « و سبب خلافته أنه لما مات الواثق حضر الدار أحمد بن أبي داؤد ، و ايتاخ و وصيف و ابن الزيات (و غيرهم من الأتراك) و عزموا على البيعة لمحمد بن الواثق ، و هو غلامٌ أمرد ، قصيرٌ ، فألبسوه دراعةً سوداء و قلنسوة ،

فاذا هو قصير ، فقال وصيف : أما تتقون الله ؟ تولّون هذا الخلافة ! فتناظروا فيمن تولّونه . فذكروا عدّةً ، ثم أحضر المتوكل ، فلما حضر ألبسه أحمد بن أبي داؤد الطويلة ، وعممه و قتل بين عينيه ، وقال : السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته «^١ .

مجازاة الاحسان

قد علمت أنّ الذي جعل المتوكل خليفةً للمسلمين ، و سلّم عليه بإمرة المؤمنين ، هو أحمد بن أبي داؤد القاضي المشهور ، فاقراً الآن ما صارت عاقبته . قال ابن الأثير : « وفيها (أي في سنة ٢٣٧) غضب المتوكل على أحمد بن أبي داؤد . و قبض ضياعه و أملاكه و حبس ابنه أبا الوليد ، و سائر أولاده ، فحمل أبو الوليد مائة ألف و عشرين ألف دينار ، و جواهر قيمتها عشرون ألف دينار ، ثم صولح بعد ذلك على ستة عشر ألف ألف درهم ، و أشهد عليهم جميعاً ببيع أملاكهم . و كان أبوهم أحمد بن أبي داؤد قد فلج^٢ و أحضر المتوكل يحيى بن أكثم^٣ من بغداد الى سامرا ، و رضي عنه ، و ولاه قضاء القضاة ، ثم ولاه المظالم ، فولّى يحيى بن أكثم قضاء الشرقية حيان بن بشير ، و ولّى سوار بن عبدالله العنبري قضاء الجانب الغربي و كلاهما أعور ، فقال الجمتاز :

١ - الكامل لابن الأثير ج ٧ ص ٣٣ - ٣٤ .

٢ - بعلّة فلج من أجل هذه الصدمة التي أوردتها المتوكل عليه .

٣ - قد مضى شطرٌ من سيرته الخلاعية في أحوال المأمون الرشيد .

رأيت من الكبائر قاضيين
هما اقتسما العمى نصفين قدراً
هما فآل الزمان بهلك يحيى
كما اقتسما قضاء الجانين
هما أهدوثة في الخافقين
إذا افتتح القضاء بأعورين^١

نبذة من سيرة المتوكل

قال الحافظ السيوطي: «انه أظهر الميل الى السنة و نصر أهلها و رفع المحنة في خلق القرآن و كتب بذلك الى الآفاق و استقدم المحدثين الى سامرا و أجزل عطاياهم و أكرمهم و أمرهم بأن يحدثوا بأحاديث الصفات و الرؤية ، فاجتمع اليه نحو من ثلاثين ألف نفس ، و توقر دعاء الخلق له و بالغوا في الثناء عليه ، حتى قال قائلهم : الخلفاء ثلاثة : أبو بكر الصديق في قتل أهل الردة ، و عمر بن عبدالعزيز في ردّ المظالم ، و المتوكل في احياء السنة و اماتة التجهم .

و كان معروفاً بالنصب^٢ فتألم المسلمون من ذلك و كتب أهل بغداد شتمه على الحيطان و المساجد ، و كان منهمكاً في اللذات و الشراب^٣ .

و قال المسعودي « لم يكن أحد ممن سلف من خلفاء بني العباس ظهر في مجلسه اللعب و المضاحك و الهزل مما قد استفاض في الناس تركه ، الا المتوكل »^٤ .

١ - الكامل لابن الأثير ج ٧ ص ٦٠ .

٢ - أي عداوة أهل بيت النبي ﷺ .

٣ - تاريخ الخلفاء ص ٢٦٤ الى ٢٦٦ .

٤ - مروج الذهب ج ٤ ص ٤ .

نهمه للطعام

قال المسعودي: « المتوكل يشتهي قدرًا طبخها ملاحون: و حكى عن الفتح بن خاقان قال: كنت عند المتوكل و قد عزم على الصَّبُوح بالجعفري ، و قد وجّه خلف الندماء و المغنّين ، قال: فجعلنا نطوف و هو متكئ عليّ و أنا أحادثه ، حتى وصلنا إلى موضع يُشرف منه على الخليج ، فدعا بكرسي فقعد عليه ، و أقبل يحادثني ، إذ بصر بسفينة مشدودة بالقرب من شاطئ الخليج ، و ملاح بين يديه قدر كبيرة يطبخ فيها سكباج من لحم بقر و قد فاحت روائحها .

فقال: يا فتح! رائحة قدر سكباج والله ، ويحك ، أما ترى ما أطيب رائحتها؟ عليّ بها على حالها ، فبادر الفراشون فانزعوها من بين يدي الملاحين ، فلمّا عاين الملاحون أصحاب السفينة ما فعل بهم ذهب نفوسهم فرقًا و خوفًا .

و جاءوا المتوكل بالقدر تفور كهيئتها ، فوضعت بين أيدينا ، فاستطاب ريحها و استحسّن لونها ، و دعا برغيف فكسر منه كسرة و دفعها إليّ ، و أخذ هو منه مثلها ، و أكل كل واحد منا ثلاث لُقْم ، و أقبل الندماء و المغنّون ، فجعل يلقم كل واحد منهم لقمة من القدر ، و أقبل الطعام و وضعت الموائد ، فلمّا فرغ من أكله أمر بتلك القدر ففرغت و غسلت بين يديه و أمر أن تملأ دراهم ، فجيء ببُدرة ففرغت فيها ، ففضل من الدراهم مقدار ألفي درهم ، فقال لخدامٍ كان بين يديه : خذ هذه القدر فامض بها حتى تدفعها لأصحاب السفينة ، و قل لهم: هذا ثمن ما أكلنا من قدركم ، و ادفع إليّ من طبخها ما فضل من هذه البُدرة من الدراهم هِبَةً له على تجويده طبخها ، قال الفتح: فكان المتوكل كثيرًا ما يقول إذا ذكر قدر الملاح: ما أكلت أحسن من سكباج

أصحاب السفينة في ذلك اليوم»^١.

(أقول) صدق المتوكل ، لأن القدر التي قيمتها ألفا درهم من بيت مال المسلمين و يساوي في زماننا هذا مائتي ألف درهم ، لم يأكل الخليفة طبعاً أحسن منها طعاماً ولا أطيب منه لذةً .

شرب الخمر

قد علمت من كلام الحافظ السيوطي أن المتوكل كان منهمكاً في اللذات و الشراب ، و قد ذكر له هذه الصفة غير واحد من المؤرخين ، منهم : ابن الأثير في الكامل (ج ٧ ص ٩٨) و المسعودي في مروج الذهب (ج ٤ ص ٣٨) و الطبري في تاريخ الرسل و الملوك (ج ٩ ص ٢٢٥) و الدميري في حياة الحيوان (ج ١ ص ١١٩) .

و انه لم يكتف بشرب الخمر وحده ، بل كان من غاية و قاحته و جرأته على الله و رسوله ﷺ ، أنه ربما كان يدعو أولياء الله الأبرار أيضاً الى شربه ، كما فعل بالامام علي الهادي عليه السلام ، و ستأتي قصته ان شاء الله المستعان عند ذكره عليه السلام .

انهماكه الجاري في شهوات الجواري

قال الحافظ السيوطي : « ان المتوكل كان له أربعة آلاف سُرِّيَّةٍ وطأ الجميع ،

وكان المتوكل مشغولاً بـ (قبيحة) أم ولده المعتز لا يصبر عنها ، فوقفت له يوماً و قد كتبت على خديها بالغالية (جعفر) فتأملها و أنشأ يقول :

وكاتبته بالمسك في الخد جعفرأ بنفسي محط المسك من حيث أثرا
لئن أودعت سطرأ من المسك خدها لقد أودعت قلبي من الحب أسطرا^١

« محبوبة » جارية أخرى للمتوكل

قال المسعودي : « ذكر علي بن الجهم قال : لما أفضت الخلافة الى أمير المؤمنين جعفر المتوكل على الله أهدى اليه الناس على أقدارهم ، وأهدى اليه ابن طاهر هدية فيها مائتا وصيفة و وصيف ، و في الهدية جارية يقال لها (محبوبة) كانت لرجلٍ من أهل الطائف قد أدبها و ثقفها و علمها من صنوف العلم ، وكانت تقول الشعر و تلحنه ، و تغني به على العود ، وكانت تحسن كل ما يحسنه علماء الناس ، فحسُن موقعها من المتوكل ، و حلّت من قلبه محلاً جليلاً لم يكن أحد يعدلها عنده .

قال علي : فدخلت عليه يوماً للمنادمة ، فلما استقرّ بي المجلس قام فدخل بعض المقاصير ، ثم خرج و هو يضحك ، فقال لي : ويلك يا علي ! دخلت فرأيتُ قينةً قد كتبت في خدها بالمسك جعفرأ فما رأيت أحسن منه ، فقل فيه شيئاً ، فقلت : يا سيدي ، وحدي أو أنا و محبوبة ؟

قال : لا ، بل أنت و محبوبة .

قال : فدعت بدواة و قرطاس ، فسبقتني الى القول ، ثم أخذت العود فترّمت
ثم خفقت عليه حتى صاغت له لحناً و تضاحكت منه ملياً ، ثم قالت : يا
أمير المؤمنين ، تأذن لي ؟ فأذن لها ، فغنت :

وكاتبة في الخدّ بالمسك جعفرًا بنفسي محطّ المسك من حيث أُنثرا
لئن أودعت خطأً من المسك خدها لقد أودعت قلبي من الوجد أسطرا
فيا من لمملوك يظلّ مليكُه مُطيعاً له فيما أسرّ و أجهرها
و يا من لعيني مَنْ رأى مثل جعفر سقى الله صوب المستهلات جعفرًا
قال علي : و دخلت عليه أيضاً لأنادمه ، فقال لي : ويلك يا علي ، علمت أنني
غاضبت محبوبه ، و أمرتها بلزوم مقصورتها ، و نهيت الحشم عن الدخول إليها ، و
أنفت من كلامها ؟

فقلت : يا سيدي ، إن كنت غاضبتها اليوم فتصالحها غداً ، و يديم الله سرور
أمير المؤمنين ، و يمدّ في عمره .

قال : فأطرق ملياً ، ثم قال للندماء : انصرفوا ، و أمر برفع الشراب ، فرفع ، فلما
كان من غد دخلت اليه فقال : ويلك يا علي ، إني رأيت البارحة في النوم أنني قد
صالحتها ، فقالت جارية يقال لها شاطر كانت تقف أمامه : والله لقد سمعت الساعة
في مقصورتها هينمة لا أدري ما هي ، فقال لي : قم و يلك حتى ننظر ما هي ، فقام
حافياً و قمت أتبعه حتى قربنا من مقصورتها ، فاذا هي تخفق عوداً و تترنم بشيء
كأنها تصوغ لحناً ، ثم رفعت عقيرتها و تغنت :

أدور في القصر لا أرى أحداً أشكو اليه و لا يكلمني
حتى كأنني أتيتُ معصية ليس لها توبة تخلصني
فمَنْ شفيعٌ لنا الى ملك قد زارني في الكرى و صالحني



حتى إذا ما الصباح عاد لنا عاد الى هجره و صارمني
قال : فصفق المتوكل طرباً فصفقت معه ، فدخل اليها فلم تزل تقبّل رجل
المتوكل و تمرغ خديها على التراب حتى أخذ بيدها ، و رجعنا و هي ثالثتنا^١ .

الظلم و الاعتساف

حلق لحية القاضي أبي بكر

قال السيوطي : « و في سنة سبع و ثلاثين و مائتين بعث الى نائبه في مصر أن
يخلق لحية قاضي القضاة بمصر أبي بكر محمد بن أبي الليث ، و أن يضربه و
يطوف به على حمار ، ففعل و نعم ما فعل فانه كان من رؤس الجهمية ، و ولي القضاء
بدله الحارث بن مسكين من أصحاب مالك بعد تمنع . و أهان القاضي المعزول
بضربه كل يوم عشرين سوطاً^٢ .

سخط المتوكل على كاتبه الرخجي

قال المسعودي : « و في سنة ثلاث و ثلاثين و مائتين ، سخط المتوكل على
عمر بن الفرج الرخجي ، و كان من عليّة الكتّاب ، و أخذ منه مالاً و جوهرأ نحو مائة

١ - مروج الذهب ج ٤ ص ٤٢ - ٤٣ .

٢ - تاريخ الخلفاء ص ٢٥٦ .

ألف و عشرين ألف دينار ، و أخذ من أخيه نحواً من مائة ألف و خمسين ألف دينار ، ثم صولح محمد على أحد و عشرين ألف ألف درهم على أن يرد إليه ضياعه .

ثم غضب عليه غضبة ثانية و أمر أن يُصَفَّعَ في كل يوم . فأحصي ما صفع فكان ستة آلاف صفقة^١ .

التعذيب بالماء البارد و التنوير المسجّر

قال الّدّميريُّ : « قال المتوكل ركبت الى دار الواثق في مرضه الذي مات فيه لأعوده فجلست في الدهليز أنتظر الإذن فبينما أنا جالس إذ سمعت النياحة عليه ، و إذا إيداخ و محمد بن عبد الملك الزيات يأتمران في أمري ، فقال محمد : نقتله في التنوير . و قال إيداخ : بل ندعه في الماء البارد حتى يموت و لا يرى عليه أثر القتل ، فبينما هما على ذلك إذ جاء أحمد بن أبي داود القاضي فدخل و حدّثهما كلاماً لا أعقله لما داخلني من الخوف و شغل القلب بإعمال الحيلة في الهرب ، فبينما أنا كذلك و إذا بالغلّمان يتعادون و يقولون انهض يا مولانا ، فلم أشك أنّي داخل لأبائع ولد الواثق ثم ينفذ فيّ ما قدر ، فلما دخلت بايعوني ، فسألت عن الحال ، فأعلمت أنّ ابن أبي داود كان سبب ذلك .

ثم إنّ المتوكل قتل إيداخ بالماء البارد و ابن الزيات في التنوير . قال : و هذا من أغرب الاتفاق و عجيب الظفر .

و من العجب أيضاً أن محمد بن عبدالمك الملك الزيّات هو الذي صنع التنور ليعذب فيه الناس فعذبه الله فيه ، وكان التنور من حديد داخله مسامير غير مثنية ، و كان يسجر بحطب الزيتون حتى يصير كالجمر ثم يدخل الإنسان فيه ، نسأل الله العافية في الدنيا والآخرة»^١ .

استشهاد ابن السكّيت بطرز فجيع

قال الحافظ السيوطي : « و في سنة أربع و أربعين و مائتين قتل المتوكل يعقوب بن السكّيت امام العربيّة . فانه ندبه الى تعليم أولاده . فنظر المتوكل يوماً الى ولديه المعتزّ و المؤيد ، فقال لابن السكّيت : من أحبّ اليك ، هما أو الحسن و الحسين ؟

فقال : قنبر ، يعني مولى علي عليه السلام خير منهما ، فأمر الأتراك فداسوا بطنه حتى مات .

و قيل أمر بسّل لسانه ، فمات »^٢ .

قال خاتمة المحدّثين الشيخ عباس القمي عليه السلام في ترجمة ابن السكّيت ما لفظه :

«ابن السكّيت : بكسر السين و تشديد الكاف : أبو يوسف يعقوب بن

١ - حياة الحيوان ج ١ ص ١١٩ .

٢ - تاريخ الخلفاء ص ٢٦٦ .

اسحاق الدّورقي^١ الأهوازي الامامي النحوي اللغوي الأديب ، ذكره كثير من المؤرخين و أثنوا عليه ، وكان ثقةً جليلاً من عظماء الشيعة و يُعدّ من خواص الامامين التقيين عليهم السلام .

وكان حامل لواء علم العربية والأدب و الشعر و اللغة و النحو ، و له تصانيف كثيرة مفيدة منها : تهذيب الألفاظ ، و كتاب اصلاح المنطق .

قال ابن خلكان : قال بعض العلماء ما عبر على جسر بغداد كتاب من اللغة مثل اصلاح المنطق ، و لاشك أنه من الكتب النافعة الممتعة الجامعة لكثير من اللغة ، و لا نعرف في حجمه مثله في بابيه ، و قد عنى به جماعة و اختصره الوزير المغربي ، و هذبه الخطيب التبريزي .

قال ابو العباس المبرد : ما رأيت للبغداديين كتاباً أحسن من كتاب ابن السكّيت في المنطق .

و قال ثعلب : أجمع أصحابنا أنه لم يكن بعد ابن الاعرابي أعلم باللغة من ابن السكّيت .

وكان المتوكل قد ألزمه تأديب ولده المعتز بالله (انتهى) .

قتله المتوكل في الخامس من رجب سنة ٢٤٤ (رمد) و سببه أن المتوكل قال له يوماً : أيّما أحب اليك ابناي هذان أي المعتز و المؤيد أم الحسن و الحسين ؟ فقال ابن السكّيت : والله إنّ قنبراً خادم علي بن أبي طالب عليه السلام خير منك و من ابنك .

فقال المتوكل للأتراك سلّوا لسانه من قفاه ، ففعلوا فمات .

وقيل بل أثنى على الحسن و الحسين عليهما السلام و لم يذكر ابنه فأمر المتوكل الأتراك فداسوا بطنه فحمل الى داره فمات بعد غد ذلك .

و من الغريب أنه وقع فيما حدّره نفسه من عشرات اللسان بقوله قبل ذلك

بيسير :

يصاب الفتى من عشرة بلسانه

وليس يصاب المرء من عشرة الرجل

فعرثته فى القول تذهب رأسه

و عثرته فى الرجل تبرأ عن مهل

(أقول) نقل عن المجلسي الأول رحمته الله أنه قال : اعلم أنّ أمثال هؤلاء الأعلام

كانوا يعلمون وجوب التقية ، ولكنهم يصيرون غاضبين لله تعالى بحيث لا يبقى لهم الاختيار عند سماع هذه الأباطيل ، كما هو الظاهر لمن كان له قوة في الدين .

(قلت) و قريبٌ من ذلك ما جرى بين أبي بكر بن عياش و موسى بن عيسى

العباسي الذي أمر بكر بن الحسين عليهما السلام في قصة طويلة ليس الآن مقام نقلها .

حكى صاحب الزروضات عن الشهيد الثاني رحمته الله أنه كتب في بعض تصانيفه

أنّ من اللقاءات الجائزة المستحسنة للأنفس الى الهلكة ، فعل من يعرض نفسه

للقتل فى سبيل الله اذا رأى أنّ فى قتله عزة للاسلام ، ولكن الصبر و التقية أحسن

كما ورد فى قصة عمار و والديه و ختاب ، و بلال فى تفسير قوله تعالى : ﴿ إلا من

أكره و قلبه مطمئن بالايمان ﴾ .^١

و روى صاحب المحاسن عن ابن مسكان قال : قال لي ابو عبدالله عليه السلام اتى

لأحسبك اذا شتم علي عليه السلام بين يديك لو تستطيع أن تركل أنف شاتمه لفعلت فقلت
إي والله ، جعلت فداك ، إني لهكذا و أهل بيتي .

فقال لي : فلا تفعل ! فوالله لربما سمعت من يشتم علياً عليه السلام و ما بيني و بينه
إلا اسطوانة فأستتر بها ، فاذا فرغت من صلاتي فأمرّ به فأسلم عليه و أضافه .

و تقدّم في أبو القاسم الروحي ما يتعلق بذلك .

ولكن لا يخفى عليك أنّ هذا في مقام التقية ، ولو لم يكن محل التقية يجب
الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر و ترك المداهنة ، فقد قال امير المؤمنين عليه السلام ان
الله تعالى ذكره لم يرض من أوليائه أن يعصى في الأرض و هم سكوت مذعنون لا
يأمرون بمعروف و لا ينهون عن منكر .

و روى الشيخ الكليني عن أبي جعفر عليه السلام قال أوحى الله تعالى الى شعيب
النبي عليه السلام أني معذب من قومك مائة ألف ، أربعين ألفاً من شرارهم و ستين ألفاً من
خيارهم ، فقال يا رب ! هؤلاء الأشرار ، فما بال الأخيار ؟ فأوحى الله عزوجل اليه
داهنوا أهل المعاصي و لم يغضبوا لغضبي .

و روى شيخ الطائفة عن أبي عبدالله عليه السلام : أنّ الله تعالى أهبط ملكين الى قرية
ليهلكهم ، فاذاهما برجل تحت الليل قائم يتضرع الى الله تعالى و يتعبد ، قال : فقال
أحد الملكين للآخر : آتي أعاود ربّي في هذا الرجل ، و قال الآخر : بل تمضي لما
أمرت و لا تعاود ربّي فيما أمر به . قال : فعاود الآخر ربّه في ذلك ، فأوحى الله الى
الذي لم يعاود ربّه أن أهلكه معهم ، فقد حلّ به معهم سخطي ، إنّ هذا لم يتمرّ وجهه
قطّ غضباً لي ، و الملك الذي عاود ربه فيما أمر سخط الله عليه ، فأهبطه في جزيرة

فهو الى الساعة فيها ساخط عليه ربه»^١.

جور المتوكل على مشهد الحسين عليه السلام

قال الحافظ السيوطي: « في سنة ست و ثلاثين و مائتين أمر المتوكل بهدم قبر الحسين عليه السلام و هدم ما حوله من الدور ، و أن يعمل مزارع ، و منع الناس من زيارته ، و حُزب و بقي صحراء ، و كان المتوكل معروفاً بالنصب ، فتألم المسلمون من ذلك ، و كتب أهل بغداد شتمه على الحيطان و المساجد ، و هجاه الشعراء ، فمما قيل في ذلك :

بالله ان كانت أمية قد أتت قتل ابن بنت نبيها مظلوما
فلقد أتاه بنو أبيه بمثله هذا لعمرى قبره مهدوما
أسفوا على أن لا يكونوا شاركوا في قتله فتتبعوه رميما^٢

و قال ابن الأثير: « و في هذه السنة (٢٣٦) أمر المتوكل بهدم قبر الحسين عليه السلام و أن يبذر و يسقى موضع قبره ، و أن يمنع الناس من اتيانه ، فنادى عامل صاحب الشرطة بالناس في تلك الناحية : من وجدناه عند قبره بعد ثلاثة أيام ، حبسناه في المطبق ، فهرب الناس ، و تركوا زيارته ، و حرث و زرع»^٣.

هذا ما ذكره المؤرخون من العاقبة ، أمّا ما ذكره المحققون من الامامية ، فهو

١ - الكنى و الألقاب ج ١ ص ٣٠٩ .

٢ - تاريخ الخلفاء ص ٢٦٥ .

٣ - الكامل لابن الأثير ج ٧ ص ٥٥ .

أَنَّ المتوكِّل هدم القبة الحسينية أربع مرَّات في سنة (٢٣٣) و (٢٣٦) و (٢٣٧) و (٢٤٧) لكنَّ عمَّال المتوكِّل لم يقدرُوا على حَرث قبر الحسين عليه السلام و ذلك لأجل ثورة الثيران الجرَّارة على من أراد كرب القبر الشريف ، ثم حاولوا أن يجروا الماء عليه ، فأيضاً لم يقدرُوا على ذلك ، لتطوَّق الماء حول القبر ، و لذا سمي ذلك المكان بالحائر ، لحيرة الماء فيه ^١ .

قصة زيد المجنون و بهلول

ذكر العلامة المجلسي رحمته الله و الشيخ جعفر التستري رحمته الله أَنَّ المتوكِّل من خلفاء بني العباس كان كثير العداوة ، شديد البغض لأهل البيت الرَّسول ، و هو الَّذي أمر الحارثين بحرث قبر الحسين عليه السلام و أن يخربوا بنيانه و يخفوا آثاره و أن يجروا عليه الماء من النهر العلقميِّ بحيث لا يبقى له أثر و لا أحد يقف له على خبير ، و توعدَّ الناس بالقتل لمن زار قبره ، و جعل رسداً من أجناده و أوصاهم : كلَّ من وجدتموه يريد زيارة الحسين عليه السلام فاقتلوه ، يريد بذلك إطفاء نور الله و إخفاء آثار ذرِّيَّة رسول الله .

فبلغ الخبر إلى رجل من أهل الخير يقال له زيد المجنون ، و لكنَّه ذو عقل سديد ، و رأي رشيد ، و إنما لُقِّب بالمجنون لأنَّه أفحم كلَّ لبيب ، و قطع حجَّة كلِّ أديب ، و كان لا يعيى من الجواب ، و لا يملُّ من الخطاب .

فسمع بخراب بنيان قبر الحسين عليه السلام و حرث مكانه ، فعظم ذلك عليه و اشتدَّ

حزنه و تجدد مصابه بسيده الحسين عليه السلام وكان مسكنه يومئذ بمصر ، فلما غلب عليه الوجد و الغرام ؛ لحرث قبر الامام عليه السلام خرج من مصر ماشياً هائماً على وجهه شاكياً و جده إلى ربّه ، و بقي حزينا كئيباً حتى بلغ الكوفة .

و كان بهلول يومئذ بالكوفة ، فلقيه زيد المجنون و سلم عليه فردّ عليه السلام ، فقال له بهلول : من أين لك معرفتي فلم ترني قط ؟

فقال زيد : يا هذا اعلم أنّ قلوب المؤمنين جنود مجتدة ما تعارف منها ائتلف و ما تناكر منها اختلف .

فقال له بهلول : يا زيد ما الذي أخرجك من بلادك بغير دابة و لا مركوب ؟ فقال : والله ما خرجت إلا من شدة وجدي و حزني ، و قد بلغني أنّ هذا اللعين أمر بحرث قبر الحسين عليه السلام و خراب بنيانه و قتل زوّاره ، فهذا الذي أخرجني من موطني و نقص عيشي و أجرى دموعي و أقلّ هجوعي .

فقال بهلول : و أنا والله كذلك . فقال له : قم بنا نمضي إلى كربلا لنشاهد قبور أولاد عليّ المرتضى .

قال : فأخذ كلُّ بيد صاحبه حتى وصلا إلى قبر الحسين عليه السلام و إذا هو على حاله لم يتغيّر ، و قد هدموا بنيانه ، و كلّما أجزوا عليه الماء غار و حار و استدار ، بقدره العزيز الجبار ، و لم يصل قطرة واحدة إلى قبر الحسين عليه السلام و كان القبر الشريف إذا جاءه الماء ترتفع أرضه باذن الله تعالى .

فتعجب زيد المجنون ممّا شاهده و قال : انظر يا بهلول يريدون ليطفؤا نور الله بأفواههم و يأبى الله إلا أن يتمّ نوره ولو كره الكافرون .

قال : و لم يزل المتوكّل يأمر بحرث قبر الحسين عليه السلام مدة عشرين سنة و القبر على حاله لم يتغيّر ، و لم تعلق قطرة من الماء ، فلما نظر الحارث إلى ذلك قال :



آمنت بالله و بمحمد رسول الله ﷺ ، و الله لأهرب على وجهي و أهيم في البراري أبحرث قبر الحسين بن بنت رسول الله و لا أتعض و لا أعتبر؟
ثم إنه حلّ التيران و طرح القدان^١ و أقبل يمشي نحو زيد المجنون و قال له :
من أين أقبلت يا شيخ؟ قال : من مصر ، فقال له : و لأي شيء جئت إلى هنا؟ و إني
لأخشى عليك من القتل .

فبكى زيد و قال : و الله قد بلغني حرث قبر الحسين عليه السلام فأحزنني ذلك و هتج
حزني و وجدني .

فانكبّ الحارث على قدمي زيد يقبلهما و هو يقول : فداك أبي و أمي ، فوالله
يا شيخ من حين ما أقبلت إليّ أقبلت إليّ الرحمة و استنار قلبي بنور الله ، و إني آمنت
بالله و رسوله و إن لي مدة عشرين سنة و أنا أحرث هذه الأرض ، و كلما أجريت
الماء إلى قبر الحسين عليه السلام غار و حار و استدار ، و لم يصل إلى قبر الحسين منه
قطرة و كأنني كنت في سكر و أفقت الآن ببركة قدومك إليّ .

فبكى زيد و تمثّل بهذه الأبيات :

تالله ان كانت أمية قد أتت	قتل ابن بنت نبيها مظلوما
فلقد أتاه بنو أبيه بمثله	هذا لعمرى قبره مهدوما
أسفوا على أن لا يكونوا شاركوا	فسي قتله فتتبعوه رميما ^٢

فبكى الحارث و قال : يا زيد قد أيقظتني من رقدتي ، و أرشدتني من غفلتي

١ - الثير كالعير : الخشبة المعترضة بين الثورين للحرث ، الجمع : الثيران ، و القدان كالمكان : الثوران
تمعّد ان للحرث .

٢ - ذكر هذه الأبيات في تاريخ الخلفاء ص ٢٦٥ أيضاً .

و ها أنا الآن ماض إلى المتوكّل بسرّ من رأى ، أعترفه بصورة الحال إن شاء أن يقتلني
و إن شاء أن يتركني ، فقال له زيد : و أنا أيضاً أسير معك إليه و أساعدك على ذلك .
قال : فلمّا دخل الحارث إلى المتوكّل و خبّره بما شاهد من برهان قبر الحسين
عليه السلام استشاط غيظاً و ازداد بغضاً لأهل بيت رسول الله ﷺ و أمر بقتل الحارث و
أمر أن يشدّ في رجله حبل ، و يسحب على وجهه في الأسواق ، ثمّ يصلب في
مجتمع الناس ليكون عبرة لمن اعتبر ، و لا يبقى أحد يذكر أهل البيت بخير أبداً .
و أمّا زيد المجنون فأنّه ازداد حزنه و اشتدّ عزاؤه و طال بكائه و صبر حتى
أنزلوه من الصلب و ألقوه على مزبلة هناك ، فجاء إليه زيد فاحتمله إلى دجلة و غسله
و كفنه و صلى عليه و دفنه ، و بقي ثلاثة أيام لا يفارق قبره ، و هو يتلو كتاب الله
عنده ، فبينما هو جالس ذات يوم إذ سمع صرخةً عالياً ، و نوحاً شجياً ، و بكاءً
عظيماً ، و نساءً بكثرة منشّرات الشعور ، مشقّقات الجيوب ، مسوّدات الوجوه ، و
رجالاً بكثرة يندبون بالويل و الثبور ، و الناس كافةً في اضطراب شديد ، و إذا
بجنازة محمولة على أعناق الرّجال و قد نشرت لها الأعلام و الرايات ، و الناس من
حولها أفواجاً قد انسدت الطرق من الرّجال و النساء .

قال زيد : فظننت أنّ المتوكّل قد مات ، فتقدّمت إلى رجل منهم و قلت له :
من يكون هذا الميّت ؟ فقال : هذه جنازة جارية المتوكّل و هي جارية سوداء حبشيّة
و كان اسمها ريحانة ، و كان يحبّها حبّاً شديداً .

ثمّ إنّه عملوا لها شأناً عظيماً و دفنوها في قبر جديد ، و فرشوا فيه الورد و
الرّياحين و المسك و العنبر و بنوا عليها قبة عالية .

فلمّا نظر زيد إلى ذلك ازدادت أشجانه ، و تصاعدت نيرانه ، و جعل يلطم
وجهه و يمزّق أطماره ، و يحشي التراب على رأسه ، و هو يقول : واويلاه و أسفاه



عليك يا حسين ! أتقتل بالطفّ غريباً وحيداً ظمأناً شهيداً ، و تسبى نساؤك و بناتك و عيالك ، و تذبح أطفالك ، و لم يبك عليك أحد من الناس ، و تدفن بغير غسل و لا كفن ، و يحرث بعد ذلك قبرك ليطفؤا نورك و أنت ابن علي المرتضى ، و ابن فاطمة الزهراء ، و يكون هذا الشأن العظيم لموت جارية سوداء ، و لم يكن الحزن و البكاء لابن محمّد المصطفى ﷺ .

قال : و لم يزل يبكي و ينوح حتّى غشي عليه و الناس كافة ينظرون إليه فمنهم من رقّ له ، و منهم من جنى عليه ، فلما أفاق من غشوته أنشد يقول :

أبحرث بالطفّ قبر الحسين و يعمر قبر بني الزانية
لعلّ الزّمان بهم قد يعود و يأتي بدولتهم ثانية
ألا لعن الله أهل الفساد و من يأمن الدنّيّة الفانية

قال : إنّ زيدا كتب هذه الأبيات في ورقة و سلّمها لبعض حجاب المتوكّل .

قال : فلما قرأها اشتدّ غيظه و أمر باحضاره ، فأحضر و جرى بينه و بينه من الوعظ و التوبيخ ما أغاظه حتّى أمر بقتله ، فلما مثل بين يديه سأله عن أبي تراب من هو ؟ استحقاراً له ، فقال : والله إنك عارف به ، و بفضلته و شرفه ، و حسبه ، و نسبه ، فوالله ما يجحد فضله إلّا كلُّ كافر مرتاب ، و لا يبغضه إلّا كلُّ منافق كذّاب ، و شرع يعدّد فضله و مناقبه حتّى ذكر منها ما أفاض المتوكّل فأمر بحبسه فحبس .

فلما أسدل الظلام و هجع ، جاء إلى المتوكّل هاتف ، و رفسه برجله و قال له : قم و أخرج زيدا من حبسه ، و إلّا أهلكك الله عاجلاً ، فقام هو بنفسه ، و أخرج زيدا من حبسه ، و خلع عليه خلعة سنّية ، و قال له : اطلب ما تريد .

قال : أريد عمارة قبر الحسين عليه السلام و أن لا يتعرّض أحد لزوّاره فأمر له بذلك ، فخرج من عنده فرحاً مسروراً و جعل يدور في البلدان و هو يقول : من أراد زيارة الحسين عليه السلام فله الأمان طول الأزمان^١ .

وقوع الزلازل و الآفات السّماوية في أيام المتوكّل

كان دور خلافة المتوكّل من أنحس الأدوار لشيعّة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ، حيث كانوا في ضغط شديد في حكومته ، لأنّه كان (كما علمت) أشدّ الناس عداوةً لعلي عليه السلام و آله و شيعته ، حتى أنّه هدم مشهد الحسين عليه السلام كراراً و جعل المزارع في أطرافه ، و منع عن زيارة ذلك المحل ، و قتل كثيراً من زواره ، و قطع أيديهم ، و أدخلهم في السجون المطبقة ، و عذبهم بالتعذيبات المنكرة . و لعلّ هذا صار سبباً لحركة الغضب الإلهي عليه و على الناس .

و اما الغضبُ الإلهي عليه فانه قُتل (كما سيجيء) بيد أعزّ الناس عليه ، و هو ابنه و قومٌ من الأتراك .

و أمّا الغضبُ الإلهي على الناس ، فلأنّهم كانوا مستحقّين لهذه الحوادث من أجل رضاهم به اماماً و حاكماً ، فظهرت الحوادث المهلكة من الأرض ، كما نزلت من السماء . اتفق على نقله المؤرّخون كلهم ، نحو الطبري في تاريخ الرسل و الملوك (ج ٩ ص ٢٠٧) و المسعودي في مروج الذهب (ج ٤ ص ١٩) و ابن الأثير في الكامل (ج ٧ ص ٨٧) و الحافظ السيوطي في تاريخه (ص ٢٦٦) .

قال السيوطي: وفي هذه السنة (أى ٢٣٧) ظهرت نارٌ بعسقلانٍ أحرقت البيوت والبيادر^١ ولم تزل تحرق الى ثلث الليل.

وفي سنة (٢٣٨) كبست الروم دمياط ونهبوا وأحرقوا وسبوا منها ست مائة امرأة.

وفي سنة (٢٤٠) سمع أهل حلاط صيحة عظيمة من جَوِّ السماء فمات منها خلق كثير.

و وقع برد بالعراق كبيض الدجاج .

و خسف بثلاث عشرة قرية بالمغرب .

و في سنة (٢٤١) ماجت النجوم في السماء ، و تناثرت الكواكب كالجراد أكثر الليل ، و كان أمراً مزعجاً لم يعهد .

و في سنة (٢٤٢) زلزلت الأرض زلزلة عظيمة بتونس و أعمالها و الزي و خراسان و نيسابور و طبرستان و اصبهان و تقطعت الجبال ، و تشققت الأرض بقدر ما يدخل الرجل في الشق .

و رجمت قرية السويداء بناحية مصر من السماء ، و وزن حجر من الحجارة فكان عشرة أرتال .

و سار جبل باليمن عليه مزارع لأهله حتى أتى مزارع آخرين .

و في سنة (٢٤٥) عمّت الزلازل الدنيا فأخربت المدن و القلاع و القناطر .

و سقط من انطاكية جبل في البحر .

١ - جمع يَنْدَر على وزن حَيْدَر : الموضع الذي يجمع فيه الصيد و يداس ثم استعمل لكل مخزن للحبوبات .

و سُمع من السماء أصوات هائلة .

و زلزلت مصر .

و سمع أهل بلييس من ناحية مصر صيحة هائلة ، فمات خلق من أهل بلييس .

و غارت عيون مكة^١ .

إقطاع البلاد بين الأولاد !

انّ حديث النبي الصادق صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « اذا بلغت بنو امية أربعين اتّخذوا عباد الله

خولاً ، و مال الله نحلاً ، و كتاب الله دغلاً^٢ » كما ينطبق على بني امية كذلك ينطبق

على بني العباس أيضاً ، لأنهم أيضاً اتّخذوا عباد الله خولاً ، و بلاد الله دولاً . لأنهم

كانوا غير قانعين باستئثارها لأنفسهم فحسب ، بل ينحلونها الى أولادهم بعد موتهم .

فكانت الأمة المسلمة كالأمة المستسلمة تنتقل من يدٍ الى يدٍ و من ملكٍ الى ملكٍ .

مشياً على هذه السّنة المستمرة المتدواله بين الخلفاء ، جعل المتوكل أيضاً

الخلافة الاسلامية لأولاده الثلاثة - المنتصر و المعتزّ و المؤيد - بل انه أقطعهم بلاد

الله في حياته ، و أخذ البيعة لهم قبل وفاته .

قال ابن الأثير : « و في هذه السنة (٢٣٥) عقد المتوكل البيعة لبنيه الثلاثة

بولاية العهد و هم : محمد ، و لقبه المنتصر بالله ، و أبو عبدالله طلحة ، و لقبه

المعتزّ بالله ، و ابراهيم ، و لقبه المؤيد بالله ، و عقد لكل واحد منهم لوائين : أحدهما

١ - تاريخ الخلفاء ص ٢٦٥ .

٢ - المستدرك للحاكم ج ٤ ص ٤٧٦ ، كنز العمال ج ٦ ص ٣٩ .



أسود، و هو لواء العهد، و الآخر أبيض، و هو لواء العمل، فأعطى كل واحد منهم ما نذكره :

فأما المنتصر فأقطعه إفريقية و المغرب كله، و العواصم، و قنسرين، و الثغور جميعها، الشامية و الجزرية و ديار مضر، و ديار ربيعة، و الموصل، و هيت، و عانة، و الأنبار، و الخابور، و كور باجرمي، و كور دجلة، و طساسيج السواد جميعها، و الحرمين، و اليمن، و حصر موت، و اليمامة، و البحرين، و السند، و مكران، و قنديل، و فرج بيت الذهب، و كور الأهواز، و المستغلات بسامرا، و ماه الكوفة، و ماه البصرة و ماه سبذان، و مهربانقذق، و شهروزور، و الصامغان، و اصبهان، و قم، و قاشان، و الجبل جميعه، و صدقات العرب بالبصرة .

و أما المعتز فأقطعه خراسان و ما يضاف إليها، و طبرستان، و الرّي، و أرمينية، و أذربيجان، و كور فارس، ثم أضاف اليه في سنة (٢٤٠) خزن الأموال في جميع الآفاق، و دور الضرب^١ و أمر أن يضرب اسمه على الدراهم .
و أما المؤيد فأقطعه جند دمشق و جند فلسطين^٢ .

ثراء المتوكل عند موته

قال المسعودي: «كان له أربعة آلاف سرية و طئهن كلهنّ و مات و في بيوت

١ - أي الدور التي تضرب فيها الدراهم و الدينار .

٢ - الكامل لابن الأثير ج ٧ ص ٤٩ - ٥٠ .

الأموال أربعة آلاف ألف دينار و سبعة آلاف ألف درهم»^١.

قتل المتوكل بيد ابنه

قال ابن الأثير: «كان المتوكل شديد البغض لعلي بن أبي طالب عليه السلام ولأهل بيته، وكان يقصد من يبلغه عنه أنه يتولى علياً وأهله بأخذ المال والدم؛ وكان من جملة ندمائه عبادة المُنخَنَّث، وكان يشدّ على بطنه تحت ثيابه مِخْدَةَ و يكشف رأسه، وهو أصلع، و يرقص بين يدي المتوكل، و المغنون يغنون: قد أقبل الأصلع البطين، خليفة المسلمين، يحكي بذلك علياً عليه السلام، و المتوكل يشرب، و يضحك، ففعل ذلك يوماً، و المنتصر حاضرٌ، فأوماً إلى عبادة يتهدّده، فسكت خوفاً منه، فقال المتوكل: ما حالك؟ فقام و أخبره، فقال المنتصر: يا أمير المؤمنين! إن الذي يحكيه هذا الكلب و يضحك منه الناس، هو ابن عمك، و شيخ أهل بيتك، و به فخرك، فكلّ أنت لحمه إذا شئت، و لا تُطعم هذا الكلبَ و أمثاله منه!.

فقال المتوكل للمغنين: غنّوا جميعاً:

غار الفتى لابن عمّه رأس الفتى في حِرِّ أمّه

فكان هذا من الأسباب التي استحلّ بها المنتصر قتل المتوكل»^٢.

و قال الطبري: «ذكر أنّ المنتصر كان شاور في قتل أبيه جماعةً من الفقهاء، و أعلمهم بمذاهبه، و حكى عنه اموراً قبيحة كرهت ذكرها في الكتاب، فأشاروا

١ - مروج الذهب ج ٤ ص ٤٠.

٢ - الكامل لابن الأثير ج ٧ ص ٥٥.



عليه بقتله ، فكان من أمره ما ذكرنا بعضه ^١ .

وقال الّدميري : «فحقد (المنتصر) عليه ، وأغراه ذلك على قتله لما كان يغلو في بغض علي عليه السلام ، و يُكثر الواقعة فيه والاستخفاف به ، فبينما المتوكل في قصره يشرب مع ندمائه و قد سكر اذ دخل بغاء الصغير و أمر الندماء بالانصراف ، فانصرفوا و لم يبق عنده الا الفتح بن خاقان (وكان أيضاً شديد البغض لعلي عليه السلام مثل سيّده المتوكل) فاذا الغلمان الذين عيّنهم المنتصر لقتل المتوكل قد دخلوا و بأيديهم السيوف مصلّطة ، فهجموا عليه .

فقال الفتح بن خاقان : ويلكم ! أمير المؤمنين ! ثم رمى بنفسه عليه ، فقتلوهما جميعاً ، ثم خرجوا الى المنتصر فسلموا عليه بالخلافة .

وكان قتل المتوكل في شوال سنة (٢٤٧) و عمره أربعون سنة ، وكان خلافته أربع عشرة سنة و عشرة أشهر ^٢ .

ثم جلس مكانه ابنه الذي قتله :

﴿ ١١ ﴾

﴿ المنتصر بالله بن المتوكل ﴾

و هو أبو جعفر محمد المنتصر بالله بن المتوكل بن المعتصم بن الرشيد ، بويع

١ - تاريخ الطبري ج ٩ ص ٢٥٢ .

٢ - حياة الحيوان ج ١ ص ١١٩ .

في صبيحة الليلة التي قتل فيه أباه المتوكل ، واستخلف و هو ابن خمس و عشرين سنة ، وكان خير ولدٍ من شر والدٍ شبيهاً بمعاوية بن يزيد ، كريماً سمحاً محبباً لأهل بيت الرسول ﷺ .

قال المسعودي : « كان المنتصر واسع الاحتمال ، راسخ العقل ، كثير المعروف ، راغباً في الخير ، سخيّاً ، أديباً ، عفيفاً ، وكان يأخذ نفسه بمكارم الأخلاق وكثرة الانصاف ، و حسن المعاشرة ، بما لم يسبقه خليفةً الى مثله »^١ .
 و قال الحافظ السيوطي : « انه كان مليح الوجه ، أسمر ، أعين ، أفنى ، ربعةً ، جسيماً بطيناً ، مليحاً ، مهيباً ، وافر العقل ، راغباً في الخير ، قليل الظلم ، محسناً الى العلويين ، و وصولاً لهم أزال عن آل ابي طالب ما كانوا فيه من الخوف و المحنة بمنعهم من زيارة قبر الحسين عليه السلام و ردّ على آل (الحسن و) الحسين عليه السلام فذك ، فقال يزيد المهلبى فى ذلك :

و لقد بررت الطالبيه بعدما ذموا زماناً بعدها و زمانا

و رددت ألفه هاشم فرأيتهم بعد العداوة بينهم إخوانا

بويح له بعد قتل أبيه فى شوال سنة سبع و أربعين و مائتين ، فخلع أخويه المعتزّ و المؤيد من ولاية العهد الذي عقد لها المتوكل بعده ، و أظهر العدل و الانصاف فى الرعية ، فمالت اليه القلوب مع شدة هيبتهم له ، و كان كريماً حليماً و من كلامه : لذة العفو أعذب من لذة التشفي ، و أقبح أفعال المقتدر الانتقام .

و لما ولي صار يسب الأتراك ، و يقول : هؤلاء قتلة الخلفاء ، فعملوا عليه و همّوا به ، فعجزوا عنه ، لأنه كان مهيباً شجاعاً فطناً متحرزاً فتحيلوا الى أن دسّوا الى

طبيبه ابن طيفور ثلاثين ألف دينار في مرضه ، فأشار بفضده ثم فصدته بريشة مسمومة ، فمات .

لَمَّا احتضر قال يا أمّاه ذهبت مَتِي الدنيا والآخرة ، عاجلت أبي فعوجلته ، مات في خامس ربيع الآخرة سنة (٢٤٨) عن ست و عشرين سنة أو دونهما فلم يمتّع بالخلافة الا أشهراً معدودة دون ستة أشهر .

وقيل انه جلس في بعض الأيام لللهو قد استخرج من خزائن أبيه فرشاً فأمر بفرشها في المجلس ، فرأى في بعض البسط دائرة فيها فارس ، وعليه تاج ، و حوله كتابةٌ فارسيّةٌ ، فطلب من يقرأ ذلك ، فأحضر رجلاً فنظره فقطّب ، فقال ما هذه ؟ قال : لا معنى لها فالخ عليه ، فقال : هو مكتوب « أنا شيرويه بن كسرى بن هرمز ، قتلتُ أبي فلم أتمتع بالملك الآ ستة أشهر » فتغيّر وجه المنتصر ، و أمر باحراق البساط ، و كان منسوجاً بالذهب .

و في لطائف المعارف للشعالبي : أعرق الخلفاء في الخلافة المنتصر فانه هو و آباؤه الخمسة خلفاء ، و كذلك المعتز و المعتمد .

قلت : أعرق منه المستعصم الذي قتله التتار فان آباءه الثمانية خلفاء . قال الشعالبي و من العجائب : أن أعرق الأكاسرة في الملك ، و هو شيرويه قتل آباه فلم يعيش بعده الآ ستة أشهر ، و أعرق الخلفاء في الخلافة ، و هو المنتصر ، قتل آباه فلم يمتّع بعده سوى ستة أشهر^١ .

فمات سنة (٢٤٨) . ثم جلس مكانه ابن عمّه :

﴿ ١٢ ﴾

﴿ المستعين بالله بن محمد بن المعتصم ﴾

وهو أبو العباس أحمد المستعين بالله بن محمد بن المعتصم بن الرشيد .
قال ابن الطقطقي : « اعلم أنّ المستعين كان مستضعفاً في رأيه وعقله و
تدييره . وكانت أيامه كثيرة الفتن و دولته شديدة الاضطراب ، و لم يكن فيه
الخصال المحمودة الا انه كان كريماً وهوباً »^١ .

وقال الديار بكرئي : « بويع له بالخلافة و عمره اذ ذلك ثمان و عشرون سنة ،
وكان كثير الجماع ، مغرماً بحبّ النساء ، و كانت له ابنة عمّ بديعة الحسن والجمال ،
فطلبها من أبيها فامتنع ، فأحضر الأصمّي و الرّقاشي و أبانواس و قال : كل من أنشد
لي بطبق مرادي في ابنة عمّي أعطيته الجائزة العظمى ، فأنشد أبو نواس :

ما روض ريحانكم الزاهر و ما شذا نشركم العاطر
و حق وُجدي و الهوى قاهر مذغبتمو لم يبق لي ناظر
و القلب لا سالٍ و لا صابر

قالت ألا لا تلجنا دارنا و كابد الأشواق من أجلنا
و اصبر على مرّ الجفا و الضنا و لا تمزّن على بيتنا
انّ أبانا رجلٌ غائر

فقلت إنني طالب غرة يحظى بها القلب ولو مرة
 قالت بعيد ذلك مت حسرة قلت سأقضي غزتي جهرة
 منك وسيفي صارم باتر

قالت فإن البحر من بيننا فابرح ولا تأت إلي حيننا
 واشرب بكأس الموت من هجرنا قلت ولو كان كثير العنا
 يكفيك أني سابح ماهر

قالت فإن القصر عالي البنا قلت ولو كان عظيم السنا
 أو كان بالجوّ بلغت المنى قالت منيع في الوري قصرنا
 قلت وإني فوقه طائر

قالت فعندي لبوة والد فقلت إنني أسد شارد
 غشمشم مقتنص صائد قالت لها شبل بها لا بد
 قلت وإني ليشها الكاسر

قالت فعندي إخوة سبعة جمعها إذا ما التقوا عصة
 قلت ولي يوم اللقا وثبة قالت لهم يوم الوغى سطوة
 قلت وإني قاتل قاهر

قالت فإن الله من فوقنا يعلم ما نبديه من شوقنا
 نمضي إلى الحق غداكلنا ونختشى النعمة من ربنا
 قلت وربّي ساتر غافر

قالت فكم أعيتتنا حجة تجيء بها كاملة بهجة
 فيالها بين الوري خجلة إن كنت ما تمهلنا ساعة
 فإنت إذا ما هجع الساهر



واسقط علينا كسقوط الندى إيّاك أن تظهر حرف النداء
يستيقظ الواشي و يأتي الردى وكن كضيف الطيف مسترصدا
ساعة لانه و لا أمر

حاجبتها عشراً و صافحتها على دنان الخمر صافيتها
رامت موائيقا فوافيتها ملتحفاً سيفي و لاقيتها
آخر ليلي و الدجى عاكر

يا ليلة قضيتها خلوة مرتشفاً من ريقها قهوة
تسكر من قد يبتغي سكرة ظننتها من طيبها لحظة
ياليت لكان لها آخر

فلما أنشد ذلك أبو نواس بحضرة الخليفة أعجبه ذلك و أمر له بالجائزة العظمى و وفى بما عهد^١.

مقتل يحيى بن عمر الطالب

قال المسعودي: « و ظهر في هذه السنة - وهي سنة ثمان و أربعين و مائتين - بالكوفة أبو الحسين يحيى بن عمر بن يحيى بن الحسين بن عبدالله بن إسماعيل بن عبدالله بن جعفر بن أبي طالب الطيّار ، و أمه فاطمة بنت الحسين ابن عبدالله بن إسماعيل بن عبدالله ابن جعفر بن أبي طالب الطيّار .

و قيل : إن ظهوره كان بالكوفة سنة خمسين و مائتين ، فقتل و حمل رأسه إلى

بغداد ، و صلب ، فضيخ الناس من ذلك لما كان في نفوسهم من المحبة له لأنه استفتح أموره بالكف عن الدماء ، و التورع عن أخذ شيء من أموال الناس ، و أظهر العدل و الإنصاف ، و كان ظهوره لذلّ نزل به ، و جفوة لحقته ، و محنة نالته من المتوكل و غيره من الأتراك .

و دخل الناس (بعد قتله) الى محمد بن عبدالله بن طاهر يهتئون به بالفتح ، و دخل فيهم أبو هاشم الجعفري ، و هو داود بن القاسم بن اسحاق بن عبدالله بن جعفر بن أبي طالب بينه و بين جعفر الطيار ثلاثة آباء (و لم يكن يعرف في ذلك الوقت أقعد نسباً في آل أبي طالب و سائر بني هاشم و قريش منه ، و كان ذا زهد و ورع و نسك و علم ، صحيح العقل ، سليم الحواس ، منتصب القامة ، و قبره مشهورٌ ، و قد أتينا على خبره و ما روي عنه من الرواية عن أبيه و من شاهد من سلفه ، في كتاب « حدائق الأذهان » في أخبار آل النبي ﷺ) فقال لابن طاهر : أيها الأمير ! إنك لثمتاً بقتل رجل لو كان رسول الله ﷺ حياً لعزّي به ، فلم يجبه محمد ، و خرج من داره و هو يقول : يا بني طاهر ، (الى آخر البيتين الآتين) .

و قد كان المستعين أمر ب نصب الرأس ، فأمر ابن طاهر بإنزاله لما رأى من الناس و ما هم عليه ، و في ذلك يقول أبو هاشم الجعفري :

يا بني طاهر كُؤوه وبيتاً انّ لحم النبي غير مريّ
انّ و تراً يكون طالبه الله لو تُرّ بالفوت غير حريّ

و قد رُثي ابو الحسين يحيى بن عمر بأشعار كثيرة ، و قد أتينا على خبر مقتله و ما رثي به من الشعر في الكتاب الأوسط ، و مما رثي به ما قاله فيه أحمد بن طاهر شاعر من قصيدة طويلة :

اذا ما مضى آل النبي فودعوا
وأضحّت عروش المكرمات تضعع
ولابن رسول الله في الترب مضجع
من الدين والإسلام فالدار بلقُع
و بُدَّدَ شملُ منهمُ ليس يجمع
نفسوسَهُمُ أمُّ المنون فستتبع

سلامٌ على الإسلام فهو موذِعُ
فَقَدْنَا العلا و المجد عند افتقادهم
أتجمع عَيْنُ بين نوم و مضجع
فقد أقفرت دار النبي محمد
و قُتِلَ آل المصطفى في خلالها
ألم تر آل المصطفى كيف تصطفي
(الى آخر الأبيات).

قال : وكان يحيى ديناً ، كثير التعطف و المعروف على عوام الناس ، باراً
بخواصهم ، و اصلاً لأهل بيته ، مؤثراً لهم على نفسه ، مُثَقَّلَ الظهر بالطالبيات يجهد
نفسه بيزهن و التحنن عليهن ، لم تظهر له زلة ، و لا عرفت له خزية .
و لما قُتِلَ يحيى جزعت عليه نفوس الناس جزعاً كثيراً ، و حزن عليه الصغير
و الكبير ، و جزع لقتله المليء^١ و الذنيء ، و في ذلك يقول بعض شعراء عصره و مَنْ
جزع على فقده :

و بكاه المهنّد المصقول
و بكاه الكتاب و التنزيل
جميعاً لهم عليه عويل
يوم قالوا : أبو الحسين قتيل
مُوجَعَاتٍ دموعُهُنَّ تسيل
فقطعه مفضع عزيز جليل

بكت الخيل شَجْوَهَا بعد يحيى
و بكته العراق شرقاً و غرباً
والمصلّى و البيت و الركن و الحجْرُ
كيف لم تسقط السماء علينا
و بنات النبي يندبن شَجْواً
و يـؤنن للرزية بدرأ



قَطَّعت وجهه سيوف الأعادي
و ليحيى الفتى بقلبي غليل
قَتَلُهُ مذكّر لقتل علي
فصلاة الإله وقفاً عليهم
بأبي وجهه الوسيم الجميل
كيف يؤذى بالجسم ذاك الغليل
و حسين و يوم أودى الرسول
ما بكى مُوجِعٌ و حَنٌّ ثكول
و كان ممن رثاه علي بن محمد بن جعفر العلوي الحماني الشاعر ، و كان
ينزل بالكوفة في حمان ، فقال :

يا بقايا السلف الصالح و التَّجْرِ الرِّيح
نحن للأيام من بين قتيل و جريح
خاب وجه الأرض كم غَيَّبَ من وَجْهِ صَبِيح
آه من يومك ما أوداه للقلب القريح^١

خلع المستعين بالله ثم ذبحه

قال الحافظ السيوطي : « و لما مات المنتصر اجتمع القواد و تشاوروا و قالوا متى وليتم أحداً من أولاد المتوكل لا يبقى منا باقية ، فقالوا ما لها الا أحمد بن المعتصم ولد استاذنا ، فبايعوه و له ثمان و عشرون سنة و استمر الى أول سنة احدى و خمسين فتنكر له الأتراك لما قتل و صيفاً و بغا و نفى باغر التركي الذي فتك بالمتوكل و لم يكن للمستعين مع و صيف و بغا رأي حتى قيل في ذلك :

خليفة في قفص بين وصيف و بُغَا

يقول ما قال له كما تقول البُغَا

و لما تنكر له الأتراك خاف و انحدر من سامرا الى بغداد ، فأرسلوا اليه
يعتذرون و يخضعون له و يسألونه الرجوع فامتنع ، فقصدوا الحبس و أخرجوا
المعتز بالله و بايعوه و خلعوا المستعين .

ثم جهز المعتز جيشاً كثيفاً لمحاربة المستعين ، و استعد أهل بغداد للقتال مع
المستعين ، فوقعت بينهما و قعات ، و دام القتال أشهراً و كثر القتل ، و غلت
الأسعار ، و عظم البلاء ، و انحل أمر المستعين فسعوا في الصلح على خلع المستعين ،
و قام في ذلك اسماعيل القاضي و غيره بشروط موكدة ، فخلع المستعين نفسه في
أول سنة اثنتين و خمسين (و مائتين) و أشهد عليه القضاة و غيرهم ، فأحدر
الى واسط ، فأقام بها تسعة أشهر محبوساً ، موكلاً به أميرٌ ، ثم رده الى
سامراء .

و أرسل المعتز الى أحمد بن طولون أن يذهب الى المستعين فيقتله ، فقال :
والله لا أقتل أولاد الخلفاء ، فندب له سعيد الحاجب فذبحه في ثالث شوال من السنة
(٢٥٢) و له احدي و ثلاثون سنة «^١ .

ثم استقرّ مكانه ابن عمّه و قاتله :

﴿ ١٣ ﴾

﴿ المعتزّ بالله بن المتوكل ﴾

و هو أبو عبدالله محمد المعتزّ بالله بن المتوكل بن المعتصم بن هارون الرّشيد،
و أمّه قبيحة الأمة التي مضى ذكرها في أحوال المتوكل .

قال الحافظ السيوطي : « المعتزّ بالله أمّه أم ولد رومية تسمى قبيحة ، و بويع له
عند خلع المستعين في سنة اثنتين و خمسين و له تسع عشرة سنة ، و لم يل الخلافة
قبله أحد أصغر منه ، و كان بديع الحسن .

و هو أول خليفة أحدث الركوب بحلية الذهب ، و كان الخلفاء قبله يركبون
بالحلية الخفيفة من الفضة .

و أول سنة تولّى مات أشناس الذي كان الواثق استخلفه على السلطنة ، و
خلف خمسمائة ألف دينار فأخذها المعتزّ و خلع خلعة الملك على محمد بن عبدالله
بن طاهر ، و قلده سيفين ، ثم عزل و خلع خلعة الملك على أخيه أعني أخا المعتزّ أبا
أحمد ، و توجّه بتاج من ذهب ، و قلنسوة مجوهره ، و وُشاحين مجوهرين ، و قلده
سيفين ، ثم عزله من عامه و نفاه الى واسط .

و خلع على بغا الشرابي و ألبسه تاج الملك ، فخرج على المعتزّ بعد سنة ،
فُقتل ، و جيء اليه برأسه .

و في رجب من هذه السنة خلع المعتزّ أخاه المؤيّد من العهد ، و ضربه ، و



قيده فمات بعد أيام، فخشي المعتز أن يتحدث عنه أنه قتله، أو احتال عليه، فاحضر القضاة حتى شاهدوه و ليس به أثر .
 وكان المعتز مستضعفاً مع الأتراك فاتفق أن جماعة من كبارهم أتوه و قالوا يا أمير المؤمنين أعطنا أرزاقنا لنقتل صالح بن وصيف، وكان المعتز يخاف منه .
 فطلب من أمه مالا لينفقه فيهم، فأبت عليه و شحت نفسها، و لم يكن بقي في بيوت المال شيء فاجتمع الأتراك حينئذ على خلعه، و وافقهم صالح بن وصيف، و محمد بن بغا، فلبسوا السلاح و جاؤا الى دار الخلافة، فبعثوا الى المعتز أن اخرج الينا .

فبعث يقول قد شربت دواء و أنا ضعيف فتهجم عليه جماعة و جرّوا برجله، و ضربوه بالدبابيس^١ و أقاموه في الشمس في يوم صائف و هم يلطمون وجهه، و يقولون: اخلع نفسك، ثم أحضروا القاضي ابن أبي الشوارب و الشهود، و خلعوه .
 ثم أحضروا من بغداد الى دار الخلافة - و هي يؤمئذ سامراء - محمد بن الواثق و كان المعتز قد أبعده الى بغداد، فسلم المعتز اليه الخلافة و بايعه .

ثم إنّ الملاء أخذوا المعتز بعد خمس ليال من خلعه، فأدخلوه الحمام، فلما تغسل عطش فمنعوه، الماء ثم أخرج و هو أول ميت مات عطشاً فسقوه ماء بثلج، فشربه و سقط ميتاً، و ذلك في شهر شعبان المعظم سنة خمس و خمسين و مائتين .
 و اختفت أمه قبيحة، ثم ظهرت في رمضان و أعطت صالح بن وصيف مالا عظيماً من ذلك ألف دينار، و ثلاثمائة ألف دينار و سفت مكرّم زمرّد، و

سقط فيه مكوك^١ لؤلؤ حب كبار ، و كيلجة ياقوت أحمر ، و غير ذلك فقومت الأسفاط بألفى دينار .

فلما رأى ابن وصيف ذلك ، قال : قبحها الله ، عرضت ابنها للقتل لأجل خمسين ألف دينار و عندها هذا ، فأخذ الجميع و نفاها الى مكة ، فبقيت بها الى أن تولى المعتمد فردّها الى سامراء و ماتت سنة أربع و ستين»^٢ .

الأفراد الذين قتلهم المعتز من آل الرسول ﷺ

أولهم : الامام علي النقي بن الرضا عليه السلام ، قتله المعتز بالسّم ، صرح به من الامامية شيخ المحدثين عباس القمي رحمته الله^٣ و أشار اليه سبط ابن الجوزي^٤ .

الثاني : أحمد بن عبدالله بن موسى بن محمد بن سليمان بن داود بن الحسن بن الحسن بن علي عليه السلام ، قُتل بمكة .

الثالث : عيسى بن اسماعيل بن جعفر بن ابراهيم بن محمد بن علي بن عبدالله بن جعفر بن أبي طالب ، توفي في الحبس .

الرابع : جعفر بن محمد بن جعفر بن الحسن بن علي بن عمر بن علي بن نوح بن الحسين عليه السلام ، قتل بالزّي .

الخامس : ابراهيم بن محمد بن عبدالله بن عبيدالله بن الحسن بن عبدالله بن

١ - سَقَطُ : وعاء للجواهر ، مُكْوَكُ : مكيال و هو على قدر ثلاث كيلجات .

٢ - تاريخ الخلفاء ص ٢٧٤ - ٢٧٥ .

٣ - منتهى الآمال ج ٢ ص ٣٨٥ .

٤ - تذكرة خواص الأمة ص ٣٧٥ .

العبّاس بن علي ، قتل في قزوين .

السادس : أحمد بن محمد بن يحيى بن عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام ، توفي في الحبس^١ .
 مات المعتز سنة (٢٥٥) و قام مقامه ابن عمّه :

﴿ ١٤ ﴾

﴿ المهدي بالله بن الواثق ﴾

قال الديار بكريّ : « ثم قام بالأمر بعده ابن عمه جعفر بن هارون الواثق بن المعتصم ، و رأيت في غير هذا الموضع أنّ المهدي اسمه محمد و يلقّب بأبي إسحاق ، بويع له بالخلافة يوم خلع ابن عمه المعتز بالله .
 و لمّا ولي أخرج الملاهي ، و حرّم سماع الغناء و الشراب ، و أمر بنفي المغنّيات و طرد الكلاب و السباع ، و ألزم نفسه الإشراف على الدواوين و الجلوس للناس و إزالة المظالم و تغيير المنكرات ، و قال : إني أستحي من الله أن لا يكون في بني العباس مثل عمر بن عبدالعزيز في بني أمية ، فتبرّم به بابك التركي و كان ظلوماً غشوماً ، فأمر المهدي بقتله ، و لمّا قتل هاجت الأتراك و وقعت الحرب بينهم و بين المغاربة فقتل من الفريقين أربعة آلاف .
 و خرج المهدي و المصحف في عنقه و هو يدعو الناس إلى نصرته و

١ - ذكر هؤلاء الخمسة أبو الفرج الاصبهاني في مقاتل الطالبين ص ٤٢٣ - ٤٣٤ .

المغاربة معه و بعض العامة ، فحمل عليهم طيبغا أخو بابك فهزمهم ، و مضى المهتدى منهزماً و السيف في يده ، و قد جرح جرحين ، حتى دخل دار محمد ابن يزداد ، فتجمعت الأتراك و هجموا عليه و أخذوه أسيراً .

و حملة أحمد بن خاقان على دابة و أردف خلفه سائساً بيده خنجر ، فأدخل الى دار أحمد بن خاقان و جعلوا يصفعونه و يقولون اخلعها ، فأبى عليهم ، فسلم إلى رجل فوطئ مذاكيره حتى قتله .

و ذلك في رجب سنة ست و خمسين و مائتين و هو ابن سبع و ثلاثين سنة ، و كانت خلافته أحد عشر شهراً . و قيل : سنة و كان أسمر مليح الصورة ديتاً ورعاً عابداً عادلاً حازماً شجاعاً خليقاً للإمارة لكنّه لم يجد ناصرأ .

يقال : إنه كان يسرد الصّوم و ربّما كان فطوره في بعض الليالي على خبز و خلّ و زيت ، و كان قد سدّ باب اللّهُو و الطرب و الغناء ، و حسم الأمراء عن الظلم و كان يجلس لحساب الدّواوين بنفسه ^١ .

نعم - إنّ المهتديّ حسم الأمراء عن الظلم (حسبما اعتقده الديار بكرّي) لكنّه مع الأسف لم يحسم نفسه عن الظلم و العدوان على آل الرسول صلى الله عليه وآله فقد قتل منهم في حكومته عدّة ، منهم :

- ١- الحسين بن محمد بن حمزة بن القاسم بن الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام قتل في قزوین .
- ٢- يحيى بن علي بن عبدالرحمن بن القاسم بن الحسن بن زيد بن الحسن بن عني بن أبي طالب عليه السلام ، قتل بقرية من قرى الرّي .

- ٣- محمد بن الحسن بن محمد بن ابراهيم بن الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام . و حمله الحرث بن أسد الى المدينة فتوفي بالصفراء ، فقطع الحرث رجله ، و أخذ قيدين كانا فيهما و رمى بهما .
- ٤ - جعفر بن اسحاق بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام ، قتل بالبصرة .
- ٥ - موسى بن عبدالله بن موسى بن عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام ، و كان رجلاً صالحاً ، راوياً للحديث ، قُتِل مسموماً ثم قُطِع رأسه و حُمِل الى المهدي في المحرم سنة (٢٥٦) .
- ٦ - عيسى بن اسماعيل بن جعفر بن ابراهيم بن محمد بن علي بن عبدالله بن جعفر ، مات بالحبس في الكوفة .
- ٧ - محمد بن عبدالله بن اسماعيل بن ابراهيم بن محمد بن عبدالله بن أبي الكرام بن محمد بن علي بن عبدالله بن جعفر بن أبي طالب عليه السلام ، قُتِل بين الرّي و القزوين .
- ٨ - علي بن موسى بن محمد بن القاسم بن الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام ، مات بمكة في حبس المهدي .
- ٩ - محمد بن عبدالحسين بن عبدالرحمان بن الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام ، مات في الحبس بسر من رأي .
- ١٠ - علي بن موسى بن اسماعيل بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام ، مات في الحبس بسر من رأي .
- ١١ - ابراهيم بن موسى بن عبدالله بن موسى بن عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام ، مات في الحبس بالمدينة .



١٢ - عبدالله بن محمد بن يوسف بن ابراهيم بن موسى بن عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام . مات في الحبس بالمدينة .
هؤلاء اثنا عشر شهيد من آل رسول الله صلى الله عليه وسلم و علي بن أبي طالب عليه السلام قُتلوا في حكومة المهدي بالله على ما ذكره أبو الفرج الاصبهاني^١ .
وكيف كان فقد قُتل هذا الخليفة أيضاً بنحو فجع كما ذكر سنة (٢٥٦) و قام مقامه :

﴿ ١٥ ﴾

﴿ المعتمد بالله بن المتوكل ﴾

و هو أبو العباس أحمد المعتمد بالله بن المتوكل بن المعتصم بن الرشيد ، كان كسابقيه من الخلفاء في هتك الستور ، و الانهماك في الفجور ، و ارتكاب المعاصي ، و الانغماس في الظلم و الطغيان ، و الحيف و العدوان .
قال المسعودي^٢ : « كان المعتمد مشعوباً بالطرب ، و الغالب عليه المعاقرة^٢ و محبة أنواع اللهو و الملاهي »^٣ .
و قال الدميري^٣ : « بويغ له بالخلافة يوم قتل ابن عمه المهدي بالله (بسر من

١ - مقاتل الطالبين ص ٤٣٦ الى ٤٣٩ .

٢ - المعاقرة : ادمان شرب الخمر (الصحاح ج ٢ ص ٧٥٣) .

٣ - مروج الذهب ج ٤ ص ١٣١ .

رأى) وكان له اسم الخلافة و لأخيه الموفق بن المتوكل تدبير الملك .
ولما مات الموفق قام بتدبير الملك بعده ابنه المعتضد بن الموفق ، و غلب
على عمّه المعتمد كما كان أبوه غالباً عليه ، فكان المعتمد يطلب الشيء الحقيق فلا
يناله ، و لم يكن له سوى الاسم ، فقال في ذلك :

أليس من العجائب أنّ مثلي يرى ما قلّ ممتنعاً عليه
و توخذ باسمه الدنيا جميعاً و ما من ذلك شيء في يديه

قيل : أنّه شرب يوماً على الشطّ شراباً كثيراً فتغشى و مات ، توفي ببغداد
منهمكاً على اللّهُ و اللذات «^١ .

و قال الحافظ السيوطي : « لَمَّا قُتِلَ المهتدي كان المعتمد محبوباً بالجوسق ،
فأخرجوه و بايعوه .

ثم أنّه استعمل أخاه الموفق على المشرق ، و صير ابنه جعفرأ وليّ عهده و
ولآه مصر و المغرب و لقبه المفوض الى الله . و انهمك المعتمد في اللّهُ و اللذات و
اشتغل عن الرّعية فكرهه الناس ، و هو أوّل خليفة قهر و حجر عليه «^٢ .

ظلم المعتمد لآل الرسول ﷺ

انّ الأفراد الذين قتلوا من آل رسول الله ﷺ في حكومة المعتمد على ما

يلي :

١ - حياة الحيوان ج ١ ص ١٢٥ .

٢ - تاريخ الخلفاء ص ٢٧٧ الى ٢٧٩ .

- ١- الامام الحسن بن علي العسكري عليه السلام ، قُتل مسموماً في سامرا ، ذكره من الشيعة العلامة المجلسي رحمته الله ^١ .
- ٢ - أحمد بن محمد بن عبدالله بن ابراهيم (بن الحسن) بن اسماعيل بن ابراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام ، قتله أحمد بن طولون على باب أسوان و حمل رأسه الى المعتمد .
- ٣ - أحمد بن محمد بن جعفر بن الحسن (بن علي) بن عمر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام ، توفي في السجن بنيسابور .
- ٤ - عبيدالله بن علي بن عيسى بن يحيى بن الحسين بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام ، قُتل بالطواحين .
- ٥ - علي بن ابراهيم (بن الحسن) علي بن عبيدالله بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام قتل بسر من رأى على باب جعفر بن المعتمد .
- ٦ - محمد بن أحمد بن محمد بن الحسن بن علي بن عمر بن علي بن الحسين بن علي بن عمر بن علي بن أبي طالب عليه السلام . قتل صبراً بآبة ، و هي قرية بين قم و ساوة .
- ٧ - حمزة بن الحسن بن محمد بن جعفر بن القاسم بن اسحاق بن عبدالله بن جعفر بن أبي طالب ، قتل صبراً ثم مُتل به .
- ٨ - حمزة بن عيسى بن محمد بن القاسم بن الحسن بن زيد بن الحسن بن عني بن أبي طالب عليه السلام قتل في طبرستان .
- ٩ و ١٠ - الأخوان : محمد و ابراهيم ابنا الحسن بن علي بن عبيدالله بن

الحسين بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام قُتلا بطبرستان .

١١- الحسن بن محمد بن زيد بن عيسى بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام قتل بطبرستان .

١٢- اسماعيل بن عبدالله بن الحسين بن عبدالله بن اسماعيل بن عبدالله بن جعفر بن أبي طالب . قتل بطبرستان .

١٣- محمد بن الحسين بن محمد بن عبدالرحمن بن القاسم بن زيد الأكبر بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام . توفي في السجن بسر من رأى .

١٤- موسى بن موسى بن محمد بن سليمان بن داؤد بن الحسن بن الحسن بن علي أبي طالب عليه السلام . توفي في السجن بسر من رأى .

١٥ و ١٦- محمد بن أحمد بن عيسى بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام و ابنه أحمد بن محمد ، توفيا في الحبس^١ .

موت المعتمد

قال الحافظ ابن كثير الدمشقي : « انَّ المعتمد مكث في الخلافة ثلاثاً و عشرين سنةً ، و لم يكن اليه مع أخيه شيءٌ من الأمر حتى انه طلب في بعض الأيام ثلاثمائة دينار فلم يصل اليها ، و كان المعتمد أول خليفة انتقل من سامرا الى بغداد ، ثم لم يعد اليها أحد من الخلفاء .

و كان سبب هلاكه على ما ذكره ابن الأثير أنه شرب في تلك الليلة شرباً كثيراً

و تعشى عشاءً كثيراً وكان وقت وفاته في بغداد ، و حين مات أحضر المعتضد القضاة و الأعيان و أشهدهم أنه مات حتف أنفه ، ثم غسل و كفن و صلي عليه ، ثم حمل فدفن في سامرا و في صبيحة العزاء بويع للمعتضد سنة (٢٧٣) ^١ . و هو ابن أخي المعتمد .

﴿ ١٦ ﴾

﴿ المعتضد بالله بن الموفق ﴾

و هو أبو العباس أحمد المعتضد بالله بن الموفق طلحة بن المتوكل بن المعتصم بن الرشيد . و لم يكن متمائزاً في الظلم و الجور عن أسلافه الآشدة و زيادةً ، بل كان مخترعاً لأنواع العذاب و التنكيل بحيث يشمئز بها الجلاد الجسور ، و تقشعر عند سماعها القلوب التي في الصدور .

الاختراعات في أنواع الظلم و القساوة

قال المسعودي : « كان المعتضد قليل الرحمة ، كثير الاقدام ، سفاكاً للدماء ، شديد الرغبة في أن يمثل بمن قتله .
و كان اذا غضب على القائد النبيل ، أو الذي يختصه من غلمانة ، أمر أن تحفر

له حفيرة بحضرته ، ثم يدلى على رأسه فيها ، و يطرح التراب عليه ، و نصفه الأسفل ظاهر على التراب ، و يداس التراب ، و لا يزال كذلك حتى تخرج روحه من دبره . و ذكر من عذابه أنه كان يأخذ الرجل فيكتف و يقيد ، فيؤخذ القطن فيحشى في أذنه و خيشومه و فمه ، و توضع المنافخ في دبره ، حتى ينتفخ و يعظم جسمه ، ثم يسد الدبر بشيء من القطن ، ثم يفصد - و قد صار كالجمل العظيم - من العرقين الذين فوق الحاجبين ، فتخرج النفس من ذلك الموضع .

و ربما كان يقام الرجل في أعلى القصر مجرداً موثقاً و يُرمى بالتشاب حتى يموت .

و اتخذ المطامير^١ و جعل فيها صنوف العذاب ، و جعل عليها نجاح الحرمي المتولّي لعذاب الناس^٢ .

ظلمه لمحمد بن الحسن بن سهل

قال المسعودي: « و في سنة ثمانين و مائتين أخذ ببغداد رجلاً يعرف بمحمد بن الحسن بن سهل بن أخي ذي الرياستين الفضل بن سهل ، يلقب بشميلة ، و معه عبيدالله بن المهدي ، و لمحمد بن الحسن بن سهل هذا تصنيفات في أخبار المبيضة ، و له كتاب مؤلف في أخبار علي بن محمد صاحب الزنج على حسب ما ذكرنا من أمره فيما سلف من هذا الكتاب .

١ - المطامير : جمع المظمورة : المحابس المظلمة تحت الأرض .

٢ - مروج الذهب ج ٤ ص ١٤٤ - ١٤٥ .

فأقرّ عليه جماعة من المستأمنة من عسكر العلوي ، و أصيبت له جرائد فيها
اسماء رجال قد أخذ عليهم البيعة لرجل من آل أبي طالب ، وكانوا قد عزموا على أن
يظهروا ببغداد في يوم بعينه و يقتلوا المعتضد .

فأدخلوا الى المعتضد ، فأبى مَنْ كان مع محمد بن الحسن أن يقرّوا ، و قالوا :
أما الرجل الطالبي فإنّا لا نعرفه ، و قد أخذت علينا البيعة له و لم نره ، و هذا كان
الواسطة بيننا و بينه ، يعنون محمد بن الحسن ، فأمر بهم فقتلوا ، و استبقى شميطة
طمعاً في أن يدهه على الطالبي ، و خلّى عبيدالله بن المهتدي لعلمه ببراءته .

ثم أراد المعتضد بالله بمحمد بن الحسن بجميع الجهات أن يدهه على الطالبي
الذي أخذ له العهد على الرجال ، فأبى ، و جرى بينه و بين المعتضد خطب طويل ، و
كان في مخاطبته للمعتضد أن قال : لو شَوَيْتَنِي على النار ما زدتك على ما سمعت
متي ، و لم أقر على مَنْ دعوتُ الناس إلى طاعته و أقررت بإمامته ، فاصنع ما أنت له
صانع .

فقال له المعتضد : لسنا نعذبك إلا بما ذكرت ، فذكر أنه جعل في حديدة طويلة
أدخلت في دبره و أخرجت من فمه و أمسك بأطرافها على نار عظيمة حتى مات
بحضرة المعتضد و هو يسبه و يقول فيه العظام ، و الأشهر أنه جعل بين رماح ثلاثة
و شدَّ بأطرافها و كتّف و جعل فوق النار من غير أن يماسها و هو في الحياة يدار
عليها و يشوى كما تشوى الدجاج و غيرها الى ان تفرقع جسمه ، و أخرج فصلب
بين الجسرين من الجانب الغربي «^١ .

انهماكه في الشهوات

قال المسعودي: « ولم يكن له رغبة الا في النساء و البناء »^١ .
 و قال الحافظ السيوطي: « قال ابن حمدون النديم غرم المعتضد على عمارة
 البحيرة ستين ألف دينار، وكان يخلو فيها مع جواريه ، و فيهنّ محبوبته « دريرة » ،
 فقال ابن بسّام :

ترك الناس بِحَيْرَة و تخلّى في البحيرة
 قاعداً يضرب بالطبل على جرّ دريرة

فبلغ ذلك المعتضد ، فلم يُظهر أنّه بلغه ، ثمّ أمر بتخريب تلك العمارات ، ثم
 ماتت « دريرة » في أيام المعتضد فجزع عليها جزعاً شديداً ، و قال يرثيها :

يا حبيباً لم يكن يعدله عندي حبيب
 أنت عن عيني بعيد و من القلب قريب

الى آخر الأبيات^٢ .

زواجه من قطر الندى

قال المسعودي: « و في هذه السنة (أي في ٢٧٩) قدّم الحسن بن عبدالله

١ - مروج الذهب ج ٤ ص ١٤٥ .

٢ - الفرج .

٣ - تاريخ الخلفاء ص ٢٨٤



المعروف بابن الجصاص رسولاً من مصر لخمارويه بن أحمد بن طولون^١ و معه هدايا كثيرة و أموال جليلة ، فوصل الى المعتضد ، ثم سعى في تزويج ابنة خمارويه من علي المكتفي بالله .

فقال المعتضد : أنما أراد أن يتشرف بنا ، و أنا أزيد في تشريفه ، أنا أتزوجها ، فتزوجها ، و تولّى ابن الجصاص أمرها و حمل جهازها ، فيقال : انه حمل معها جوهرًا لم يجتمع مثله عند خليفة قطّ ، فاقتطع ابن الجصاص بعضه ، و أعلم قطر الندى أنّ ما أخذ مودعٌ لها عنده الى وقت حاجتها اليه ، فماتت و الجواهر عنده ، فكان ذلك سبب غناه و استقلاله .

و حمل المعتضد صداق قطر الندى و هو بمدينة بلد إلى أبي الجيش ، و كان الصداق ألف ألف درهم و غير ذلك من المتاع و الطيب و لطائف الصين و الهند و العراق ، و كان مما خصّ به أبا الجيش في نفسه و حباه به بَدْرَةٌ من الجواهر المثلثين فيها درّ و ياقوتٌ و أنواعٌ من الجواهر و وشاحٌ و تاجٌ و إكليلٌ .

و كان وصولهم إلى مصر في رجب سنة ثمانين و مائتين ، و انحدر المعتضد من مدينة بلد و الموصل بعد أن حمل ما وصفنا الى مدينة السلام في ثمانين^٢ .

١ - أحمد بن طولون : كان المعتز بالله ولأه مصر ، ثم استولى على دمشق و الشام أجمع و أنطاكية و تغور (وفيات الأعيان ج ١ ص ١٧٣) .

٢ - مروج الذهب ج ٤ ص ١٤٦

ثراء ابن الجصاص

و حدّث أبو سعيد أحمد بن الحسين بن منقذ قال : دخلت يوماً على الحسن بن الجصاص وإذا بين يديه سفظ مبطن بالحرير فيه جوهر قد نظم منه سبج ، فرأيت شيئاً حسناً و وقع في نفسي أنّ عددها يجاوز العشرين ، فقلت له : جعلني الله فداك ! كم عدد ما في كل سبحة ؟ فقال لي : مائة حبة ، وزن كل حبة كوزن صاحبها لا تزيد و لا تنقص ، قد عدلت كل سبحة وزن صاحبها ؛ وإذا بين يديه سبائك ذهب توزن بقبّان كما يوزن الحطب .

فلما خرجت من عنده تلقاني أبو العينا فقال لي : يا أبا سعيد ! على أيّ حال تركت هذا الرجل ؟ فوصفت له ما رأيت ، فقال رافعاً رأسه الى السماء : اللهم إنّ كنت لم تُساوِ بيني و بينه في الغنى ، فساوِ بيني و بينه في العمى ، ثم اندفع يبكي . فقلت : يا أبا عبيدالله ! ما شأنك ؟

فقال : لا تنكر ما رأيت مني ، لو رأيت ما رأيت لضعفت ، ثم قال : الحمد لله على هذه الحالة ، و قال : يا أبا سعيد ، ما حمدتُ الله تعالى على العمى إلا في وقتي هذا ؛ فقلت لمن يخبر حال ابن الجصاص : بأي شيء ختم هذا السبج ؟ فقال : بياقوتة حمراء لعل قيمتها أكثر مما تحتها^١ .

و قال الحافظ السيوطي : « و فيها (أي في سنة ٢٨٢) زفت اليه قطر الندى فدخل عليها و كان في جهازها أربعة آلاف تكّة^٢ مجوهره ، و عشرة صناديق

١ - مروج الذهب ج ٤ ص ١٤٦ .

٢ - التكة : رباط السراويل .



جوهر»^١.

المقتول من آل الرسول ﷺ في خلافة المعتضد

- ١ - محمد بن زيد بن محمد بن اسماعيل بن الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام ، قُتل في جرجان .
- ٢ - محمد بن عبدالله بن محمد بن القاسم بن حمزة بن الحسن بن عبيدالله بن العباس بن علي بن أبي طالب عليه السلام ، توفي في الحبس^٢ .

سبب قلة القتلى من آل الرسول ﷺ في خلافة المعتضد

اني تعجبت أثناء تأليف هذا الكتاب لما رأيت قلة القتلى و المظلومين من آل الرسول ﷺ في دولة المعتضد ، مع نهاية ظلمه و عدوانه و غاية قساوته و طغيانه على سائر الناس ، فكنت طالباً سببه اذ عثرت عليه في كلام المسعودي حيث قال :

« أخبرنا أبو الحسن محمد بن علي الوراق الانطاكي الفقيه المعروف بأنطاكية ، قال : أخبرني محمد بن يحيى بن أبي العباد الجليس ، قال : رأى المعتضد بالله و هو في سجن أبيه ، كأنّ شيخاً جالساً على دجلة يمدّ يده الى ماء دجلة ، فيصير

١ - تاريخ الخلفاء ص ٢٨٣ .

٢ - مقاتل الطالبين ص ٤٤٥ .

في يده و تجفّ دجلة ، ثم يرده من يده ، فتعود دجلة كما كانت .
 قال : فسألت عنه ، فقبل لي : هذا علي بن أبي طالب عليه السلام .
 قال : فقمتم اليه ، و سلّمتم عليه .
 فقال : يا أحمد ! انّ هذا الأمر صائر اليك ، فلا تتعرض لولدي ، و لا تؤذهم .
 فقلت : السمع و الطاعة يا أمير المؤمنين ^١ .

موت المعتضد بالله

قال الحافظ السيوطي : « اعتلّ المعتضد في ربيع الآخر سنة (٢٨٩) علّة صعبة ، و كان مزاجه قد تغيّر من كثرة افراطه في الجماع ^٢ .

قتل النفس حتى عند معاناة الموت

قال المسعودي : « فلما اعتراه الغشي و وقع للموت شكّوا في وفاته . فتقدّم الطبيب الى بعض أعضائه فحسّه ، فأحسّ به و هو على ما به من السكرات ، فأنف من ذلك ، و ركّله برجله ، فقلبه أذرعاً ، فيقال : إنّ الطبيب مات منها ، و مات المعتضد من ساعته ^٣ .

١ - مروج الذهب ج ٤ ص ١٨١ - ١٨٢ .

٢ - تاريخ الخلفاء ص ٢٨٥ .

٣ - مروج الذهب ج ٤ ص ١٨٤ .

ثروته عند موته

قال المسعودي: «خلف المعتضد في بيوت الأموال تسعة آلاف ألف دينار، و من الورق^١ أربعين ألف ألف درهم، و من الدواب و البغال و الجمازات^٢ و الحمير و الجمال، اثني عشر ألف رأس، و كان مع ذلك شحيحاً بخيلاً ينظر فيما لا ينظر فيه العوام»^٣.

﴿ ١٧ ﴾

﴿ المكتفي بالله بن المعتضد بالله ﴾

ثم قام بالامامة و زعامة المسلمين أبو محمد علي المكتفي بالله بن المعتضد بن الموفق بن المتوكل بن المعتصم بن الرشيد .

قال الدميري: «بويع له بالخلافة يوم توفي أبوه المعتضد، كان وسيماً جميلاً بديع الحسن، دري اللون، معتدل الطول، أسود الشعر، و كان حسن العقيدة، كارهاً نسفك الدماء، و وطاً له أبوه المعتضد الامور، و كان المكتفي مائلاً الى حب علي بن أبي طالب عليه السلام، باراً بأولاده .

١ - الورق : الدراهم المضروبة .

٢ - أي الحصان السريع العدو .

٣ - مروج الذهب ج ٤ ص ١٤٤ .

يحكى أنّ يحيى بن علي الشاعر أنشده بالزّقة قصيدة يذكر فيها فضل أولاد العباس على أولاد علي عليه السلام، فقطع المكتفي عليه انشاده، وقال: يا يحيى! ما أحب أن يخاطب أهلنا بشيء من ذلك و ان كانوا خلفاء، و لم يسمع القصيدة، و لا أجازه عليها رحمة الله عليه»^١.

و قال الحافظ السيوطي: «قال الصولي: ليس من الخلفاء من اسمه علي الآ هو و علي بن أبي طالب عليه السلام، هدم المطامير التي اتخذها أبوه و صيرها مساجد، و أمر برد البساتين و الحوانيت التي أخذها أبوه من الناس الى أهلها، و سار سيرة جميلة فأحبّه الناس و دعوا له، سمعت المكتفي يقول في علته: والله ما آسى الا على سبع مائة دينار صرفتها من مال المسلمين في ابنة ما احتجت اليها و كنت مستغنياً عنها أخاف أن أسأل عنها و إنّي استغفر الله منها»^٢.

مات المكتفي بالله شاباً و هو ابن ثلاثين في سنة (٢٩٥) أو (٢٩٩)^٣.
و قام مقام أخوه المقتدر بالله.

﴿ ١٨ ﴾

﴿ المقتدر بالله بن المعتض بالله ﴾

و هو أبو الفضل جعفر المقتدر بالله بن المعتض بالله بن الموفق بن المتوكل

١ - حياة الحيوان ج ١ ص ١٢٦ .

٢ - تاريخ الخلفاء ص ٢٨٧ - ٢٨٨ .

٣ - حياة الحيوان ج ١ ص ١٢٦ و تاريخ الخلفاء ص ٢٨٨ .

بن المعتصم بن الرّشيد .

أخذ الزعامة و زمام الامامة بيده و هو ابن ثلاث عشرة سنة .

قال الحافظ السيوطي : « لما اشتدت علة المكتفي سأل عنه ، فصّح عنده أنّه احتلم فعهد اليه ، و لم يلب الخلافة قبله أصغر منه ، فأنه و ليها و له ثلاث عشرة سنة ، فاستصباها^١ الوزير العباس بن الحسن ، فعمل على خلعه ، و وافقه جماعة على أن يولّوا عبدالله بن المعتز ، فبلغ المتقدر ذلك فأصلح حال العباس و دفع اليه أموالاً أرضته فرجع عن ذلك .

و أما الباقر فأنهم ركبوا عليه في العشرين من ربيع الأول سنة (٢٩٦) و المتقدر يلعب الكرة فهرب و دخل القصر و أغلقت الأبواب ، و قُتل الوزير و جماعة ، و أرسل الى ابن المعتز فجاء و حضر القواد و القضاة و الأعيان و بايعوه بالخلافة و لقبوه الغالب الله^٢ .

و بعث ابن المعتز الى المتقدر يأمره بالانصراف الى دار محمد بن طاهر لكي ينتقل ابن المعتز الى دار الخلافة ، فأجاب و لم يكن بقي معه الا طائفة يسيرة ، فقالوا يا قوم نسلّم هذا الأمر و لا نجرب نفوسنا في دفع ما نزل بنا ؟!

فلبسوا السلاح ، و قصدوا المخزم ، و به ابن المعتز فلما رأهم من حوله ألقى الله في قلوبهم الرعب فانصرفوا منهزمين بلا قتال ، و هرب ابن المعتز و وزيره و قاضيه و وقع النهب و القتل في بغداد .

و قبض المتقدر على الفقهاء و الامراء الذين خلعوه و سلّموا الى يونس

١ - أي استصغره و حسبه صبيّاً .

٢ - وفي حياة الحيوان ج ١ ص ١٢٧ : المرتضى بالله (كما سيأتي) .



الخازن فقتلهم الا اربعة منهم القاضي أبو عمر ، فانهم سلموا من القتل و حبس ابن المعتز ، ثم أخرج فيما بعد ميتاً ، و استقام الأمر للمقتدر ، فاستوزر أبا الحسن علي بن محمد بن الفرات فسار أحسن سير و كسف المظالم ، و حضّ المقتدر على العدل ففوض اليه الأمور لصغره و اشتغل باللعب و اللهو و أتلف الخزائن .

قال الذهبي اختل النظام كثيراً في أيام المقتدر و في سنة إحدى و ثلاثمائة ولى الوزارة علي بن عيسى فسار بعفة و عدل و تقوى ، و أبطل الخمر و أبطل من المكوس ما ارتفاه في العام خمسمائة ألف دينار .

و فيها أعيد القاضي أبو عمر الى القضاء ، و ركب المقتدر من داره الى الشماسية و هي أول ركبة ركبها و ظهر فيها للامة .

و فيها أدخل الحسين الحلاج مشهوراً على جمل الى بغداد ، فصلب حياً ، و نودي عليه هذا أحد دعاة القرامطة فاعرفو ، ثم حبس الى أن قتل في سنة تسع (و ثلاثمائة) و أشيع عنه أنه ادعى الآلهية و انه يقول بحلول اللاهوت في الأشراف و يكتب الى أصحابه من النور الشعشعاني ، و نوظر فلم يوجد عنده شيء من القرآن و لا الحديث و لا الفقه .

و فيها سار المهدي الفاطمي يريد مصر في أربعين ألفاً من البربر ، فحال النيل بينه و بينها فرجع الى الاسكندرية و أفسد فيها و قتل ثم رجع فسار اليه جيش المقتدر الى بركة ، و جرت لهم حروب ثم ملك الفاطمي الاسكندرية و الفيوم من هذا العام .

و في سنة اثنتين ختن المقتدر خمسة من أولاده فغرم على ختانهم ستمائة ألف دينار ، و ختن معهم طائفة من الأيتام و أحسن اليهم .

و فيها صلّى العيد في جامع مصر و لم يكن يصلّى فيه العيد قبل ذلك ، فخطب



بالناس علي بن أبي شيخة من الكتاب نظراً وكان من غلظه أن قال : اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْرِكُونَ^١ .

وفيها (أي سنة ٣٠٦) صار الأمر والنهي لحرم الخليفة و لنسائه لركاكته ، و آل الأمر الى أن أمرت أمّ المقتدر بمثل القهرمانه أن تجلس للمظالم و تنظر في رفاع الناس كل جمعة ، فكانت تجلس و تحضر القضاة و الأعيان و تبرز التواقيع و عليها خطّها^٢ .

و في سنة (٣١٧) خرج مونس الخادم الملقب بالمظفر على المقتدر لكونه أنه يريد أن يوليّ هارون بن غريب مكان مونس ، و ركب معه سائر الجيش و الامراء و الجنود و جاؤا الى دار الخلافة فهربت خواص المقتدر و أخرج المقتدر بعد العشاء ، و ذلك في ليلة رابع عشر المحرم ، من داره و أمه و خالته و حرمه ، و نهب لأمه ستمائة ألف دينار و اشهد عليه بالخلع ، و أحضر محمد بن المعتضد و بايعه مونس و الامراء و لقبوه القاهر بالله ، فوّضت الوزارة الى علي بن أبي مقله و ذلك يوم السبت و جلس القاهر يوم الأحد و كتب الوزير عنه الى البلاد ، و عمل الموكب يوم الاثنين فجاء العسكر يطلبون رزق البيعة و رزق السنة ، و لم يكن مونس حاضراً فارتفعت الأصوات فقتلوا الحاجب فمالوا الى دار مونس يطلبون المقتدر ليردّوه الى الخلافة فحملوه على أعناقهم من دار مونس الى قصر الخلافة و أخذ القاهر فجيء به و هو يبكي و يقول : الله الله في نفسي فاستدناه و قتله و قال له يا أخي أنت والله لا ذنب لك والله لا جرى عليك متي سوء أبداً فطب نفساً ، و سكّن الناس ، و عاد الوزير فكتب

١ - و الصحيح : و أنتم مسلمون . سورة آل عمران ٣ : ١٠٢ .

٢ - تاريخ الخلفاء ص ٢٨٨ الى ٢٩٠ .

الى الأقاليم بعود الخليفة الى خلافته»^١.

قتل الوزير ابن الفرات

و ممن قتله المقتدر ظلماً و صبراً وزيره أبو الحسن علي بن محمد بن موسى بن الحسن بن فرات وزر له ثلاث دفعات و خدمه مدة طويلة (١٦ سنة)^٢.
قال ابن خلكان: كان كاتباً كافياً خبيراً، و كان يجري الرزق على خمسة آلاف من أهل العلم و الدين و البيوت و الفقراء.

قال الصولي: و من فضائله التي لم يسبق إليها أنه كان اذا رفعت اليه قصة فيها سعاية، خرج من عنده غلامٌ فنادى: أين فلان بن فلان الساعي؟ فلما عرف الناس ذلك، امتنعوا من السعاية بأحد.

و قال: انه قام من مرضه - و قد اجتمعت الكتب و الرقاع عنده - فنظر في ألف كتاب، و وقع ألف كتاب، و وقع في ألف رقعة، فقلنا له: بالله لا يسمع بهذا أحدٌ خوفاً من العين عليه.

و كان اذا مشى الناس بين يديه غضب و قال: انا لا نكلف هذا غلماني فكيف أكلف أحراراً لا احسان لي عليهم^٣.

قال ابن الأثير: و من محاسنه أنه جرى عنده ذكر أصحاب الأدب، و طلبة

١ - تاريخ الخلفاء ص ٢٩١ الى ٢٩٢.

٢ - وفيات الأعيان ج ٣ ص ٤٢١.

٣ - وفيات الأعيان ج ٣ ص ٤٢٣.



الحديث ، و ما هم عليه من الفقر و التعفف ، فقال : أنا أحقّ من أعانهم ، و أطلق لأصحاب الحديث عشرين ألف درهم ، و للشعراء عشرين ألف درهم ، و لأصحاب الأدب عشرين ألف درهم ، و للفقهاء عشرين ألف درهم ، و للصوفية عشرين ألف درهم ، فذلك مائة ألف درهم .

وكان اذا ولي الوزارة ارتفعت أسعار الثلج ، و الشمع ، و السكر ، و القرطاس لكثرة ما يستعملها^١ .

فمثل هذا الشخص قتله المقتدر بعد ما خدمه في الوزارة ثلاث مرّات ، قتله صبراً و هو صائم ، و قد قتل قبله ابنه و وضع رأسه بين يديه و ذلك في سنة (٣١٢) و لعلّ جرمه الوحيد الذي لا يغفر كونه شيعياً كما قاله صاحب الأعيان^٢ .

المقتولون من آل رسول الله ﷺ في خلافة المقتدر

و هم على ما ذكره أبو الفرج الاصبهاني :

١ - العباس بن اسحاق (و هو الذي يقال له المهلوس) بن ابراهيم بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام . قتل بمدينة أرمينية يقال لها ديبيل .

٢ - المحسن بن جعفر بن علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام ، و أدخل رأسه الى بغداد ،

١ - الكامل لابن الأثير ج ٨ ص ١٥٤ .

٢ - أعيان الشيعة ج ٩ ص ٨٤ .

و أظهر من قتله أنه كان دعا الى خلاف السلطان فقتله لذلك .

٣- طاهر بن يحيى بن الحسن بن جعفر بن عبيدالله بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام . قُتل بالمدينة مسموماً^١ .

ثروة المقتدر بالله

قال الحافظ السيوطي: « كان المقتدر جيد العقل ، صحيح الرأي^٢ لكنه كان موسراً للشهوات و الشراب مبذراً ، و كان النساء غلبن عليه فأخرج عليهن جميع جواهر الخلافة و نفائسها ، و أعطى بعض حظاياها الدرّة اليتيمة و زنها ثلاث مئاقيل ، و أعطى زيدان القهرمان سبحة جوهر لم ير مثلها ، و أتلف اموالاً كثيرة ، و كان في داره أحد عشر ألف غلام خصيان غير الصقالبة و الرّوم و السّود ، و خلف اثني عشر ولداً ذكراً ، و ولي الخلافة من أولاده ثلاثة الراضي و المتقي و المطيع ، و كذلك اتفق للمتوكل و للرّشيد^٣ .

عاقبة أمر المقتدر

قال الّدّميري: « ثم جرى بين المقتدر و بين مؤنس الخادم حرب فاقتحم

١- مقاتل الطالبين ص ٤٤٩ - ٤٥٠ .

٢- سيأتي قول الحافظ الذهبي فيه : انه كان ناقص الرأي .

٣- تاريخ الخلفاء ص ٢٩٣ .

المقتدر نهر السكران ، فأحاط به جماعة من البربر ، فقتله رجل منهم ، و أخذوا رأسه و ثيابه و مضوا إلى مؤنس الخادم ، فمرّ بالمقتدر رجل من الأكراد فستر عورته بحشيش و دفنه و أخفى أثره .

كان قتله يوم الأربعاء لثلاث بقين من شوال سنة ست عشرة و ثلثمائة (٣١٦) و هو ابن ثمان و ثلاثين سنة و شهر ، و كانت خلافته أربعاً و عشرين سنة و أحد عشر شهراً خلع فيها مرتين ثم قتل كما تقدم .

و حكى الذهبي : أن خلافته كانت خمساً و عشرين سنة ، و أنه عاش ثمانياً و ثلاثين سنة ، و أنه كان مسرفاً مبذراً للمال ناقص الرأي أعطى جاريةً له الدرّة اليتيمة كان وزنها ثلاثة مثاقيل و ما كانت تقوم ، و قيل : إنه محق من الذهب ثمانين ألف ألف دينار في أيامه ^١ .

و قال ابن الأثير : « أراد المقتدر أن ينحدر إلى واسط ، و يكاتب العساكر من جهة البصرة و غيرها ، فردّه ابن ياقوت عن ذلك و زين له اللقاء و قوّى نفسه بأنّ لقوم متى رأوه عادوا بأجمعهم إليه ، فرجع إلى قوله و هو كارهٌ .

فخرج و بين يديه الفقهاء و القراء معهم المصاحف مشهورة ، و عليه البردة ، و الناس حوله ، فوقف على تلّ عالٍ بعيد عن المعركة .

فأرسل قوّاد أصحابه يسألونه التقدّم ، فلما ألحوا عليه تقدّم من موضعه ، فانهزم أصحابه قبل وصوله اليهم ، و كان قد أمر فنودي : من جاء بأسير فله عشرة دنانير ، و من جاء برأس فله خمسة دنانير .

فلما انهزم أصحابه لقيه علي بن بليق - و هو من أصحاب مؤنس - فترجّل و

قَبِلَ الأَرْضَ ، و قال له : اين تمضي ؟ ارجع ! لعن الله من أشار عليك بالحضور !
فأراد الرجوع ، فلقىه قومٌ من المغاربة و البربر ، فتركه علي معهم و سار عنه ،
فشهروا عليه سيوفهم ، فقال : ويحكم ! أنا الخليفة !
فقالوا : قد عرفناك يا سِفْلَةَ ! أنت خليفة ابليس ، تبذل في كل رأس خمسة
دنانير ! و في كل أسير عشره دنانير ! و ضربه أحدهم بسيفه على عاتقه ، فسقط الى
الأرض ، و ذبحه بعضهم .

(ثم قال ابن الأثير) وكان المقتدر ثقيل البدن ، عظيم الجثّة ، فلما قتلوه رفعوا
رأسه على خشبة و هم يكبرون و يلعنونه و أخذوا جميع ما عليه حتى سراويله ، و
تركوه مكشوف العورة ، الى ان مرّ به رجلٌ من الأكراد فستره بحشيش ، ثم حفر له
موضعه ، و دفن فيه و عفي قبره^١ .
ثم قام مقامه ابن عم أبيه :

﴿ ١٩ ﴾

﴿ المرتضى بالله بن المعترّ بالله ﴾

و هو : المرتضى بالله بن المعترّ بالله بن المتوكل على الله .
قال الّدميريُّ : « بويغ له بالخلافة بعد خلع المقتدر بعد أن شرط عليهم أن
لا يكون في ذلك حرب و لا سفك دم ، فلما بويغ له كتب إلى المقتدر يأمره بلزوم

دار ابن طاهر بوالدته و جواريه ، و أمر الحسن بن حمدان و ابن عمرويه صاحب الشرطة أن يصيرا إلى دار المقتدر ، فمضيا فخرج إليهما الغلمان و رموهما بالحجارة ، و جرت بينهم حرب شديدة آخرها أن أصحاب المقتدر ظهروا عليهما ، فانهزما و انهزم المرتضى بالله و تفرق أصحابه و استتر عند ابن الجصاص و لم يتم له أمر غير يوم و ليلة ، و لذلك لم يعد المؤرخون خلافته في هذه المدة ، ثم عاد للمقتدر إلى ما كان عليه ، ثم ظفر بالمرتضى بالله فقتله خنقاً و أظهر أنه مات حتف أنفه ، و أخرج و هو ميت من دار الخلافة فدفنوه في خرابة بإزاء داره ، و كان عمره خمسين سنة .

(ثم قال نقلاً عن ابن خلكان) أنه كان شاعراً ماهراً فصيحاً مجيداً مخالطاً للعلماء و الأدباء ، و هو صاحب التشبيهات التي أبدع فيها و لم يتقدمه من شق غباره ، و كان قد اتفق معه جماعة و خلعوا المقتدر و بايعوه و لقبوه بالمرتضى بالله ، فقام يوماً و ليلة .

ثم إن أصحاب المقتدر تحزبوا و حاربوا أعوان ابن المعتز و شتتوهم فاستخفى ابن المعتز ثم أخذ ليلاً فلما أدخل على المقتدر أمر به فطرح على الشلج عرياناً و حشي سراويله ثلجاً فلم يزل كذلك ، و المقتدر يشرب ، إلى أن مات و ذلك في شهر ربيع الآخر سنة ست و تسعين و مائتين ، و ليس هو بمعدود في الخلفاء لأنه لم يثبت له أمر^١ .

ثم ناب منابه ابن عمته :

﴿ ٢٠ ﴾

﴿ القاهر بالله بن المعتضد بالله ﴾

هو أبو منصور محمد القاهر بالله بن الموفق طلحة بن المتوكل ، أمه أم ولد اسمها « فتنة » بويغ بعد قتل المقتدر ، و لقب القاهر بالله كما لقب به من قبل ، سنة (٣١٧) أيام المقتدر .

قال الحافظ السيوطي : « فأول ما فعل صادر آل المقتدر و عذبهم و ضرب أم المقتدر حتى ماتت في العذاب .

و في سنة (٣٢١) شغب عليه الجند ، و اتفق مونس و ابن مقله و آخرون على خلعه بابن المكتفي ، فاحتل القاهر عليهم الى أن أمسكهم و ذبحهم و طين على ابن المكتفي بين حيطتين .

و أما ابن مقله فاختفى فأحرقت داره ، و نهبت دور المخالفين ، ثم أطلق أرزاق الجند فسكنوا و استقام الأمر للقاهر ، و عظم في القلوب و زيد في ألقابه (المنتقم من أعداء دين الله).

و في هذه السنة أمر بتحريم القيان و الخمر ، و قبض على المغنين ، و نفى المخانيت ، و كسر آلات اللهو ، و أمر ببيع المغننيات من الجوارى على أنهن سواذج^١ و كان مع ذلك لا يصحو من السكر و لا يفتّر من سماع الغناء .

١ - يعني السواذج من الغناء ، فبعن بثمان عادي .

وقال الصولي: كان القاهر أهوج^١ سفاكاً للدماء، قبيح السيرة، كثير التلؤن و الاستحالة، مدمن الخمر، و لولا جودة حاجبه (سلامة) لأهلك الحرث و التسل، و كان صنع حربته يحملها معه فلا يطرحها حتى يقتل بها انساناً^٢.

نبذة من مظالمه العجيبة التي قلّ نظيرها

قال السيوطي: « قتل القاهر اسحاق بن اسماعيل التوبختي الذي قد أشار بخلافة القاهر ألقاه على رأسه في البئر و طُمت، و ذنبه أنه زايد القاهر قبل الخلافة في جارية و اشتراها فحقد عليه^٣ ».

و قال الدميري: « لَمَّا ولى (القاهر) قبض على ابن أخيه المكتفي و أمر به فأقيم في بيت و سدّ عليه بالآجر و الجصّ حتى مات غمّاً^٤ ».

و قبض على السيدة أم المقتدر و طالبها بمال لم تقدر عليه فتهدّدها و ضربها بيده و عذّبها بأنواع العذاب، و علّقها منكّسةً حتى كان يجري بولها على وجهها، و هي تقول له: أَلَسْتُ أَمَلُّكَ فِي كِتَابِ اللَّهِ؟ و خلّصتك من ابني في المرّة الأولى؟ و أنت تعاقبني بهذه العقوبة و لم يبق عندي مال، ثم إنها ماتت عقب ذلك.

ثم إنّ الجند شغبوا عليه و جاءوا إلى داره و هجموا عليه من سائر الأبواب

١ - المتهور الذي يوقع نفسه في الحروب.

٢ - تاريخ الخلفاء ص ٢٩٤ - ٢٩٩٥.

٣ - المصدر.

٤ - غمّه: غطّاه.

فهرب إلى سطح حتمام واستتر فيه ، فأتوا اليه و قبضوا عليه و حبسوه و خلعوه من الخلافة و سملوا عينيه ، و ذلك في جمادى الآخر سنة اثنتين و عشرين و ثلاثمائة»^١.

و قال السيوطي: « و فيها (أي في سنة ٣٢٢) تحرك الجند عليه ، لأن ابن مقله في اختفائه كان يوحشهم منه ، و يقول لهم أنه بنى لكم المطامير ليحبسكم و غير ذلك فأجمعوا على الفتك به ، فدخلوا عليه بالسيوف ، فهرب فأدركوه و قبضوا عليه ، و بايعوا بالعباس (محمد بن المقتدر) و لقبوه (الراضي بالله) .

ثم أرسلوا الى القاهر و الوزير و القضاة فجاؤه ، فقيل له ما تقول ؟

قال (القاهر) أنا أبو منصور محمد بن المعتضد ، لي في أعناقكم بيعة ، و في أعناق الناس ، و لست أبرئكم ، و لا أحللكم منها ، فقوموا فقاموا .

قال القاضي أبو الحسين : فدخلت على الراضي و أعدت عليه ما جرى ، و أعلمته أنني أرى امامته فرضاً .

فقال : انصرف ! و دعني و إياه ، فأشار (سيما) مقدّم الحجرية على الراضي بسمله^٢ فكحله بمسمارٍ محميّ ، فسالت عيناه على خديّه «^٣ .

و قعت هذه الحادثة في سنة (٣٢٢) .

١ - حياة الحيوان ج ١ ص ١٢٩ .

٢ - أي فقأه (جعله أعمى) .

٣ - تاريخ الخلفاء ص ٢٩٥ .

عبرة من العبر لمن وعى واعتبر

قال الـدميري: « قال ابن البـطريق في تاريخه : كان القاهر قد ارتكب أموراً قبيحة لم يسمع بمثلها في الإسلام وذكر منها طرفاً طويلاً . حكي أنّ رجلاً قال : صليت في جامع المنصور ببغداد فإذا أنا بإنسان عليه جبة عناية وقد ذهب وجهها و بقي بعض قطن بطانتها وهو يقول : أيها الناس تصدقوا عليّ ، بالأمس كنت أمير المؤمنين وأنا اليوم من فقراء المسلمين ، فسألت عنه ، فقيل لي : إنه القاهر بالله ، وفي هذه الحكاية أعظم عبرة ، نعوذ بالله من سخطه و زوال نعمه »^١ .
ثمّ قام بالأمر بعده ابن أخيه الراضي بالله .

﴿ ٢١ ﴾

﴿ الراضي بالله بن المقتدر بالله ﴾

وهو أبو العباس أحمد الراضي بالله بن المقتدر بن المعتضد بن الموفق بن المتوكل .

قال الـدميري: «بويغ له بالخلافة يوم خلع عمه القاهر ، واستوزر أبا علي بن مقلة و أطلق كل من كان في حبس القاهر ، ثم استدعى بالأمير محمد بن رائق ، و كان بواسط متغلباً عليه لأنّ الضرورة ألجأته إلى ذلك لاضطراب الأمور عليه ، و

لضعف من يلي الوزارة عن القيام بها ، فقدم ابن رائق بغداد فجعله الراضي أمير
الأمراء و فوض إليه تدبير المملكة و خلع عليه و أعطاه اللواء .
من ذلك اليوم بطل أمر الوزارة ببغداد و لم يبق إلا اسمها و الحكم للأمراء و
الملوك المتغلبين .

و كان قدومه لخمس بقين من ذي الحجة سنة أربع و عشرين و ثلاثمائة ، ثم
دخلت سنة خمس ، و الدنيا في أيدي المتغلبين و هم ملوك الأرض ، و كل من حصل
في يده بلد ملكه و مانع عنه ، فالبصرة و واسط و الأهواز في يد عبدالله البريدي و
أخويه ، و فارس في يد عمادالدولة بن بويه ، و الموصل و ديار بكر و ديار ربيعة و
ديار مضر في يد بني حمدان ، و مصر و الشام في يد الإخشيد بن طغج ، و المغرب و
إفريقيا في يد المهدي ، و الأندلس في يد بني أمية ، و خراسان و ما والاها في يد
نصر بن أحمد الساماني ، و اليمامة و هجر و البحرين في يد أبي طاهر القرمطي ؛ و
طبرستان و جرجان في يد الديلم ، و لم يبق في يد الراضي و ابن رائق سوى بغداد و
ما والاها ، فبطلت دواوين المملكة و نقص قدر الخلافة و ضعف ملكها و عمّ
الخراب لذلك :

و توفي الراضي ليلة السبت خامس عشر ربيع الأول سنة تسع و عشرين و
ثلاثمائة (٣٢٩) بعلّة الاستسقاء و التنحج و كان أكبر أسباب علته من كثرة الجماع و
هو ابن إثنين و ثلاثين سنة و أشهر ، و خلافته ست سنين و عشرة أشهر^١ .
ثم قام مقامه أخوه المتقي بالله .



﴿ المتقي لله بن المقتدر بالله ﴾

وهو أبو اسحاق ابراهيم المتقي لله بن المقتدر بن المعتضد بن الموفق بن المتوكل.

قال السيوطي: « بويح له بالخلافة بعد موت أخيه الرّاضي وانه لم يغير شيئاً قطّ، ولا تسرى الاجاريتة التي كانت له ، وكان كثير الصّوم و التّعبد ، و لم يشرب نيذاً قطّ ، وكان يقول لا أريد نديماً غير المصحف (لكنه) لم يكن له سوى الاسم ، و التّديير لابن عبدالله أحمد بن علي الكوفي كاتب بحكم .

و سار من واسط تورون فقصد بغداد ، فدخلها فخلع عليه المتقي و ولاه أمير الأمرء ، ثم وقعت الوحشة بين المتقي و تورون ، فراسل الخليفة تورون في الصلح ، فأجاب و بالغ في الإيمان .

ثم حضر أخشيد (والي مصر) الى المتقي - و هو بالزّقة و قد بلغه مصالحة تورون - فقال : يا أميرالمؤمنين ! أنا عبدك و ابن عبدك ، و قد عرفت الأتراك و فجورهم و غدرهم ، فالله الله في نفسك ، سر معي الى مصر ، فهي لك و تأمن على نفسك ، فلم يقبل .

فرجع أخشيد الى بلاده و خرج المتقي من الرّقة الى بغداد في رابع محرّم سنة ثلاث و ثلاثين (٣٣٣) و خرج للقاءه تورون فالتقيا بين الأنبار و هيت ، فترجل تورون و قتل الأرض ، فأمره المتقي بالركوب فلم يفعل ، و مشى بين يديه الى المخيم الذي ضربه له ، فلما نزل قبض عليه و على ابن مقلّة (وزيره) و من معه ثم

كحل الخليفة^١ و أدخل بغداد مسمول العينين ، وقد أخذ منه الخاتم والبردة والقضيب .

وأحضر تورون عبدالله بن المكتفي و بايعه بالخلافة و لقبه «المستكفي بالله» ثم بايعه المتقي المسمول ، وأشهد على نفسه بالخلع من ذلك .

ولما بلغ القاهر انه سمل ، قال : صرنا اثنين نحتاج الى ثالث ، فكان كذلك لما سمل المستكفي أيضاً .
وقال القاهر :

صرت و ابراهيم شيخي عمي لابد للشيخين من مصدر

مادام تورون له إمرة مطاعة فالميل في المجرم

ثم أخرج المتقي الى جزيرة فسجن بها فأقام بالسجن خمساً وعشرين سنة .
وكان ابن حمدي اللص ضمنه أبو جعفر ابن شيرزاد^٢ لما تغلب على بغداد اللصوصية بها بخمسة و عشرين ألف دينار في الشهر ، فكان يكبس^٣ بيوت الناس بالمشعل و الشمع و يأخذ الأموال ، و ذلك في سنة اثنتين و ثلاثين بعد ثلاث مائة (٣٣٢) .^٤

ثم تزعت الدولة العباسية من بعد القاهر بالله كما علمت سابقاً ، لأن الحكومة الظاهرية كانت للخلفاء ، والأمر و النهي و التدبير كان بيد غلمانهم من الأتراك و المغاربة والقواد يفعلون مايشاؤون ، حتى عزل الخليفة و نصبه و مجازاته و

١ - أى قفاً عينيه بامرار المسمار المحمى فيهما ، وقد مضى مثله في ترجمة القاهر .

٢ - وهو أحد كتاب تورون .

٣ - أي يهجم .

٤ - تاريخ الخلفاء ص ٢٩٩ - الى - ٣٠١

تعذيبه كان بأيديهم .

هذا - مع انقسام بلادهم بين الخلفاء الآخرين من الفاطميين فى مصر و افريقيا ، والسلاطين من آل بويه ، و سلجوقيين و آل حمدان كسيف الدولة و أمثاله ، فلم يبق لهم من الخلافة الا اسمها ومن الامامة الا رسمها ، وكان نتيجة ذلك حسناً بالنسبة ، لأنهم رفعوا اليد عن ظلمهم على العباد ، وأظهروا للناس الصلاح والسداد ، وكيف كان فلا نطيل الكلام فيهم ، بل نذكر بقتيتهم نائياً عن الاكثار ، مراعيّاً الاختصار ، لثلاً يقال انّ كلامنا بُعد عن المقصود ، وهو اقامة البرهان على وجود الامام الموعود عليه السلام .

ثم قام مقام المتقي بالله بعد سمله وعزله فى سنة (٣٣٣) المستكفي بالله .

﴿ ٢٣ ﴾

﴿ المستكفي بالله بن المكتفي بالله ﴾

وهو أبو القاسم عبدالله المستكفي بالله بن المكتفي بن المعتضد . بويع له بعد عزل ابن عمه المتقي لله وسمله . و فى أيامه قدم معزّ الدولة بن بويه بغداد ، فخلع عليه وجعل له امارّة الأمراء وعقد له لواء ، وفوّض اليه ما وراء بابه ، وهو أول ملوك بني بويه فى حضرة الخليفة ، وهو الذي لقبه معزّ الدولة ، ولقب أخاه عماد الدولة و أخاه الآخر بركن الدولة ، وأمر أن تضرب ألقابهم على الدينار والدرهم ، ويخطب لهم على المنابر .

و فى سنة أربع و ثلاثين و ثلاث مائة (٣٣٤) كان خلعه ، وسبب ذلك أنّ



معزّ الدولة بلغه أنّ المستكفي قد دبّر على هلاكه ، فدخل على المستكفي وقبل الأرض ، ثم قبل يديه فطرح له كرسيّ فجلس عليه ، ثم تقدّم اليه رجلان من الديلم و مدا أيديهما الى المستكفي ، فظنّ أنّهما يريدان تقبيل يده ، فمدها اليهما ، فجذباه من على السرير ، وجعل عمامته في عنقه ، ثم سحب الى معزّ الدولة و اعتقل ثم خلع و سملت عيناه ، و انتهبت دار الخلافة حتى لم يبق فيها شيء ، ثم أحضروا الفضل بن المقتدر و هو ابن عمّ المستكفي ، و لقبوه «المطيع لله» فبايعوه ، و قدّموا المستكفي اليه فسلمّ عليه بالخلافة و أشهد على نفسه بالخلع ، و كان يتظاهر بالتشيع^١ .
ثم قام مقامه ابن عمّه المطيع لله .

﴿ ٢٤ ﴾

﴿ الميطع لله بن المقتدر بالله ﴾

و هو أبو القاسم الفضل المطيع لله بن المقتدر بالله . بويع له يوم خلع المستكفي و كان أمره ضعيفاً ، و تدبير المملكة الى معزّ الدولة فعين له كل يوم نفقة مائة دينار فقط^٢ .

قال الّدميريّ : « كان معزّ الدولة ملكاً شجاعاً مقداماً قوي القلب^٣ الا أنّه كان

١ - حياة الحيوان ج ١ ص ١٣٠ ، تاريخ الفخري ص ٢٧٨ .

٢ - تاريخ الخلفاء ص ٣٠٢

٣ - (الماعّ الى دولة بني بويه) هم عماد الدولة أبو الحسن علي ، و ركن الدولة أبو علي الحسن ، و معزّ الدولة أبو الحسن أحمد ، أولاد أبي شجاع بويه بن فناخسرو من آل يزدجرد ملك ايران =

= أمّا ابتداء أمرهم ، فإنّ والدهم أبو شجاع بويه كان متوسط الحال ، فماتت زوجته وخلّفت ثلاث بنين ، فلما ماتت اشتدّ حزنه عليها ، فحكى شهربار بن رستم الديلمي ، قال : كنت صديقاً لأبي شجاع بويه ، فدخلت إليه يوماً فعدلته على كثرة حزنه ، وقلت له : أنت رجلٌ يحتمل الحزن ، وهؤلاء المساكين أولادك يهلكهم الحزن ، وربما مات أحدهم فيجدّد لك من الأحران ما يُتسبك المرأة و سَلَيْتَه بجهدِي ، و أخذته و أولاده الى منزلي ليأكلوا طعاماً ، وشغلته عن حزنه ، فبينما هم كذلك اجتاز بنا رجلٌ يقول عن نفسه أنه منجمٌ ومعبّرٌ للنمات ، فأحضره أبو شجاع وقال له : رأيت في منامي كأنني أبول ، فخرج من ذكري نارٌ عظيمة استطلت وعلت حتى كادت تبلغ السماء ، ثم انفجرت فصارت ثلاث شعب ، و تولّد من تلك الشعب عدّة شعب ، فأضأت الدنيا بتلك النيران ، و رأيت العباد و البلاد خاضعين لتلك النيران .

فقال المنجم : هذا منامٌ عظيمٌ لأفسرّه الآ بخلعة ، و فرس ، و مركب .

فقال أبو شجاع : و الله ما أملك الآ الثياب التي على جسدي فان أخذتها بقيت عُرياناً ؛ قال المنجم : فعشرة دنائير ؛ قال : و الله ما أملك ديناراً فكيف عشرة ! فأعطاه شيئاً ، فقال المنجم : اعلم أنه يكون لك ثلاثة أولاد يملكون الأرض و من عليها ، و يعلو ذكركم في الآفاق كما علت تلك النار ، و يولد لهم جماعة ملوك بقدر ما رأيت من تلك الشعب .

فقال أبو شجاع : أما تستحي تسخر ممّا ؟ أنا رجلٌ فقيرٌ و أولادي هؤلاء فقراء مساكين كيف يصيرون مفوكاً ؟

فقال المنجم : أخبرني بوقت ميلادهم ؛ فأخبره ، فجعل يحسب ، ثم قبض على يد أبي الحسن عليّ قَبَلَهَا و قال : هذا والله الذي يملك البلاد ، ثم هذا من بعده ، و قبض على يد أخيه أبي عليّ الحسن ، فاعتاظ منه أبو شجاع ، و قال لأولاده : اصفَعُوا هذا الحكيم فقد أفرط في السخرية بنا ! فصفعوه ، وهو يتغيث ، و نحن نضحك منه ، ثم أمسكوا ، فقال لهم : اذكروا لي هذا إذا قصدتكم و أنتم ملوك ؛ فضحكنا منه و أعطاه أبو شجاع عشرة دراهم . (الكامل لابن الأثير ج ٨ ص ٢٦٦).

قال ابن خلكان : « كان علي بن بويه عماد الدولة أكبر أولاد بويه وهو أول من ملك من بني بويه و كان بُوهُ صَيَاداً و ليست له معيشة الا صيد السمك ، ثم الحسن ركن الدولة ، ثم معز الدولة وجميع ملوكوا . و كان عماد الدولة سبب سعادتهم و انتشار صيتهم ، و استولوا على البلاد و ملكوا العراقيين و الأهواز و =

في أخلاقه شراسة^١ فما زالت التجارب تحتكه ، و السعادة تخدمه و ترفعه ، الى أن بلغ الغاية التي لم يبلغها قبله أحدٌ في الاسلام الا الخلفاء^٢ .
ثم خلع المطيع نفسه من الخلافة و سلمها لولده عبدالكريم وسمّاه الطائع لله و

= فارس ، و ساسوا أمور الرعية أحسن سياسة .

إن عماد الدولة اتفقت له أسباب عجيبة كانت سبباً لثبات ملكه ، منها : أنه لما ملك شيراز في أول ملكه اجتمع أصحابه و طالبوه بالأموال ، و لم يكن معه ما يرضيهم به و أشرف أمره على الانحلال ، فاعتد ذلك فيبينما هو مفكرٌ قد استلقى على ظهره في مجلس قد خلا فيه للفكرة والتدبير إذ رأى حية قد خرجت من موضع من سقف ذلك المجلس و دخلت موضعاً آخر منه ، فخاف أن تسقط عليه ، فدعا الفرسانيين و أمرهم بإحضار سلم ، و أن تخرج الحية ؛ فلما صعدا و بحثوا عن الحية وجدوا ذلك السقف يُفضي إلى غرفة بين سقفين ، فعرفوه ذلك ، فأمرهم بفتحها ففتحت فوجد فيها عدة صناديق من المال والمصاغات قدر خمسمائة ألف دينار ، فحمل المال إلى بين يديه ، فسُرَّ به و أنفقه في رجاله ، و ثبت أمره بعد أن كان قد أشرف على الانحرام .

ثم إنه قطع ثياباً و سأل عن خياط حاذق ، فوصف له خياط كان لصاحب البلد قبله ، فأمر بإحضاره ، و كان أطرشاً ، فوقع له أنه قد سعي به إليه في ودیعة كانت عنده لصاحبه ، و أنه طلبه لهذا السبب ، فلما خاطبه حلف أنه ليس عنده إلا اثنا عشر صندوقاً لا يدري ما فيها ، فعجب عماد الدولة من جوابه ، ووجه معه من حملها ، فوجد فيها أموالاً و ثياباً بجملة عظيمة ، فكانت هذه الأسباب من أقوى دلائل سعادته ، ثم تمكنت حاله واستقرت قواعده .

وكانت وفاته يوم الأحد لأربع عشرة ليلة بقيت من جمادي الأولى سنة ثمان و ثلاثين ، وقيل تسع و ثلاثين و ثلثمائة بشيراز ، و دفن في دار المملكة ، و أقام في المملكة ست عشرة سنة ، و عاش سبعاً و خمسين سنة و لم يعقب رحمة الله .

و أتاه في مرضه أخوه ركن الدولة و اتفقا على تسليم بلاد فارس إلى عضد الدولة بن ركن الدولة

فتمسكها (وفيات الأعيان ج ٣ ص ٤٠٠) .

١ - شَرَسَ شَرَاةً : ساء خلقه .

٢ - حياة الحيوان ج ١ ص ١٣١ .



ذلك في سنة ثلاث و ستين و ثلاث مائة (٣٦٣) وكانت خلافته تسعاً و عشرين سنة .

ثم قام بالأمر بعده ولده .

﴿ ٢٥ ﴾

﴿ الطائع لله بن المطيع لله ﴾

وهو أبو بكر عبدالكريم الطائع لله بن المطيع بن المقتدر ، بويغ له يوم خلع أبوه ، و عمره سبع و أربعون سنة ، ولم يل الخلافة في بني العباس من هو أكبر سنّاً منه ، ولم يتقلد الخلافة من أبوه حيّ سوى الطائع لله و ابن أبي قحافة وكلاهما كنيتيه أبو بكر .

ولمّا مات عضد الدولة قام بتدبير المملكة بعده ولده بهاء الدولة فخلع عليه الطائع لله ، و قلّده ما كان بيد أبيه .

ثم بعد مدّة قبض بهاء الدولة على الطائع لله وسببه على ما نقله السيوطي ، أن الطائع حبس رجلاً من خواص بهاء الدولة ، فأجبره على خلع نفسه و تسليم الأمر الى ابن عمّه القادر بالله ، و ذلك في سنة (٣٨١) ^١ .

ثم جلس مكانه القادر بالله .

﴿ ٢٦ ﴾

﴿ القادر بالله بن اسحاق بن المقتدر بالله ﴾

و هو أبو العباس أحمد بن اسحاق بن المقتدر ، كان كثير البرّ و الصدقات مريداً للفقراء لكنّه كان مقهوراً على أمره ، صنّف كتاباً ذكر فيه فضائل الصحابة و تكفير المعتزلة و القائلين بخلق القرآن ، و كان ذلك الكتاب يقرأ في كل جمعة في حلقة أصحاب الحديث بجامعة المهدي .

و تزوّج القادر بالله بنت بهاء الدولة على صداق مبلغه مائة ألف دينار .
 مات القادر سنة (٤٢٤) .
 ثم قام بالأمر بعده ابنه القائم بأمر الله .

﴿ ٢٧ ﴾

﴿ القائم بأمر الله بن القادر بالله ﴾

و هو أبو جعفر عبدالله القائم بأمر الله بن القادر بالله ، و في أيامه انقرضت دولة بني بويه بعد ما ملكوا شرق الأرض و غربها (١٢٧) سنة ، ثم ظهرت دولة بني سلجوق و حلّت مكان بني بويه ، فاستولت على الخلافة ، و خطب لها على المنابر ، و

ضربت أسماء ملوكها على الدرهم و الدينار .

قال الحافظ السيوطي: « وفي سنة (٤٥٤) زوج الخليفة بنته بـ (طغرل بك) ،
و هذا أمر لم ينله أحد من ملوك بني بويه مع قهرهم الخلفاء وتحكمهم فيهم ، قلت :
الآن زوج خليفة عصرنا ابنته من واحد من ممالك السلطان فضلاً عن السلطان . فان
الله و انا اليه راجعون .»

مات القائم بأمر الله سنة (٤٦٧)^١ .

ثم جلس مكانه ابن ابنه المقتدي بأمر الله .

﴿ ٢٨ ﴾

﴿ المقتدي بأمر الله بن محمد بن القائم بأمر الله ﴾

و هو أبو القاسم عبدالله المقتدي بأمر الله بن محمد بن القائم بأمر الله ، مات
أبوه في حياة القائم و هو حملٌ فولد بعد وفاة أبيه بستة أشهر ، بويع له بالخلافة عند
موت جدّه وله تسع عشرة سنة .

و مات الخليفة فجأة ، و قيل انّ جاريته شمس النهار سمّته و ذلك في سنة
(٤٨٧)^٢ .

ثمّ بويع لولده المستظهر بالله .

١ - تاريخ الخلفاء ص ٣١٦ ، حياة الحيوان ج ١ ص ١٣٤

٢ - تاريخ الخلفاء ص ٣١٨ و ٣٢٠ ، حياة الحيوان ص ١٣٤ .

﴿ ٢٩ ﴾

﴿ المستظهر بالله بن المقتدي بأمر الله ﴾

وهو أبو العباس أحمد المستظهر بالله بن المقتدي بأمر الله ، وكانت أيامه كثيرة الحروب ، وفي زمانه أخذت الفرنج بيت المقدس بعد حصار شهر ونصف ، و قتلوا به أكثر من سبعين ألفاً ، منهم جماعة من العلماء و العباد و الزهاد و هدموا المشاهد ، و جمعوا اليهود في الكنيسة و أحرقوها عليهم ، و ورد المستنفرون الى بغداد فأوردوا كلاماً أبكى العيون ، و قيل في ذلك شعر :

مزجنا دماء بالدموع السواجم فلم يبق منا عرصة للمراحم
الى آخر الأبيات .

وفي سنة (٥١٢) مات الخليفة المستظهر بالله^١ و قام مقامه ابنه المسترشد بالله:

﴿ ٣٠ ﴾

﴿ المسترشد بالله بن المستظهر بالله ﴾

وهو أبو منصور الفضل المسترشد بالله بن المستظهر بالله ، و لم يزل أيامه مكذرة بكثرة التشويش و المخالفين و كان يخرج بنفسه لدفع ذلك .

قال السيوطي: « وقعت الوحشة بينه وبين السلطان مسعود بن محمد (السلجوقي) فخرج لقتاله فغدر بالخليفة أكثر عسكره فظفر به مسعود وأسر الخليفة وخواصه فحبسهم بقلعة بقرب همدان .

فبلغ أهل بغداد ذلك فحثوا في الأسواق التراب على رؤسهم و بكوا و ضجّوا ، و خرجت النساء حاسرات يندبن الخليفة و منعوا الصلوات والخطبة فردّ مسعود الخليفة الى مقرّه .

فجاء سبعة عشر من الباطنية ، قيل أنّ مسعوداً دسّمهم فهاجموا على الخليفة في مخيمه فقتلوه وقتلوا معه جماعة من أصحابه ، فما شعر بهم العسكر الا و قد فرغوا من شغلهم .

وجلس السلطان مسعود للعزاء و أظهر المساءة بذلك ، و وقع التحيب و البكاء و جاء الخبر الى بغداد فاشتدّ ذلك على الناس و خرجوا حفاة مخرّقين الثياب ، و النساء ناشرات الشعور يلظمن ويقلن المراثي^١ .

و كان المسترشد بالله أديباً شاعراً ، و من شعره :

ولا عجباً للأسد ان ظفرت بها كلاب الأعداي من فصيح و أعجم
فحربة و حشّي سقت حمزة الردي و موت علي من حسام بن ملجم
و كان قتلُ المسترشد بمراغة (ايران) في سنة تسع و عشرين و خمس مائة

١ - أقول : لبت شعري ! كيف يعترضون على الشيعة اذ يأتون بهذه الأعمال في اقامة العزاء على أعظم كارثة في العالم ، و هي قتل ابن بنت رسول الله ﷺ الحسين بن علي عليه السلام سيد شباب أهل الجنة ، و الحال أنّ مثل هذه الأعمال كانت شائعة عندهم من قديم الزمان ، و لم يردعهم عن ذلك رادعٌ ، و لا يمنعهم مانعٌ .

(٥٢٩) ^١ ثم قام مقامه ابنه الراشد بالله .

﴿ ٣١ ﴾

﴿ الراشد بالله بن المسترشد بالله ﴾

و هو أبو جعفر منصور الراشد بالله بن المسترشد بالله ، انه وُلد مسدوداً فأحضره الأطباء فأشاروا بأن يفتح له مخرج بآلة من ذهب ، ففعل به ذلك . ولَمَّا عاد السلطان مسعود الى بغداد خرج هو الى الموصل ، فأحضره القضاة والأعيان والعلماء ، وكتبوا محضراً فيه شهادة طائفة بما جرى من الراشد من الظلم وأخذ الأموال وسفك الدماء وشرب الخمر ، واستفتوا الفقهاء فيمن فعل ذلك هل تصح امامته ؟ واذا ثبت فسقه يجوز لسلطان الوقت أن يخلعه ويستبدل خيراً منه ؟ . فأفتوا بجواز خلعه ، فخلع و بويع عمّه محمد بن المستظهر و لُقّب بالمقتفي لأمر الله ، و ذلك في سنة ثلاثين و خمسمائة (٥٣٠) .

و بلغ الراشد الخلع فخرج من الموصل الى بلاد آذربيجان ومعه جماعة ، فقسطوا على مراغة مالاً فعاثوا هناك ^٢ . ثم مضوا الى همدان و أفسدوا بها و قتلوا جماعة و صلبوا آخرين و حلقوا لحي جماعة من العلماء . ثم مضوا الى اصبهان فحاصروها و نهبوا القرى ، و مرض الراشد بظاهر

١ - تاريخ الخلفاء ص ٣٢٥ - ٣٢٦ .

٢ - من العيث : الفساد ، يقال : عات في الأرض فساداً : أي ظلم فيها .



اصبهان مرضاً شديداً فدخل عليه جماعة من العجم كانوا فرّاشين معه ، فقتلوه بالسكاكين ، ثم قتلوا كلهم و ذلك في سنة اثنتين و ثلاثين و خمسمائة (٥٣٢) ^١ .
ثم جلس مكانه عمّه المقتفي لأمر الله .

﴿ ٣٢ ﴾

﴿ المقتفي لأمر الله بن المستظهر بالله ﴾

و هو أبو عبدالله محمد المقتفي لأمر الله بن المستظهر بالله ، بويح بالخلافة عند خلع ابن أخيه .

و بعث السلطان مسعود بعد أن أظهر العدل ومهد بغداد ، فأخذ جميع ما في دار الخلافة من دواب و أثاث و ذهب وستور و سرادق ، و لم يترك في اصطبل الخلافة سوى أربعة أفراس و ثمانية أبغال برسم الماء ، فيقال انهم بايعوا المقتفي على أن لا يكون عنده خيل و لا آلة سفر .

ثم في سنة احدى و ثلاثين (و خمسمائة) أخذ السلطان مسعود جميع ما تعلق بالخليفة ، و لم يترك له الا العقار الخاص ، و أرسل وزيره يطلب من الخليفة مائة ألف دينار .

فقال المقتفي : ما رأينا أعجب من أمرك ، أنت تعلم أنّ المسترشد سار اليك بأمواله فجرى ماجرى ، و أنّ الراشد ولي ففعل ما فعل و رحل و لم يبق الا الأثاث ،

فأخذته كله ، و تصرّفت في دار الضرب فأخذت التركات و الجوالي ، فمن أيّ وجه
نقيم لك هذا المال ؟ وما بقي الا أن نخرج من الدار ونسلمها اليك .
مات المقتفي في سنة (٥٥٥) ^١ .
ثم قام بالأمر بعده ابنه المستنجد بالله .

﴿ ٣٣ ﴾

﴿ المستنجد بالله بن المقتفي بالله ﴾

و هو أبو المظفر يوسف المستنجد بالله بن المقتفي بالله ولي الخلافة بعهد من
أبيه و مات في سنة (٥٦٠) ^٢ .
ثم قام بالأمر بعده ابنه المستضيء بأمر الله .

﴿ ٣٤ ﴾

﴿ المستضيء بأمر الله بن المستنجد بالله ﴾

و هو أبو محمد الحسن المستضيء بأمر الله بن المستنجد بالله ، و لمّا استخلف

١ - تاريخ الخلفاء ص ٣٢٩ - ٣٣٠ .

٢ - تاريخ الخلفاء ص ٣٣٣ .

خلع على أرباب الدولة و غيرهم ، فحكى خيَاط المخزن أنه فضّل ألفاً و ثلاث مائة
قباة ابريسم ، و خطب له على منابر بغداد ، و نثرت الدنانير كما جرت العادة ، و قال
الحيص و البيص فيه :

يا امام الهدى علوت على الجو د بمالٍ و فضّةٍ و نضارٍ
فبماذا أثنى عليك و قد جاو زت فضل البحور و الأمطار
ثم احتجب المستضيء عن أكثر الناس فلم يركب الامع الخدم و لا يدخل
عليه غيرهم .

و في سنة (٥٧٥) مات الخليفة المستضيء^١ .

ثم قام مقامه ابنه الناصر لدين الله .

﴿ ٣٥ ﴾

﴿ الناصر لدين الله بن المستضيء بأمر الله ﴾

و هو العباس أحمد الناصر لدين الله بعهد من أبيه .

كانت له حيل نظيفة ، و مكائد غامضة لا يفتن لها أحد ، و يقع الصداقة بين
ملوك متعادين و هم لا يشعرون ، و يقع العداوة بين ملوك متفقين و هم
لا يفتنون .

كان الناصر بالله يتشيع

قال ابن واصل: كان الناصر شهماً شجاعاً ذا فكرة صائبة و عقل رصين و مكر و دهاء، و كان يتشيع و يميل الى مذهب الامامية بخلاف آبائه، حتى ان ابن الجوزي سأل بحضرته من أفضل الناس بعد رسول الله ﷺ؟ فقال: من كانت ابنته تحته، و لم يقدر أن يصرح بتفضيل أبي بكر.

قال الذهبي: لم يل الخلافة أحدٌ أطول مدّة منه، فانه أقام فيها سبعة و أربعين سنة و لم يزل مدة حياته في عزّ و جلاله و قمع الأعداء و استظهار على الملوك، و لم يجد ضيماً^١ و لاخرج عليه خارجي إلا قمعه، و لا مخالف الا دفعه، و كل من أضمر له سوءاً رماه الله بالخذلان، و كان مع سعادة جدّه^٢ شديد الاهتمام بمصالح الملك، و لا يخفى عليه شيء من أحوال رعيتته، حتى قيل انّ الناصر كان مخدوماً من الجنّ.

و لما أتى خوارزم شاه بخراسان و ماوراء النهر، تجبّر و طغى و استعبد الملوك الكبار، و أباد أمماً كثيرة، و قطع خطبة الخليفة من بلاده و قصد بغداد، فوصل الى همدان، فوقع عليهم ثلج عظيم عشرين يوماً فغطّاهم في غير أوانه، فقال له بعض خواصه انّ ذلك غضب الله حيث قصدت بيت الخلافة، فرجع و كفي الناصر شرّه بلا قتال.

قال ابن النجار: دانت السلاطين للناصر و دخل في طاعته من كان من

١ - الضيم ج ضيوم : الظلم .

٢ - الجّد : التّصيب .



المخالفين ، و ذلت له العتاة و الطغاة ، و انقهرت بسيفه الجابرة ، و اندحض أعداؤه
و كثر أنصاره ، و فتح البلاد العديدة ، و ملك الممالك ما لم يملكه أحد ممن تقدّم من
الخلفاء و الملوك .

و خطب له ببلاد الاندلس و بلاد الصين ، و كان أشد بني العباس يتصدع
لهيبته الجبال ، و كان حسن الخلق ، لطيف الخلق ، كامل الطرف ، فصيح
اللسان ، بليغ البيان ، و كانت أيامه غرة في وجه الدهر ، و درة تاج
الفخر .

موت الناصر لدين الله

قال شمس الدين الجوزي : كان الماء الذي يشربه الناصر تأتي به الدواب من
فوق بغداد بسبعة فراسخ و يغلي سبع غلوات كل يوم غلوة ، ثم يحبس الأوعية سبعة
أيام ، ثم يشرب منه ، و بعد هذا ما مات حتى سقي المُرْقِد^١ مرّات ، و شقّ ذكره و
أخرج منه الحصى ، و مات سنة (٦٢٢) .^٢
ثم ناب مثابه ابنه الظاهر بالله .

١ - المُرْقِد : دواء يُرْقِد شاربه كالأفيون .

٢ - أخذنا مطالب هذه الترجمة كلها من تاريخ الخلفاء ص ٣٣٨ - الى - ٣٤٠ .



﴿ ٣٦ ﴾

﴿ الظاهر بأمر الله بن الناصر لدين الله ﴾

و هو أبو نصر محمد الظاهر بأمر الله بن الناصر لدين الله ، بويغ له بولاية العهد ولم يمكث الا قليلاً ، لأنه ملك الأمر تسعة أشهر فقط ، مات سنة (٦٢٣) ^١ .
ثم ناب منابه ابنه المستنصر بالله .

﴿ ٣٧ ﴾

﴿ المستنصر بالله بن الظاهر بأمر الله ﴾

و هو أبو جعفر منصور المستنصر بالله بن الظاهر بأمر الله .
قال السيوطي : « وهو الذي بنى المدرسة المستنصرية في بغداد على ضفة نهر دجلة ، قال ابن واصل : ما بنيت مدرسة على وجه الأرض أحسن منها ولا أكثر منها وقوفاً ، و هيأ مدرسين على المذاهب الأربعة و عمل فيها مارستان ، و رتب فيها مطبخاً للفقهاء ، و مزقلة ^٢ للماء البارد ، تمت سنة (٦٣١) و نقل اليها مائة و ستون حملاً من الكتب النفيسة ، و عدّة فقهاء مائتان و ثمانية و أربعون فقيهاً من

١ - تاريخ الخلفاء ص ٣٤٥ .

٢ - مخزن الماء .



المذاهب الأربعة ، ورتب فيها الخبز و الطَّبِيخ و الحلاوة و الفاكهة ، و وقف عليها الأموال الهائلة ، و القرى و الرباع .

و من مناقب المستنصر أنّ الوجيه القيرواني مدحه بقصيدة يقول فيها :

لو كنت يوم السَّقِيفَة حاضراً كنت المقدم و الامام الأورعا

فقال له قائلٌ : أخطأت ، قد كان حاضراً العباس جدّ أمير المؤمنين ، و لم يكن

المقدم الا أبو بكر^١ فأقرّ ذلك المستنصر ، و خلع على القائل ذلك خلعة و أمر بنفي الوجيه فخرج الى مصر^٢ .

مات المستنصر سنة (٦٤٠) و جلس مكانه ابنه المستعصم بالله .

﴿ ٣٨ ﴾

﴿ المستعصم بالله بن المستنصر بالله ﴾

(و هو آخر الخلفاء من هذه السلسلة)

و هو أبو أحمد عبدالله المستعصم بالله بن المستنصر بالله و هو آخر خلفاء بني العباس الذي به انصرفت سلسلة الخلافة في العراق التي بدأت من السقيفة ، قتله هولاءكو خان سلطان التتار .

قال الديار بكريّ : « كان المستعصم قليل المعرفة بتدبير الملك ، نازل الهمة ،

١ - هذا اشتباه لأنه لم يكن أحد من بني هاشم حاضراً في السَّقِيفَة ، لا عباس و لا علي عليه السلام .

٢ - تاريخ الخلفاء ص ٢٤٨ .

مهملاً للأمور المهمة ، محبباً لجمع المال»^١ .

و قال الحافظ ابن كثير يصفه : « قد كان ﷺ سنياً على طريقة السلف و اعتقاد الجماعة كما كان أبوه وجدّه ، و لكن فيه لين و عدم تيقظ ، و محبة للمال و جمعه ، و من جملة ذلك انه استحلّ الوديعة التي استودعه اياها الناصر داؤد بن المعظم ، و كانت قيمتها نحواً من مائة ألف دينار ، فاستقبح هذا من مثل الخليفة ، و هو مستقبح ممن هو دونه بكثير ، بل من أهل الكتاب من إن تأمنه بقنطار يؤدّه اليك كما قال الله تعالى : ﴿ و منهم من إن تأمنه بقنطار يؤدّه اليك ﴾^٢ .

و قال ابن الطقطقيّ : « انه كان مستضعف الرأي ضعيف البطش ، قليل الخبرة بأمور المملكة ، مطموعاً فيه ، غير مهيب في النفوس ، و لا مطلع على حقائق الأمور .

كان زمانه ينقضي أكثره بسماع الأغاني و التفرّج على المساخرة . و كان أصحابه مستولين عليه و كلّهم جهال من أراذل العوام الا وزيره مؤيد الدين محمد بن العلقمي ، فانه كان من أعيان الناس ، و عقلاء الرجال . و كانت عادة الخلفاء أكثرهم أن يحبسوا أولادهم و أقاربهم ، و بذلك جرت سنتهم الى آخر أيام المستنصر ، فلما ولي المستعصم أطلق أولاده الثلاثة و لم يحبسهم »^٣ .

١ - تاريخ الخميس ج ٢ ص ٤٢٠ .

٢ - آل عمران ٣ : ٧٥ .

٣ - تاريخ الفخري ص ٣٣٣ .

كارثة الكرخ

إنّ اطلاق المستعصم أولاده يفعلون مايشاؤون صار سبباً لكارثة الكرخ^١ حيث هجم عليها ابنه أبو بكر مع عسكره ، فشنّ الغارة عليها ، فقتل منهم كثيراً ، و ذبح فيهم ذريعاً ، و هتكت النساء ربّات الخدور ، و ارتكبت العظائم و الفجور ، حتى قتل فيها أقارب ابن العلقمي الذي كان وزيراً ، فشكا الى الخليفة كثيراً ، لكنّه لم يفد قطميراً^٢ .

﴿ نهاية الخلافة ﴾

لقد ضعفت سلسلة الخلافة من أجل هذه الأعمال و المظالم ، و تزعزعت بناية الامامة المؤسسة في السقيفة بسبب هذه المآسي و المآثم .
لا ريب في أنّ الله تعالى ذو أناة و حلم ، لكنّه جلّ جلاله الى متى يحلم ؟ و الى متى ينظر و يمهل ؟ ! و ستنتهي مدة الإمهال ، و يأتي زمانٌ يكون فيه الأخذ و الانتقام ، لأنّه كما هو غفورٌ رحيمٌ في مقام الرحمة ، كذلك ذو بطش شديد في مقام النقمة ، كما قال : ﴿ انّ بطش ربك لشديد ﴾^٣ فيقطع دابر القوم الذين اختاروا الدنيا

١ - محلة في بغداد كانت مجمعاً للشيعة آنذاك .

٢ - راجع البداية و النهاية ج ١٣ ص ٢٣٤ ، تاريخ الخميس ص ٤٢٠ ، تاريخ حبيب السيرج ص ٢٣٦ .

٣ - البروج ٨٥ : ١٢ .

على الآخرة ﴿ ولبئس ما شروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون ﴾^١ ﴿ وما ظلمناهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ﴾^٢.

(اعلم) أنّ فكرة كون نكبة الخلفاء نتيجة أعمالهم التي كسبتها أيديهم، ليست متّاً فحسب، بل أنّه مما قاله علماء أهل السنة أيضاً، كما يلي:

قال الحافظ ابن كثير الدمشقي: «و لم تكن أيدي بني العباس حاكمة على جميع البلاد، فانه خرج عنهم بلاد المغرب، و بلاد الشام، و الحرمين، و كذلك أخذت من أيديهم بلاد خراسان و ما وراء النهر، حتى لم يبق مع الخليفة منهم الاً بغداد و بعض بلاد العراق - الى أن يقول - و ذلك لضعف خلافتهم و اشتغالهم بالشهوات، و جمع الأموال في أكثر الأوقات، كما ذكر ذلك مفصلاً في الحوادث و الوقّيات»^٣.

إغارة التتار على بغداد

لم تقنع الأقدار بسلب الأقطار من أيدي الخلفاء و بقاء حكومة بغداد لهم، بل أنّها استأصلت حكومة بغداد أيضاً، فلم يبق لهم أثر ما سوى ذكراهم في صفحات التاريخ لتكون تذكرة للناظرين، و عبرة للمعتبرين.

قام طوفان التتار من أقصى البلاد محتفلاً بالهلاك و الدمار، و سال الى

١ - البقرة ٢: ١٠٢.

٢ - النحل ١٦: ١١٨.

٣ - البداية و النهاية ج ١٣ ص ٢٣٨.

افغانستان و خراسان و الريّ و جبال ألموت حتى وصل الى بغداد ، و سيطر عليها كالجراد المنتشر ، و السيل المقبل ، و جوههم كالمجان ، و قوتهم كبني الجان ، و قد أخبر بهم أمير المؤمنين عليه السلام حيث قال :

« كأنّي أراهم قوماً كأنّ وجوههم المجان المطرقة يلبسون السَّرَق^١ و »

« الدبّاج ، و يعتقبون الخيل^٢ العتاق ، و يكون هناك استمرار قتلي^٣ »

« حتى يمشي المجرّوح على المقتول ، و يكون المفلت أقلّ من المأسور^٤ »

قال الحافظ ابن كثير الدمشقي في بيان هذه الواقعة الهائلة :

«ثم دخلت سنة ست و خمسين و ستمائة فيها أخذت التتار بغداد و قتلوا أكثر أهلها حتى الخليفة ، و انقضت دولة بني العباس منها .

استهلّت هذه السنة ، و جنود التتار قد نازلت بغداد صحبة الأميرين اللذين على مقدمة عساكر سلطان التتار ، هولاكو خان ، و جاءت إليهم أمداد صاحب الموصل يساعدهونهم على البغاددة و ميرته و هداياه و تحفه ، و كل ذلك خوفاً على نفسه من التتار ، و مصانعة لهم قبّحهم الله تعالى ، و قد سترت بغداد و نصبت فيها المجانيق و العرّادات و غيرها من آلات الممانعة التي لا تردّ من قدر الله سبحانه و تعالى شيئاً ، كما ورد في الأثر «لن يغني حذر عن قدر»^٥ و كما قال تعالى ﴿ إن أجل

١ - السَّرَق واحد : السَّرَقَة : الحرير .

٢ - أي يستصحبون معهم الخيول المتعدّدة لينتقلوا من واحدتها الى ثانيها .

٣ - أي شدة القتل .

٤ - نهج البلاغة ج ٢ ص ١٠ محمد عبده ط دمشق .

٥ - الجامع الصغير ج ٢ ص ٤٢٤ .

الله إذا جاء لا يؤخر^١ وقال تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغَيِّرُ مَا بَقِيَ حَتَّىٰ يَغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءَ فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ﴾^٢.

وأحاطت التتار بدار الخلافة يرشقونها بالنبال من كل جانب حتى أصيبت جارية كانت تلعب بين يدي الخليفة وتضحكه، وكانت من جملة حظاياها، وكانت مولدة تسمى عرفة، جاءها سهم من بعض الشبابيك فقتلها وهي ترقص بين يدي الخليفة، فانزعج الخليفة من ذلك وفزع فزعاً شديداً، وأحضر السهم الذي أصابها بين يديه فإذا عليه مكتوب: (إذا أراد الله إنفاذ قضائه وقدره أذهب من ذوي العقول عقولهم) فأمر الخليفة عند ذلك بزيادة الاحتراز، وكثرت الستائر على دار الخلافة.

وكان قدوم هولاءكو خان بجنوده كلها، وكانوا نحو مائتي ألف مقاتل إلى بغداد في ثاني عشر المحرم من هذه السنة (٦٥٦)، وهو شديد الحنق على الخليفة بسبب ما كان تقدم من الأمر الذي قدره الله وقضاه وأنفذه وأمضاه، وهو أن هولاءكو لما كان أول بروزه من همدان متوجهاً إلى العراق أشار الوزير مؤيد الدين محمد بن العلقمي على الخليفة بأن يبعث إليه بهدايا سنوية ليكون ذلك مداراة له عما يريد من قصد بلادهم، فخذل الخليفة عن ذلك دويداره الصغير أيبك وغيره، وقالوا إن الوزير إنما يريد بهذا مصانعة ملك التتار بما يبعثه إليه من الأموال، وأشاروا بأن يبعث بشئ يسير، فأرسل شيئاً من الهدايا فاحتقرها هولاءكو خان، وأرسل إلى الخليفة يطلب منه دويداره المذكور، وسليمان شاه، فلم يبعثهما إليه ولا بالي به حتى أزف قدومه.

١ - نوح ٧١ : ٤.

٢ - الرعد ١٣ : ١١.



و وصل بغداد بجنوده الكثيرة الكافرة الفاجرة الظالمة الغاشمة ممن لا يؤمن بالله و لا باليوم الآخر ، فأحاطوا بغداد من ناحيتها الغربية و الشرقية ، و جيوش بغداد في غاية القلّة و نهاية الذلّة ، لا يبلغون عشرة آلاف فارس ، و هم و بقية الجيش كلّهم قد صرفوا عن إقطاعاتهم حتى استعطى كثير منهم في الأسواق و أبواب المساجد ، و أنشد فيهم الشعراء قصائد يرثون لهم و يحزنون على الإسلام و أهله ، و ذلك كلّه عن آراء الوزير العلقمي الرافضي^١ .

و ذلك أنه لما كان في السنة الماضية كان بين أهل السنة و الرافضة حرب عظيمة نهبت فيها الكرخ و محلة الرافضة حتى نهبت دور قرابات الوزير ، فاشتدّ حنقه على ذلك ، فكان هذا مما أهاجه على أن دبر على الإسلام و أهله ما وقع من الأمر الفظيع الذي لم يؤرخ أبشع منه منذ بنيت بغداد ، و إلى هذه الأوقات ، و لهذا كان أول من برز إلى التتار هو ، فخرج بأهله و أصحابه و خدمه و حشمه ، فاجتمع بالسلطان هولاءكو خان لعنه الله .

ثم عاد فأشار على الخليفة بالخروج إليه و المشول بين يديه لتقع المصالحة على أن يكون نصف خراج العراق لهم و نصفه للخليفة ، فاحتاج الخليفة إلى أن خرج في سبعمئة راكب من القضاة و الفقهاء و الصوفية و رؤس الأمراء و الدولة و الأعيان ، فلما اقتربوا من منزل السلطان هولاءكو خان حجبا عن الخليفة إلا سبعة عشر نفساً ، فخلص الخليفة بهؤلاء المذكورين ، و أنزل الباقون عن مراكزهم و قتلوا عن آخرهم .

و أحضر الخليفة بين يدي هولاءكو فسأله عن أشياء كثيرة ، فيقال إنه اضطرب

كلام الخليفة من هول ما رأى من الإهانة و الجبروت ، ثم عاد إلى بغداد وفي صحبته خوجه نصير الدين الطوسي ، و الوزير ابن العلقمي و غيرهما ، و الخليفة تحت الحوطة و المصادرة ، فأحضر من دار الخلافة شيئاً كثيراً من الذهب و الحلي و المصاغ و الجواهر و الأشياء النفيسة ، و قد أشار أولئك الملأ من الرافضة و غيرهم من المنافقين على هولاً كوا أن لا يصلح الخليفة ، و قال الوزير متى وقع الصلح على المناصفة لا يستمر هذا إلا عاماً أو عامين ثم يعود الأمر إلى ما كان عليه قبل ذلك ، و حسنوا له قتل الخليفة .

فلما عاد الخليفة إلى السلطان هولاً كوا أمر بقتله ، و يقال إن الذي أشار بقتله الوزير ابن العلقمي ، و المولى نصير الدين الطوسي ، و كان النصير عند هولاً كوا قد استصحبه في خدمته لما فتح قلاع الألموت ، و انتزعها من أيدي الإسماعيلية ، و كان النصير وزيراً لشمس الشموس و لأبيه من قبله علاء الدين بن جلال الدين ، و كانوا ينسبون إلى نزار بن المستنصر العبيدي ، و انتخب هولاً كوا النصير ليكون في خدمته كالوزير المشير .

فلما قدم هولاً كوا و تهيب من قتل الخليفة هون عليه الوزير ذلك فقتلوه رفساً ، و هو في جوالق لثلا يقع على الأرض شئ من دمه ، خافوا أن يؤخذ بثأره فيما قيل لهم ، و قيل بل خنق ، و يقال بل أغرق بالله أعلم ، فباؤوا بإثمه و إثم من كان معه من سادات العلماء و القضاة و الأكابر و الرؤساء و الأمراء و أولي الحلّ و العقد ببلاده . و ستأتي ترجمة الخليفة في الوفيات - و مالوا على البلد فقتلوا جميع من قدروا عليه من الرجال و النساء و الولدان و المشايخ و الكهول و الشبان و دخل كثير من الناس في الآبار و أماكن الحشوش ، و قنى الوسخ ، و كمنوا كذلك أياماً لا يظهرون . و كان الجماعة من الناس يجتمعون إلى الخانات و يغلقون عليهم الأبواب



فتفتحها التتار إما بالكسر وإما بالنار ، ثم يدخلون عليهم فيهربون منهم إلى أعالي
الأمكنة فيقتلونهم بالأسطحة ، حتى تجري الميازيب من الدماء في الأزقة ، فإننا لله و
إننا إليه راجعون .

وكذلك في المساجد و الجوامع و الربط ، و لم ينج منهم أحد سوى أهل الذمة
من اليهود و النصرى و من التجأ إليهم و إلى دار الوزير ابن العلقمي الرافضي و
طائفة من التجار أخذوا لهم أماناً ، بذلوا عليه أموالاً جزيلة حتى سلموا و سلمت
أموالهم .

و عادت بغداد بعد ما كانت آنس المدن كلها كأنها خراب ليس فيها إلا القليل
من الناس ، و هم في خوف و جوع و ذلّة و قلة .

و كان الوزير ابن العلقمي قبل هذه الحادثة يجتهد في صرف الجيوش و
إسقاط اسمهم من الديوان ، فكانت العساكر في آخر أيام المستنصر قريباً من مائة
ألف مقاتل ، منهم من الأمراء من هو كالملوك الأكبر الأكاثر ، فلم يزل يجتهد في
تقليلهم إلى أن لم يبق سوى عشرة آلاف .

ثم كاتب التتار و أطمعهم في أخذ البلاد ، و سهّل عليهم ذلك ، و حكى لهم
حقيقة الحال ، و كشف لهم ضعف الرجال ، و ذلك كله طمعاً منه أن يزيل السنة
بالكلية ، و أن يظهر البدعة الرافضيّة و أن يقيم خليفة من الفاطميين ، و أن يببّد
العلماء و المفتين ، والله غالب على أمره ، و قد ردّ كيده في نحره ، و أذله بعد العزة
القعساء ، و جعله حوشكاشا للتتار بعد ما كان وزيراً للخلفاء ، و اكتسب إثم من قتل
بيغداد من الرجال و النساء و الاطفال ، فالحكم لله العلي الكبير ربّ الأرض و
السماء .

و قد جرى على بني إسرائيل بيت المقدس قريب ممّا جرى على أهل بغداد



كما قصّ الله تعالى علينا ذلك في كتابه العزيز ، حيث يقول : ﴿ وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب لتفسدنّ في الأرض مرتين ولتعلنّ علواً كبيراً . فإذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عبداً لنا أولي بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعداً مفعولاً ﴾^١ .

وقد قتل من بني إسرائيل خلق من الصلحاء وأسر جماعة من أولاد الأنبياء ، و خرب بيت المقدس بعد ما كان معموراً بالعباد والزهاد والأخبار والأنبياء ، فصار خاوياً على عروشه واهي البناء .

وقد اختلف الناس في كمية من قتل ببغداد من المسلمين في هذه الواقعة . فقيل ثمانمائة ألف ، وقيل ألف ألف و ثمانمائة ألف ، وقيل ألفي ألف نفس ، فإننا لله وإنا إليه راجعون ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

وكان دخولهم ألى بغداد في أواخر المحرم ، و ما زال السيف يقتل أهلها أربعين يوماً ، و كان قتل الخليفة المستعصم بالله أمير المؤمنين يوم الأربعاء رابع عشر صفر و عفي قبره ، و كان عمره يومئذ ستاً و أربعين سنة و أربعة أشهر ، و مدة خلافته خمس عشرة سنة و ثمانية أشهر و أيام .

و قُتل معه ولده الأكبر أبو العباس أحمد ، وله خمس و عشرون سنة ، ثم قتل ولده الأوسط أبو الفضل عبد الرحمان و له ثلاث و عشرون سنة ، و أُسر ولده الأصغر مبارك ، و أُسرت أخواته الثلاث فاطمة و خديجة و مريم ، و أُسر من دار الخلافة من الأبيكار ما يقارب ألف بكر فيما قيل و الله أعلم ، فإننا لله و إنا إليه

راجعون .

و قتل أستاذ دار الخلافة الشيخ محيي الدين يوسف بن الشيخ أبي الفرج بن الجوزي ، و كان عدو الوزير ، و قتل أولاده الثلاثة : عبدالله ، و عبدالرحمن ، و عبدالكريم ، و أكابر الدولة واحداً بعد واحد ، منهم الديودار الصغير مجاهد الدين أيبك ، و شهاب الدين سليمان شاه ، و جماعة من أمراء السنة و أكابر البلد .

و كان الرجل يستدعى به من دار الخلافة من بني العباس فيخرج بأولاده و نسائه فيذهب به إلى مقبرة الخلال ، تجاه المنطرة فيذبح كما تذبح الشاة ، و يؤسر من يختارون من بناته و جواريه .

و قتل شيخ الشيوخ مؤدب الخليفة صدر الدين علي بن النيار ، و قتل الخطباء و الأئمة ، و حملة القرآن ، و تعطلت المساجد و الجماعات و الجمعيات مدة شهور ببغداد ، و أراد الوزير ابن العلقمي قبحه الله و لعنه أن يعطل المساجد و المدارس و الربط ببغداد و يستمرّ بالمشاهد و محال الرفض ، و أن يبني للرافضة مدرسة هائلة ينشرون علمهم و علمهم بها و عليها ، فلم يقدره الله تعالى على ذلك ، بل أزال نعمته عنه و قصف عمره بعد شهور يسيرة من هذه الحادثة ، و أتبعه بولده فاجتمعا و الله أعلم بالدرك الأسفل من النار .

و لما انقضى الأمر المقدّر و انقضت الأربعون يوماً بقيت بغداد خاوية على عروشها ليس بها أحد إلا الشاذ من الناس ، و القتلى في الطرقات كأنها التلول ، و قد سقط عليهم المطر فتغيرت صورهم و أتن من جيدهم البلد ، و تغير الهواء فحصل بسببه الوباء الشديد حتى تعدّى و سرى في الهواء إلى بلاد الشام ، فمات خلق كثير من تغير الجوّ و فساد الريح ، فاجتمع على الناس الغلاء و الوباء و الفناء و الطعن و الطاعون ، فإننا لله و إنا إليه راجعون .

ولمّا نودي ببغداد بالأمان خرج من تحت الأرض من كان بالمطامير والقنى و المقابر كأنهم الموتى إذا نشوا من قبورهم ، و قد أنكر بعضهم بعضاً فلا يعرف الوالد ولده ولا الأخ أخاه ، و أخذهم الوباء الشديد فتفانوا و تلاحقوا بمن سبقهم من القتلى ، و اجتمعوا تحت الثرى بأمر الذي يعلم السر و أخفى ، الله لا إله إلا هو له الأسماء الحسنى . و كان رحيل السلطان المسلط هو لأكو خان عن بغداد في جمادى الأولى من هذه السنة إلى مقر ملكه ، و فوّض أمر بغداد إلى الأمير علي بهادر ، فوّض اليه الشحنكية بها والي الوزير ابن العلقمي ، فلم يمهل الله ولا أهمله ، بل أخذه أخذ عزيز مقتدر ، و كان عنده فضيلة في الانشاء ، و لديه فضيلة في الأدب ، و لكتّه كان شيعياً جلدأ رافضياً خبيثاً ، فمات جهداً و غمّاً و حزناً و ندماً إلى حيث ألفت أمّ قشعم^١ رحلها ، فولى بعده الوزارة ولده عزّ الدين بن الفضل محمد ، فألحقه الله بأبيه في بقية هذا العام ، و لله الحمد و المنة^٢ .

هذا ما نفث به ابن كثير من الطعن و التشنيع و السبّ و الشتم على الشيعة عامة ، و على ابن العلقمي خاصة ، فأخرج من قلبه ما كان كامناً فيه من الضغائن و الحقد ، و تكلم بكلمات ركيكة مملوءة بالعصبية و الجحود ، بعيدة عن أدب علماء الاسلام ، غريبة عن اسلوب المؤلفين الكرام ، و العجيب أنه ليس منفرداً فيه ، بل سلك هذا المسلك غيره أيضاً كالسيوطي ، و الدميري ، و الديار بكري ، كلهم هجموا على ابن العلقمي رحمه الله و جعلوه سبباً و حيداً لانهدام قصر الخلافة ، و ما حدث فيه من الآفة ، و مكان أن يلتفتوا الى أسباب انصرامها الأصلية ، عطفوا عنان المذمة الى

١ - أمّ قشعم : المنية .

٢ - البداية و النهاية ج ١٣ ص ٢٣٣ الى ٢٣٦ .



الشيعة الذين ظلموا طول حياتهم في حكومات هؤلاء الخلفاء (كما علمت سابقاً) .
 و بالرغم من أنّ هذا الكتاب لم يوضع للدفاع عن حريم الشيعة و جواب ما
 وجه اليهم من التهمات الواهية و الدعايات الكاذبة ، يجدر بنا أن نحقق الموضوع
 مختصراً لتجلى للقارئ المنصف معالم الهداية ، و لا يقع باضلال الناس في هوة
 الغواية ، و قبل أن نخوض في المطلب نوجه الى ابن كثير هذا سؤالاً واحداً ، و هو :
 أنك قلت انّ ما أصاب الخليفة المستعصم بالله و مواليه ، و ما نزل من البلاء
 على قصر الخلافة و حواليه ، انما كان جزاءً لأعمالهم ، و نتيجة لأطوارهم ،
 فاستشهدت^١ بقول الله تعالى ﴿ ان الله لا يغيّر ما بقوم حتى يغيّروا ما بأنفسهم و اذا أراد
 بقوم سوءً فلا مردّ له و ما لهم من دونه من وال ﴾^٢ بل أنك شبّهتهم باليهود ، حيث
 قلت : و قد جرى على بني اسرائيل بيت المقدس قريباً مما جرى على أهل بغداد
 كما قصّ الله تعالى حيث يقول ﴿ و قضينا الى بني اسرائيل في الكتاب لتفسدنّ في
 الأرض - الى قوله - بعثنا عليكم عبداً لنا أولي بأس شديد فجاسوا خلال الديار و كان
 وعداً مفعولاً^٣ .

فمعناه صريحاً أنّ التتار كانوا عباد الله الذين بعثهم الله نفسه الى أهل بغداد
 انتقاماً ، فما ذنب ابن العلقمي حتى يلق أثاماً ؟ .

مع أنّ ابن العلقمي برئ عن هذه النسبة اليه (أي نسبة مواطاته مع التتار)
 براءة يوسف عن السوء ، و كل ما قاله ابن كثير و كثير من أمثاله ، افتراء محض و

١ - راجع ص ٢٠٦ من هذا الكتاب .

٢ - الرّعد ١٣ : ١١ .

٣ - راجع ص ٢١٠ من هذا الكتاب .

كذبٌ بحثٍّ ، لا سند له ولا أصل .

وقبل أن نتعمق فيه يجدر بنا ان نتأمل في شخصية ابن العلقمي بأنه هل يمكن له هذا العمل في مقام الثبوت ، أم لا ، ثم نبحث فيه من حيث الاثبات .

من هو ابن العلقمي ؟

هو مؤيد الدين أبو طالب محمد بن أحمد بن محمد بن علي العلقمي الأسدي الوزير ، ذكره مؤلف الحوادث في وفيات سنة (٦٥٦) ، وقال : كان عالماً فاضلاً أديباً ، يحب العلماء ويسدي اليهم المعروف ، دفن في مشهد موسى بن جعفر عليه السلام^١ .

قال الدكتور جعفر خصباك : « يكاد المؤرخون يتفقون في الشناء على شخصية محمد بن أحمد بن العلقمي وزير المستعصم بالله ، آخر خلفاء بني العباس ، فقد وصفوه بالعقل و العلم و الأدب و الكفاية و الوقار و النزاهة و العفة عن أموال الديوان و المعرفة بأدوات الرياسة »^٢ .

و قد وصفه سبط ابن الجوزي الحنبلي : « أنه كان رجلاً فاضلاً صالحاً عفيفاً قارئاً للقرآن »^٣ .

و وصفه الخزرجي : « أنه كان عالماً فاضلاً أديباً حسن المحاضرة ، دمث

١ - الحوادث ص ٣٢٣ - ٣٢٦ .

٢ - راجع طبقات الشافعية الكبرى ج ٥ ص ١١٠ كما في أعيان الشيعة ج ٩ ص ٩٦ .

٣ - مرآة الزمان ج ٨ قسم ٢ ص ٧٤٧ .



الأخلاق، كريم الطباع، خيّر النفس، كارهاً للظلم، خبيراً بتدبير الملك»^١.
و عندما توفي الخليفة العبّاسي الظاهر بأمر الله بن الناصر لدين الله سنة
(٦٢٣) كان هو المتولّي لأخذ البيعة للخليفة الجديد المستنصر بالله، و قد ظلّ في
عهده استاذاً للدار حتى وفاته سنة (٦٢٧).

و عندما توفي ابن الناقد سنة (٦٤٢) عيّن ابن العلقمي مكانه، و ظلّ يشغل
منصب الوزارة حتى سقوط بغداد عام (٦٥٦) و قد عُرف ابن العلقمي بحبّه للعلم و
الأدب و معرفته باللغة، و قد أنشأ لنفسه مكتبة عظيمة في داره في (٦٤٤) و نقل
اليها عدداً كبيراً من الكتب من أنواع العلوم، و صفها ابن أبي الحديد بأبيات، أوّلها:
رأيت الخزانة قد زينت بكتب لها المنظر الهائل
و ذكر علي ابن أخت العلقمي: انها كانت تشتمل على عشرة آلاف مجلد من
نفائس الكتب.

و قد صنفت له كتب، منها: العباب الذي وضعه الصغاني اللغوي، و شرح
نهج البلاغة لعزّ الدين عبد الحميد ابن أبي الحديد^٢.

هذا مختصر ممّا وصف به علماء أهل السنة ابن العلقمي، و قد مضى اطراء
ابن الطقطقا صاحب تاريخ (الفخري في الآداب السلطانية و الدول الاسلامية)
عليه، حيث قال: و كان رجلاً فاضلاً كاملاً... عفيفاً عن أموال الديوان... الخ
فراجع.

(أقول) فهل يمكن من مثل هذا العالم الجليل القدر، العفيف النفس، أن يبيع

١ - العسجد المسبوك ج ٢ الورقة ١٩٤.

٢ - المصدر.



الدولة الاسلامية بيد الكفار و يمهد لهم الطريق اليهم ليقتلوهم تقتيلاً ، هذا مستبعدُ جداً حتى من علماء السنة فضلاً عن علماء الشيعة الذين يعتقدون بامامة الأئمة الاثني عشر المعصومين عليهم السلام و يقتدون بآثارهم . هذا كلامنا في مقام الثبوت .

أما في مقام الاثبات ، فلعدم ثبوت كلاً عزوه اليه من المناكير ، لأن كلاً قالوه في ذلك خالٍ عن الدليل ، بل الدليل قائم على كذبه ، و نحن نذكر منه نماذج :
قول ابن كثير (السابق الذكر) : «و ذلك كله عن آراء الوزير العلمقي الرافضي - الى قوله - و لهذا كان أول من برز الى التتار هو» . أقول : ففيه .

أولاً : انه لم يكن راضياً بخروجه الى التتار ، و لم يخرج باختياره ، بل الخليفة المستعصم هو الذي أكرهه على ذلك .

قال ابن الطقطقي : «حدّثني كمال الدين أحمد بن الضحاك ، و هو ابن أخت الوزير ابن العلقمي ، قال : لما نزل السلطان هولاءكو على بغداد ، أرسل يطلب الوزير اليه . قال : فبعث الخليفة فطلب الوزير ، فحضر عنده و أنا معه ، فقال له الخليفة : قد أنفذ السلطان يطلبك ، و ينبغي أن تخرج اليه ، فقال : يامولانا ! اذا خرجتُ فمن يدبّر البلد و من يتولّى المهام ؟ فقال له الخليفة : لا بدّ أن تخرج اليه ، فخرج الوزير من ذلك»^١ .

و ثانياً : لو كان الخروج الي هولاءكو دليلاً على المواطاة معه لكان غيره أيضاً شريكاً فيها ، لأنه لم يخرج وحده ، بل خرج معه صاحب الديوان (فخر الدين بن الدامغاني) و جمعٌ من المعارف و المشاهير^٢ .

١ - تاريخ الفخري ص ٣٣٨

٢ - راجع : جامع التواريخ ج ١ ص ٢٦٢ - ٢٩٦ .

و ثالثاً : انّ ابن كثير جعل الوزير (ابن العلقمي) سبباً لهجوم هولاء على بغداد في هذه العبارة ، و قد نسي ما قاله سابقاً : «و كان قدوم هولاء كو خان بجنوده كلها - و كانوا نحو مائتي ألف مقاتل - الى بغداد في ثاني عشر المحرم من هذه السنة (٦٥٦) و هو شديد الحق على الخليفة بسبب ما كان تقدّم من الأمر الذي قدره الله و قضاه و أنفذه و أمضاه ، و هو أنّ هولاء كو لما كان أوّل بروزه من همدان متوجهاً الى العراق ، أشار الوزير مؤيد الدين محمد بن العلقمي على الخليفة بأن يبعث اليه بهدايا سنّية ليكون ذلك مداراة له عمّا يريد من قصد بلادهم ، فخذل الخليفة عن ذلك و يداره الصغير أيبك و غيره ، و قالوا انّ الوزير انما يريد بهذا مصانعة ملك التتار بما يبعثه من الأموال ، و أشاروا بأن يبعث بشئ يسير ، فأرسل شيئاً من الهدايا ، فاحتقرها هولاء كو خان و أرسل الى الخليفة يطلب منه دويداره المذكور ، و سليمان شاه ، فلم يبعثهما اليه و لا بالى به حتى أزف قدومه ، و وصل بغداد بجنوده الكثيرة (الى آخر ما قاله ابن كثير الدمشقي ، راجع الصفحات الماضية و البداية و النهاية ج ١٣ ص ٢٣٣ - ٢٣٤) .

لقد رأيت أنّ ابن كثير نفسه قد ألزم الخليفة و أعوانه بسوء التدبير و حماقة لأنّ من سبر سير هولاء كو و غيره من التتار ليعلم أنّهم كانوا يغيرون على البلاد لأجل نهب الأموال فقط ، فاذا حصلوها من بلد بلا مقاتلة كانوا يغتمون به و ينصرفون إلى غيره ، فلو عمل الخليفة برأي وزيره و لم يركن الى رأي أيبك و غيره الذين كانوا أعداء للوزير ، لم ير ذلك اليوم الأسود ، فالنتيجة أنّ الخائن هو دويداره الصغير أيبك الذي منع الخليفة عن معالجة البلاء المتوجه اليه و الى المسلمين بالمال ، لا ابن العلقمي المدبّر الوفيّ .

أما قوله : و كان الوزير ابن العلقمي يجتهد في صرف الجيوش و اسقاط



اسمهم من الديوان - الى قوله - فلم يزل يجتهد في تقليبهم الى أن لم يبق سوى عشرة آلاف .

(أقول) إني أتعجب من هذا المؤرّخ الشهير بأنه كيف تجسّر على هذا الكذب الصريح بلا احساس أيّ خجلٍ و لا تدمّم ، لأنّ الوزير ابن العلقمي لم يكن له أيّ دخل في التجنيد ، بل كان بيد خصمه ابيك الدويدار الصغير .

قال مصطفى جواد : «و نسبة بعض المؤرّخين و من لفّ لفه تسريح الجنود الى الوزير ابن العلقمي ، تهمة أخرى من هذه التهم الكثيرة الباطلة التي اتهم بها هذا الوزير . فإنّ ادارة شؤون الجيش و التجنيد و اعطاء الأرزاق كانت بيدي مقدّم الجيش مجاهد الدين ابيك الدويدار الصغير خصم الوزير و عدوه ، و لا شأن للوزير فيها و لا نهبيّ و لا أمرٌ ، فبأيّ وجه يتهم الرجل باقتلال الجنود بالحلّ و التسريح»^١ .

و قال مؤلف الحوادث في أخبار سنة (٦٥٠) : «و فيها فارق كثير من الجند بغداد لا نقطاع أرزاقهم ، و لحقوا ببلاد الشام»^٢ .

انه كيف كان يقدر على تقليل الجنود أو تسييرها الى البلاد البعيدة مع أنه لم يكن قائدها ، و لا مبسوط اليد ، و لا المسيطر على الخليفة ، بل كان ضعيفاً عنده غير مسموع القول ، و الخليفة كان واقعاً تحت نفوذ أعداء الوزير ، خصوصاً مجاهد الدين الدويدار الصغير الذي كان قائداً للجيش . و الشاهد على ذلك انه كان في محلّة الكرخ أقارب للوزير ، فلو كان له أيّ نفوذ في الدولة ، و هو بمنصب الوزارة - و هو يقابل رئيس الوزراء في عصرنا - لمنع استباحة المحلّة المذكورة ، أو حفظ أقاربه

١ - راج أعيان الشيعة ج ٩ ص ٨٥ .

٢ - الحوادث ص ٢٦١ .

على الأقل .

أما قوله : ذلك كله طمعاً منه أن يقيم أحداً من الفاطميين ... الخ .

(يردّه) ما مضى من انه لما توفي الخليفة العباسي الظاهر بأمر الله سنة (٦٢٣) كان هو المتولّي لأخذ البيعة للخليفة الجديد (المستنصر بالله) فلو كان يرى أنّ علويّاً أحقّ بها من العباسيين لنصبه ذلك الحين ، و مذهب الشيعة يقول أنّ الخلافة و الامامة لما انتهت الى الامام المهدي عجلّ الله تعالى فرجه الشريف ، توقفت و لم تتجاوز الى أحد بعده ، فكيف أراد ابن العلقمي أن ينصب علويّاً كخليفة لرسول الله ﷺ ؟

أما تأييده للمستنصر بالله أو المستعصم بالله ، فلأنه كان يحسبهما كأمر و حاكم للبلاد ، و لا فرق فيه بين سني و شيوعي لأنّ البلاد تحتاج الى حاكم ، فان لم يوجد حاكم عادل ، أو لم يعط الفرصة ، يغلب عليهم حاكم ظالم .

و ربما كان منشأ التهمة سلامة الوزير من القتل ، و مشاركته في اللجنة التي أعادت تنظيم بغداد و العراق بعد الفتح ، فهذا أيضاً لا يقوم حجّة على خيانتة ، لأنّ صاحب ديوان الخليفة فخر الدين أحمد بن الدامغاني الحنفي ، و تاج الدين حاجب الباب في عهده أي مدير شرطة العاصمة ، و نجم الدين أحمد بن عمران أحد عمّال الخليفة ، و أفضى القضاة عبد المنعم الشافعي ، و سراج الدين بن البجلي الشافعي قد عوملوا بنفس المعاملة ، كما سلم أقرب مستشاري الخليفة اليه و صديقه عبد الغني بن الدرّنوس ، و سلم الابن الأصغر للخليفة مع أخواته فاطمة و خديجة و مريم .^١

وقد كان هولاء كواكب بحاجة الى من يدبّر أمر العراق بعد فتحه وكان الوزير و صاحب الديوان و حاجب الباب خبيرين بأمره ، فأشركهم في لجنة عهدا اليها أمر تنظيمه .

و مما يدل على كذب انتماء الوزير الى المخابرة و المراسلة الى هولاء كواكب ، ما كتبه من كيفية هذه المراسلة . من انه تحيّل مرّة الى أن أخذ رجلاً و حلق رأسه حلقاً بليغاً ، و كتب ما أراد عليه بوخز الابركما يفعل بالوشم ، و نفّض عليه الكحل و تركه عنده الى أن طلع شعره و غطّى ما كتب ، فجهزه و قال : اذا وصلت مُرهم بحلق رأسك و دعهم يقرؤون ما فيه ، و كان في آخر الكلام : قطعوا الورقة . فضربت رقبتة . وهذا غاية في المكر و الخزي^١ .

ليت شعري من أخبرهم بهذا الفعل ؟ ابن العلقمي ؟ أم الذي قطع رأسه ؟ أم المغول الذين ادّعي في الخبر أنّ هذه الرسالة و جهت اليهم ؟ فكيف أخبروا الناس به مع أنّ ذلك من أسرار دولتهم !

و من المعلوم أنّه من المفتعلات الكثيرة التي افتعلت على ابن العلقمي اذ كان له ميسوراً أن يرسل مراسلاته الى أين يريد بلا مانع لأنه وزير ، ثم كيف يرضى مسلم كابن العلقمي قطع رأس انسان خدوم له بلا ذنب و لا تقصير !

(و الخلاصة) أنّ ابن العلقمي الوزير لم يكن له ذنب غير أنه كان شيعياً محبباً لأهل بيت الرسول ﷺ .

و من المعلوم أنّ هذا ذنب لا يُغفر ، و عيب لا يُستر ، و لهذا قال معيّره :

يا فرقة الاسلام نوحوا و اندبوا أسفاً على الاسلام و المستعصم
 دست الوزارة كان قبل زمانه لابن الفرات ، فصار لابن العلقمي^١
 انظروا الى هذا الشاعر السخيف ، ما أجهله ، فإن ابن الفرات الوزير الذي
 مدحه و جعله أهلاً للوزارة كان شيعياً أيضاً ، و قد قتله المقتدر بالله و أعداؤه من
 أرباب الدولة العباسية ظلماً و عدواناً ، صبراً و هو صائم ، بعد أن قتلوا ابنه أيضاً و
 وضعوا رأسه بين يديه^٢ .

(فانقدح) من هذا كله أن المسئول الحقيقي لهذه المهالك و المخازي هو
 الخليفة نفسه ، الذي كان منهمكاً في لذاته و شهواته كما مرّ في عبارة ابن كثير من انه
 كان يلعب بجاريته حتى أتاها سهم فقتلها ، فكان حاله كالخليفة محمد الأمين .
 ثم بالدرجة الثانية : الخونة هم أصحابه الذين كانوا يحوطونه و يغشونه و
 يمنعونه عن العمل برأي الوزير حيث أشار عليه بفداء الأموال عن الملك و الأنفس
 و النواميس ، لكنه الى وقته الأخير شخّ عليها حتى أخذت منه قهراً .

تلال من الأموال

قال رشيد الدين فضل الله الهمذاني المؤرّخ في تاريخه جامع التواريخ : « و
 في يوم الجمعة التاسع صفر سنة (٦٥٦) دخل هولوكو المدينة لمشاهدة قصر
 الخليفة ، و جلس في المثمنة ، و احتفل بالأمرء ، ثم أشار باحضار الخليفة .

١ - البداية و النهاية ج ١٣ ص ٢٤٦ .

٢ - و قد تقدم ذكره في بيان أحوال المقتدر بالله ، فراجع .



فقال له : انك مضيف و نحن الضيوف فهبئي ما يليق بنا .

فظنّ الخليفة أنّ هذا الكلام على سبيل الحقيقة ، و كان يرتعد من الخوف ، و بلغ من دهشته أنه لا يعرف مكان المفاتيح ، فأمر بكسر عدة أقفال ، و أحضر هولاءكو ألفي ثوب ، و عشرة آلاف دينار ، و نفائس و مرصعات و عدداً من الجواهر فلم يلتفت هولاءكو اليها ، و منحها كلها للأمرء و الحاضرين .

ثم قال للخليفة : انّ الأموال التي تملكها على وجه الأرض ظاهرة و هي ملك عبيدنا ، لكن اذكر ما تملكه من الدفائن ماهي و أين توجد ؟ .

فاعترف الخليفة بوجود حوض مملوء بالذهب في ساحة القصر ، فحفروا الأرض حتى وجدوه كان ملاً بالذهب الأحمر ، و كان كله سبائك تزن الواحدة مائة مثقال .

بعد ذلك صدر الأمر باحصاء نساء الخليفة فعّدوا سبعمائة زوجة و سرّية ، و ألف خادمة ، فلما اطّلع الخليفة على تعداد نسائه تضرّع ، فقال لهولاءكو : و منّ عليّ بأحرمي اللائي لم تطلع عليهن الشمس و لا القمر .

فقال له هولاءكو : اختر مائة من هذه النساء السبعمائة و اترك الباقي .

فأخرج الخليفة معه مائة امرأة من أقاربه و المحبّبات اليه .

و قصارى القول أنّ كل ما كان للخلفاء و ما جمعه خلال خمسة قرون ، وضعه المغول بعرضه على بعض ، فكان كجبل على جبل ، أخذوه و ذهبوا به الى وطنهم .

و لما يئس الخليفة من انقاذ حياته استأذن في أن يذهب الى الحمام ليجدّد اغتساله . فأمر هولاءكو خان بأن يذهب مع خمسة من المغول ، لكن الخليفة قال : أنا



لا أريد أن أذهب بصحبة خمسة من الزبانية^١ .

وكان ينشد بيتين أو ثلاثة من قصيدة هذا مطلعها :

و أصبحنا لنا دارُ كجنت و فردوس

و أمسينا بلا دارٍ كأن لم تغن بالأمس

و في مساء الأربعاء الرابع عشر من صفر سنة (٦٥٦) قضوا على الخليفة و على ابنه الأكبر و خمسة من الخدم كانوا في خدمته في قرية الوقف ، و في اليوم الثاني قتلوا الذين كانوا قد نزلوا معه في بوابة كلواذا ، كذلك قضوا على كل شخص وجدوه حياً من العباسيين اللهم الا أفراداً قلائل لم يأبهاهم .

و في يوم الجمعة السادس عشر من صفر ألحقوا الابن الثاني للخليفة بوالده و أخيه ، و بذلك قضى على دولة خلفاء آل العباس الذين حكموا بعد بني أمية ، و كانت مدة خلافتهم خمساً و عشرين و خمسمائة سنة ، و عددهم سبعة و ثلاثون (٣٧) خليفة^٢ .

هذه سلسلة سبعة و خمسين خليفة (١٩ من بني امية و ٣٨ من بني العباس) الذين ابتدؤا من السقيفة و انتهوا الى سقوط بغداد .

و انما حذفنا عدداً من الخلفاء الذين كانوا في مصر و افريقيا لانقطاع سلسلتهم عن الذين ذكرناهم زماناً و مكاناً و اختصار حكومتهم كذلك .

و لقد رأيت أنّ هذه الخلافة و الحكومات كلها كانت مجعولة مما عملته أيدي

١ - جمع الرّئيّة : الشّرطي .

٢ - راجع جامع التواريخ لرشيد الدين فضل الله الهمداني ترجمة مصر ج ١ ص ٢٩٥ - ٢٩٦ حسبما نقله العلامة السيد محسن العاملي في أعيان الشيعة ج ٩ ص ٩٤ - ٩٥ .

الناس ، و لم يكن فيها نص من الله و لا مس من رسوله ، فكان الناس هم الذين ينصبون الخليفة و الامام لهم، سواء كان بواسطة اجتماع بضعة نفر كما كان في السقيفة ، أو بواسطة نصب السابق اللاحق و تعيينه اياه ، كما كانت خلافة عمر ، أو بواسطة الشورى كما كانت خلافة عثمان ، أو اجماع أهل المدينة ، كما كانت خلافة علي بن أبي طالب عليه السلام (حسب نظرية العامة) أو القهر و الغلبة ، كما كانت خلافة معاوية بن أبي سفيان و أمثاله .

و من اليوم الذي انتهت هذه الخلافة و ذلك في (٦٥٦) الى الآن و هي سنة (١٤١٥ الهجرية) فالأرض خالية من أي خليفة (خلا بضعة خلفاء نزر ادعوا الخلافة في بلاد يسيرة لمدة قصيرة) مع بقاء الناس في غمرات من المسائل و المشاكلهم ، فهم كالبهائم المرسلة و الربائض المطلقة ، لا يجدون لمسائلهم ملجأً ، و لا لمشاكلهم مرجعاً ، و المذاهب الأربعة (الحنفية و المالكية و الشافعية و الحنبلية) أيضاً غير كافية في قضاء حوائجهم العصرية ، لاختلاف الآراء فيما بينهم أولاً ، و عدم تكفلهم لجميع المسائل المبتلى بها لاسيما المسائل الحديثة المتجددة في العصر الجديد ثانياً .

و باب الاجتهاد أيضاً مسدودٌ عندهم ، ليس لأحد حق أن يفتي بخلاف ماأفتى به الأئمة الأربعة^١ ، و آخرهم أحمد بن حنبل الذي مضى في سنة (٢٤١) فمن ذلك الحين الى الآن ليس عندهم مفتٍ ، و من (٦٥٦) ليس لهم خليفة . فالآن

١ - وهم : أبو حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي المتوفى سنة (١٥٠) ، وأبو عبدالله مالك بن أنس الأصبحي المتوفى (١٧٩) ، و أبو عبدالله محمد بن ادريس الشافعي المتوفى (٢٠٤) ، و أبو عبدالله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني المتوفى (٢٤١) .



ليس لهم زعامة دينية و لادنيوية ، مع أنّ رسول الله ﷺ قد بشر الناس بأنّ هذا الأمر لا يزال باقياً و ممتدّاً الى آخر الزّمان و لو بقي من الناس اثنان^١ .

مضافاً الى أنّ عدد هولاء الخلفاء و هو (٥٧) أو أكثر اذا حسبنا معهم خلفاء مصر و افريقيا أيضاً ، لا يطابق عدد «اثناعشر» الذي أخبر به النبي الصادق ﷺ كما رواه مسلم في صحيحه حيث قال النبي ﷺ : « إنّ هذا الأمر لا ينقضي حتى يمضي فيهم اثناعشر خليفة »^٢ .

و روى البخاري أيضاً في صحيحه أنّ رسول الله ﷺ قال : « يكون اثناعشر أميراً كلهم من قريش »^٣ فافهم و تدبّر .

١ - قال رسول الله ﷺ : لا يزال هذا الأمر في قريش ما بقي من الناس اثنان (راجع صحيح مسلم ج ٣ ص ١٤٥٢ كتاب الامارة ح ١٨٢٠) .

٢ - المصدر ح ١٨٢١ .

٣ - صحيح البخاري ج ٨ ص ١٢٧ كتاب الأحكام ، باب ٥٢ .

نظرة خاطفة الى الامامة

التي بدأت من غدير خم (في محضر رسول الله ﷺ)
وانتهت الى المهدي عجل الله تعالى فرجه

الآن نذكر للقراء الكرام سلسلة أخرى من الأئمة و خلفاء الرسول الأكرم ﷺ الذين عددهم اثنا عشر لا يزيد ولا ينقص عن العدد الذي نبأ به النبي الكريم ﷺ كما أسلفناه قبيل هذه الصفحة .

وإن خلافتهم و امامتهم غير مجعولة بأيدي الناس ، بل هي من الله و رسوله منصوطة ، و في القرآن و السنة موصوفة ، سيرتهم منزّهة عن كل ريب ، و سريرتهم مطهّرة عن كل عيب ، كما قال أبو نواس :

مطهّرون نقيّاتٌ ثيابهم تجري الصّلاة عليهم كلّما ذكروا

تراجمهم لامعة ، و سيرتهم ناصعة ، اتفق علماء السنة و الشيعة على حسن صفاتهم ، و أطبق جهابذة العلم على علوّ درجاتهم ، اذ ملثوا به أسفارهم ، و دوّنوا كتبهم ، و الآن نذكرهم مقتصرين على كتب أربعة من أهل السنة و هي :

١- وفيات الأعيان لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان المتوفى (٦٨١) .

٢- الصواعق المحرقة للمحدّث أحمد بن حجر الهيتمي المكي المتوفى في (٩٧٤) .

٣- نور الأبصار في مناقب آل بيت النبي المختار للشيخ مؤمن بن حسن بن مؤمن الشبلنجي المولود سنة (١٢٥٠) و تيّف .

٤- أرجح المطالب في عدّ مناقب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام لمولانا عبيدالله الإمر تسري المعاصر (١٣٠٠) و تيّف .



﴿ ١ ﴾

﴿ امامة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ﴾

هو أبو الحسن علي بن أبي طالب أمير المؤمنين عليه السلام ، واسمه الثاني (حيدر) كما رجز به في خيبر ، و (إيليا) كما ورد في التوراة والانجيل ، وكنيته : أبو الحسن و أبو تراب ، و ألقابه كثيرة منها : المرتضى أمير المؤمنين ، امام المتقين ، قائد الغر المحجلين ، يعسوب المؤمنين ، خاتم الوصيين ، صالح المؤمنين ، مولى المؤمنين ، أسد الله ، سيف الله ، امام البررة ، قاتل الفجرة ، الصديق الأكبر و الفاروق الأعظم^١ .

﴿ ولادته عليه السلام ﴾

قال الشبلنجي : «ولد عليه السلام بمكة داخل البيت الحرام ، على قول^٢ يوم الجمعة ثالث عشر رجب الحرام سنة ثلاثين من عام الفيل قبل الهجرة بثلاث و عشرين سنة و قبل المبعث بعشر سنين . و لم يولد في البيت الحرام قبله أحد سواه ، قاله ابن الصبّاغ .

١ - أرجح المطالب ص ٩ - الى - ٣٨ .

٢ - قوله (على قول) الظاهر أنه متعلق بما بعده ، لاقبله ، لأنّ ولادته في جوف الكعبة متواتر ، قال الحافظ الحاكم النيسابوري : تواترت الأخبار أنّ فاطمة بنت أسد ولدت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب في جوف الكعبة (المستدرک علی الصحیحین ج ٣ ص ٤٨٣) .

و أمه فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف ، أسلمت و هاجرت مع النبي ﷺ .

نقل عنها أنها كانت اذا أرادت أن تسجد لصنم وعلي ﷺ في بطنها لم يمكنها يضع رجله على بطنها و يلصق ظهره بظهرها و يمنعها من ذلك^١ و لذلك يقال عند ذكره (كرم الله وجهه) أي عن أن يسجد لصنم .
و هي أول هاشمية ولدت هاشمياً .

و لما ماتت كَفَنَهَا رسول الله ﷺ بقميصه ، لأنها كانت عنده بمنزلة أمه ، و أمر اسامة بن زيد و غيره أن يحضروا قبرها بالبقيع ، فلما بلغوا لحدّها حفره رسول الله ﷺ بيده ، و أخرج ترابه فلما فرغ اضطجع فيه ، و قال : اللهم اغفر لأمتي فاطمة بنت أسد ، و لقنّها حجّتها و وسّع عليها مدخلها بحق نبيك محمد و الأنبياء الذين من قبلي فانك أرحم الراحمين .

فقيل يارسول الله : رأيناك صنعت شيئاً لم تكن صنعته بأحد قبليها ؟ فقال ﷺ ألبستها قميصي لتلبس من ثياب الجنة ، و اضطجعت في قبرها ليخفّف عنها من ضغطة القبر ، لأنها كانت من أحسن خلق الله تعالى صنعاً إليّ بعد أبي طالب .
و تربى عليّ عند النبي ﷺ ، فلم يزل عليّ ﷺ مع رسول الله ﷺ حتى بعث النبي ﷺ فاتبعه عليّ ﷺ و آمن به و صدّقه و كان عمره إذ ذاك ثلاث عشرة سنة .

و قال ابن إسحاق : أسلم علي بن أبي طالب و هو ابن عشر و قيل غير ذلك .

١ - لا يخفى أنّ هذا على مذاق العامّة ، و الا عند الشيعة أنّ والدي المعصومين مسلمان عند انعقاد

و شهد المشاهد كلها و لم يتخلف إلا في تبوك فإن رسول الله ﷺ خلفه في أهله فقال يارسول الله أتخلفني في النساء و الصبيان قال : أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هرون من موسى غير أنه لانبي بعدي ، أخرجه الشيخان»^٢ .

﴿ صفته عليه السلام ﴾

« كان ربعة من الرجال ، أدعج العينين عظيمهما ، حسن الوجه كأنه قمرٌ بدرئ ، عظيم البطن ، و كان ﷺ عريض ما بين المنكبين لمنكبه مشاش كمشاش السبع الضاري لاتبين عضده من ساعده ، أدمج إدماجاً شثن الكفين ، عظيم الكراديس ، أغيد كأن عنقه إبريق فضة . و في أسد الغابة عن رازم بن سعد الضبي قال : سمعت أبي ينعت علياً قال : كان رجلاً فوق الربعة ، ضخم المنكبين ، طويل اللحية ، و إن شئت قلت إذا نظرت إليه قلت آدم و إن تبينته من قرب قلت أن يكون أسمر أدنى من أن يكون آدم»^٣

﴿ اسلامه عليه السلام ﴾

قال ابن حجر المكي : «أسلم علي بن أبي طالب ﷺ و هو ابن عشر

١ - هذا أيضاً اشتباه لأن رسول الله ﷺ لم يخلف علياً عليه السلام في أهله فقط ، بل خلفه في جميع أهل المدينة و غيرها كما هو ظاهرٌ من تشبيهه بهارون .

٢ - نور الأبصار ص ٨٥ - ٨٦ .

٣ - المصدر .

سنين ، و قيل تسع و قيل ثمان ، و قيل دون ذلك .

قال ابن عباس و أنس و زيد بن أرقم و سلمان الفارسي و جماعة : انه أول من أسلم ، و نقل بعضهم الاجماع عليه ، و مرّ الجمع بين هذا الاجماع و الاجماع على أنّ أبا بكر أول من أسلم .

و نقل أبو يعلي عنه قال بعث رسول الله ﷺ يوم الاثنين و أسلمت يوم الثلاثاء .

(و أخرج) ابن سعد عن الحسن بن زيد قال : لم يعبد الأوثان قط و من ثم يقال فيه كرم الله وجهه^١

قال الجزائري : و مما يدلّ على بطلان الاجماع الثاني مايلي :

روى ابن جرير مسنداً الى محمد بن سعد بن أبي وقاص . قال : قلت لأبي : أكان أبو بكر أولكم اسلاماً ؟ قال : لا ! و لقد أسلم قبله أكثر من خمسين^٢ .

و الخدشة في سند الرواية لا تخدش في بطلان الاجماع الثاني ، مضافاً الى تظافر الأخبار و الروايات بأنّ علياً عليه السلام قال : أنا عبد الله و أخو رسوله ، و أنا الصديق الأكبر لا يقولها بعدي^٣ الاكذاب ، صليت قبل الناس بسبع سنين^٤ .

١ - الصواعق المحرقة ص ٧٢ .

٢ - تاريخ الطبري ج ٢ ص ٣١٦ .

٣ - الظاهر أنّ لفظ « بعدي » تصحيف « غيري » لعدم ورود الروايات المعتبرة من الفريقين في ذلك لغير علي بن أبي طالب عليه السلام .

٤ - صحيح ابن ماجه ص ١٢ ، المستدرک على الصحيحين ج ٣ ص ١١١ ، تاريخ الطبري ج ٢

الآيات التي نزلت في علي بن أبي طالب عليه السلام

قال ابن حجر المكي: (أخرج) ابن عساكر عن ابن عباس، قال: ما نزل في أحد من كتاب الله تعالى ما نزل في علي عليه السلام.

(و أخرج) عنه أيضاً قال: نزل في ثلاث مائة آية.

(و أخرج) الطبراني و ابن أبي حاتم عن ابن عباس، قال: ما أنزل الله ﷻ يا أيها الذين آمنوا ﷻ إلا و عليّ أميرها و شريفها، و لقد عاتب الله أصحاب محمد ﷺ في غير مكانٍ و ما ذكر علياً إلا بخير^١.

و قال الشيخ مؤمن الشبلنجي: قد ورد في فضله آيات جمّة، ثم ذكر منها ما يلي:

(١) قوله تعالى: ﷻ أجعلتم سقاية الحاج و عمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله و اليوم الآخر و جاهد في سبيل الله. لا يستون عند الله و الله لا يهدي القوم الظالمين. الذين آمنوا و هاجروا و جاهدوا في سبيل الله بأموالهم و أنفسهم أعظم درجة عند الله و أولئك هم الفائزون. يبشّرهم ربّهم برحمة منه و رضوانٍ و جناتٍ لهم فيها نعيم مقيم. خالدون فيها أبداً إن الله عنده أجرٌ عظيم ﷻ نقل الواحدي في كتابه المسمى بأسباب النزول أنّ الحسن و الشعبي و القرطبي قالوا إنّ علياً عليه السلام و العباس و طلحة بن شيبة افتخروا، فقال طلحة: أنا صاحب البيت مفتاحه بيدي و لو شئت كنت فيه، و قال العباس رضي الله عنه: و أنا صاحب السقاية و القائم عليها فقال علي عليه السلام لا أدري

١ - الصواعق المحرقة ص ٧٦.

٢ - التوبة ٩ : ١٩ - الى - ٢٢.

[ما تقولان ؟] لقد صليت ستة أشهر قبل الناس و أنا صاحب الجهاد في سبيل الله فأنزل الله تعالى ﴿ أجعلتم سقاية الحاج و عمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله و اليوم الآخر و جاهد في سبيل الله ... الخ ﴾^١ .

(٢) قوله تعالى : ﴿ أنما وليكم الله و رسوله و الذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة و يؤتون الزكاة و هم راكعون ﴾^٢ .

عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه قال «صليت مع رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم يوماً من الأيام الظهر فسأل سائل في المسجد ، فلم يعطه أحد شيئاً فرفع السائل يديه إلى السماء ، وقال : اللهم إني سألت في مسجد نبيك محمد صلى الله عليه و آله و سلم فلم يعطني أحد شيئاً ، وكان علي عليه السلام في الصلاة راکعاً ، فأوماً إليه بخصره اليمنى و فيها خاتم ، فأقبل السائل فأخذ الخاتم من خصره ، و ذلك بمرأى من النبي صلى الله عليه و آله و سلم و هو في المسجد ، فرفع رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم طرفه إلى السماء ، و قال : اللهم إن أخي موسى سألك فقال : ﴿ رب اشرح لي صدري و يسر لي أمري و احلل عقدة من لساني يفقهوا قولي و اجعل لي وزيراً من أهلي هرون أخي أشدد به أزري و أشركه في أمري ﴾^٣ فأنزلت عليه قرآناً ﴿ سنشد عضدك بأخيك و نجعل لكما سلطاناً فلا يصلون إليكما ﴾^٤ اللهم و إني محمد نبيك و صفيك ، اللهم فاشرح لي صدري و يسر لي أمري و اجعل لي وزيراً من أهلي علياً أشدد به ظهري .

قال : أبو ذر رضي الله عنه فما استتم دعاءه حتى نزل جبرئيل عليه السلام من عند الله عز و

١ - نور الأبصار ص ٨٦ .

٢ - المائدة ٥ : ٥٥ .

٣ - طه ٢٠ : ٢٥ .

٤ - القصص ٢٨ : ٣٥ .

جل و قال : يا محمد اقرأ ﴿ إنما وليكم الله و رسوله و الذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة و يؤتون الزكاة و هم راكعون ﴾ نقله أبو إسحق أحمد الثعلبي في تفسيره^١ .
(٣) قوله تعالى ﴿ الذين ينفقون أموالهم بالليل و النهار سرّاً و علانية فلهم أجرهم عند ربّهم و لا خوفٌ عليهم و لا هم يحزنون ﴾^٢ .

و نقل الواحدي في تفسيره يرفعه بسنده إلى ابن عباس رضي الله عنهما قال : « كان مع علي عليه السلام أربعة دراهم لا يملك غيرها فتصدّق بدرهم ليلاً و بدرهم نهاراً و بدرهم سرّاً و بدرهم علانيةً فأنزل الله تعالى ﴿ الذين ينفقون أموالهم بالليل و النهار سرّاً و علانيةً... الخ ﴾^٣ .

(٤) قوله تعالى : ﴿ إنّ الذين آمنوا و عملوا الصالحات أولئك هم خير البرية ﴾^٤ عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : لما نزلت هذه الآية : إنّ الذين آمنوا - إلى قوله - خير البرية .

قال النبي صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام : « أنت و شيعتك تأتي يوم القيامة أنت و هم راضيين مرضيين و يأتي أعداؤك غضاباً مقمحين »^٥ .

(٥) قوله تعالى : ﴿ و تعيها أذنٌ واعية ﴾^٦ .

عن علي بن أبي طالب عليه السلام في قوله تعالى : ﴿ و تعيها أذنٌ واعية ﴾ قال قال

١ - نور الأبصار ص ٨٧ .

٢ - البقرة ٢ : ٢٧٤ .

٣ - نور الأبصار ص ٨٧ .

٤ - البيّنة ٩٨ : ٦ .

٥ - نور الأبصار ص ٨٧ .

٦ - الحاقّة ٦٩ : ١٢ .

رسول الله ﷺ سألت الله أن يجعلها أذنك يا علي ففعل فكان علي عليه السلام يقول ما سمعت من رسول الله ﷺ كلاماً إلا وعيته و حفظته و لم أنسه^١.

(٦) قوله تعالى: ﴿ إنما أنت منذر و لكل قوم هاد ﴾^٢ عن ابن عباس عليه السلام قال

«لما نزل قوله تعالى: ﴿ إنما أنت منذر و لكل قوم هاد ﴾ قال رسول الله ﷺ: أنا المنذر و علي الهادي و بك يا علي يهتدي المهتدون»^٣.

(٧) قوله تعالى: ﴿ سأل سائل بعذاب واقع . للكاافرين ليس له دافع . من الله ذي

المعارج ﴾^٤

نقل الإمام أبو إسحق الثعلبي في تفسيره «أن سفيان بن عيينة سئل عن قوله

تعالى ﴿ سأل سائل بعذاب واقع ﴾ فيمن نزلت ؟ .

فقال للسائل سألتني عن مسألة لم يسألني عنها قبلك أحد ، حدّثني أبي عن

جعفر بن محمد عن آبائه عليه السلام أن رسول الله ﷺ لما كان بغدير خم نادى

الناس ، فاجتمعوا ، فأخذ ﷺ بيد علي عليه السلام و قال من كنت مولاه فعلي مولاه

فشاع ذلك فطار في البلاد و بلغ ذلك الحارث بن النعمان الفهري فأتى رسول الله

ﷺ على ناقه له فأناخ راحلته و نزل عنها و قال : يا محمد أمرتنا عن الله عز و جل

أن نشهد : لا إله إلا الله و أنك رسول الله ، فقبلنا ، و أمرتنا أن نصلي خمساً فقبلنا

منك ، و أمرتنا بالزكاة فقبلنا ، و أمرتنا أن نصوم رمضان فقبلنا ، و أمرتنا بالحج

فقبلنا ، ثم لم ترض بهذا حتى رفعت بضبعي ابن عمك تفضّله علينا ! فقلت : من

١ - نور الأبصار ص ٨٧ .

٢ - الرعد ١٣ : ٧ .

٣ - نور الأبصار ص ٨٧ .

٤ - المعارج ٧٠ : ١-٣ .

كنت مولاة فعلي مولاة ، فهذا شيء منك أم من الله عزّ وجل ؟ .

فقال النبي ﷺ و الذي لا إله إلا هو إن هذا من الله عزّ وجل .

فولّى الحارث بن النعمان يريد راحلته و هو يقول : اللهم إن كان ما يقول محمد حقاً فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم ، فما وصل إلى راحلته حتى رماه الله عزّ وجل بحجر سقط على هامته فخرج من دبره فقتله ، فأنزل الله عزّ وجل ﴿ سأل سائل بعذاب واقع للكافرين ليس له دافع من الله ذي المعارج ﴾^١ .

(٨) قوله تعالى : ﴿ و من الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله و الله رؤوف

بالعباد ﴾^٢ .

(أورد) الإمام الغزالي في كتابه احياء العلوم : أن ليلة بات علي ﷺ على فراش رسول الله ﷺ أوحى الله تعالى إلى جبرئيل و ميكائيل إنني آخيت بينكما و جعلت عمر أحدكما أطول من عمر الآخر فأيتكما يؤثر صاحبه بالحياة ؟ فاختر كلاهما الحياة و أحبّاهما فأوحى الله إليهما : أفلا كنتما مثل علي بن أبي طالب ؟ آخيت بينه و بين محمد ﷺ فبات على فراشه يفديه بنفسه و يؤثره بالحياة ، اهبطا الأرض فاحتفظاه من عدوه ، فكان جبريل عند رأسه و ميكائيل عند رجله ينادي و يقول بخّ بخّ من مثلك يا ابن أبي طالب يباهي الله بك الملائكة فأنزل الله عزّ وجل ﴿ و من الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله و الله رؤوف بالعباد ﴾ و في تلك الليلة أنشاء علي ﷺ :

١ - نور الأبصار ص ٨٧ .

٢ - البقرة ٢ : ٢٠٧ .

وقيت بنفسي خير من وطىء الحصى
وبت أراعي منهم ما يسوءني
و بات رسول الله في الغار آمناً
و ما زال في حفظ الآله و في الستر^١
و أكرم خلق طاف بالبيت والحجر
و قد صبرت نفسي على القتل والأسر

الأحاديث الواردة في علي بن أبي طالب عليه السلام

و هي كثيرة جداً بحيث يعسر ضبطها ، و لهذا لم يتيسر لأحد أن يدرجها
تماماً في كتابه ، و نحن نقتصر على ما نقله ابن حجر المكي في صواعقه ، و انما
رجحناه على غيره في مقام النقل عنه لوجهين :
(الأول) أنه ذكر المصادر .

(الثاني) انه متعصب للسنة للغاية فتكون منقولاته في علي عليه السلام أزيد اعتباراً
من غيره . و انه ذكر أربعين حديثاً مترتباً في مقام واحد و سبعة منها متفرقاً و نحن
نذكرها جميعاً في سرد واحد ، فهذه سبعة و أربعون حديثاً :

(الحديث الأول) أخرج الشيخان عن سعد ابن أبي وقاص و أحمد البزاز عن
أبي سعيد الخدري و الطبراني عن أسماء بنت عميس و أم سلمة و حبيش بن جنادة
و ابن عمر و ابن عباس و جابر بن سمرة و علي عليه السلام و البراء بن عازب و زيد بن
أرقم ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خلف علي بن أبي طالب عليه السلام في غزوة تبوك فقال
يا رسول الله تخلفني في النساء و الصبيان ؟ فقال : أما ترضى أن تكون مني بمنزلة
هرون من موسى غير أنه لا نبي بعدي .

(الحديث الثاني) أخرج الشيخان أيضاً عن سهل بن سعد و الطبراني عن ابن عمر و ابن أبي ليلى و عمران بن حصين و البزاز عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال يوم خيبر لأعطين الراية غداً رجلاً يفتح الله على يديه يحب الله ورسوله و يحبه الله ورسوله ، فبات الناس يتذكرون أي يخوضون و يتحدثون ليلتهم أيهم يعطاها فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله ﷺ كلهم يرجو أن يعطاها ، فقال أين علي بن أبي طالب ؟ فقيل يشتكي عينيه ، قال فأرسلوا اليه ، فأتى به ، فبصق رسول الله ﷺ في عينيه و دعا له ، فبرأ حتى كان لم يكن به وجع ، فأعطاه الراية ، و أخرج الترمذي عن عائشة كانت فاطمة أحب الناس الى رسول الله ﷺ و زوجها أحب الرجال اليه .

(الحديث الثالث) أخرج مسلم عن سعد بن أبي وقاص قال لما نزلت هذه الآية ﴿ ندع أبناءنا و أبناءكم ﴾ دعا رسول الله ﷺ علياً و فاطمة و حسناً و حسيناً فقال : اللهم هؤلاء أهلي .

(الحديث الرابع) قال ﷺ يوم غدير خم : من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه و عاد من عاداه الحديث ، و قد مرّ في حادي عشر الشبه أنه رواه عن النبي ﷺ ثلاثون صحابياً و إنّ كثيراً من طرقه صحيح أو حسن و مرّ الكلام ثم على معناه مستوفى و روى البيهقي أنه ظهر علي عليه السلام من البعد فقال ﷺ هذا سيد العرب ، فقالت عائشة : ألسنت سيد العرب ؟ فقال : أنا سيد العالمين و هو سيد العرب ، و رواه الحاكم في صحيحه عن ابن عباس بلفظ أنا سيد ولد آدم و علي سيد العرب ، و قال انه صحيح .

(الحديث الخامس) أخرج الترمذي و الحاكم و صحّحه عن بريدة قال قال رسول الله ﷺ انّ الله أمرني بحبّ أربعة و أخبرني أنه يحبّهم قيل يارسول الله سمّهم لنا ، قال : علي منهم ، يقول ذلك ثلاثاً و أبو ذر و المقداد و سلمان .

(الحديث السادس) أخرج أحمد و الترمذي و النسائي و ابن ماجة عن حبشي بن جنادة قال قال رسول الله ﷺ علي مني و أنا من علي و لا يؤدّي عني الا أنا أو علي .

(الحديث السابع) أخرج الترمذي عن ابن عمر قال آخى النبي ﷺ بين أصحابه ف جاء علي تدمع عيناه فقال يارسول الله آخيت بين أصحابك و لم تؤاخ بيني و بين أحد ؟ فقال ﷺ أنت أخي في الدنيا والآخرة .

(الحديث الثامن) أخرج مسلم عن علي عليه السلام ، قال : و الذي فلق الحبة و برأ النسمة انه لعهد النبي الامي الي أنه لا يحبّني الا مؤمن و لا يبغضني الا منافق ، و أخرج الترمذي عن أبي سعيد الخدري قال كنا نعرف المنافقين ببغضهم علياً .

(الحديث التاسع) أخرج البزار و الطبراني في الأوسط عن جابر بن عبد الله ، و الطبراني و الحاكم و العقيلي في الضعفاء ، و ابن عدي عن ابن عمر ، و الترمذي و الحاكم عن علي عليه السلام ، قال قال رسول الله ﷺ أنا مدينة العلم و علي بابها ، و في رواية فمن أراد العلم فليأت الباب ، و في أخرى عن الترمذي عن علي عليه السلام عن رسول الله ﷺ : أنا دار الحكمة و علي بابها ، و في أخرى عن ابن عدي عن رسول الله ﷺ : علي باب علمي .

و تضعيف ابن حجر لهذا الحديث استناداً الى قول ابن الجوزي و النووي ، واه بعد ما رواه جمّ غير من الحفاظ و أئمة الحديث يناهض عددهم مائة و ثلاثة و أربعين نفرأ و صحّحه كثير من العلماء ، منهم :



الحافظ أبو زكريا يحيى بن معين البغدادي المتوفى (٢٣٣).

و ابن جرير الطبري المتوفى (٣١٠).

و الحاكم النيسابوري المتوفى (٤٠٥).

و الخطيب البغدادي المتوفى (٤٦٣).

و الحافظ أبو محمد الحسن السمرقندي المتوفى (٤٩١) في بحر الأسانيد .

و الحافظ مجد الدين الفيروز آبادي المتوفى (٨١٦) في النقد الصحيح .

و الحافظ جلال الدين السيوطي المتوفى (٩١١) في جمع الجوامع و غير ذلك

من جهاذة العلم و حملة الحديث^١ .

(الحديث العاشر) أخرج الحاكم و صحّحه عن علي عليه السلام قال : بعثني

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الى اليمن فقلت يارسول الله بعثتني و أنا شاب أقضي بينهم و

لأدري ما القضاء ؟ فضرب صدري بيده ثم قال : اللهم اهد قلبه و ثبت لسانه ،

فوالذي فلق الحبة ما شككت في قضاء بين اثنين .

قيل و سبب قوله صلى الله عليه وآله وسلم أقضاكم علي السابق في أحاديث أبي بكر أن

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان جالساً مع جماعة من أصحابه ، فجاءه خصمان ، فقال

أحدهما : يا رسول الله ان لي حماراً وان لهذا بقرةً وان بقرتي قتلت حماري ، فبدأ

رجلٌ من الحاضرين فقال : لا ضمان على البهائم ، فقال صلى الله عليه وآله وسلم اقض بينهما يا علي ،

فقال علي لهما : أكانا مرسلين أم مشدودين ؟ أم أحدهما مشدوداً و الآخر مرسلأ ؟

فقالا : كان الحمار مشدوداً و البقرة مرسلأً و صاحبها معها ، فقال : علي صاحب

البقرة ضمان فأقر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حكمه و أمضى قضاءه .

(الحديث الحادي عشر) أخرج ابن سعد عن علي عليه السلام أنه قيل له مالك أنت أكثر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حديثاً؟ قال : اني كنت اذا سألته أنبأني و اذا سكت ابتدأني .

(الحديث الثاني عشر) أخرج الطبراني في الأوسط بسند ضعيف^١ عن جابر بن عبدالله قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الناس من شجر شتى و أنا و علي من شجرة واحدة .

(الحديث الثالث عشر) أخرج البزار عن سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعلي لا يحل لأحد أن يجنب في هذا المسجد غيري و غيرك .

(الحديث الرابع عشر) أخرج الطبراني و الحاكم و صححه عن أم سلمة قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اذا غضب لم يجترئ أحد أن يكلمه الا علي .

(الحديث الخامس عشر) أخرج الطبراني و الحاكم عن ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : النظر الى علي عبادة ، اسناده حسن .

(الحديث السادس عشر) أخرج أبو يعلى و البزار عن سعد بن أبي وقاص قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من آذى علياً فقد آذاني .

(الحديث السابع عشر) أخرج الطبراني بسند حسن عن أم سلمة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : من أحب علياً فقد أحبني و من أحبني فقد أحب الله و من أبغض علياً فقد أبغضني و من أبغضني فقد أبغض الله .

(الحديث الثامن عشر) أخرج أحمد و الحاكم و صححه عن أم سلمة قالت

١ - أقول : انّ السند ليس بضعيف بل عقل القائل ضعيف لأن مفاد هذا الحديث معلوم بالوجدان فلا يحتاج الى سند أو برهان .



سمعت رسول الله ﷺ يقول : من سب علياً فقد سبني .

(الحديث التاسع عشر) أخرج أحمد و الحاكم بسند صحيح عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال لعلي : أنك تقاتل على تاويل القرآن كما قاتلت على تنزيله .

(الحديث العشرون) أخرج البزّار و أبو يعلى و الحاكم عن علي عليه السلام قال : دعاني رسول الله ﷺ فقال إن فيك مثلاً من عيسى أبغضته اليهود حتى بهتوا أمه ، و أحبّته النصارى حتى نزّلوه بالمنزل الذي ليس به ، ألا و أنّه يهلك في اثنتان محبّ مفرط يقرظني بما ليس فيّ و مبغض يحمله شنّائي على أن يبهتني .

(الحديث الحادي و العشرون) أخرج الطبراني في الأوسط عن أم سلمة قالت سمعت رسول الله ﷺ يقول : علي مع القرآن و القرآن مع علي لا يفترقان حتى يردا عليّ الحوض .

(الحديث الثاني و العشرون) أخرج أحمد و الحاكم بسند صحيح عن عمار بن ياسر أن النبي ﷺ قال لعلي : أشقى الناس رجلان أحيمر ثمود الذي عقر الناقة و الذي يضربك يا علي هذه يعني قرنه حتى يبيلّ منه هذه يعني لحيته ، و قد ورد ذلك من حديث علي عليه السلام و صهيب و جابر بن سمرة و غيرهم .

(و أخرج) أبو يعلى عن عائشة قالت رأيت النبي ﷺ التزم علياً و قبله و هو يقول : بأبي الوحيد الشهيد .

و روى الطبراني و أبو يعلى بسند رجاله ثقات الا واحداً منهم فانه موثق أيضاً أنه ﷺ قال له يوماً : من أشقى الأولين ؟

قال : الذي عقر الناقة يا رسول الله ، قال : صدقت ، قال : فمن أشقى الآخرين ؟ قال : لا علم لي يا رسول الله ، قال الذي يضربك على هذه ، و أشار ﷺ



الى يافوخه ، فكان علي عليه السلام يقول لاهل العراق أي عند تضجره منهم : وددت أنه قد انبعث أشقاكم فخصب هذه يعني لحيته ، من هذه و وضع يده على مقدم رأسه .
و صح أيضاً أنّ ابن سلام قال له : لا تقدم العراق فاني أخشى أن يصيبك بها ذباب السيف ، فقال علي عليه السلام : وأيم الله لقد أخبرني به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال أبو الاسود : فما رأيت كاليوم قطّ محارب يخبر بذا عن نفسه .

(الحديث الثالث والعشرون) أخرج الحاكم و صححه عن أبي سعيد الخدري قال اشتكى الناس علياً فقام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فينا خطيباً فقال : لا تشكو علياً فوالله انه لأخيشن في ذات الله أو في سبيل الله .

(الحديث الرابع والعشرون) أخرج أحمد و الضياء عن زيد بن أرقم أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : اني أمرت بسدّ هذه الأبواب غير باب علي ، فقال فيه قائلكم و اني و الله ما سدّدت شيئاً و لا فتحته و لكنني أمرت بشيء فاتبعته .

(الحديث الخامس والعشرون) أخرج الترمذي و الحاكم عن عمران بن حصين أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : ما تريدون من علي ! ما تريدون من علي !! ما تريدون من علي !!! انّ علياً مني و أنا منه و هو ولي كل مؤمن بعدي .

(الحديث السادس والعشرون) أخرج الطبراني عن ابن مسعود أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : انّ الله تبارك و تعالى أمرني أن أزوّج فاطمة من علي .

(الحديث السابع والعشرون) أخرج الطبراني عن جابر و الخطيب عن ابن عباس أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال انّ الله جعل ذرية كل نبي في صلبه و جعل ذريتي في صلب علي بن أبي طالب .

(الحديث الثامن والعشرون) أخرج الديلمي عن عائشة أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال خير اخوتي علي و خير أعمامي حمزة ذكر علي عبادة .



(الحديث التاسع والعشرون) أخرج الديلمي أيضاً عن عائشة و الطبراني و ابن مردويه عن ابن عباس أنّ النبي ﷺ قال سبق ثلاثة : فالسابق الى موسى يوشع بن نون و السابق الى عيسى صاحب يس ، و السابق الى محمد علي بن أبي طالب .
(الحديث الثلاثون) أخرج ابن النجار عن ابن عباس أنّ النبي ﷺ قال الصديقون ثلاثة : حزقيل مؤمن آل فرعون ، و حبيب النجار صاحب يس ، و علي بن أبي طالب .

(الحديث الحادي و الثلاثون) أخرج أبو نعيم و ابن عساکر عن أبي ليلى أنّ رسول الله ﷺ قال : الصديقون ثلاثة : حبيب النجار ، مؤمن آل يس الذي قال ﴿ يا قوم اتبعوا المرسلين ﴾^١ و حزقيل مؤمن آل فرعون الذي قال ﴿ أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله ﴾^٢ و علي بن أبي طالب و هو أفضلهم .

(الحديث الثاني و الثلاثون) أخرج الخطيب عن أنس أنّ النبي ﷺ قال : عنوان صحيفة المؤمن حبّ علي بن أبي طالب .

(الحديث الثالث و الثلاثون) أخرج الحاكم عن جابر أنّ النبي ﷺ قال : عليّ امام البررة ، و قاتل الفجرة ، منصور من نصره ، مخذول من خذله .

(الحديث الرابع و الثلاثون) أخرج الدارقطني في الافراد عن ابن عباس أنّ النبي ﷺ قال : علي باب حطة من دخل منه كان مؤمناً و من خرج منه كان كافراً .

(الحديث الخامس و الثلاثون) أخرج الخطيب عن البراء و الديلمي عن ابن عباس أنّ النبي ﷺ قال : علي مني بمنزلة راسي من بدني .

(الحديث السادس و الثلاثون) أخرج البيهقي و الديلمي عن أنس أن النبي ﷺ قال علي يزهو في الجنة ككوكب الصبح لأهل الدنيا .

(الحديث السابع و الثلاثون) أخرج ابن عدي عن علي عليه السلام أن النبي ﷺ قال : عليّ يعسوب المؤمنين و المال يعسوب المنافقين .

(الحديث الثامن و الثلاثون) أخرج البزار عن أنس أن النبي ﷺ قال : عليّ يقضي ديني .

(الحديث التاسع و الثلاثون) أخرج الترمذي و الحاكم أن النبي ﷺ قال : انّ الجنة لتشتاق الى ثلاثة : عليّ و عمارٌ و سلمان .

(الحديث الأربعون) أخرج الشيخان عن سهل أن النبي ﷺ وجد علياً مضطجعاً في المسجد و قد سقط رداؤه عن شقه فأصابه تراب فجعل النبي ﷺ يمسحه عنه و يقول : قم أبا تراب ! فلذلك كانت هذه الكنية أحب الكنى اليه لأنه ﷺ كتاه بها .

(الحديث الواحد و الأربعون) أخرج ابن أبي شيبه عن عبدالرحمان بن عوف قال لما فتح رسول الله ﷺ مكة انصرف الى الطائف فحصرها سبع عشرة ليلة أو تسع عشرة ليلة ثم قام خطيباً فحمد الله و أثنى عليه ثم قال : أوصيكم بعترتي خيراً و انّ موعدكم الحوض و الذي نفسي بيده لتقمين الصلاة و لتؤتن الزكاة أو لأبعثن اليكم رجلاً مني أو كنفسي يضرب أعناقكم ثم أخذ بيد علي عليه السلام ثم قال هو هذا .

(الحديث الثاني و الأربعون) انه ﷺ قال في مرض موته : أيها الناس ! يوشك أن أقبض قبضاً سريعاً فينطلق بي و قد قدمت اليكم القول معذرةً اليكم ألا اني مخلف فيكم كتاب ربي عز و جل ، و عترتي أهل بيتي ، ثم أخذ بيد علي فرفعها فقال : هذا علي مع القرآن و القرآن مع علي لا يفترقان حتى يردا عليّ الحوض



فاسألوهما ما خلفت فيهما .

(الحديث الثالث و الأربعون) أخرج أحمد في المناقب عن علي عليه السلام قال طلبني النبي صلى الله عليه وآله وسلم في حائط و قال : قم فوالله لأرضيك أنت أخي و أبو ولدي تقاتل على سنتي ، من مات على عهدي فهو في كنز الجنة ، و من مات على عهدك فقد قضى نجه و من مات يحبك بعد موتك ختم الله له بالأمن و الايمان ما طلعت شمس أو غربت .

(الحديث الرابع و الأربعون) أخرج الدارقطني أنّ علياً قال للستة الذين جعل عمر أمر الشورى بينهم كلاماً طويلاً من جملته أنشدكم بالله هل فيكم أحدٌ قال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يا علي أنت قسيم الجنة و النار يوم القيامة غيري ؟ قالوا اللهم لا ، و معناه ما رواه عنتره عن علي أنه صلى الله عليه وآله وسلم قال له أنت قسيم الجنة و النار فيوم القيامة تقول للنار هذا لي و هذا لك .

(الحديث الخامس و الأربعون) روى ابن السماك أن أبا بكر قال له سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : لا يجوز أحد الصراط الا من كتب له علي الجواز .

(الحديث السادس و الأربعون) أخرج البخاري عن علي عليه السلام انه قال أنا أول من يجثو بين يدي الرحمان للخصومة يوم القيامة^١ .

(الحديث السابع و الأربعون) (أخرج الطبراني) : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : يا علي معك يوم القيامة عصاً من عصي الجنة تدود بها المنافقين عن الحوض .

(الحديث الثامن و الأربعون) (أخرج) أحمد : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : أعطيت في علي خمساً ، هنّ أحبّ إليّ من الدنيا و ما فيها (أمّا واحدة) فهو بين يدي الله حتى

يفرغ من الحساب^١. (و أما الثانية) فلواء الحمد بيده آدم و من ولده تحته. (و أما الثالثة) فواقف على حوضي يسقي من عرف من أمتي، الحديث، و مرّ خبر أنّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قال لعلي أعداؤك يردون على الحوض ظماء مقمحين^٢.

فضائله الجبّارة و مآثره الزخّارة

قال ابن حجر: «وهي كثيرة عظيمة شهيرة حتى قال أحمد: ما جاء لأحد من الفضائل ما جاء لعلي، و قال اسماعيل القاضي و النسائي و أبو علي النيسابوري لم يرد في حق أحد من الصحابة بالأسانيد الحسان أكثر ما جاء في علي»^٣.

و قال ابن حجر: (أخرج) الطبراني عن ابن عباس قال: كانت لعلي ثمانية عشرة منقبة ما كانت لأحد من هذه الأمة.

(و أخرج) أبو يعلى عن أبي هريرة قال عمر بن الخطاب: لقد أعطي علي ثلاث خصال لان تكون لي خصلة منها أحبّ إليّ من حمر النعم، فسئل و ما هي؟ قال: تزويجه ابنته، و سكناه في المسجد لا يحلّ لي فيه ما يحلّ له، و الراية يوم خيبر.

و روى أحمد بسند صحيح عن ابن عمر نحوه.

و لمّا دخل الكوفة دخل عليه حكيمٌ من العرب فقال و الله يا أمير المؤمنين

١ - لا يخفى أنّ المراد منه أن يفرغ الله تعالى من حساب الخلق، لأنّ يفرغ من حساب علي عَلَيْهِ السَّلَامُ و الا ليس منقبة.

٢ - الصواعق المحرقة ص ١٠٤.

٣ - المصدر ص ٧٢.

لقد زينت الخلافة و ما زينتك ، و رفعتها و ما رفعتك ، و هي كانت أحوج اليك منك اليها .

(و أخرج) السلفي في الطيوريات عن عبدالله بن أحمد بن حنبل قال سألت أبي عن علي و معاوية ؟ فقال اعلم أنّ علياً كان كثير الأعداء ففتش له أعداؤه شيئاً فلم يجدوه فجاءوا الى رجل قد حاربه و قاتله فأطروه كيداً منهم له ^١ ، و هو أحد العشرة المشهود لهم بالجنة ، و أخو رسول الله ﷺ بالمؤاخاة ، و صهره على فاطمة سيدة نساء العالمين ، و أحد السابقين الى الاسلام ، و أحد العلماء الربانيين ، و الشجعان المشهورين ، و الزهاد المذكورين ، و الخطباء المعروفين ، و أحد من جمع القرآن و عرضه على رسول الله ﷺ و عرض عليه أبو الأسود الدؤلي و أبو عبدالرحمان السلمي و عبدالرحمان بن أبي ليلى ، و لما هاجر النبي ﷺ الى المدينة أمره أن يقيم بعده بمكة أياماً حتى يؤدي عنه أمانته و الودائع و الوصايا التي كانت عند النبي ﷺ ثم يلحقه باهله ففعل ذلك ^٢ .

و قال أيضاً و مناقب علي و فضائله أكثر من أن تُحصى .

و من كلام الشافعي :

قالوا ترفّضت قلت كلا

لكن تولّيت غير شك

ان كان حب الولي رفضاً

وقال أيضاً :

و اهتف بساكن خيفها و الناهض
فيضاً كملتطم الفرات الفائض
فليشهد الثقلان أنني رافضي^١

يا راكباً قف بالمحصّب من منى
سحراً اذا فاض الحجيج الى منى
ان كان رفضاً حبّ آل محمد

شأن علمه الزخار

قال ابن حجر المكيّ : «(أخرج) ابن سعد عن أبي هريرة قال : قال عمر بن الخطاب : علي أفضانا .

(و أخرج) الحاكم عن ابن مسعود قال : أفضى أهل المدينة علي .

(و أخرج) ابن سعد عن ابن عباس قال : اذا حدّثنا ثقة عن علي الفتيا لا نعدوها ، أي لا نتجاوزها .

(و أخرج) عن سعيد بن المسيّب كان عمر بن الخطّاب يتعوّذ بالله من معضلة ليس لها أبو الحسن ، يعني علياً .

(و أخرج) عنه قال : لم يكن أحدٌ من الصحابة يقول : سلوني ، الا علي .

(و أخرج) ابن عساكر عن ابن مسعود قال : أفرض أهل المدينة و أفضاها

علي .

و ذُكر عند عائشة ، فقالت : انه أعلم من بقي بالسنة .

و قال عبدالله بن عتيّاش كان بعلي ما شئت من ضرر قاطع في العلم ، و كان له

القدم في الاسلام ، و الصهر برسول الله ﷺ ، و الفقه في السنة ، و النجدة في

الحرب ، و الجود في المال .

(و أخرج) ابن سعد عنه ، قال : و الله ! ما نزلت آية الا و قد علمت فيم نزلت و أين نزلت و على من نزلت إن ربي و هب لي قلباً عقولاً و لساناً ناطقاً .

(و أخرج) ابن سعد و غيره عن أبي الطفيل قال قال علي : سلوني عن كتاب الله فانه ليس من آية الا و قد عرفت بليل نزلت أم بنهار أم في سهل أم في جبل .

(و أخرج) ابن أبي داؤد عن محمد بن سيرين قال لما توفي رسول الله ﷺ أبطأ علي عن بيعة أبي بكر ، فلقبه أبو بكر فقال : أكرهت امارتي ؟ فقال : لا ، ولكن آليت أن لا أرتدي بردائي الا الى الصلاة حتى أجمع القرآن ، فزعموا انه كتبه على تنزيله ، قال محمد بن سيرين : لو أصبت ذلك الكتاب كان فيه العلم^١ .

قال الجزائري : ان نسبة عدم كراهة علي عليه السلام لخلافة أبي بكر مخالفة صريحة لما ورد من اتفاق أرباب السير و التأريخ على أن علياً عليه السلام وكذا سائر بني هاشم رجالاً و نساءً (و فيهن فاطمة الزهراء عليها السلام) أبوا عن بيعة أبي بكر ، و لهذا هجم القوم على دار فاطمة عليها السلام و أخرجوا منها علياً عليه السلام لأخذ البيعة منه قهراً ، اذ بعث اليهم أبو بكر عمر بن الخطاب و قال له : إن أبوا فقاتلهم^٢ .

١ - المصدر ص ٧٦ .

٢ - راجع : العقد الفريد ج ٢ ص ٢٥٠ و تاريخ أبي الفداء ج ١ ص ١٥٦ و أعلام النساء ج ٣ ص ١٢٠٧ (على ما نقله الغدير ج ٧ ص ٧٧) .



شجاعة علي عليه السلام و جهاده في سبيل الله

قال ابن حجر: «أنه شهد مع النبي ﷺ سائر المشاهد الا تبوك فانه ﷺ قاله وسكت» استخلفه على المدينة و قال له حينئذ: أنت متي بمنزلة هارون من موسى كما مر .

وله في جميع المشاهد الآثار المشهورة .

و أصيبَ يوم أحد ست عشرة ضربة .

و أعطاه النبي ﷺ اللواء في مواطن كثيرة سيما يوم خيبر ، و أخبر

ﷺ أنّ الفتح يكون على يده كما في الصحيحين ، و حمل يومئذ باب حصنها على ظهره حتى صعد المسلمون عليه ففتحوها ، و أنهم جزّوه بعد ذلك فلم يحمله الا أربعون رجلاً ، و في رواية انه تترس باب الحصن عن نفسه فلم يقاتل و هو في يده حتى فتح الله عليه ثم ألقاه فاراد ثمانية أن ينقلوه فما استطاعوا^١ .

و قال الشبلنجي : «فمن شجاعته مبيته على فراش رسول الله ﷺ لما أمره

بذلك . و قد اجتمعت قريش على قتل النبي ﷺ و لم يكثرث علي عليه السلام بهم .

قال بعض أصحاب الحديث أوحى الله تعالى الى جبرئيل و ميكائيل عليهما السلام أن

أنزلا الى علي و احرساه في هذه الليلة الى الصباح ، فنزلا اليه و هما يقولان بخ بخ من مثلك يا علي قد باهى الله بك ملائكته^٢ .

١ - الصواعق المحرقة ص ٧٢ .

٢ - نور الأبصار ص ٩٦ راجع تمام الخبر في فصل الآيات النازلة في علي بن أبي طالب عليه السلام .



﴿ شجاعته عليه السلام يوم بدر ﴾

قال الشبلنجي: كان عمره إذ ذاك سبعاً وعشرين سنة .

قال بعضهم إن أهل الغزوات أجمعت على أن جملة من قُتل من المشركين يوم بدر سبعون رجلاً ، قال قتل علي عليه السلام منهم أحداً و عشرين ، تسعة باتفاق الناقلين ، و أربعة شاركه فيهم غيره ، و ثمانية مختلف فيهم .

و روي عن رافع مولى رسول الله ﷺ قال : لما أصبح الناس يوم بدر اصطفت قريش أمامها عتبة بن ربيعة و أخوه شيبة و ابنه الوليد ، فنادى عتبة رسول الله ﷺ : يا محمد ! أخرج لنا أكفاءنا من قريش ، فبرز إليهم ثلاثة من شبان الأنصار ، فقال لهم عتبة : من أنتم ؟ فانتسبوا ، فقال : لا حاجة لنا في مبارزتكم إنما طلبنا بني عمنا .

فقال رسول الله ﷺ للأنصار : ارجعوا موافقكم ، ثم قال : قم يا علي ! قم يا حمزة ! قم يا عبدة ! قاتلوا على حقكم الذي بعث الله به نبيكم .

فقاموا فصقوا في وجوههم ، وكان على رؤوسهم البيض ، فلم يعرفوهم ، فقال عتبة : من أنتم يا هؤلاء ؟ تكلموا ! فان كنتم أكفاءنا قاتلناكم .

فقال حمزة بن عبدالمطلب : أنا حمزة بن عبد المطلب ، أنا أسد الله و أسد رسوله .

فقال عتبة : كفؤ كريم .

و قال علي : أنا علي بن أبي طالب ، و قال عبدة : أنا عبدة بن الحارث بن عبد المطلب .

فقال عتبة لابنه الوليد : قم يا وليد ! ابرز لعلي ، و كان أصغر الجماعة سناً ،



فاختلفا بضربتين أخطأت ضربة الوليد، و وقعت ضربة علي عليه السلام على اليد اليسرى من الوليد فأبانتها، ثم ثنى عليه بأخرى فخرّ قتيلاً.

روي عن علي عليه السلام أنه كان إذا ذكر بدرأً و قتل الوليد قال في حديثه: كأنني أنظر إلى وميض خاتمه في شماله عند ما أبنت يده و بها أثر من خلوق فعلمت أنه قريب عهد بعروس .

و بارز عتبة حمزة، و بارز عبيدة شيبية، و كان من أسنّ القوم فاختلفا بضربتين فأصاب ذباب سيف شيبية عضلة ساق عبيدة فقطعها، فاستنقذه علي و حمزة رضى الله عنهما و قتل شيبية و حمل عبيدة فمات بالصفراء^١.

﴿ شجاعته عليه السلام يوم أحد ﴾

قال الشبلنجي: «و محصل القول في هذه الغزوة أنّ أشراف قريش لما كسروا يوم بدر و قُتل بعضهم و أسر بعض آخر، دخل الحزن على أهل مكة بقتل رؤسائهم و أشرافهم و بذلوا أموالاً و استمالوا جمعاً من كنانة و غيرهم ليقتصدوا النبي صلى الله عليه و آله و سلم لا ستئصال المسلمين و تولى ذلك أبو سفيان بن حرب، فحشد و حثّ و قصد المدينة .

فخرج النبي صلى الله عليه و آله و سلم بالمسلمين فنفق النفاق بين جماعة من المسلمين من الذين خرجوا مع رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم فرجع قريب من ثلثهم و بقي مع النبي صلى الله عليه و آله و سلم سبعمائة من المسلمين فالتقى الجمعان و اشتدّ الحرب و اضطرب المسلمون و

استشهد حمزة و جماعة من المسلمين و قتل من مقاتلة المشركين اثنان و عشرون رجلاً .

نقل أصحاب المغازي أنّ علياً عليه السلام قتل منهم سبعة ؛ طلحة بن أبي طلحة ، و عبدالله بن جميل ، و أبا الحكم ابن الأحنس ، و سباع بن عبد العزى ، و أبا أمية بن المغيرة ، و هؤلاء الخمسة متفق على أنه عليه السلام قتلهم ، و الاثنان مختلف فيهما .

و عن ابن عباس رضي الله عنه قال : خرج طلحة بن أبي طلحة يوم أحد فكان صاحب لواء المشركين فقال يا أصحاب محمد تزعمون أنّ الله يعجلنا بأسيافكم إلى النار و يعجلكم بأسيافنا إلى الجنة ، فأيتكم يبرز إليّ ؟ فبرز إليه علي بن أبي طالب عليه السلام و قال و الله لا أفارقك حتى أعجلك بسيفي إلى النار ، فاختلفا بضربتين فضربه علي عليه السلام على رجله فقطعها و سقط إلى الارض ، فأراد أن يجهز عليه فقال أنشدك الله و الرحم يا ابن عم فانصرف عنه إلى موقفه ، فقال المسلمون هلاً أجهزت عليه ، فقال ناشدني الله و لن يعيش فمات من ساعته و بُشّر النبي صلى الله عليه وآله وسلم بذلك فسّر و سرّ المسلمون .

قال ابن إسحق : كان الفتح يوم أحد بصبر علي عليه السلام .

روى الحافظ محمد بن عبد العزيز الجنازدي في كتابه (معالم العترة) مرفوعاً إلى قيس بن سعد عن أبيه أنه سمع علياً عليه السلام يقول : أصابتنى يوم أحد ست عشرة ضربة سقطتُ إلى الارض في أربع منهن ، فجاء رجل حسن الوجه طيب الريح و أخذ بضبعي فأقامني ، ثم قال أقبل عليهم فإنك في طاعة الله و رسوله و هما عنك راضيان ، قال علي فأتيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم فأخبرته فقال : يا علي أقرّ الله عينيك ذاك جبريل عليه السلام .

ثم رجع أبو سفيان و من معه إلى مكة و النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى المدينة و هذه



الغزوة ذكرها الله في سورة آل عمران في قوله ﴿ وإذ غدوت من أهلك تبوئء المؤمنين مقاعد للقتال والله سميع عليم ﴾^١ .^٢

ثم ذكر الشبلنجي شجاعته عليه السلام في غزوة الخندق تركناها مراعاة للاختصار ، و خوفاً من التكرار ، لأنه مضى سابقاً في غزوة خيبر^٣ .

ثم قال الشبلنجي ذاكراً لأسباب وقعة الجمل و صفين ما لفظه :

﴿ فصل : في الكلام على وقعة الجمل و قتال صفين ﴾ في ذخائر العقبى عن محمد بن الحنفية قال : أتى رجل علياً و عثمان محصور ، فقال : إن أمير المؤمنين مقتول ، ثم جاء آخر فقال : إن أمير المؤمنين مقتول الساعة ، فقام عليّ ، قال محمد : أخذت بوسطه تخوفاً عليه فقال : خلّ لا أمّ لك ، فأتى علي عليه السلام الدار ، و قد قُتل الرجل ، فأتى داره فدخلها و أغلق عليه بابه و أتاه الناس فضربوا عليه الباب فدخلوا عليه ، فقالوا إن هذا الرجل قد قُتل و لا بدّ للناس من خليفة و لا نعلم أحداً أحقّ بها منك .

قال فإنّ بيعتي لا تكون سراً و لكن ائتوا المسجد فمن شاء أن يبايعني ، يبايعني ، قال : فخرج إلى المسجد فبايعه الناس أخرجه الإمام أحمد في المناقب .

قال ابن إسحاق : إنّ عثمان لما قتل ببيع علي ابن أبي طالب بيعة العامة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله و بايع له أهل البصرة ، و بايع له بالمدينة طلحة و الزبير . و في الفصول المهمة : أول من بايعه طلحة بن عبيدالله فنظر إليه رجل يقتاف

١ - آل عمران ٣ : ١٢١ .

٢ - نور الأبصار ص ٩٧ .

٣ - راجع «البرهان الثاني» من هذا الكتاب .



يقال حبيب بن ذؤيب ، فقال : إنا لله و إنا إليه راجعون ، أول يد بايعت يد شلاء لا يتم هذا الأمر .

ثم بايعه الزبير ، ثم بقية الناس من المهاجرين و الأنصار غير نفر يسير لأنهم كانوا عثمانية منهم محمد بن مسلمة ، و النعمان بن بشير .

و كانت البيعة لخمس بقين من ذي الحجة سنة خمس و ثلاثين من الهجرة فما كان من النعمان بن بشير إلا أن أخذ قميص عثمان الذي قُتل فيه ملطخاً بالدم و أخذ أصابع زوجته نائلة و هرب إلى الشام عند معاوية .

و أما طلحة و الزبير فهربا إلى مكة بعد المبايعه بأربعة أشهر .

ثم إنَّ علياً عليه السلام فرَّق إلى البلدان عماله و كتب إلى بعض عمال عثمان يستقدمهم عليه ، و كتب إلى معاوية أيضاً يستقدمه ، فعند فراغه من كتابة الكتاب جاء المغيرة بن شعبة ، فقال : ما هذا يا أمير المؤمنين ؟ قال كتاب كتبه إلى معاوية و أريد أن أبعث الرسول .

فقال يا أمير المؤمنين ! عندي لك نصيحة فاقبلها مني ، قال إنه ليس أحد يتشعب عليك غير معاوية ، و في يده بلاد الشام ، و هو ابن عمّ عثمان ، و عامله فابعث إليه بعهده تلزمه طاعتك ، فإذا استقرت قدمك رأيت فيه رأيك .

فقال علي عليه السلام : لا و الله لا يراني الله مستعيناً بمعاوية أبداً و لكن إلى ما نحن فيه ، فإن أجب ، و إلا حاكمته إلى الله فخرج عنه المغيرة .

فلما كان الغد جاء المغيرة و قال يا أمير المؤمنين ! إنني قد جئتك بالأمس و أشرت عليك بما أشرت و خالفتني ثم إني رأيت ليلتي هذه أنّ الرأي ما رأيت ، فأرسل إلى معاوية الكتاب الذي كتبت فان قدم و إلا فاعزله ، فقال أفعلم ان شاء الله تعالى .



فخرج المغيرة بن شعبة و فرّ إلى مكة وكان يقول : نصحت علياً فلما لم يقبل غشسته .

عن ابن عباس رضي الله عنه قال : أتيت علياً عليه السلام بعد مبايعة الناس له فوجدت المغيرة بن شعبة مستخليا به فقلت له بعد أن خرج ما كان يقول لك هذا؟

فقال : قال لي مرة قبل مرته هذه إن النصيحة أن تقرّ معاوية على عهده و ابن عامر و عمّال عثمان حتى يأتيك بيعتهم و يسكن الناس ثم اعزل من شئت منهم و أبق من شئت منهم ، فأبيت عليه ذلك ثم عاد إليّ الآن فقال إني رأيت أن تصنع الذي رأيت أن تعزل من تختار و تقر من تثق به .

قال ابن عباس : فقلت لعلي : أما المرّة الأولى فقد نصحك ، و أما المرّة الثانية فقد غشك .

قال : و كيف نصحه لي ؟

قلت : لأنّ معاوية و أصحابه أهل دنيا فمتى أثبتهم على عملهم سكنوا ، و متى عزلتهم يقولون أخذ الأمر بغير حق ، و هو قتل صاحبنا عثمان ، مع أنني لا آمن عليك من طلحة و الزبير و أنا أشير عليك أن تبقى معاوية فإن بايع فلك عليّ أن أقبله من منزله .

فقال علي عليه السلام لا أعطيه الا السيف .

فقلت له افعل فإن أيسر مالك عندي الطاعة و إني باذلها لك .

فقال علي عليه السلام أريد منك أن تسير إلى الشام فقد وليتها .

فقال ابن عباس : ما هذا برأي ، إنّ معاوية رجلٌ من بني أمية و هو ابن عمّ عثمان ، و لست آمن أن يضرب عنقي بعثمان ، و إنّ أدنى ما هو صانع بي إن أحسن إليّ أن يجسني و يتحكّم فيّ لقرايتي منك ، و كل ما حمل عليك حمل علي و لكن



أرسل إليه الكتاب الذي كتبه تستقدمه فيه و انظر بماذا يجب .

قال : فأرسل علي عليه السلام الكتاب الذي كتبه بيد الجهني .

فلما قدم على معاوية بالكتاب أخذه منه و وقف على ما فيه و لم يجب عنه بشيء حتى إذا كان الشهر الثالث من مقتل عثمان و ذلك في أواخر صفر دعا معاوية رجلاً من بنى عبس فدفع إليه طوماراً مختوماً من غير كتابة ليس في باطنه شيء عنوانه من معاوية بن أبي سفيان الى علي بن أبي طالب ، و قال للعبسي إذا دخلت المدينة فادخلها نهاراً و أعط علياً الطومار على رؤوس الناس فإذا قبضه و فتحه إلى آخره و لم يجد فيه شيئاً يقول لك ما الخبر ؟ فقل له كيت و كيت بكلام أسرته للرسول .

ثم دعا معاوية الجهني رسول علي فجهزه مع رسوله ، فخرجا معاً فقدموا المدينة في اليوم العاشر من ربيع الأول فرفع رسول معاوية الطومار على يده عند دخوله المدينة و تبعه الناس ينظرون ما أجاب به معاوية .

و دخل الرسول على علي عليه السلام و أعطاه الطومار ففضّ خاتمه و فتحه إلى آخره فلم يجد فيه كتابة فقال للرسول ما وراءك ؟

قال : آمن أنا ؟

قال : نعم إنّ الرسول لا يُقتل .

قال : إني تركت ورائي أقواماً يقولون لا نرضى الا بالقود .

قال : ممن ؟

قال : يقولون من خيط رقبة علي ، و تركت ستين ألف شيخ سيكون تحت قميص عثمان و هو منصوب لهم قد ألبسوه منبر مسجد دمشق ، و أصابع زوجته نائلة معلقة فيه .



فقال علي عليه السلام: أمّتي يطلبون دم عثمان؟ اللهم إني أبرأ إليك من دم عثمان،
أخرج .
قال: و أنا آمن؟ قال: و أنت آمن ، فخرج العبسي و أراد الناس أن يقتلوه و
لولا أمان علي عليه السلام لقتلوه^١ .

﴿ وقعة الجمل ﴾

قال الشبلنجي: ثم أحب أهل المدينة بعد ذلك أن يعلموا رأي علي عليه السلام في
معاوية هل يقاتله أو يتركه؟
و قد بلغهم أن الحسن عليه السلام ابنه دعاه إلى القعود فدسوا إليه زياد بن حنظلة
التميمي وكان يتردد إلى علي عليه السلام فجلس ساعة فقال له علي عليه السلام يا زياد نسير، فقال
لأي شيء يا أمير المؤمنين!
فقال: لحرب الشام .
فقال زياد: الأناة و الرفق أمثل يا أمير المؤمنين!
فقال: لا إلا السيف .
فخرج زياد من عنده و الناس ينتظرونه فقالوا ما وراءك؟ قال: السيف ،
فعرفوا ما هو فاعل^٢ .

١ - نور الأبصار ص ٩٩ .

٢ - نور الأبصار ص ١٠٠ .

خروج عائشة على أمير المؤمنين عليه السلام للقتال

قال الشبلنجي: ثم إن علياً عليه السلام تجهّز يريد الشام لقتال معاوية و دعا بمحمد بن الحنفية فأعطاه اللواء و جعل عبدالله بن عباس رضي الله عنه على يمينته ، و عمر و بن مسلمة على يسرته ، و جعل أبا ليلى عمرو بن الجراح ابن أخي عبيدة على مقدمته ، و استخلف على المدينة قثم بن العباس رضي الله عنه و كتب إلى العراق إلى قيس بن سعد و إلى عثمان و إلى أبي موسى الأشعري أن يندبوا الناس إلى الخروج إلى أهل الشام . فبينما هم كذلك على قصد التوجه إلى الشام إذ أتاهم الخبر عن طلحة و الزبير و عائشة أنهم على الخلاف و أنهم قد سخطوا إمارته ، و هم يريدون الخروج إلى البصرة .

وكان سبب ذلك أن طلحة و الزبير لما قدما من المدينة إلى مكة وجدا عائشة بها فقالت لهما ما وراءكما ؟
فقالا : إنّنا تحمّلنا هرباً من المدينة من غوغاء و أعراب و فارقنا قوماً حيارى لا يعرفون حقاً و لا ينكرون باطلاً و لا يمتنعون أنفسهم .

فقالت : نهض إلى هذه الغوغاء .

فقالا : كيف يكون ؟

قالت : نأتي الشام .

فقال ابن عامر - و كان قد أتى من البصرة إلى مكة بعد مقتل عثمان - لا حاجة لكم في الشام فقد كفاكم معاوية ، و لكن نأتي البصرة فإنّ لي بها صنائع ، و لي بها المال ، و لأهل البصرة في طلحة هوى ، و هو الأوفق بنا و الأليق .
فاستقلّ رأيهم على التوجه إلى البصرة و أجابتهم عائشة إلى ذلك .



و دعوا عبدالله بن عمر يسير معهم ، فأبى وقال : أنا من أهل المدينة أفعل ما يفعلون فتركوه و أرادت حفصة أخته زوج النبي ﷺ أن تسير معهم فمنعها .
(ثم) إن يعلى بن منية جهّزهم بستمائة ألف درهم و ستمائة بعير ، و كان من عمال عثمان على اليمن ، قدم مكة بعد مقتل عثمان .

و نادى منادي عائشة: إن أم المؤمنين عائشة و طلحة و الزبير شاخصون إلى البصرة فمن أراد اعزاز الدين و الطلب بثأر عثمان و ليس له مركب و جهاز فليأت ، فحملوا على ستمائة بعير ، و ساروا في ألف من أهل مكة و لحقهم أناس آخرون فكانوا ثلاثة آلاف رجل .

و أعطى يعلى بن منية جملاً لعائشة اسمه عسكر اشتراه بمائة درهم .
قالوا و خرجت عائشة : و من معها من مكة و خرج معها أمهات المؤمنين مودعات لها إلى ذات عرق و بكوا على الإسلام بكاءً شديداً في هذا اليوم و كان يسمى يوم النحيب^١ .

نباح كلاب حوآب على عائشة

قال الشبلنجي : ثم إنهم ساروا متوجهين نحو البصرة ، و نقل غير واحد أنهم مروا بمكان اسمه الحوآب فنبحتهم كلابه .
فقالَت عائشة : أي ماء هذا ؟
قيل : هذا ماء الحوآب ، فصرخت و قالت : إنا لله و إنا إليه راجعون ، سمعت

رسول الله ﷺ يقول وعنده نساؤه: «ليت شعري أيتكن تنبجها كلاب الحوآب»
ثم ضربت عضد بغيرها فأناخته وقالت ردوني فأناخوا يوماً و ليلةً .
وقال لها عبدالله بن الزبير: إنه كذب، يعني ليس هذا ماء الحوآب، ولم يزل
بها وهي تمتنع، فقال النجاء النجاء فقد أدرككم علي بن أبي طالب فارتحلوا ونزلوا
على البصرة، واستولوا عليها بعد قتال شديد مع عثمان بن حنيف عاملها، وقتل من
أصحابه أربعون رجلاً وأمسك فنتفت لحيته ورأسه وأشفار عينيه وحاجباه و
سجن^١.

توجه أمير المؤمنين عليه السلام إلى البصرة

قال الشبلنجي: هذا وقد سار علي عليه السلام في عسكره على قصد الشام وكان
ذلك في آخر ربيع الآخر سنة ست وثلاثين، فبينما هو في مسيره إذ أتاه رسول أم
الفضل يخبره عن طلحة والزبير وعائشة بما كان منهم، فلما بلغه ذلك دعا وجوه
أهل المدينة فخطبهم فحمد الله وأثنى عليه وقال: إن هذا الأمر لا يصلح إلا بما صلح
أوله فانصروا الله ينصركم ويصلح أمركم .
ثم إنه أعرض عن المسير إلى الشام وحث عليه إلى جهة البصرة رجاء أن
يدرك طلحة والزبير وعائشة فلما انتهى إلى الربذة أتاه الخبر بأنهم سبقوا إلى
البصرة وقد نزلوا بفنائها^٢.

١ - المصدر .

٢ - نور الأبصار ص ١٠١ .



كتاب علي عليه السلام الى طلحة و الزبير

قال الشبلنجي: ثم إنه كتب و هو بالربذة ، إلى طلحة و الزبير : «أما بعد ياطلحة و يازبير فقد علمتما أنني لم أرد الناس حتى أرادوني ، و لم أبايعهم حتى أكرهوني ، و أنتما أول من بادر إلى بيعتي و لم تدخلا في هذا الأمر لسلطان غالب و لا لغرض حاضر ، و أنت يازبير فارس قريش ، و أنت ياطلحة فارس المهاجرين ، و دفعكما هذا الأمر قبل دخولكما فيه كان أوسع لكما من خروجكما عنه الآن ، و هؤلاء هم بنو عثمان و أولياؤه المطالبون به و أنتما رجلا من المهاجرين ، و قد أخرجتما أمتكما من بيتها الذي أمرها الله أن تقرّ فيه ، والله حسبكما و السلام»^١.

كتاب علي عليه السلام الى عائشة

قال الشبلنجي: و كتب إلى عائشة «أما بعد : فإنك خرجت من بيتك تطلبين أمراً كان عنك موضوعاً ، ثم تزعمين أنك لم تريدي إلا الإصلاح بين الناس ، فختبريني ما للنساء و قود العسكر ، و زعمت أنك مطالبة بدم عثمان ، و عثمان رجل من بني أمية ، و أنت امرأة من بني تيم بن مرة .
لعمرى ! إن الذي أخرجك لهذا الأمر و حملك عليه لأعظم ذنباً إليك من كل أحد .

فاتقي الله يا عائشة ! و ارجعي إلى منزلك و اسبلي عليك سترك و السلام» .

وكتب عليّ عليه السلام إلى أهل الكوفة كتاباً يحثهم على الخروج معه و أرسله مع محمد بن أبي بكر ، و محمد بن جعفر ، فقدموا على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب بذي قار و كانوا اثني عشر ألفاً فلقبهم في ناس من وجوه أصحابه منهم عبدالله بن عباس رضي الله عنهما .

ثم إن علياً عليه السلام دعا بالقعقاع فأرسله إلى أهل البصرة ، و قال له أَلْف هذين الرجلين ، يعني طلحة و الزبير ، فذهب إليهم و استمالهم للصلح ، فمالوا ، فرجع القعقاع إلى علي عليه السلام و أخبره بذلك فسرّبه و أعجبه ، و أشرف القوم على الصلح ، فكره ذلك من كرهه و رضيه من رضيه .

ثم قال علي عليه السلام ألا و إني راحلٌ غداً فارتحلوا .

فشق ذلك على الذين خرجوا على عثمان و باتوا بأسوء ليلة و هم يتشاورون . فقال رئيسهم عبدالله بن بشر ، و هو الشهير بابن السوداء : يا قوم ! إن عزكم في مخالطة الناس ، فلا تتركوا علياً و ألزموه ، فإذا كان الغد و التقى بالناس فانشبوا القتال فمن كنتم معه لا يجد بداً من أن يمتنع ، فإذا اشتغل الناس تنظروا ماذا يكون ، فتفرقوا على رأيه .

و أصبح علي عليه السلام و أخذ في المسير إلى البصرة مع الجيش فقام إليه الأعور بن بيان المنقرى فقال : يا أمير المؤمنين ! ما تريد بأقدامك على البصرة ؟

قال : الإصلاح ، و إطفاء النائرة لعل الله يجمع شمل هذه الأمة .

قال : فإن لم يجيبوا ، قال : تركناهم ماتركونا .

قال : فإن لم يتركوا ، قال دفعناهم عن أنفسنا .

و سار طلحة و الزبير و عائشة فالتقوا عند قصر عبدالله بن زياد فنزل الجيشان هناك ثلاثة أيام ، و كان نزولهم في النصف من جمادي الآخرة سنة ثمان و ثلاثين و

كان أصحاب عليّ عليه السلام عشرين ألفاً و أصحاب طلحة و الزبير و عائشة ثلاثين ألفاً ، و أرسل علي عليه السلام عشية اليوم الثالث من نزولهم عبدالله بن عباس الى طلحة و الزبير بالسلام ، فأرسل طلحة و الزبير الى علي عليه السلام بالسلام ، و ترددت الرسل بينهم في الصلح فتداعوا إليه ، و شاع ذلك في الفئتين ، فسّر الناس بذلك ، و باتوا تلك الليلة في غاية السرور و الفرح ، و بات الذين أثاروا أمر عثمان بأسوء ليلة لما رأوه من تراسل القوم و تصافيتهم ، فباتوا يتشاورون ليلتهم فاجتمع رأيهم على إنشابه الحرب مع الفجر ، فلما كان غلس الصبح ثاروا على أصحاب طلحة و وضعوا فيهم السلاح ، فثارت كل قبيلة إلى أختها و قامت الحرب بينهم ، و لم يدر الناس كيف الأمر ، فقام في ميمنته أصحاب طلحة ، عبدالله بن الحرث ، و في الميسرة عبد الرحمن بن عتاب ، و في وسطهم طلحة و الزبير ، و قالوا لأصحابهم : كيف كان هذا الأمر ؟ قالوا : لا ندرى الآ و قد طرقتنا واضعين فينا السيوف و كانت عائشة إذ ذاك راكبة في هودجها على الجمل^١ .

عاقبة أمر الزبير

قال الشبلنجي : «هذا و علي عليه السلام راكب على بغلة رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و عليه قميص و رداء و عمامة ، فلما أسفر النهار خرج عليه السلام و مشى بين الصقّين و نادى بأعلى صوته : أين الزبير بن العوام ؟ فليخرج إليّ ! فخرج إليه الزبير ، و دنا كل منهما إلى الآخر ، فقال له علي عليه السلام : ما حملك

علي ما صنعت يا زبير؟

قال : حملني على ذلك الطلب بدم عثمان .

فقال له عليّ عليه السلام : إن أنصفت من نفسك فأنت و أصحابك قتلتموه ، و لكني أنشدك الله يا زبير ! أما تذكر يوم قال لك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يا زبير ! أتحب علياً ؟ فقلت : و ما يمنعي من حبه و هو ابن خالي ، فقال لك : أما إنك ستخرج عليه و أنت ظالم له .

فقال : اللهم بلى ، قد كان ذلك .

و قال : أنشدك الله ثانياً ! أما تذكر يوم جاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من بني عوف و أنت معه ، و هو أخذ بيدك فاستقبلته فسلمت عليه فضحك في وجهي و ضحكت إليه ، فقلت أنت : لا يدع ابن أبي طالب زهوه ، فقال لك صلى الله عليه وآله وسلم مهلاً يا زبير ليس بعلي زهؤ و لتخرجن عليه و أنت ظالم له .

فقال الزبير : اللهم بلى ، و لكنني نسيت ذلك ، و بعد أن ذكرتني لأمضين و لو ذكرت هذا قبل ما خرجت عليك ما خرجت و لكن هذا تصديق لقوله صلى الله عليه وآله وسلم .

ثم كرّر راجعاً فقالت له عائشة : ما وراءك يا زبير ! فقال : و الله ما وقفت موقفاً و لا شهدت مشهداً في شركٍ و لا في إسلامٍ إلا ولي فيه بصيرة ، و أنا اليوم على شك من أمري ، و ما أكاد أبصر موضع قدمي ، و شقّ الصفوف و خرج من بينهم آخذاً طريق مكة .

فنزل على قوم ، فقام إليه عمرو بن جرموز فضيّفه ، و خرج معه إلى وادي السباع و أراه أنه يريد مسابرة و مؤانسته ، فقتله غيلةً و هو ساجد ، و قيل و هو نائم ، و أخذ سيفه و خاتمه و مضى يؤمّ علياً عليه السلام فلما وصل إليه سلمّ و أخبره بقتله الزبير ، فقال علي عليه السلام أبشر بالنار فإنني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : «بشروا



قاتل الزبير بالنار» .

فقال ابن جرmoz : إنا لله وإنا لله راجعون ، ان قاتلناكم فنحن في النار و ان قتلنا

لكم فنحن في النار ؟

فقال علي عليه السلام : هذا شيء سبق لابن صفية ، و في ذلك قال عمرو بن جرmoz :

أتيت علياً برأس الزبير	و قد كنت أحسبها زلفه
فبشر بالنار قبل العيان	فبئس البشارة و التحفه
وستيان عندي قتل الزبير	و ضرطة عمير بذى الجحفه

عاقبة أمر طلحة

فأصابه سهم من مروان بن الحكم و هو من مقاتلة عائشة ، فمات به و قيل من

غيره .

ثم إن جماعة طلحة و الزبير و عائشة انهزمت ، و قد أحاطت الخيل بالجمل و

اختلط القوم بعضهم ببعض ، و وقعت مقتلة عظيمة ، و كان الآخذ بزمام الجمل نحو

سبعين رجلاً من قريش لم ينج منهم واحدٌ ، و كان من جملتهم محمد بن طلحة و كان

معروفاً عندهم بالسجادة لكثرة صلاته ، و كان على جانب عظيم من العبادة و الزهد و

اعتزال الناس و إنما خرج براً بأبيه ، و قتل محمد بن الزبير ، و جرح عبدالله أخوه

سبعاً و ثلاثين جراحة ، و في الغرر و العرر و أطاف بنوضبة و الأزدي بالجمل و أقبلوا

يرتجزون :

نحن بنوضبة أصحاب الجمل

فالموت أحلى عندنا من العسل

ننزل بالموت إذا الموت نزل

نبغي ابن عفان بأطراف الأسل



(و فيه) و قطع على خطام الجمل سبعون يداً من بني ضبة و كان لا يأخذ
بخطام الجمل إلا من ينتسب و يقول أنا فلان بن فلان .

و قتل في هذه الواقعة خلق كثير . قال أصحاب السير عدة من قتل من
أصحاب الجمل ستة عشر ألفاً و سبعمائة و تسعون رجلاً و كانت عدتهم ثلاثين ألفاً
فكانت القتلى أكثر من الأحياء .

و قتل من أصحاب علي عليه السلام منهم ألفاً و سبعون رجلاً و كانت جماعته
عشرين ألفاً و قيل غير ذلك .

و لما كثر القتل على خطام الجمل قال علي عليه السلام اعقروا الجمل ، فضربه رجلٌ
فسقط .

و بقيت عائشة في هودجها إلى الليل و أدخلها أخوها محمد بن أبي بكر
البصرة إلى دار عبدالله بن خلف الخزاعي و تسلّت الجرحى ليلاً من بين القتلى ، و
أمر علي عليه السلام بالنداء في الناس أن لا يتبعوا مدبراً ولا يجهزوا على جريح و
لا يدخلوا داراً و أقام عليه السلام بظاهر البصرة ثلاثة أيام و طاف على القتلى فصلّى عليهم
و أمر بدفنهم .

و أمر علي عليه السلام بجمع ما كان في العسكر من سلاح و ثياب ، و قال من عرف
شيئاً فليأخذه الا سلاحاً كان في الخزائن عليه سمة السلطان .

و دخل يوم الاثنين البصرة فبايعه أهلها ، ثم أمر عائشة بالرجوع إلى مكة و
جهّزها بما احتاجت اليه ، و سير معها أولاده مسيرة يوم ، فأقامت للحج تلك السنة ثم
رجعت الى المدينة .

و استعمل على البصرة عبدالله بن عباس ثم نزل على الكوفة و انتظم له الامر
بالعراق و مصر و اليمن و الحرمين و فارس و خراسان .



هذا و معاوية بالشام و أهل الشام مطيعون له ، فأرسل اليه علي عليه السلام جرير بن عبدالله البجلي ليأخذ البيعة عليه ، فماتله معاوية حتى قدم عمرو بن العاص من فلسطين فوجد أهل الشام يحضون على الطلب بدم عثمان ، فقال لهم عمرو أنتم على الحق و اتفق مع معاوية اذا ظفر أن يوليه مصر ، كذا في تامة المختصر^١ .

﴿ وقعة صفين ﴾

ثم حكى الشبلنجي : « صفين : على وزن سجين . موضع قريب من الرقة بشاطيء الفرات ، و هو من الصف أو من الصفون فعلى الأول النون زائدة و على الثاني أصلية كذا في المصباح .

ولما اتفق معاوية و عمرو على حرب علي عليه السلام قدم جرير بن عبدالله البجلي على علي عليه السلام فأعلمه بذلك . قال صاحب الفصول المهمة : فخرج و عسكر بالنجيلة و استنفر الناس للمسير الى الشام لقتال معاوية ، فبلغه فخرج هو أيضاً و عمرو بن العاص ، و هيتأ الجيوش معاوية و أعطى لواء لعمرو بن العاص ، و لوائين لابنيه عبدالله و محمد ، و لواء لغلامه وردان .

ثم سار كل منهما للقاء الآخر فاجتمعوا على الفرات فدعا علي عليه السلام أبا عمرو بشير بن عمرو بن محصن الأنصاري بن قيس الهمداني ، و شبيب بن ربعي التميمي و قال لهم : اذهبوا الى هذا يعني معاوية ، و ادعوه الى الله و إلى الطاعة و الجماعة فلعل الله أن يهديه و يلتمّ شمل هذه الأمة ، و كان ذلك في أول يوم السبت من



ذي الحجة سنة ست و ثلاثين ، فأتوه و دخلوا عليه فابتدأ بشير فحمد الله و أثنى عليه و قال : يامعاوية إن الدنيا عنك زائلة ، و إنك راجع الى الآخرة و إن الله محاسبك على ذلك مجازيك عليه ، و أتى أنشدك بالله تعالى أن لا تفرق جماعة هذه الأمة ، و أن لا تسفك دماءها فيما بينها .

فقطع معاوية كلامه و قال هلاً أوصيت صاحبك ؟

فقال : إن صاحبي ليس أحدٌ مثله ، و هو صاحب السَّابقة في الإسلام ، و الفضل من قرابة رسول الله ﷺ .

فقال : فما عندك يابن عمرو و ما الذي تأمرني به ؟

قال : الذي عندي و الذي آمرك به تقوى الله تعالى و إجابة ابن عمك إلى ما يدعوك إليه من الحق فإنه أسلم لك في دينك و دنياك .

قال معاوية : و أترك دم عثمان ؟ لا و الله لا أفعل ذلك أبداً .

ثم تكلم سعد بن قيس و شبيب ، فلم يلتفت معاوية إلى كلامهما و قال انصرفوا عني فليس عندي إلا السيف .

فقال له شبيب أتَهوّل علينا بالسيف ؟ و الله لنعجلها إليك .

فأتوا علياً رضي الله عنه فأخبروه بذلك ، فجعل علي رضي الله عنه بعد إتيان كلام معاوية يأمر الرجل ذا الشرف من أصحابه أن يخرج في خيل ، فيخرج إليه جماعة من أصحاب معاوية في خيل مثلها فيقتتلان ، ثم ينصرف كل خيل إلى أصحابها و ذلك خوفاً من استئصال العسكرين و ذهاب الفتيتين و هلاك المسلمين .

فاقتتلوا أيام ذي الحجة كلها و ربما اقتتلوا في اليوم الواحد مرّتين .

ثم دخلت سنة سبع و ثلاثين فحصل في شهر المحرم منها بين علي و معاوية موادة على الحرب طمعاً في الصلح ، فاختلفت الرسل بينهما فلم يتفق صلح ، فلما



انسلخ المحرم أمر علي عليه السلام مناديا فنادى في أهل الشام يقول لكم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب إني قد استقدمتكم لتراجعوا الحق و تنيبوا إليه فلم تفعلوا و لم تنتهوا عن طغيان ، و لم تجيبوا إلى طاعة ، و آتي قد نبذت إليكم علي سواء ان الله لا يحب الخائنين .

ثم أصبح علي عليه السلام فجعل علي خيل الكوفة الأشتر ، و علي خيل البصرة سهل بن حنيف ، و علي رجالة الكوفة عمار بن ياسر ، و علي رجالة البصرة قيس بن سعد ، و جعل مسعر بن مذكى علي قراء أهل الكوفة و قراء أهل البصرة ، و أعطى الراية هاشم بن عتبة و خرج إلى مصافهم و ذلك في أول يوم من صفر .

فخرج إليهم معاوية و قد جعل علي ميمنته ابن ذي الكلاع الحميري ، و علي ميسرته حبيب بن مسلمة الفهري ، و علي مقدمته أبا الأعور السلمي ، و علي خيل دمشق عمرو بن العاص ، و علي رجالة دمشق أسلم بن عيينة المزني ، و علي بقية أصحابه الضحاك بن قيس ، و بايع رجالاً من أهل الشام على الموت فعقلوا أنفسهم بعمائمهم و كانوا خمسة صفوف^١ .

شجاعة علي عليه السلام في صفين

قتل المخراق بيد علي عليه السلام

قال الشبلنجي : فلما توافقت الأبطال و تصافت الخيل للمبارزة و النزال خرج

من عسكر معاوية فارسٌ من أهل الشام معروفٌ بشدة البأس ، و قوة الرأس ، يقال له المخراق بن عبد الرحمان فوقف بين الصفيين و سأل المبارزة .

فخرج إليه فارسٌ من أهل العراق يقال له عبيد المرادي فتطاعنا بالرماح ثم تضاربا بالصفاح فظفر به الشامي و قتله ، ثم نزل عن فرسه و حزّ رأسه و حكّ بوجهه الأرض و تركه مكجوباً على وجهه ثم ركب فرسه و سأل المبارزة .

فخرج إليه فتىٌ من الأزدي يقال له مسلم بن عبد ربه ، فقتله الشامي أيضاً ، و فعل به كما فعل بالأول ثم ركب فرسه و سأل المبارزة .

فخرج إليه علي بن أبي طالب عليه السلام متنكراً فتجاولا ساعة ثم ضربه الامام البطل الهمام علي عليه السلام ضربة بالسيف على عاتقه رمت بشقه الى الأرض و سقط فنزل علي عليه السلام و حزّ رأسه و جعل وجهه الى السماء .

ثم ركب و نادى هل من مبارز؟

فخرج اليه فارس آخر من فرسان أهل الشام فقتله و فعل به كما فعل بصاحبه الأول و هكذا إلى أن قتل منهم سبعة فأحجم الناس عنه و لم يقدر على مبارزته أحد بعد أولئك فجال بين الصقيين جولةً و رجع إلى أصحابه و لم يعرفه أهل الشام فانه كان متنكراً عليه السلام .^١

قتل كريب و الحارث الحميري بيد علي عليه السلام

و قال الشبلنجي : و خرج في بعض أيامها و قد تقابل الجيشان ، فارسٌ من

أبطال عسكر الشام يقال له كريب بن الصباح فوقف بين الصفيين و سأل المبارزة ،
فخرج إليه فارسٌ من أهل العراق يقال له المبرقع الخولاني فقتله الشامي ، ثم خرج
الحارث الحكمي فقتله الشامي أيضاً ،
فنظر الناس إلى مقام فارس صنيدي .

فخرج اليه علي عليه السلام بنفسه الكريمة فوقف بازائه و قال من أنت أيها
الفارس ؟ قال أنا كريب بن الصباح الحميري ، فقال له علي عليه السلام ويحك إني أحذرك
في نفسك و أدعوك إلى كتاب الله و سنة نبيه صلى الله عليه وآله وسلم فقال له كريب من إنت ؟ فقال
أنا علي بن أبي طالب ، يا كريب الله الله في نفسك ، فإني أراك فارساً بطلاً فيكون لك
مالنا و عليك ما علينا و لا يغررك معاوية .

فقال : ادن مني يا علي ! و جعل يلوح بسيفه ، فجعل يلوح الامام علي عليه السلام
بسيفه ، و دنا منه فتجاولا ساعةً ثم اختلفا بضربتين فسبقه الامام بضربة فقتله و سقط
كريب إلى الأرض .

ثم نادى هل من مبارز ، فخرج إليه الحارث الحميري فقتله هكذا^١ .

علي عليه السلام يدعو معاوية للنزال

ثم قال الشبلنجي : فلم يزل يخرج إليه فارسٌ بعد فارسٍ إلى أن قتل منهم
أربعة و هو يقول ﴿ الشهر الحرام بالشهر الحرام و الحرمات قصاص فمن اعتدى

عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله واعلموا أن الله مع المتقين ﴿١﴾ ثم صاح علي كرم الله وجهه: يا معاوية! هلم إلى مبارزتي لئلا تفتنى العرب بيننا . فقال معاوية: لا حاجة لي في مبارزتك بعد أربعة أبطال من العرب فحسبك ^٢.

قتل أشجع أهل الشام بيد علي عليه السلام

فصاح فارس من أصحاب معاوية يقال له عروة: يا ابن أبي طالب! إن كان معاوية قد كره مبارزتك فأنا لها، وجرّد سيفه و خرج للامام فتجاولا ثم إنه سبق الامام بضربة فتلّقها الإمام في سيفه ثم أنّ علياً عليه السلام ضربه ضربة على رأسه ألقاه إلى الأرض قتيلاً، فعظم على أهل الشام قتل عروة لأنه كان من أعظم شجعانهم و مشاهيرهم ثم حجز الليل بينهم ^٣.

حيلة عمرو بن العاص للنجاة

(ثم قال الشبلنجي) واتفق في بعض الأيام و قد تقابل الجيشان أن خرج علي عليه السلام متنكراً فدعا بالمبارزة، فقال معاوية لعمرو بن العاص عزمت عليك الا ما خرجت لمبارزة هذا الفارس، فخرج إليه عمرو و هو لا يعرف أنه علي، فلما رآه

١ - البقرة ٢: ١٩٤.

٢ - نور الأبصار ص ١٠٥.

٣ - المصدر ص ١٠٥.



علي عرفه فانهزم بين يديه ليبعده من أصحابه ، فتبعه عمرو و هو يقول :
ياقادة الكوفة يا أهل الفتن أضربكم و لا أرى أبا الحسن
فكتر عليه علي عليه السلام و هو يقول :

أبو الحسين فاعلمن و الحسن قد جاك يقتاد العنان و الرسن
فعرفه عمرو فولّى عنه راكضاً و هو يقول : «مكرّة أخوك لا بطل»^١ فلحقه
علي عليه السلام قطعنه طعنة جاءت في فصول درعه فألقته إلى الأرض و ظن أنّ علياً عليه السلام
قاتله فرفع رجليه فبدت سوأته فصرف علي عليه السلام وجهه راجعاً إلى عسكره ، فقام
عمرو و ركب فرسه و أقبل على معاوية ، فجعل معاوية يضحك ، فقال عمرو مم
تضحك ؟ و الله لو تكون أنت و بدا له من صفحتك ما بدا من صفحتي لضرب قدالك
و ما أقالك .

فقال له معاوية : لو كنت أعلم أنك ما تحمل مزاحاً ما مازحتك .
فقال عمرو : ما أحملني للمزاح و لكن رأيت إن لقي رجلٌ رجلاً فصدّ
أحدهما الآخر أتقطر السماء دماً ؟

قال : لا و لكنّها سواة تعقب فضيحة الأبد [فقال عمرو] أما و الله لو عرفته ما
أقدمت عليه ، و في ذلك يقول أبو فراس :
و لاخير في رد الردى بمذلة كما ردّها يوماً بسوأته عمرو^٢

١ - مكرّة أخوك لا بطل : مثل يضرب لمن يحمل على ما ليس من شأنه ، يريد قائله أنه محمولٌ على ذلك و أن ليس في طبعه شجاعةً (فرائد الأدب) .



بسر بن أرطاة يقلد عمراً في كشف سواته

ثم إن فارساً من فرسان معاوية كان مشهوراً بالشجاعة يقال له بسر بن أرطاة حدثته نفسه بالخروج إلى علي كرم الله وجهه و مبارزته ، وكان له غلام شجاع يقال له لاحق فشاوره في ذلك ، فقال ما أشير عليك إلا أن تكون واثقاً من نفسك أنك من أقرانه و من فرسان ميدانه فابرز له فانه الأسد الخادر و الشجاع المطرق و أنشد العبد :

فأنت له يابس إن كنت مثله و إلفان الليث للضبع آكل
متى تلقه فالموت في رأس رمحه و في سيفه شغل لنفسك شاغل
فقال له و يحك هل هو إلا الموت ؟ و الله لا بد لي من مبارزته على كل حال .

فخرج بسر بن أرطاة لمبارزة علي كرم الله وجهه فلما رآه علي حمل عليه ودقه بالرمح ، فسقط إلى الأرض على قفاه فرفع رجله فبدت سواته ، فصرف علي عليه وجهه عنه ، فوثب بسر قائماً فسقط المغفر عن رأسه فعرفه أصحاب علي عليه السلام فصاحوا يا أمير المؤمنين ! إنه لبسر بن أرطاة ! لا يذهب ! فقال ذروه ! فركب جواده و رجع إلى معاوية يضحك منه و يقول : لا عليك و لا بأس لا تستح فقد نزل بعمر و مثلها ، فصاح فتى من أهل الكوفة : ويلكم يا أهل الشام أما تستحون من كشف السوات و أنشد :

أفي كل يوم فارسٌ بعد فارسٍ له عورة تحت العجاجة باديه
يكف لها عنه علي سنانه و يضحك منها في الخلاء معاويه
فقولا لعمر و ابن أرطاة أنظرا سبيلكما لا تسلقيا الليث ثانيه



و لا تحمدا إلا الحيا و خصا كما
فلولاهما لم تنجيا من سنانه
متى تلقيا الخيل المغيرة صبحه
فجعل بسر بن أرطاة يضحك من عمرو و صار عمرو يضحك منه و خاف
أهل الشام من علي عليه السلام خوفاً شديداً و لم يجسر واحد منهم على مبارزته ، و صار
لا يخرج إلى المبارزة إلا متكرراً^١ .

قتل الأحمر بيد علي عليه السلام

(قال الشبلنجي) ثم إن مولى من موالى عثمان يقال له الأحمر و كان شجاعاً
خرج يبغي المبارزة ، فخرج إليه مولى لعلي عليه السلام يقال له كيسان فحمل كل واحد
منهما على صاحبه فسبقه الأحمر بالضربة فقتله .
فقال علي كرم الله وجهه قتلني الله ان لم أقتلك به ، فكرّ علي عليه السلام على العبد
فرجع العبد عليه بالسيف فضربه فتلقاه علي عليه السلام في سيفه فنشب بالسيف فدنا منه
علي و مّد يديه إلى عنقه فقبض عليها و رفعه عن فرسه ثم جلد به الأرض فكسر
ظهره و أضلّعه ثم رجّع عنه^٢ .

١ - المصدر ص ١٠٦ .

٢ - المصدر .



قتل حريث مولى معاوية بيد علي عليه السلام

قال : (وكان) لمعاوية عبداً يقال له حُرَيْثُ وكان فارساً بطلاً شجاعاً و معاوية يحذره من التعرض لعلي بن أبي طالب عليه السلام فخرج علي متنكراً يطلب المبارزة و قد عرفه عمرو بن العاص فقال لحريث عليك بهذا الفارس ، لا يفوتك اقتله ، و تشيع به .

فخرج له حريث و هو لا يعرفه أنه علي بن أبي طالب عليه السلام فما كان بأسرع من أن ضربه الإمام بالسيف على أم رأسه ضربة سقط منها إلى الأرض قتيلاً و تبين لمعاوية و لأهل الشام أن قاتله علي بن أبي طالب ، فشق ذلك على معاوية و قال لعمرو أنت قتلت عبدي و غررته و لم يقتله أحد غيرك^١ .

قتل فارسين لخميين بيد علي عليه السلام

(و اتفق) في أيامها أن خرج العباس بن ربيعة الهاشمي من أصحاب علي عليه السلام و خرج إليه فارس مشهور يقال له عرّار من أصحاب معاوية ، فقال له : يا عباس ! هل لك في المبارزة ؟

فقال له عباس : هل لك في المنازلة قال : نعم فنزل كل واحد منهما عن فرسه و تلاقيا و كفّ أهل الجيشين عنهما لينظرا ما يكون من أمرهما ، فتجادلا ساعةً بسيفيهما فلم يقدر أحدهما على الآخر ، ثم إنهما تجادلا ثانيةً فتبين للعباس و هن في

درع الشامي ، وكان سيف العباس قاطعاً فضربه بالسيف على وسط الدرع فقسمه نصفين ، فكبر الناس و عجبوا لذلك و عطف العباس على فرسه فركبها و جال بين الصفيين .

فقال معاوية لأصحابه : من خرج منكم لهذا الفارس فقتله فله عندي ديتان ، فخرج فارسان من لحم ، و قال كل واحد منهما أنا له ، فقال اخرجاً فأيكما قتله كان له عندي ما قلت ، و للآخر مثل نصفه .

فخرجاً معاً و وقفا في مقرّ المبارزة ثم صاحوا يا عباس ! هل لك في المبارزة ؟ فابرز لأينا اخترت .

فقال أستاذن أميرى ثم أرجع إليكما ، فجاء إلى علي عليه السلام فاستأذنه فقال له علي عليه السلام : أنا لهما ، ادن مني يا عباس ! و هات لبسك و فرسك و جميع ما عليك ، و خذ لبسي و فرسي ، ثم إنّ علياً عليه السلام خرج إليهما فجال بين الصفيين و كل من رآه يظنه العباس فقال له اللخميان استأذنت أميرك ؟ فتحرّر علي عليه السلام من الكذب و قال ﴿ أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا و إن الله على نصرهم لقدير ﴾^١ فتقدّم إليه أحدهما فاختلفا بضربتين و سبقه أمير المؤمنين بضربة فجاءت على مراق بطنه فقطعته نصفين .

فتقدّم إليه الآخر فما كان بأسرع من أن ألحقه بالآخر و جال بين الصفيين جولةً و رجع إلى مكانه فتبين لمعاوية و لأهل الشام أنه علي عليه السلام لكته تتكر ، فقال معاوية قبح الله اللجاج إنه لقعود ما ركبه أحد إلا أخذل .

قال : فقال عمرو : و المخدول و الله اللخميان^١ .

ليلة الهرير

و ممّا وقع في أيامها : «ليلة الهرير» قال بعضهم : شبهت بليلة القادسية التي كلّمها أردى علي عليه السلام قتيلاً أعلن عليه بالتكبير ، فأحصيت تكبيراته تلك الليلة خمسمائة تكبيراً و ثلاثاً و عشرين تكبيراً بخمسمائة قتيل و ثلاثة و عشرين قتيلاً ، و كان الناس يتلاطمون في هذه الليلة تلاطم الأمواج ، و يتصادمون تصادم الفحول عند الهياج^٢ .

حيلة رفع المصاحف

(قال الشبلنجي) و لمّا أسفر صبح هذه الليلة عن ضيائه و حسر الليل عن ظلماته كانت عدة القتلى من الفريقين ستة و ثلاثين ألفاً ، و كانت هذه الليلة ليلة الجمعة .

و أصبح أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام و المعركة كلها خلف ظهره و هو في قلب عسكره ، و الأشر في الميمنة ، و ابن عباس في الميسرة ، و الناس يقتلون من كل جانب ، و لوائح النصر لائحة لأمير المؤمنين علي عليه السلام و الأشر

١ - نور الأبصار ص ١٠٦ - ١٠٧ .

٢ - المصدر ، ص ١٠٧ .

بالميمنة يقاتل و يقول لأصحابه : ارجعوا قيد رمح ، و يزحف بهم و يقول قيد هذا القوس و كلما فعلوا يزحف بهم نحو أهل الشام .

و لما رأى علي عليه السلام الظفر من ناحية الأشر أمده بالرجال ، فلما رأى عمرو بن العاص و هن أهل الشام و تخيل منهم الهزيمة و الفرار ، قال لمعاوية : هل لك في أمر أعرضه عليك لا يزيدنا إلا اجتماعاً و لا يزيدهم إلا فرقة ؟

قال : نعم ، قال : نرفع المصاحف على رؤوس الرماح ثم نقول لهم ندعوكم إلى كتاب الله و هذا حكم بيننا ، فإن أبى بعضهم أن يقبلها وجدت فيهم من يقول ينبغي أن نقبل كتاب الله تعالى ، فتكون فرقة ، و أن قبلوا أتحرننا القتال عنا إلى أجل .

فرفعوا المصاحف فوق الرماح و قالوا : هذا كتاب الله يحكم بيننا و بينكم .

فلما رآها الناس قالوا نجيب إلى كتاب الله تعالى .

فقال علي عليه السلام عباد الله امضوا على ححكم و صدقكم في قتال عدوكم ، فإن معاوية و عمرو بن العاص و ابن أبي سرح و الضحاك أنا أعرف بهم منكم ، ليسوا بأصحاب قرآن ، و قد صحبتهم أطفالاً و رجالاً ، و يلکم ! و الله مارفعوها إلا مكيدةً و خديعةً و قد وهنوا .

فقال أصحاب علي عليه السلام القراء منهم : لا يسعنا أن ندعى إلى كتاب الله عز وجل و نأبى أن نقبله .

فقال علي عليه السلام إني إنما أقاتلهم ليدينوا لحكم الكتاب .

فقال له مسعود بن فدك التميمي و زيد بن حصين الطائي في عصابة من القراء الذين صاروا خوارج فيما بعد : يا علي ! أجب إلى كتاب الله إذا دعيت إليه ، و إلا



دفعناك برمتك إلى القوم^١.

مواقف مالك الأشتر في المعركة

وكان الأشتر في الميمنة و علي بالوسط و ابن عباس بالميسرة كما علمت ، فكفّ علي و ابن عباس عن القتال ، و لم يكفّ الأشتر ، و ذلك لما رأى من علامات النصر و الظفر فقالوا : إبعث إلى الأشتر فليأتك و يكفّ عن القتال ، فبعث إليه علي عليه السلام يزيد بن هانئ يستدعيه ، فقال الأشتر قل لأمير المؤمنين ليست هذه الساعة بالساعة التي ينبغي أن تزيلني عن مكاني فإنني وجدت ريح الظفر .

فأتى علياً عليه السلام فأخبره بمقالة الأشتر ، فردّه إليه ثانياً و هو يقول له : أقبل إليّ فإن الفتنة تريد أن تقع .

فجاء الأشتر و قال و الله لقد ظننت أنها سترجع اختلافاً و فرقةً و إنها لمشورة عمرو بن العاص ، فأقبل الأشتر على القوم من أصحابه و قال يا أهل العراق يا أهل الدّلّ و الوهن أحين علوتم القوم و عرفوا أنكم قاهرون لهم رفعوا المصاحف يدعونكم إلى ما فيها ، و يلکم أمهلوني فواقاً^٢ فإنّ الفتح قد حصل ، و النصر قد أقبل . قالوا : لا يكون ذلك أبداً .

قال : أمهلوني عدو الفرس .

١ - المصدر .

٢ - الفواق و الفواق (مصدران) ما بين الحلبتين من الوقت ، و قيل ما بين فتح يد الحالب و قبضها على الضرع . و منه قولهم : «أمهلني قدر فواق حالب» أي زماناً يسيراً .

قالوا: إذا تدخل معه في خطته، قال: خبروني عنكم متى كنتم محققين؟ أحين تقاتلون و خياركم يُقتلون؟ أم الآن حين أمسكتم عن القتال؟ فقالوا: دعنا عنك يا أشر! قاتلناهم لله و ندع قتالهم لله . قال خَدَعْتُمْ فانخدعتم، و دعيتم إلى وضع الحرب فأجبتهم، يا أصحاب الجباه السود! كُنَّا نَظُنُّ صَلَاتِكُمْ زُهَادَةً فِي الدُّنْيَا و شَوْقًا إِلَى اللَّهِ تَعَالَى فَلَا أَرَى مَرَادَكُمْ إِلَّا الدُّنْيَا، يَا أَشْبَاهَ الْبَقَرِ الْجَلَالَةِ! مَا أَنْتُمْ بِرَائِينَ بَعْدَهَا عِزًّا أَبَدًا فابعدوا كما بعد القوم الظالمون .

فستوه و سبهم و ضربوا وجه دابته، فصاح به و بهم علي عليه السلام ^١.

القرار على الحكمين

(فاتفق) الناس على أن يجعلوا القرآن حكماً و رضوا بذلك، فقام الأشعث بن قيس ^٢ إلى علي عليه السلام فقال: أرى الناس قد رضوا بما دُعوا إليه من حكم القرآن

١ - نور الأبصار ص ١٠٧ - ١٠٨ .

٢ - هو الأشعث بن قيس الكندي ذلك المنافق المشهور الذي شارك ابن ملجم في دم أمير المؤمنين عليه السلام، و ابنه محمد في دم الامام الحسين عليه السلام يوم كربلاء، و بنته جعدة في دم الامام الحسن عليه السلام و في القاموس: أُسِرَ بَعْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي رَدَّةِ أَهْلِ يَاسِرٍ، وَ زَوَّجَهُ أَبُو بَكْرٍ أُخْتَهُ أُمَّ فُرُوءَ وَ كَانَتْ عَوْرَاءَ فَوَلَدَتْ لَهُ مُحَمَّدًا وَ قَالَ أَبُو بَكْرٍ عِنْدَ مَوْتِهِ: وَ اللَّهُ مَا أَسَى إِلَّا عَلَى ثَلَاثٍ فَعَلْتَهُنَّ لِيَتْنِي كُنْتُ تَرَكْتَهُنَّ، وَ ثَلَاثٌ تَرَكْتَهُنَّ لِيَتْنِي فَعَلْتَهُنَّ (إلى أن قال) و أما اللاتي تركتهنّ و ليتني كنت فعلتهنّ: ليتني حين أتيت بالأشعث أسيراً، إني قتلته و لم أستحيه، فإني سمعت و أراه أنه لا يرى غيباً و لا شراً إلا أعان عليه، نقله عن (خلفاء ابن قتيبة) قاموس الرجال ج ٢ ص ٩٧ .

بينهم ، فإن شئت أتيتُ معاوية فسألتُهُ ما يريد ؟

قال : اتته ، فأتاه فقال : يا معاوية لأي شيء رفعتم المصاحف ؟

قال : لنرجع نحن و أنتم إلى ما أمر الله في كتابه تبعثون رجلاً ترضونه ونبعث رجلاً ترضاه ، و نأخذ عليهما أن يعملما بما في كتاب الله لا يتعديانه ، ثم نتبع ما اتفقا عليه .

قال الأشعث : هذا الحق و عاد إلى علي عليه السلام و أخبره بما قال معاوية .

فقال الناس : قد رضينا ذلك و قبلناه فقال أهل الشام : نرضى عمراً و قال

الأشعث و أولئك القوم الذين صاروا خوارج فيما بعد : نرضى بأبي موسى الأشعري .

فقال لهم علي عليه السلام : قد عصيتموني أول الأمر فلا تعصوني الآن ، لا أرى أن

تولوا أبا موسى الحكومة فإنه يضعف عن عمرو و مكايده .

فقال الأشعث و من معه : لا نرضى إلا به فإنه حذرنا مما وقعنا فيه فلم نسمع ،

وكان أبو موسى ممن اعتزل القتال .

فقال علي : إن أبا موسى لا يكمل في هذا الأمر ، و لكن هذا ابن عباس

دعوني أوليّه ذلك فإنه أدرى منه بهذا الأمر .

فقالوا و الله لا نريد إلا رجلاً هو منك و من معاوية سواء .

فقال دعوني أجعل الأشر .

قالوا : و هل سعر الأرض ناراً إلا الأشر ؟

فقال : قد أبيتم إلا أبا موسى ؟

قالوا : نعم .

قال : اصنعوا ما أردتم .



فبعثوا إلى أبي موسى و جاؤا به و كان معتزل القتال عن الفئتين كما تقدّم ، و حضر عمرو بن العاص عند علي عليه السلام ليكتب القصة بحضوره ، فكتب الكتاب :

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ ، هذا ما تقاضى عليه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه و معاوية بن أبي سفيان و من معهما ، فقال عمرو بن العاص هو أميركم و أما أميرنا فلا ، امح اسم الامرة .

فقال الأحنف بن قيس : يا أمير المؤمنين ! لا تمحها و لو قتل الناس بعضهم بعضاً فإني أتخوّف إن محوتها أن لا ترجع إليك أبداً .

فأبى علي ذلك ملياً من النهار و إن الأشعث بن قيس كلّمه في ذلك ، فمحاها و قال علي عليه السلام الله أكبر سنةً لسنةٍ و الله إنني لكاتب رسول الله صلى الله عليه وآله يوم الحديبية و كتبت محمداً رسول الله ، فقالوا لست برسول الله ، و لكن اكتب اسمك و اسم أبيك ، فأمرني رسول الله صلى الله عليه وآله ، بمحوه ، فقلت : لا أستطيع ، فقال أرنيه ، فأريته اياه ، فمحاها ، فقال إنك ستدعى لمثلها فتجيب .

فقال عمرو : سبحان الله أنشبه بالكفار و نحن مؤمنون ؟

فقال : اكتبوا فكتبوا هذا ما تقاضيا عليه علي بن أبي طالب و معاوية بن أبي سفيان ، قاضى علي على أهل الكوفة و من معهم ، و قاضى معاوية على أهل الشام و من معهم ، أنّا ننزل عند حكم الله تعالى و كتابه و أن لا يكون بيننا غيره و أن كتاب الله تعالى بيننا من فاتحته إلى خاتمته نُحيي ما أحيى و نُميت ما أمات ، فما وجد الحكمان في كتاب الله تعالى - و هما أبو موسى الأشعري عبدالله بن قيس و عمرو بن العاص - عملا به و ما لم يجدا في كتاب الله تعالى فالسنة العادلة الجامعة غير المفرقة .

و أخذ الحكمان من علي و معاوية عهداً و موثيق ، و من جنديهما أنّهما



آمان على أنفسهما وأهلهما و الأمة لهما أنصار على ما تقاضيا عليه ، و على أبي موسى عبدالله بن قيس و عمرو بن العاص عهد الله و ميثاقه أن يحكما بين هذه الأمة بحكم القرآن ، و لايرداها و لا فرقة حتى يتقاضيا .

و أجالا القضاء إلى رمضان ، و إن أحبنا أن يؤخرا ذلك أخره و أن يقضيا مكان قضيتهما مكان عدل بين الناس من أهل الكوفة و أهل الشام .

و كتب في الصحيفة الأشعث بن قيس ، و عدي بن حجر ، و سعد بن قيس الهمداني ، و ورقاء بن شمس ، و عبدالله بن عكل العجلي ، و حجر بن عدي الكندي ، و عقبة بن زياد الحضرمي ، و يزيد بن حجرة التميمي ، و مالك بن كعب الهمداني هؤلاء كلهم من أصحاب علي عليه السلام .

و كتب من أصحاب معاوية أبو الأعور السلمي ، و حبيب بن سلمة ، و رميل بن عمرو العدوي ، و حمزة بن مالك الهمداني ، و عبد الرحمان بن خالد المخزومي ، و سبيع بن يزيد الأنصاري ، و عتبة بن أبي سفيان و يزيد بن الحر العبسي .

و خرج الأشعث بن قيس فقراه على الناس ، و كتابته كانت يوم الأربعاء لثلاث عشرة خلت من صفر سنة سبع و ثلاثين ، و اتفقوا على أن يكون اجتماع الحكمين بدومة الجندل ، و هو موضع كثير النخل و الزرع و به حصن اسمه مارد^١ .

عدّة القتلى في حرب صفين

وكانت عدّة من قتل من أصحاب علي عليه السلام خمسة وعشرين ألفاً منهم عمار بن ياسر ، و خمسة وعشرون من البديين ، وكانت عدّة عسكره تسعين ألفاً .
وقتل من أصحاب معاوية خمسة وأربعون ألفاً وكانت عدتهم مائة ألف و عشرين ، و أقاما بصفين مائة يوم و عشرة أيام ، وكان بينهم سبعون وقعةً وقيل تسعون ذكر ذلك كله صاحب الفصول المهمة و غيره ^١ .

شهادة عمّار بن ياسر رضي الله عنه

و في عقائد الشيخ أبي إسحاق الفيروزابادي أنّ عمرو بن العاص كان وزير معاوية فلمّا قتل عمار بن ياسر أمسك عن القتال و تابعه على ذلك خلق كثيرٌ ، فقال له معاوية لم لا تقاتل ؟

قال : قتلنا هذا الرجل و قد سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : تقتله الفئة الباغية ، فدّلّ علي أنا نحن بغاة .

قال له معاوية : اسكت فو الله لا تزال تدحض في بولك ، أنحن قتلناه إنما قتله علي و أصحابه ، جاؤا به حتى ألقوه بيننا .

و في رواية قال : قتله من أرسله إلينا يقاتلنا ، وإنما دفعنا عن أنفسنا فقتل فبلغ ذلك علياً عليه السلام قال إن كنت قتلته أنا فالنبي صلى الله عليه وآله وسلم قتل حمزة حين أرسله إلى قتال

الكفار^١.

شهادة ذي الشهادتين و اويس القرني رضي الله عنهما

(و قتل) مع علي عليه السلام خزيمة بن ثابت الأنصاري ذو الشهادتين ، و اويس القرني زاهد التابعين^٢ .

نشأة فرقة الخوارج

(و لَمَّا رَجِعَ) علي عليه السلام ودخل الكوفة خالفت الحرورية و خرجت و أنكرت التحكيم ، و قالت : لا حكم إلا لله ولا طاعة لمن عصى الله ، و كان ذلك أول ما ظهر من أمرهم و رجعوا على غير الطريق الذي كانوا عليه و أتوا «حروراء»^٣ فنزلوا بها و بذلك سمّوا بها ، و كانوا اثني عشر ألفاً .

و في الفصول المهمة : و نادى مناديبهم : أنّ أمير القتال شبيب بن ربعي التميمي ، و أمير الصلاة عبدالله بن الكواء الإشكري ، و الأمر شورى بعد الفتح ، و البيعة لله عز و جل و الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر .

و زعموا أنّ علياً عليه السلام كان إماماً إلى أن حكم الحكمين فشك في دينه ، و حار

١ - المصدر .

٢ - المصدر .

٣ - قرية بظاهر الكوفة (مراسد الاطلاع) .



في أمره ، و أنه الحيران الذي ذكره الله تعالى في القرآن بقوله تعالى ﴿ حيران له أصحاب يدعونه إلى الهدى اثنًا ﴾^١ و أنهم أصحابه الداعون له إلى الهدى ، و لكن كذبوا فيما زعموا قاتلهم الله تعالى و إنما ضرب الله تعالى بالآية المذكورة مثلاً لغيره كما هو معلوم في كتب التفسير و ليس علي عليه السلام بحيران بل به يهتدي الحيارى .

(ولمّا) سمع علي عليه السلام هو و أصحابه بذلك بعث إليهم عبدالله بن عباس رضي الله عنه و قال لا تعجل إلى جوابهم و خصومتهم حتى آتيك فإني في أشرك فلمّا أتاهم عبدالله بن عباس رضي الله عنه أكرموه و رحبوا به و قالوا له ما جاء بك يا ابن عباس ! قال قد جئتمكم من عند صهر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و ابن عمه و أعلمنا بربه و سنة نبيه صلى الله عليه وآله وسلم فقالوا: يا ابن عباس إنا أذنبنا عظيماً حين حكمنا الرجال في دين الله تعالى ، و إن تاب كما تبنا ، و نهض لمجاهدة عدونا رجعنا إليه .

فلم يصبر ابن عباس عن مجاوبتهم و قال : أنشدكم الله إلا ما صدقتم أما قال الله تعالى ﴿ فابعثوا حكماً من أهله و حكماً من أهلها إن يريدوا إصلاحاً يوفق الله بينهما ﴾^٢ في أمر المرأة و زوجها .

قالوا : اللهم نعم ، قال فكيف بأمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم ؟

فقال الخوارج : أما ما جعل الله تعالى حكمه إلى الناس و أمرهم بالنظر فيه فهو إليهم ، و أما ما حكم به و أمضاه فليس للعباد أن ينظروا في هذا .

قال ابن عباس رضي الله عنه : و قال الله تعالى ﴿ يحكم به ذوا عدل منكم هدياً بالغ

١ - الأنعام ٦ : ٧١ .

٢ - النساء ٤ : ٣٥ .

الكعبة^١ في أرنب تساوي ربع درهم تصاد في الحرم فقالوا أيجعل الحكم في
نصيد و شقاق الرجل و زوجته كالحكم في دماء المسلمين ؟
ثم قالوا : له أعدلُ عندك عمرو بن العاص و هو بالأمس يقاتلنا ؟ و إن كان
عدلاً فلسنا بعدول و قد حكمتم في أمر الله الرجال و قد أمضى الله تعالى حكمه في
معاوية و أصحابه أن يقتلوا أو يرجعوا ، و قد كتبتم كتاباً و جعلتم بينكم المودعة و
قد قطع الله تعالى المودعة بين المسلمين و أهل الحرب مذ نزلت براءة إلا من أقر
بالجزية .

ثم خرج علي عليه السلام في أثر عبدالله بن عباس رضي الله عنه فانتهى إليهم و هم
يخاصمونهُ ، فقال له علي عليه السلام ألم أنهك عن كلامهم ؟ ثم قال لهم علي عليه السلام : من
زعيمكم ؟ قالوا : عبدالله بن الكواء ، فقال : عليّ به ، فلما حضر قال له علي عليه السلام : ما
أخرجكم علينا هذا المخرج ؟

قال : تحكيم يوم صفين .

فقال لهم علي عليه السلام : أنشدكم الله تعالى ألم أقل لكم حين رفع المصاحف أنا
أعزم بالقوم منكم إنهم استحرّ بهم القتل و إنما رفعوها خديعةً و مكيدةً لكم ليفتنوكم
و يثبطوكم عنهم و يقطعوا الحرب و يترتبصوا بكم الدوائر ؟ فلم تسمعوا مني .

و اشترطت على الحكمين أن يحييا ما أحيا القرآن و أن يميتا ما أماته فإن
حكموا بحكم القرآن فليس لنا أن نخالف ، و إن أيا فنحن من حكمهما برآء .

فقالوا : فأخبرنا عن عمرو بن العاص أترأه عدلاً حتى تحكّمه في الدماء ؟

قال : إنما حكّمت القرآن ، و هذا القرآن إنما هو خط مسطور بين دفتين لا

ينطق ، وإنما يتكلم به الرجال .

قالوا : فأخبرنا عن الأجل لم جعلته بينكم ؟

قال : ليعلم الجاهل و يتثبت العالم و لعلّ الله عز و جل أن يصلح الأمة في مدة هذه الهدنة ، و يلهما رشدها .

قالوا : فأخبرنا عن يوم كتبت الصحيفة إذ كتب الكاتب هذا ما تقاضى عليه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب و معاوية بن أبي سفيان فأبى عمرو أن يقبل منك أنك أمير المؤمنين فمحوت اسمك من إمرة المؤمنين و قلت للكاتب : اكتب ما تقاضى عليه علي بن أبي طالب و معاوية بن أبي سفيان ، فإن لم تكن أنت أمير المؤمنين و نحن المؤمنون فلست بأمرنا .

فقال علي عليه السلام : يا هؤلاء أنا كنت كاتب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم الحديبية فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم اكتب هذا ما اصطاح عليه محمد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و سهيل بن عمرو ، فقال سهيل لو علمنا أنك رسول الله ما صددناك ، و لا قاتلناك ، فأمرني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بمحوه ، فقلت لا أستطيع ، فقال : أرنيه ، فأريته اياه فمحاه و كتب هذا ما اصطاح عليه محمد بن عبدالله ، و إنما محوت اسمي من إمرة المؤمنين كما محا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اسمه من الرسالة ، و كان لي به أسوة فهل عندكم شيء غير هذا تحتجون به علي ؟

فسكتوا فقال لهم علي عليه السلام قوموا فادخلوا مصركم يرحمكم الله .

فقالوا ندخل و لكن نريد أن نمكث مدة الأجل الذي بينك و بين القوم ههنا ليحيى المال و يسمن الكراع ثم ندخل ، فانصرف عنهم علي عليه السلام و هم كاذبون فيما زعموا قاتلهم الله تعالى .

(و لما جاء) وقت الحكمين أرسل علي عليه السلام مع أبي موسى الأشعري



أربعمائة راكب و عليهم شريح بن هانئ الحارثي و معهم عبدالله بن عباس رضي الله عنه يصلي بهم .

و أرسل معاوية مع عمرو بن العاص أربعمائة رجل من أهل الشام و توافقوا بدومة الجندل و حضر معهم عبدالله بن عمر ، و عبدالرحمان بن أبي بكر ، و عبدالرحمان بن الزبير ، و عبدالرحمان بن عبد يغوث الزهري ، و أبو الجهم بن حذيفة العدوي ، و المغيرة بن شعبة .

و كان سعد بن أبي وقاص على ماء لبني سليم بالبادية فأتاه ابنه عمر فقال له إن أبا موسى و عمرو بن العاص قد حضرا للحكومة و قد شهدهم نفر من قريش فاحضر معهم فإنك صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و أحد الستة الذين كانت الشورى بينهم و لم تدخل في أمر تكرهه هذه الأمة و أنت أحق الناس بالخلافة ، فلم يفعل ، و قيل بل حضر ثم ندم على حضوره فأحرم بعمره من بيت المقدس و توجه إلى مكة محرماً .

و كان عمرو بن العاص بعد تحيكم علي و معاوية له و لأبي موسى يقدم أبا موسى في كل شيء ، و يظهر له الاحترام و الإعظام ، و يقول له لا أتقدم عليك في أمر من الأمور و لا في شيء من الأشياء لا في كلام و لا في غيره ، لأنك أسنّ مني و أنت صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و قد دعا لك فقال اللهم اغفر لعبد الله بن قيس ذنبه و أدخله يوم القيامة مدخلاً كريماً ، حتى استقرّ ذلك في نفس أبي موسى و سكن في خاطره و ظنّ أنه يقدمه على نفسه تعظيماً و تكريماً ، و إنما كان هو دهاء و خديعة منه له .

و لما اجتمعا للحكومة و تفاوضا في الكلام ، كان من كلام عمرو بن العاص

لأبي موسى الأشعري ألم تعلم أنّ عثمان قتل مظلوماً ؟



قال : أشهد ، قال : ألم تعلم أنّ معاوية و آل معاوية أولياؤه ؟

قال : أعلم ، قال فما يمنعك من توليته و بيته في قريش كما علمت ؟ و إن خفت أن يقول الناس ليس له سابقة فقد وجدته ولي عثمان الخليفة المقتول ظلماً و هو المطالب بدمه مع ماله من حسن السياسة و التدبير و هو أخو أم حبيبة زوج النبي ﷺ و كاتب وحي رسول الله ﷺ و عرض له بسُلطان .

فقال أبو موسى الأشعري : يا عمرو ! اتق الله ! أما ما ذكرت من شرف معاوية فالشرف لأهل الدين و الفضل مع أني لو كنت معطيه أفضل قريش شرفاً لأعطيته علي بن أبي طالب ، و أما قولك إن معاوية ولي دم عثمان فولّه هذا الأمر ، فلم أكن أوّليه و أَدع المهاجرين الأولين ، و أما تعريضك لي بالسُلطان فوالله لو خرج معاوية عن سلطانه ما وليته .

فقال له عمرو : فما تقول في ابني عبدالله و أنت تعلم فضله و صلاحه ؟

فقال : قد غمست ابنك في هذه الفتنة لا يكون ذلك .

فقال عمرو : إنّ هذا الأمر لا يصلح إلا لرجل يأكل و يُطعم ، فسمع ابن الزبير كلامه فقال ياأبا موسى تفتنّ و تنبّه لكلام عمرو و قال يا بن العاص إن العرب أسندت أمرها إليك بعد ما تنازعا بالسيوف و أشرفوا على الحتوف فلا تردّتهم في فتنة و اتق الله .

و لمّا راود عمرو بن العاص أبا موسى على معاوية و على ابنه عبدالله فأبى أبو موسى راوده على توليته عبدالله بن عمر ، فأبى عمرو ثم قال هات رأياً غير هذا فقال أبو موسى : أرى أن نخلع هذين الرجلين يعني علياً عليه السلام و معاوية و نجعل الأمر شورى بينهم فيختار المسلمون لأنفسهم من أحبّوا .

فقال : الرأي ما رأيت ، فأقبلا على الناس بوجوههم و هم مجتمعون ينظرون



ما يتفقان عليه فقال عمرو تكلم يا أبا موسى وأخبرهم أنّ رأينا اتفق .

فقال موسى : أيها الناس إنّ رأينا قد اتفق على أمر نرجو أن يصلح الله تعالى

به أمر هذه الأمة ويلمّ شعثها ويجمع كلمتها

فقال عمرو : صدق أبو موسى و برّ فيما قال تقدّم يا أبا موسى ! فتكلّم .

فقام إليه عبدالله بن عباس رضي الله عنه وقال له : يا أبا موسى ! إن كنت وافقته على

أمر فقدمه يتكلم به قبلك ، فإني أخشى من خديعته لك ، وإني لا آمن أن يكون قد

أعطاك الرضا فيما بينك وبينه فإذا قمت في الناس خالفك .

فقال أبو موسى : قد توافقنا و تراضينا و ما ثم مخالفة أبداً و كان أبو موسى

سليم القلب فتقدّم فحمد الله و أثنى عليه ثم قال : أيها الناس ! إنا قد نظرنا في أمر هذه

الأمة فلم نر أسلم لأمرها و لا أتمّ لشمليها من أمر قد اجتمع عليه رأيي و رأى عمرو ،

و هو أن نخلع علياً و معاوية و يستقبل الناس هذا الأمر بأنفسهم فيولّوا عليه من

أحبّوا و اختاروا و إني قد خلعت علياً معاوية ، فاستقبلوا أمركم فولّوا عليكم من

رأيتموه أهلاً لذلك ثم تنحّى .

و أقبل عمرو بن العاص فقام مقامه فحمد الله و أثنى عليه ثم قال : أيها الناس

إن أبا موسى قد خلع صاحبه و قد قال ما سمعتم و أنا ايضاً قد خلعت صاحبه و أبقيت

صاحبي معاوية على الخلافة فإنه ولي عثمان بن عفان و المطالب بدمه و أحق الناس

بمقامه ثم تنحّى .

فقال له أبو موسى : مالك لا وفقك الله غدرت و فجرت ، و إنما مثلك كمثل

الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث .

فقال عمرو لأبي موسى : و أنت إنما مثلك كمثل الحمار يحمل أسفاراً قال

سعد لأبي موسى : ما أضعفك يا أبا موسى عن عمرو و مكايده ؟



فقال أبو موسى : ما أصنع وافقني على أمر و غدر .

و قال ابن عباس : لا ذنب لك يا أبا موسى وإنما الذنب لمن قدّمك و أقامك في هذا المقام .

و قال عبدالرحمان بن أبي بكر : لو غاب الأشعري قبل هذا اليوم لكان خيراً له .

و حمل شريح بن هانئ على عمرو فضربه بالسوط و حمل ابن عمرو على شريح فضربه بعضا و حجز الناس بينهم و كان شريح يقول بعد ذلك ما ندمت على شيء ندامتي إلا من أن أكون ضربت عمراً بالسيف عوضاً عن السوط .

و التمس الناس أبا موسى فوجدوه قد ركب راحلته و هرب إلى مكة و كان أبو موسى يقول حدّرنني ابن عباس غدر عمرو و لكنني اطمأنتت إليه لما يُظهر لي . و انصرف عمرو بن العاص و أهل الشام إلى معاوية و سلّموا عليه بالخلافة . قيل إنّ معاوية قام في الناس فقال أما بعد فمن كان متكلماً في هذا الأمر بعد ذلك فليطلع لنا قرنه و خرج شريح بن هانئ مع ابن عباس إلى علي عليه السلام فأخبراه الخبر فقام في أهل الكوفة فخطبهم فقال : الحمد لله و إن أتى الدهر بالخطب الفادح و الحدثنان الجليل و أشهد أن لا إله إلا الله و أنّ محمداً رسول الله صلّى الله عليه و آله أما بعد فإنّ المعصية تورث الحسرة و تعقب الندامة و كنت أمرتكم في هذين الرجلين و في هذه الحكومة أمري فأبيتم و نحلّتكم رأيي فما لو يتم فكنت أنا و أنتم كما قال أخو هوازن :

أمرتهم أمري بمنعرج اللوى فلم يستبينوا النصح إلا ضحى الغد
أما إنّ هذين الرجلين اللذين اخترتموهما حكيمين ، فقد نبذا حكم القرآن
وراء ظهورهما و أحيا ما أمات القرآن ، و أتبع كل واحد منهما هواه بغير هدى من



الله ، فحكما بغير حجة بينة و لا سنة مضيئة ، و اختلفا في حكمهما و كلاهما لم يرشدا ، استعدوا و تأهبوا للمسير إلى الشام و أصبحوا في معسكركم الى يوم الاثنين ، ثم نزل^١ .

﴿ وقعة الخوارج ﴾

(ثم قال الشبلنجي) : وكتب إلى الخوارج بالنهروان ، بسم الله الرحمن الرحيم، من علي أمير المؤمنين إلى زيد بن حصين ، و عبدالله بن وهب ، و عبدالله بن الكواء ، و من معهم من الناس ، أما بعد فإن هذين الرجلين اللذين ارتضيا حكيمين قد خالفا كتاب الله ، و اتبعا هواهما بغير هدى من الله ، و لم يعملوا بالسنة ، و لم ينفذا حكم القرآن ، فإذا وصلكم كتابي هذا فاقبلوا إلينا فإننا سائرون إلى عدونا و عدوكم و نحن على الأمر الأول الذي كنا عليه .

فكتبوا إليه أما بعد فإنك لم تغضب الله تعالى و إنما غضبت لنفسك فإن شهدت على نفسك بالكفر و استقبلت التوبة نظرنا فيما بيننا و بينك و إلا فقد نابذناك على سواء إن الله لا يحب الخائنين .

فلما قرأ كتابهم أيس منهم ورأى أن يدعهم و يمضي بالناس إلى أهل الشام فيناجزهم فقام في أهل الكوفة فحمد الله و أثنى عليه ثم قال : أما بعد فإنه من ترك جهاد في الله و داهن في أمره كان على شفاهلكة إلا أن يتداركه الله بنعمته فاتقوا الله و قاتلوا من حاد الله و حاول أن يطفىء نوره و قاتلوا الخائنين الضالين .

فبينما علي عليه السلام معهم في الكلام اتاه الخبر أنّ الخوارج خرجوا على الناس و
أنّهم قتلوا عبدالله بن خباب بن الأرت صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و بقروا بطن امرأته
و هي حامل ، و قتلوا ثلاث نسوة من طي ، و قتلوا أم سنان .

فلما بلغ علي عليه السلام ذلك بعث إليهم الحرث بن مرة العبدي ليأتيهم و ينظر
صحة الخبر فيما بلغه عنهم و يكتب به إليه و لا يكتمه شيئاً من أمرهم فلما دنا منهم
و سألهم قتلوه .

و أتى علياً عليه السلام الخبر بذلك و هو بمعسكره فقال الناس : يا أمير المؤمنين !
علام ندع هؤلاء ورائنا يخلفونا في أموالنا و عيالنا سر بنا إليهم فإذا فرغنا منهم سرنا
إلى أعدائنا من أهل الشام .

و جاءهم منجم يقال له مسافر بن عدي الأزدي فقال : يا أمير المؤمنين ! إذا
أردت المسير إلى هؤلاء القوم فسر إليهم في الساعة الفلانية فإنك إن سرت في
غيرها لقيت أنت و أصحابك ضرراً شديداً و مشقة عظيمةً ، فخالف علي عليه السلام قوله .
و لما قرب علي عليه السلام منهم بحيث يرونه و يراهم نزل و أرسل إليهم أن ادفعوا
إلينا قتلة إخواننا منكم نقتلهم بهم ، و أتاركم و أكف عنكم حتى ألقى أهل الشام
فلعل الله أن يأخذ بقلوبكم و يرذكم إلى خير مما أنتم عليه من أموركم .
فقالوا : كلنا قتلناهم و كلنا مستحلون لدمائكم و أموالكم و دمائهم .

فخرج إليهم قيس بن عباد رضي الله عنه فقال لهم : عباد الله أخرجوا إلينا قتلة إخواننا
منكم و ادخلوا في هذا الأمر الذي خرجتم منه ، و عودوا إلى قتال عدوّنا و عدوّكم
فانكم قد ركبتم عظيماً من الأمر ، تشهدون علينا بالشرك ، و تسكفون دماء
المسلمين .

فقال عبدالرحمان بن صخر السلمي : إن الحق قد أضاء لنا فلسنا بتابعيكم .



ثم إن علياً عليه السلام خرج إليهم بنفسه فقال لهم :

«أيتها العصابة التي أخرجها عداوة المراء و الحجاج ، و صدّها عن الحق اتباع الهوى و اللجاج ، إن أنفسكم الأمانة سؤلت لكم فراقى لهذه الحكومة التى أنتم ابتدأتموها و سألتموها و أنا لها كاره ، و أنبأتكم أنّ القوم أنما فعلوها مكيدةً فأبيتم عليّ إباء المخالفين ، و عندتم عليّ عناد العاصين ، حتّى صرفت رأيي إلى رأيكم و أنّ معاشركم و الله صغار الهام ، سفهاء الأحلام ، و أجمع رأى رؤسائكم و كبرائكم أن اختاروا رجلين و أخذنا عليهما أن يحكما بالقرآن و لا يتعديانه فتاها و تركا الحق و هما يبصرانه ، فبينوا لنا بم تستحلون دماءنا و الخروج عن جماعتنا ؟ ثم تستعرضون الناس تضربون أعناقهم أنّ هذا لهو الخسران المبين».

فتنادوا : لا تخاطبوهم و لا تكلموهم و تهيتوا للقتال ، الرواح الرواح إلى الجنة .

فرجع علي عليه السلام إلى أصحابه فهيتأهم للقتال ، فجعل ميمته حجر بن عدي ، و ميسرته شبيب بن ربعي و قيل معقل الرياحي ، و على الخيل أبا أيوب الأنصاري ، و على الرجالة أبا قتادة الأنصاري ، و في مقدمتهم قيس بن سعد بن عبادة .

و أعطى علي عليه السلام لأبي أيوب الأنصاري راية أمان فناداهم أبو أيوب عليه السلام فقال من جاء إلى هذه الراية فهو آمن ممن لم يكن قتل و لا تعرّض لأحد من المسلمين بسوء ، و من انصرف منكم إلى الكوفة فهو آمن ، و من انصرف إلى المدائن فهو آمن ، لا حاجة لنا بعد أن نصيب قتلة إخواننا في سفك دمائكم .

فانصرف فورة بن نوفل الأشجعي في خمسمائة فارس ، و خرج طائفة أخرى منصرفين إلى الكوفة ، و طائفة أخرى إلى المدائن ، و تفرق أكثرهم بعد أن كانوا اثني عشر ألفا ، فلم يبق منهم غير أربعة آلاف جعلوا على ميمتهم زيد بن قيس



الطائي ، و على الميسرة شريح بن أوفى العبسي ، و على خيلهم حمزة بن سنان الأسيدي ، و على رجالتهم حرقوص بن زهير السعدي .
و قال علي عليه السلام لأصحابه : كفوا حتى يبدءوكم فتنادوا : الرواح الرواح إلى الجنة ، و حملوا على الناس فانفرقت خيل علي عليه السلام فرقتين حتى صاروا في وسطهم و عطفوا عليهم من الميمنة إلى الميسرة و استقبلت الرماة و جوههم بالنبل ، و عطف عليهم الرجالة بالسيوف و الرماح فما كان بأسرع من أن قتلوهم عن آخرهم ، و كانوا أربعة آلاف و لم يفلت منهم إلا تسعة رجال لا غير ، رجلان هربا إلى خراسان و بها نسلهما إلى الآن ، و رجلان سارا إلى حرآن و بها نسلهما ، و رجلان سارا إلى اليمن و بها نسلهما ، و هم الذين يقال لهم الأباضية أصحاب عبدالله بن أباض ، و رجلان سارا إلى الجزيرة ، و رجل سار إلى تل مؤذن ، و غنم جماعة علي عليه السلام منهم غنائم كثيرة ، و قتل من جماعته رجلان ، و لم يسلم من الخوارج المارقين غير هذه التسعة و هذه كرامة من أمير المؤمنين علي عليه السلام فإنه قال قبل ذلك : نقتلهم و لا يُقتل منا عشرة و لا يسلم منهم عشرة .

(تنبيه) الخوارج هؤلاء الذين خرجوا على علي عليه السلام لما حكم الحكمين و قالوا لا حكم الا لله هم الذين قال فيهم النبي صلى الله عليه وسلم «يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية» كما جاء في حديث البخاري .

و منهم عبدالله بن ذي الخويصرة التميمي الذي جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم و هو يقسم الصدقات فقال : اعدل يا رسول الله ، فقال صلى الله عليه وسلم و يلك و من يعدل إن لم أعدل ؟ فقال عمر : فأذن لي يا رسول الله في أن أضرب عنقه .

فقال له صلى الله عليه وسلم دعه فإن له أصحاباً يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم ، و صيامه مع صيامهم ، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية .



و فيهم نزل : ﴿ و منهم من يلمزك في الصدقات فان أعطوا منها رضوا وان لم يعطوا منها اذا هم يسخطون ﴾^١ و يقال لهم «الحرورية» بحاء مهملة وراء مكررة بينهما واو ثم ياء ، نسبةً إلى «حروراء» أرض نزلوا بها لما خرجوا على علي عليه السلام .
و في كلام بعض المؤرخين أنّ علياً هم بقتال معاوية فلم يتمكن علي كرم الله وجهه من المسير إلى الشام لقتال معاوية ثانياً لما دهمه من ابن ملجم لعنه الله^٢ .

﴿ ردّ الشمس لعلي عليه السلام و الكرامات الأخرى ﴾

و قال ابن حجر : «و من كراماته الباهرة أنّ الشمس رُدّت عليه لما كان رأس النبي صلى الله عليه وآله وسلم في حجره و الوحي ينزل عليه و علي لم يصلّ العصر^٣ فما سرى

١ - التوبة ٩ : ٥٨ .

٢ - كل ذلك نقلناه من نور الأبصار للعلامة الشبلنجي من ص ٩٨ - الى - ص ١١٤ و هو نقله من تفصول المهّمة لابن الصباغ المالكي .

٣ - (ان قيل) انّ الرواية غير مقبولة لكونها مشتملة على أنّ علياً عليه السلام ترك الصلاة الواجبة و هو لا يتصور من مؤمن متديّن فكيف من أمير المؤمنين عليه السلام (قلنا) جوابه من وجهين :

(الأول) انه اذا كانت صلاة شخص مستلزماً لا يذء الرسول و الاخلال في الوحي كان ترك الصلاة وجباً ، لدوران الأمر بين ترك واجب فرعي و فعل حرام اصولي ، لأنّ الصلاة من فروع الدين و النبوة من حوئه ، فلهذا ترك علي عليه السلام هذه الصلاة اجتناباً عن ايداء الرسول و الاخلال في استمرار الوحي ، و صلاًها بعد اتمامه فلم تفت منه (ان قلت) ان صلاته بعد غروب الشمس و طلوعها مرة ثانية تحسب قضاءً و هو ادون مرتبة من الأداء .

(قلنا) انّ الشمس لو طلعت من المشرق كان يوماً ثانياً و الصلاة فيه عن الصلاة في اليوم الأوّل قضاءً ، لكنّ الشمس قد طلعت من المغرب فكان النور المنبتق منها تكملة للنهار السابق فكانت الصلاة =



عنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الا وقد غربت الشمس فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اللهم انه كان في طاعتك و طاعة رسولك فاردد عليه الشمس فطلعت بعدما غربت .

و حديث ردها صححه الطحاوي و القاضي في الشفاء و حسنه شيخ الاسلام أبو زرعة .

و زعمُ فوات الوقت بغروبها - فلا فائدة لردّها - في محل المنع ، بل نقول كما أنّ ردّها خصوصية كذلك ادراك العصر الآن أداء خصوصية و كرامة .

على أنّ في ذلك أعني أنّ الشمس اذا غربت ثم عادت هل يعود الوقت بعودها تردّد حكيته مع بيان المتّجه منه في شرح العباب في أوائل كتاب الصلاة .

قال سبط ابن الجوزي : و في الباب حكاية عجيبة حدّثني بها جماعة من مشايخنا بالعراق انهم شاهدوا أبا منصور المظفر بن أردشير القباوي الواعظ ذكر بعد العصر هذا الحديث و نمقه بالفاظه و ذكر فضائل أهل البيت عليهم السلام فغطّت سحابة الشمس حتى ظن الناس أنها قد غابت ، فقام على المنبر و أوماً الى الشمس و أنشد :

= المأتي بها فيه أداء لا قضاء .

(الثاني) لنا أن نقول أنّ أمير المؤمنين عليه السلام لم يترك الصلاة ، بل صلاها مؤمياً للضرورة و هي الاحتراز عن ايداء الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ و الحفاظ على الوحي الالهي ، و إتيانها له كذلك كان ممكناً له لأنه كان على الطهارة دائماً ، بل أتباعه المخلصون أيضاً كانوا كذلك كما روي عن حجر بن عدي انه كان لم يحدث الا وعقبه بالوضوء و لم يتوضأ الا وعقبه بالصلاة فاذا كانت عادة شيعته هكذا فهو بطريق أولى كان كذلك ، فلم يكن له مانع من أن يصلي جالساً و مؤمياً مراعيّاً عدم ايداء النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ و عدم ازعاجه في النوم لاسيما في حالة نزول الوحي . و النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما رأى أنّ علياً عليه السلام لم يصلّ صلاته الكاملة (و هي الصلاة قائماً) دعا لرجعة الشمس فرجعت فصلاها قائماً أيضاً ، و سيأتي المزيد على ما قلنا في كلام ابن حجر أيضاً .

١ - لا تردّد فيه كما يبيّناه آنفاً .



لا تغربي يا شمس حتى ينتهي
 واثني عنانك ان أردت ثناءهم
 ان كان للمولى و قوفك فليكن
 قالوا فانجاب السحاب عن الشمس و طلعت^١.

﴿ إخباره عليه السلام بالغيب ﴾

(أخرج) عبدالرزاق عن حجر المرادي قال : قال لي علي عليه السلام كيف بك اذا أمرت أن تلعنني ؟

قلت : أو كائن ذلك ؟ قال : نعم قلت فكيف أصنع ؟ قال : العتي و لا تبرأ متي .
 قال : فأمرني محمد بن يوسف أخو الحجاج و كان أميراً من قبل عبدالملك بن مروان على اليمن أن ألعن علياً فقلت : ان الأمير أمرني أن ألعن علياً فالعنوه لعنه الله ، فما فطن لها الارجل أي أنه انما لعن الأمير و لم يلعن علياً فهذا من كرامات علي و إخباره بالغيب^٢ .

و من كراماته أيضاً أنه حدّث بحديث فكذبه رجل فقال له : أدعو عليك ان كنت كاذباً ، قال : ادع ، فدعا عليه فلم يبرح حتى ذهب بصره^٣ .

١ - الصواعق المحرقة ص ٧٦ .

٢ - المصدر .

٣ - المصدر .

﴿ علي عليه السلام و معاوية ﴾

قال معاوية لضرار بن حمزة : صف لي علياً ! فقال : اعفني ، فقال : أقسمت عليك بالله !

فقال : « كان و الله بعيد المدى ، شديد القوى ، يقول فصلاً ، و يحكم عدلاً ، يتفجر العلم من جوانبه ، و تنطق الحكمة من لسانه ، يستوحش من الدنيا و زهرتها ، و يأنس بالليل و وحشته ، و كان غزير الدمعة ، طويل الفكرة ، يعجبه من اللباس ما قصر ، و من الطعام ما خشن ، و كان فينا كأحدنا ، يجيبنا اذا سألناه ، و يأتينا اذا دعوانه ، و نحن و الله مع تقريبه إيانا و قربه منا لا نكاد نكلمه هيبَةً له ، يعظم أهل الدين ، و يقرب المساكين ، لا يطمع القوي في باطله ، و لا ييأس الضعيف من عدله .

و أشهد لقد رأيته في بعض مواقفه و قد أرخى الليل سدوله و غارت نجومه قابضاً على لحيته ، يتململ تمللم السليم ، (أي اللديغ) ، و يبكي بكاء الحزين ، و يقول يادنيا غري غيري أبي أو اليّ تشوقت هيهات هيهات ! قد باينتك ثلاثاً لا رجعة فيها ، فعمرك قصير ، و خطرك قليل آه آه من قلة الزاد ، و بعد السفر ، و وحشة الطريق .»

فبكى معاوية و قال رحم الله أبا الحسن كان و الله كذلك^١ .

﴿ سبب مفارقة أخيه عقيل ﴾

أنه كان يعطيه كل يوم من الشعير ما يكفي عياله فاشتهد عليه أولاده هريساً فصار يوفّر كل يوم شيئاً قليلاً حتى اجتمع عنده ما اشترى به سمناً و تمرّاً و صنع لهم فدعوا علياً إليه فلما جاء و قدّم له ذلك ، فسأل عنه ، فقصّوا عليه ذلك ، فقال : أو كان يكميكم ذاك بعد الذي عزلتم منه .

قالوا : نعم ، فنقص مما كان يعطيه مقدار ما كان يعزل كل يوم ، و قال لا يحلّ لي أزيد من ذلك ، فغضب عقيل ، فحمى له أمير المؤمنين عليه السلام حديدةً و قرّبها من خده و هو غافل فتأوّه ، فقال : تجزع من هذه و تعرضني لنار جهنم ؟

فقال : لأذهبني إلى من يعطيني تبراً ، و يطعمني تمرّاً ، فلحق معاوية . و قد قال معاوية يوماً : لولا علم بأبي خيرٍ له من أخيه ما أقام عندنا و تركه . فقال له عقيل : أخي خيرٌ لي في ديني و أنت خيرٌ لي في دنياي ، و قد آثرت دنياي و أسأل الله خاتمة خير^٢ .

(و أخرج) ابن عساكر أنّ عقيلاً سأل علياً عليه السلام فقال : إني محتاج و إني فقير فأعطني .

١ - و في نهج البلاغة انه عليه السلام قال لعقيل : أتنت من حديدة أحماها انسانها للعبه ، و تجرني إلى نارٍ سجّرها جبارها لغضبه ، أتنت من الأذى ، و لا أتنت من لظني (نهج البلاغة عبده ج ٢ ص ٢١٩) .

٢ - لا يخفى أنّ هذا الاختلاف من عقيل و ذهابه إلى معاوية كان صورياً و كان الغرض الأصلي منه حضوره في بلاط معاوية ليكون ناظراً على أعماله كعين أمير المؤمنين عليه السلام مضافاً إلى أنه أراد بذلك أن يتخذ إلى بث فضائل أمير المؤمنين عليه السلام في ملاء الشام سبيلاً ، و الدليل على ذلك أنه كان يظهر للناس فضائله كلما يجد الفرصة لذلك . كما يظهر من هذه الواقعة و التي تأتي عن ابن عساكر .



قال : اصبر حتى يخرج عطاؤك مع المسلمين فأعطيك معهم ، فألخ عليه . فقال
 لرجل : خُذ بيده و انطلق به الى حوانيت أهل السوق .
 فقال له : دق هذه الأقفال و خُذ ما في هذه الحوانيت .
 قال : تريد أن تتخذني سارقاً ؟
 قال : و أنت تريد أن تتخذني سارقاً ان آخذ أموال المسلمين فأعطيها
 دونهم .

قال : لآتين معاوية . قال : أنت و ذاك .

فأتى معاوية ، فسأله فأعطاه مائة ألف . ثم قال : اصعد على المنبر فاذكر ما
 أولاك به علي . و ما أوليتك .

فصعد ، فحمد الله و أثنى عليه . ثم قال : أيها الناس ! اني أخبركم اني أردت
 علياً على دينه ، فاخترت دينه ، و اني اردت معاوية على دينه فاخترتني على دينه .

و لما وصل اليه فخرٌ من معاوية قال لغلامه اكتب اليه ثم أملى عليه :

محمد النبي و صهري و حمزة سيد الشهداء عمي

و جعفر الذي يمسي و يضحى يطير مع الملائكة ابن أُمي

و بنت محمد سكاني و عرسي منوط لحمها بدمي و لحمي

و سبطا أحمد ابناي منها فأيتكم له سهم كسهمي

سبقتكم الى الاسلام طراً غلاماً ما بلغت أو ان حلمي

قال البيهقي : انّ هذا الشعر مما يجب على كل أحد متوان في علي حفظه

ليعلم مفاخره في الاسلام^١ .

﴿ أقواله عليه السلام في الحكم و المواعظ ﴾

إن علياً عليه السلام كما كان فريداً في العلم ، وحيداً في الحلم ، سابقاً في الشجاعة ، فائقاً في السماحة ، كذلك كان متفرداً في الفصاحة و البلاغة أيضاً ، و من أراد أن ينظر الى أنموذج من ذلك فلينظر الى كتاب نهج البلاغة المؤلف من كلامه الشريف الجزء الأول في خطبه ، و الثاني في كتبه ، و الثالث في الحكم و المواعظ ، و نحن نكتفي في المقام بما نقله ابن حجر في صواعقه فقط كما وعدنا فننقل نبذةً منه :

- ١ - الناس نيام اذا ماتوا انتبهوا .
- ٢ - لو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً .
- ٣ - قيمة كل امرء ما يحسنه .
- ٤ - ما هلك امرؤ عرف قدره .
- ٥ - من عرف نفسه فقد عرف قدره .
- ٦ - المرء مخبوءٌ تحت لسانه .
- ٧ - من عذب لسانه كثر اخوانه .
- ٨ - لا تنظر الى من قال وانظر الى ما قال .
- ٩ - لا ظفر مع البغي .
- ١٠ - لا ثناء مع الكبر .
- ١١ - لا صحّة مع النهم .
- ١٢ - لا شرف مع سوء الأدب .
- ١٣ - لا راحة مع الحسد .
- ١٤ - لا سؤدد مع الانتقام .
- ١٥ - لا صواب مع ترك المشورة .
- ١٦ - لا مروّة للكذوب .
- ١٧ - لا كرم أعزّ من التقى .
- ١٨ - لا شفيح أنجح من التوبة .
- ١٩ - لا لباس أجمل من العافية .
- ٢٠ - لا داء أعيب من الجهل .
- ٢١ - المرء عدو ما جهله .
- ٢٢ - رحم الله امرأ عرف قدره .
- ٢٣ - اعادة الاعتذار تذكر بالذنب .
- ٢٤ - الحكمة ضالة المؤمن .
- ٢٥ - اذا حلّت المقادير ضلّت التدابير .
- ٢٦ - الاحسان يقطع اللسان .
- ٢٧ - عبد الشهوة أذلّ من عبد الرّق .



- ٢٨ - ليس العجب ممن هلك كيف هلك بل العجب ممن نجا كيف نجا .
- ٢٩ - أكثر مصارع العقول تحت بروق الأطماع .
- ٣٠ - اذا قدرت على عدوك فاجعل العفو شكر القدرة عليه .
- ٣١ - ما أضمر أحد شيئاً الا ظهر في فلتات لسانه و على صفحات وجهه .
- ٣٢ - البخيل يستعجل الفقر يعيش في الدنيا عيش الفقراء و يحاسب في الآخرة حساب الأغنياء .
- ٣٣ - لسان العاقل وراء قلبه و قلب الأحمق وراء لسانه .
- ٣٤ - العلم يرفع الوضيع و الجهل يضع الرفيع .
- ٣٥ - العلم خير من المال لأن العلم يحرسك و أنت تحرس المال .
- ٣٦ - العلم حاكم و المال محكوم عليه .
- ٣٧ - قاصم ظهري عالمٌ مهتكم و جاهلٌ متنسك ، هذا يفتي و ينفر الناس بتهتكه ، و هذا يضلّ الناس بتنسكه .
- ٣٨ - الصبر من الايمان بمنزلة الرأس من الجسد .
- ٣٩ - لا خير في عبادة لا علم فيها و لا خير في علم لا فهم معه .
- ٤٠ - سبعةٌ من الشيطان : شدة الغضب ، شدة العطاس ، شدة التثاوب ، القي ، الزعاف ، النجوى ، النوم عند الذكر .
- ٤١ - و قال لما سُئل عن القدر : طريقٌ مظلمٌ لا تسلكه و بحرٌ عميقٌ لا تلجه و سرّ الله قد خفي عليك فلا تفشه .
- ٤٢ - و قال : انّ للنكبات نهايات ، لا بد لأحد اذا نكب أن ينتهي اليها ، فينبغي للعاقل اذا أصابته نكبة أن ينام لها حتى تنقضي مدتها ، فانّ في رفعها قبل انقضاء مدتها زيادة في مكروهاها .



٤٣- وقال عليه السلام : جزاء المعصية الوهن في العبادة ، و الضيق في المعيشة ، و النقص في اللذة ، قيل : و ما النقص ؟ قال : لا ينال شهوة حلال الأجزاء ما ينغصه إياها .
٤٤- و لما ضربه ابن ملجم قال للحسن عليه السلام ، و قد دخل عليه باكياً : يا بني ! احفظ عتي أربعاً و أربعاً ، قال : و ما هنّ يا أبت ؟

قال : أغنى الغنى العقل ، و أكبر الفقر الحمق ، و أوحش الوحشة العُجب ، و أكرم الكرم حُسن الخلق . قال : فالأربع الأخر ؟ قال : إيتاك و مصاحبة الأحمق ، فانه يريد أن ينفعك فيضرك ، و إيتاك و مصادقة الكذّاب فانه يقرب عليك البعيد و يبعد عليك القريب ، و إيتاك و مصادقة البخيل فانه يخذلك في أحوج ما تكون اليه ، و إيتاك و مصادقة الفاجر فانه يبيعك بالتافه . و أضاف ابن حجر قائلاً : و كلامه عليه السلام في هذا الاسلوب البديع كثير تركته خوف الاطالة .^١

و أضيف الى ذلك ما نقله الشبلنجي عنه عليه السلام فمنه :

٤٥- اذا أملقتهم فبادروا بالصدقة .

٤٦- من لان عوده كثرت أغصانه .

٤٧- اذا وصلت اليكم أطراف النعم فلا تنفروا أقصاها بقلة الشكر .

٤٨- الناس عالم أو متعلم و سائرهم همج رعاغ .

٤٩- اكفف عن الناس ما تحب أن يكف عنك الناس .

٥٠- قل عند كل شدة : لا حول و لا قوة الا بالله العلي العظيم ، تكف ، و قل عند كل نعمة : الحمد لله ، تزد منها ، و اذا أبطأت عليك الأرزاق فاستغفر الله يوسع عليك .^٢

١ - الصواعق المحرقة ص ٧٧ - ٧٨ .

٢ - نور الأبصار ص ٩٢ .

﴿ كلامه عَلَيْهِ السَّلَامُ المنظوم ﴾

و من كلامه المنظوم على ما نقله الشبلنجي :

الألن تنال العلم الآبسة
ذكاءً وحرصاً واصطباراً^٢ وبلغاً^١
و من كلامه أيضاً :

شيثان لو بكت الدماء عليهما
لم تبلغا المعشار من حقيهما
و من كلامه أيضاً :

إذا ما المرء لم يحفظ ثلاثاً
وفاء للصديق و بذل مالٍ
و من كلامه ايضاً :

الناس من جهة التمثال أكفاء
فان لم يكن في أصلهم شرفٌ
ما الفضل الا لأهل العلم فإنهم
و قيمة المرء ما قد كان يحسنه
فقم بعلم ولا تبغ به بدلاً
أبـوهم آدم و الأم حواء
يفاخرون به فالطين و الماء
على الهدى لمن استهدى أدلاءً
و الجاهلون لأهل العلم أعداء
فالناس موتى و أهل العلم أحياء^٣

١ - وفي ديوانه : عن تفصيلها .

٢ - وفي ديوانه : واجتهاد .

٣ - نور الأبصار ص ٩٤ .

﴿ شهادته عليه السلام ﴾

قال ابن حجر : « سببها انه لما طال النزاع بينه وبين معاوية انتدب ثلاثة نفر من الخوارج : عبدالرحمان بن ملجم المرادي ، و البرك ، و عمرو التميميين ، فاجتمعوا بمكة و تعاهدوا و تعاقدوا ليقتلن هؤلاء الثلاثة : علياً و معاوية و عمرو بن العاص ، و يريحوا العباد منهم .

فقال ابن ملجم : أنا لكم بعلي ، و قال البرك : أنا لكم بمعاوية ، و قال عمرو : أنا لكم بعمرو ، و تعاهدوا على أن ذلك يكون ليلة حادى عشر أو ليلة سابع عشر رمضان .

ثم توجه كل منهم الى مصر صاحبه ، فقدم ابن ملجم الكوفة فلقي أصحابه من الخوارج فكاتمهم ما يريد ، و وافقه منهم شبيب بن عجرة الأشجعي و غيره . فلما كانت ليلة الجمعة سابع عشر^١ رمضان سنة أربعين استيقظ علي عليه السلام سحرأ و قال لابنه الحسن عليه السلام رأيت الليلة رسول الله ﷺ فقلت يارسول الله ما لقيت من أمتك خيراً .

فقال لي : ادع الله عليهم ، فقال اللهم أبدلني بهم خيراً لي منهم و أبدلهم بي شراً لهم مني .

و أقبل عليه الأوز في وجهه فطردهن ، فقال : دعوهن فانهن نوائح . و دخل عليه المؤذن فقال : الصلاة فخرج على الباب ينادي : أيها الناس

١ - الصحيح أنه عليه السلام جرح من سيف ابن ملجم ليلة التاسع عشر من شهر رمضان سنة أربعين و توفي في ليلة احدى و عشرين منه ، استظهره الشيخ الطوسي رحمه الله في غيبته (ص ١٩٥ ط طهران) .



الصلاة الصلاة، فشد عليه شبيب، فضربه بالسيف فوق سيفه بالباب، و ضربه ابن ملجم بسيفه فأصاب جبهته الى قرنه و وصل دماغه، و هرب، فشبيب دخل منزله فدخل عليه رجل من بني أمية فقتله .

و اما ابن ملجم فشد عليه الناس من كل جانب فلحقه رجلٌ من همدان فطرح عليه قطيفة ثم صرعه و أخذ السيف منه و جاء به الى علي عليه السلام فنظر اليه و قال : النفس بالنفس اذا ما مت فاقتلوه كما قتلتني و ان سلمت رأيت فيه رأبي .

وتوفى ليلة الأحد و غسله الحسن و الحسين و عبدالله بن جعفر و محمد بن الحنفية يصب الماء و كفن في ثلاثة أثواب ليس فيها قميص و صلى عليه الحسن عليه السلام و كبر عليه سبعاً و دفن بدار الامارة بالكوفة ليلاً أو بالغري في موضع يزار الآن أو بين منزله و الجامع الأعظم أقوالٌ ثم قطعت أطراف ابن ملجم و جعل في قوصرة و أحرقوه بالنار .

و قيل بل أمر الحسن بضرب عنقه ثم حرقت جيفته أم الهيثم بنت الأسود النخعية .

و كان علي في شهر رمضان الذي قتل فيه يفطر ليلةً عند الحسن و ليلةً عند الحسين و ليلةً عند عبدالله بن جعفر و لا يزيد على ثلاث لقم ، و يقول أحب أن ألقى الله و أنا خميص فلما كانت الليلة التي قُتل في صبيحتها أكثر الخروج و النظر الى السماء ، و جعل يقول : و الله ما كذبت و لا كُذبت و انها الليلة التي وُعدت .

فلما خرج وقت السحر ضربه ابن ملجم الضربة الموعود بها كما قدمنا ، و عمي قبر علي لثلاً ينبشه الخوارج و قال شريك : نقله ابنه الحسن الى المدينة .

(و أخرج) ابن عساكر انه لما قُتل حملوه ليدفنوه مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فبينما هم في مسيرهم ليلاً ارتدّ الجمل الذي عليه فلم يدر أين ذهب و لم يقدر عليه فلذلك



يقول أهل العراق هو في السحاب .

و قال غيره أنّ البعير وقع في بلاد طي فأخذه و دفنوه^١ .

و كان لعلي عليه السلام حين قتل ثلاث و ستون سنة (كما كان للنبي صلى الله عليه وآله أيضاً كذلك) .

و سئل و هو على المنبر بالكوفة عن قوله تعالى ﴿ من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه و منهم من ينتظر و ما بدلوا تبديلاً ﴾^٢ فقال اللهم غفرانك هذه الآية نزلت فيّ و في عمي حمزة و في ابن عمي عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب ، فأما عبيدة فقضى نحبه شهيداً يوم بدر ، و أما حمزة فقضى نحبه شهيداً يوم أحد ، و أما أنا فانتظر أشقاها يخضب هذه من هذه ، و أشار بيده الى

١ - هذه الأقوال كلها ضعيفة و متضاربة لعدم ورودها عن أهل البيت عليهم السلام و الصحيح أنه عليه السلام دفن بالغري (النجف الأشرف) حيث يزار قبره الآن ، و يؤيده روايات كثيرة عن طريق أهل البيت عليهم السلام و أهل البيت أدري بما فيه .

قال ابن أبي الحديد : قد قلنا فيما تقدّم أنّ أبناء الناس أعرف بقبور آبائهم من غيرهم من الأجانب ، و هذا القبر الذي بالغري هو الذي كان بنو علي عليه السلام يزورونه قديماً و حديثاً و يقولون : هذا قبر أينا لا يشك أحد في ذلك من الشيعة و لا من غيرهم ، أعني بني علي من ظهر الحسن و الحسين عليهم السلام و غيرهما من سلاله المتقدمين منهم و المتأخرين مازاروا و لا وقفوا الا على هذا القبر بعينه .

و قد روى أبو الفرج عبدالرحمان بن علي الجوزي عن أبي الغنائم قال : مات بالكوفة ثلاثمائة صحابي ، ليس قبر أحد منهم معروفاً الا قبر أمير المؤمنين عليه السلام و هو القبر الذي تزوره الناس الآن . جاء جعفر بن محمد عليه السلام و أبوه محمد بن علي بن الحسين عليه السلام فزاراه و لم يكن اذ ذلك قبر ظاهر ، حتى جاء محمد بن زيد الداعي صاحب الديلم فأظهر القبر (انتهى كلامه) . راجع شرح ابن أبي الحديد ج ٦ ص ١٢٢ .

لحيته و رأسه ، و قال : عهد عهده الي حبيبي ابو القاسم صلى الله عليه وآله وسلم « ١ .

﴿ وصيته علياً ﴾

قال ابن حجر : « و لما أُصيب دعا الحسن و الحسين رضى الله عنهما فقال لهما : «أوصيكما بتقوى الله و لا تبغيا الدنيا و ان بغتكما ، و لا تبكيا على شىء زوي منها عنكما ، و قولوا الحق و ارحما لليتيم ، و أعينا للضعيف ، و اصنعا للإخرة و كونا للظالم خصماً ، و للمظلوم أنصاراً ، و اعمالاً لله ، و لا تأخذكما في الله لومة لائم» . ثم نظر الى ولده محمد بن الحنفية فقال له : هل حفظت ما أوصيت به أخويك ؟ قال : نعم ، فقال : أوصيك بمثله و أوصيك بتوقير أخويك لعظم حقهما عليك ، و لا تواتق امرأة دونهما ، ثم قال : أوصيكما به فانه أخوكما و ابن أبيكما و قد علمتا أن أباكما كان يحبّه ، ثم لم ينطق الا بلا آله الا الله الى أن قبض كرم الله وجهه . (و روي) أن علياً جاءه ابن ملجم يستحمله فحمله ثم قال صلى الله عليه وآله وسلم :

أريد حياته و يريد قتلي عذيري من خليلي من مرادي^٢

ثم قال هذا و الله قاتلي ، فقيل له ألا تقتله ؟ فقال فمن يقتلني ؟

و في المستدرک عن السدي قال : كان ابن ملجم عشق امرأة من الخوارج يقال لها نظام^٣ فنكحها و أصدقها ثلاثة آلاف درهم و قتل علي و في ذلك يقول

١ - الصواعق المحرقة ص ٨٠ .

٢ - الصحيح : عذيرك من خليلك من مرادي ، يعني : هات عذيرك منه .

٣ - الصحيح : قطام .

الفرزدق :

فلم أر مهراً ساقه ذو سماحة
و في رواية من فصيح و أعجم :
ثلاثة آلاف و عبد وقبينة
فلا مهر أعلى من عليّ و ان غلا
كمهر قطام بيتن غير معجم
و ضرب علي بالحسام المصمم
ولا فتك الآدون فتك ابن ملجم

﴿ فرح اناس بقتل أمير المؤمنين عليه السلام ﴾

لما كانت ذات أمير المؤمنين علي عليه السلام قرّة عين المحبّين و الموالين له ، كانت شهادته فاجعة عظيمة لهم ، فملأت صدورهم غمّاً ، و أبكت عيونهم دماً ، و بالعكس من كان في قلبه حقد منه أو كان مبغضاً له فرح به فرحاً عظيماً كمعاوية و مروان بن الحكم و عائشة و أمثالهم ، صدق الله العلي العظيم : ﴿ كل يعمل على شاكته ﴾^٢ .

﴿ فرح عائشة بقتله عليه السلام ﴾

قال أبو الفرج الاصبهاني : حدّثني محمد بن الحسين الأشناني قال : حدّثنا موسى بن عبدالرحمان المسروقي قال : حدّثنا عثمان بن عبدالرحمان قال حدّثنا

١ - الصواعق المحرقة ص ٨٠ ، نور الأبصار ص ١١٦ .

٢ - الاسراء ١٧ : ٨٤ .



اسماعيل بن راشد باسناده قال: لَمَّا أتى عائشة نعي علي أمير المؤمنين عليه السلام تمثّلت :
 فألقت عصاها و استقرّت بها النوى كما قرّ عيناً بالإياب المسافر
 ثم قالت : من قتله ؟ فقيل : رجلٌ من مراد ، فقالت :
 فان يك نائباً^١ فقد بغاه^٢ غلامٌ ليس في فيه التراب
 فقالت لها زينب بنت أمّ سلمة : أ لعلّي تقولين هذا ؟ فقالت : اذا نسيت
 فذكروني^٣ .

قصيدة عمران بن حطان الخارجي في مدح ابن ملجم

كذلك فرح بقتل أمير المؤمنين علي عليه السلام عدّة آخرون أيضاً لأنهم كانوا
 يخالفونه في الهدف و السيرة أمثال معاوية بن أبي سفيان و مروان بن الحكم و
 عمران بن حطان .

أما عمران بن حطان الخارجي فقد أنشد قصيدةً في مدح قاتله عبدالرحمان
 بن ملجم المرادي نقله الشبلنجيُّ نقل أولها من باب ﴿ قال الكافرون هذا ساحرٌ
 كذاب ﴾^٤ :

لله درّ المرادي الذي فتكت
 ياضربةً من تقّي ما أراد بها
 كفاه مهجة شرّ الخلق إنسانا
 إلا ليبلغ من ذي العرش رضوانا

١ - المصيبة ، الحادثة جمعه : النوائب .

٢ - كذا في المصدر، لكنّ الصواب : نعاه .

٣ - مقاتل الطالبين ص ٢٦ .

٤ - سورة ص ٣٨ : ٤ .

إني لأذكره يوماً فأحسبه
ولمّا سمعها القاضي أبو الطيّب
إنني لأبرأ مما أنت قائله
ياضربةً من شقي ما أراد بها
إني لأذكره يوماً فألعنه
عليه ثم عليه الدهر متصلاً
فأنتما من كلاب النار جاء به
عليكما لعنة الجبار ما طلعت
وقال بكر بن حستان الباهلي :

قل لابن ملجم و الأقدار غالبه
قتلت أفضل من يمشي على قدم
و أعلم الناس بالقرآن ثم بما
صهر النبي و مولاه و ناصره
و كان منه على رغم الحسود له
ذكرت قاتله و الدمع منحدر
قد كان يخبرنا أن سوف يخضبها
إني لأحسبه ما كان من بشر
أشقى مراداً إذا عدت قبائلها
كعافر الناقة الأولى التي حلبت
فلا عفا الله عنه ما تحمله
لقوله في شقي ظلّ مجترماً

أو في البرية عند الله ميزانا
طاهر بن عبدالله الشافعي أجابه بقوله :
عن ابن ملجم الملعون بهتانا
إلا ليهدم للإسلام أركاننا
ديناً و العن عمراناً و حطّانا
لعائن الله إسراراً و إعلاتنا
نصّ الشريعة برهانا و تبياننا
شمسٌ و ما أوقد في الكون نيراننا

هدمت للدين و الإسلام أركاننا
و أفضل الناس إسلاما و إيماننا
سنّ الرسول لنا شرعاً و تبياننا
أضحت مناقبه نوراً و برهانا
مكان هرون من موسى بن عمراننا
فقلتُ سبحان ربّ العرش سبحاننا
قبل المنية أشقاها و قد كانا
يخشى المعاد و لكن كان شيطاننا
و أخسر الناس عند الله ميزانا
على ثمود بأرض الحجر خسرانا
و لاسقى قبر عمران بن حطّانا
و نال ما ناله ظلماً و عدواننا



ياضربةً من تقِي ما أراد بها
بل ضربةً من غويٍ أورثته لظى
كأنه لم يرد قصداً بضربته
إلا ليبلغ من ذي العرش رضوانا
مخلداً قد أتى الرحمان غضبانا
إلا ليصلى عذاب الخلد نيرانا^١

من الذي قتل أمير المؤمنين عليه السلام؟

(قال الجزائري) إن كون عبدالرحمن بن ملجم قاتلاً لعلي عليه السلام وجهة ظاهرة عند الناس ، لأن القاتل الأصلي الذي حرّض ابن ملجم وبعثه الى علي عليه السلام لقتله مخفي عن الأنظار ، ومختبئ تحت الأستار .

فلابد للخبير الذي أراد أن ينقب عن الحقائق ، و يتتبع الدقائق ، أن يستطلع من أعماق التاريخ دوائمه ، و يستخرج من مكانه حقائقه ، ففي السطور الآتية نلتم الى ذلك ، لتعلم ما جرى هنا لك .

لاحظ الى أنّ ثلاثة نفر (و هم : البرك بن عبدالله الصريمي و عمرو بن بكر التميمي و عبدالرحمان بن ملجم المرادي) صمّموا و حلفوا امام الكعبة على قتل ثلاثة نفر و هم : معاوية و عمر و العاص و علي بن أبي طالب عليه السلام في يوم واحد و وقت واحد ، و قرّروا جميع جزئيات اقدامهم ، لكن معاوية و عمرو العاص لم يرياً سوءاً اذ معاوية جرح بجراحة خفيفة على وركه ، و لم يحضر عمرو العاص المسجد في الوقت المعين و بعث مكانه خارجه بن حذافة السهمي فقتل بلا جرم و خطأ ، و قتل من بين هؤلاء الثلاثة علي بن أبي طالب عليه السلام لكون السيف مسموماً فهنا

أسئلة :

(الأول) لأي شيء لم يكن السيف الذي وقع على معاوية مسموماً وكان سيف ابن ملجم فقط مسموماً ؟

(الثاني) لأي شيء نجا عمرو العاص أيضاً و من الذي تبّته على أن لا يحضر الصلاة و يبعث لها نقرأ آخر الذي صار فدية له ؟

(الثالث) من أين لابن ملجم هذا المال الكثير الذي شرى به السيف بألف ، و السمّ بألف ، و ثلاثة آلاف لمهر قطام مع عبد و قينة كما قال الفرزدق :

و لم أر مهراً ساقه ذو ساقه ذو سماحة كمهر قطام من فصيح و أعجم
ثلاثة آلاف و عبد و قنية و ضرب عليّ بالحسام المسمّم
و لا مهر أغلى من علي و ان غلا و لا فتك الا دون فتك ابن ملجم
مع أن ابن ملجم كان رجلاً فقيراً لا يملك دابة فاستحملها من أمير المؤمنين
عليّ فحمّله ، فظهر من هذا كله أن أمير المؤمنين عليّ لم يقتل الا بمؤامرة معاوية و
عمرو العاص كما قتل ابنه الحسن عليّ أيضاً كذلك و سيأتي عند ذكره ، و الشاهد
على ما قلنا ما قاله أبو الأسود الدؤلي مخاطباً لمعاوية و حزبه كما يأتي :

ألا بلغ معاوية بن حرب فلا قرّت عيون الشاميتنا
أفي شهر الصيام فجعتموننا بخير الناس طراً أجمعينا
قتلتم خير من ركب المطايا و رحلها و من ركب السفينا
و من لبس النعال و من حذاها و من قرأ المثنائي و المئينا
إذا استقبلت وجه أبي حسين رأيت البدر راع للناظرين

لقد علمت قريش حيث كانت بأنك خيرها حسباً و ديننا
و قل للشامتين بنا رويداً سيلقن الشامتون كما لقينا^١
قال الشبلنجي: (و بالإسناد) عن الزهري قال: قال لي عبد الملك بن مروان:
أي واحد أنت إن حدثتني ما كان علامة يوم قتل علي عليه السلام? قلت: يا أمير المؤمنين
ما رفعت حصاة من بيت المقدس إلا وكان تحتها دم عبيط^٢.

عاقبة أمر ابن ملجم

نقل الشبلنجي عن كتاب المناقب لأبي بكر الخوارزمي قال: قال أبو القاسم
بن محمد: كنت في المسجد الحرام فرأيت الناس مجتمعين حول مقام إبراهيم عليه السلام
فقلت ما هذا؟ فقالوا راهب قد أسلم و جاء إلى مكة و هو يحدث الناس بحديث
عجيب.

فأشرفت عليه فإذا شيخ كبير عليه جبة صوف و قلنسوة صوف عظيم الجنة و
هو قاعد عند المقام يحدث الناس و هم يستمعون له.

فقال: بينما أنا قاعد في صومعتي في بعض الأيام إذ أشرفت منها اشرافة فإذا
طائر كالنسر الكبير قد سقط على صخرة على شاطئ البحر فتقتياً فرمى من فيه ربع
إنسان، ثم طار فغاب يسيراً ثم عاد فتقتياً ربعاً آخر، ثم طار و عاد فتقتياً هكذا إلى أن
تقياً أربعة أرباع إنسان، ثم طار فدنّت الأرباع بعضها من بعض فالتأمت فقام منها

١- نور الأبصار ص ١٢٠.

٢- المصدر.



إنسانٌ كاملٌ و أنا أتعجب مما رأيت ، فإذا بالطائر قد انقضَّ عليه فاختطف ربه ، ثم طار ثم عاد و اختطف ربعاً آخر ، ثم طار و هكذا إلى أن اختطف جميعه فبقيت متفكراً و أتحسّر أن لا كنت سألته و من هو و ما قصته ؟

فلما كان في اليوم الثاني إذا بالطائر قد أقبل و فعل كفعله بالأمس ، فلما التأمت الأرباع و صارت شخصاً كاملاً نزلت من صومعتي مبادراً إليه و سألته بالله من أنت يا هذا ؟

فسكت ، فقلت : بحق من خلقك إلا أخبرتني من أنت ؟

فقال : أنا ابن ملجم ، فقلت : ما قصتك مع هذا الطائر ؟

قال : قتلت علي بن ابي طالب فوكل الله بي هذا الطائر يفعل بي ما ترى .

فخرجت من صومعتي و سألت عن علي بن ابي طالب فقيل لي إنه ابن عم رسول الله ﷺ فأسلمت و أتيت إلى بيت الله الحرام قاصد الحج و زيارة رسول الله ﷺ .

﴿ ٢ ﴾

﴿ الامام الثاني الحسن بن علي عليه السلام ﴾

و هو الامام أبو محمد الحسن السبط ابن علي بن ابي طالب عليه السلام قال الشبلنجي :

﴿ فصل : في ذكر مناقب سيدنا الحسن السبط ابن الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام ﴾

ابن سيدة نساء العالمين فاطمة بنت رسول الله ﷺ .

﴿ مولد الامام الحسن عليه السلام ﴾

(ولد) الحسن عليه السلام في منتصف رمضان سنة ثلاث من الهجرة ، وهو أول

أولاد علي و فاطمة عليهما السلام .

روي مرفوعاً إلى علي أبيه عليه السلام قال : « لَمَّا حضرت ولادة فاطمة قال

رسول الله ﷺ لأسماء بنت عميس و أم سلمة رضي الله عنهما احضرا فاطمة فإذا

وقع ولدها و استهلّ صارخاً فأذنا في أذنه اليمنى و أقيما في أذنه اليسرى فإنه لا

يفعل ذلك إلا عصم من الشيطان ، و لا تحدثا شيئاً حتى آتيكما .

فلَمَّا ولدت فعلنا ذلك و أتاه رسول الله ﷺ فسرّه و لبأه بريقه و قال : اللهم

إني أعيذه بك و ذريته من الشيطان الرجيم .

فلَمَّا كان اليوم السابع من مولده قال رسول الله ﷺ سمّوه حسناً .

(عن أسماء) بنت عميس قالت : قبلت فاطمة بالحسن ، فلم أر لها دمًا ، فقلت

يا رسول الله إني لم أر لفاطمة دمًا في حيض و لا نفاس ؟

فقال ﷺ لها : أما علمت أن ابنتي طاهرة مطهرة لا يرى لها دم في طمث

و لا ولادة ، خرّجه الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام .

و عتق ﷺ عنه ، فعن علي عليه السلام عتق رسول الله ﷺ عن الحسن و قال

يا فاطمة احلقي رأسه و تصدّقي بزنة شعره فضة فوزناه فكان وزنه درهماً أو بعض

درهم خرّجه الترمذي .



(و عن أسماء) بنت عميس قالت عرق النبي ﷺ عن الحسن يوم سابعه بكبشين أملحين و أعطى القابلة الفخذ و حلق رأسه و تصدق بزنة الشعر ثم طلى رأسه بيده المباركة بالخلوق .

و أرضعته أم الفضل امرأة العباس بن عبد المطلب بلبن ابنها قثم ، فعن قابوس أن أم الفضل قالت : يارسول الله رأيت كأنّ عضواً من أعضائك في بيتي .

فقال خيراً رأيتيه تلد فاطمة غلاماً فترضعيه بلبن قثم ، فولدت فاطمة الحسن ، فأرضعته بلبن قثم ، خرّجه الدولابي و البغوي في معجمه .

و في الصفوة عن علي قال : الحسن أشبه الناس بالنبي ﷺ ما بين الصدر إلى الرأس و الحسين أشبه الناس بالنبي ﷺ ما كان أسفل من ذلك .

(عن أبي هريرة) قال : لا أزال أحبّ هذا الرجل ، يعني الحسن بن علي بعد ما رأيت رسول الله ﷺ يصنع به ما يصنع ، قال رأيت الحسن في حجر النبي ﷺ و هو يدخل أصابعه في لحية النبي ﷺ و النبي ﷺ يدخل لسانه في فيه ثم يقول : اللهم إني أحبّه ، كذا في ذخائر العقبي^١ .

﴿ صفة الحسن عليه السلام ﴾

كان أبيض مشرباً بحمرة ، أدعج العينين ، سهل الخدين كث اللحية ، ذا وفرة كأنّ عنقه إبريق فضة ، عظيم الكراديس ، بعيد ما بين المنكبين ، ربعة ، ليس يتحوّل ولا بالقصير ، من أحسن الناس وجهاً و كان يخضب بالسواد ، و كان جعد

الشعر حسن البدن ، ذكره الدولابي وغيره .

(عن محمد بن علي) قال الحسن عليه السلام إني لأستحي من ربّي عز وجل أن ألقاه ولم أمش إلى بيته ، فمشى عشرين مرةً من المدينة على رجله .

(و عن علي بن زيد) قال : حجّ الحسن خمس عشرة حجة ماشياً وإن النجائب لتقاد معه .

(و في حياة الحيوان) انه قاسم الله عزّ وجلّ ماله ثلاث مرات حتى إنه ليعطي نعلا و يُمسك أخرى (و كنيته) أبو محمد ؛ و أمّا ألقابه فكثيرة و هي التقى و الزكي و السيد و السبط و الولي و أكثرها شهرة التقى و أعلاها رتبة مألّقه به رسول الله صلى الله عليه وآله وسأله كما في الحديث الصحيح « إنّ ابني هذا سيد » .

(روى البخاري) في صحيحه عن عقبة بن الحرث قال صلى أبو بكر العصر ، ثم خرج يمشي و معه علي فرأى الحسن يلعب مع الصبيان فحملة أبو بكر على عاتقه و قال : بأبي شبيه بالنبي صلى الله عليه وآله وسأله . ليس شبيهاً بعلي . قال و علي يبتسم .

﴿ الأحاديث في فضله عليه السلام ﴾

قال الشينليّ :

و قد ورد في فضله أحاديث كثيرة ، فمن ذلك ما رواه البخاري و مسلم مرفوعاً إلى البراء قال : « رأيت النبي صلى الله عليه وآله وسأله و الحسن بن علي على عاتقه و هو يقول اللهم إني أحبّه فأحبه »

(و روى الترمذي) مرفوعاً إلى ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال كان رسول الله ﷺ حامل الحسن بن علي عليه السلام فقال رجل : نعم المركب ركبت يا غلام !

فقال النبي ﷺ : و نعم الراكب هو .

(و روي عن الحافظ أبي نعيم) فيما أورده في حديثه عن أبي بكر قال كان رسول الله ﷺ يصلي بنا فيجيء الحسن عليه السلام و هو ساجد و هو إذ ذاك صغير فيجلس على ظهره و مرة على رقبته فيرفعه النبي ﷺ رفعاً رفيقاً فلما فرغ من الصلاة قالوا : يا رسول الله ﷺ إنا رأيناك تصنع بهذا الصبي شيئاً ما رأيناك تصنعه بأحد ؟

فقال : إن هذا ريحانتي و إن ابني هذا سيد و عسى الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين .

(و روى الترمذي) عن أبي سعيد رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « الحسن و الحسين سيدا شباب أهل الجنة » .

[تنبيه] سئل الشيخ الزاهد محيي الدين النواوي عن قوله ﷺ « الحسن و الحسين سيدا شباب أهل الجنة » ما معناه ؟ فأجاب بجواب منه معنى الحديث أن الحسن و الحسين و إن ماتا شيخين فهما سيدا كل من مات شاباً و دخل الجنة و كل أهل الجنة يكونون في سن أبناء ثلاث و ثلاثين و لا يلزم كون السيد في سن من يسودهم كذا في تلمة المختصر^١ .

(أقول) و روى ابن حجر المكي عن ابن عساكر و ابن ماجة و الحاكم و

الطبراني أن النبي ﷺ قال: ابناي هذان الحسن والحسين سيذا شباب أهل الجنة وأبوهما خيرٌ منهما^١.

وروى الشبلنجي:

(عن ابن عمر) قال سمعت رسول الله ﷺ يقول هما ريحانتاي من الجنة. (وروي) أنه ﷺ مرّ بالحسن والحسين وهما يلعبان فطأطأ لهما عنقه وحملهما وقال نعم المطية مطيتهما ونعم الراكبان هما.

[فائدة] [حكايَتان : الأولى] كان الحسن عليه السلام يجلس في مسجد رسول الله ﷺ و يجتمع الناس حوله فجاء رجل فوجد شخصاً يحدث عن رسول الله ﷺ والناس حوله مجتمعون فجاء إليه الرجل فقال : أخبرني عن (شاهد و مشهود) فقال : نعم أما الشاهد فيوم الجمعة و أما المشهود فيوم عرفة .

فتجاوزه إلى آخر يحدث في المسجد فسأله عن (شاهد و مشهود) كذلك ، فقال : أما الشاهد فيوم الجمعة و أما المشهود فيوم النحر .

ثم تجاوزهما إلى ثالث فسأله عن (شاهد و مشهود) أيضاً فقال : الشاهد رسول الله ﷺ و المشهود يوم القيامة أما سمعته عزّ و جلّ يقول : ﴿ يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً و مبشراً و نذيراً ﴾^٢ و قال تعالى ﴿ ذلك يوم مجموع له الناس و ذلك يوم مشهود ﴾^٣.

فسأل عن الأول ، فقالوا: ابن عباس رضيهما الله عن الثاني فقالوا: ابن عمر ،

١ - الصواعق المحرقة ص ١١٤ .

٢ - الأحزاب ٣٣ : ٤٦ .

٣ - هود ١١ : ١٠٣ .

و سأل عن الثالث ، فقالوا : الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام رواها الإمام أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي في تفسير الوسيط .

[الثانية] اغتسل الحسن عليه السلام و خرج من داره في بعض الأيام و عليه حلّة فاخرة و وفرة ظاهرة ، و محاسن سافرة ، فعرض له في طريقه شخصٌ من محايج اليهود و عليه حلّة مسح من جلود قد أنهكته العلة ، و ركبتة القلة و الذلة ، و شمس الظهيرة قد شوت شواه ، و هو حامل جرة ماء على قفاه ، فاستوقف الحسن عليه السلام و قال : يا ابن رسول الله سؤال ، قال : ماهو ؟ قال جدك يقول « الدنيا سجن للمؤمن و جنة للكافر » و أنت مؤمن و أنا كافر فما أرى الدنيا إلا جنةً لك تتنعم بها ، و ما أراها إلا سجنًا عليّ قد أهلكني ضرّها و أجهدني فقرها .

فلما سمع الحسن كلامه قال له : يا هذا لو نظرت إلى ما أعد الله لي في الآخرة لعلمت أنني في هذه الحالة بالنسبة إلى تلك في سجن ، و لو نظرت إلى ما أعد الله لك في الآخرة من العذاب الأليم لرأيت أنك الآن في جنة واسعة انتهى من الفصول المهمة .

[فائدة] روي عن علي عليه السلام : أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يعوذ الحسن و الحسين بهؤلاء الكلمات : أعيدكما بكلمات الله التامة من كل شيطان و هامة و من كل عين لامة^١ .

ثم قال الشبلنجي :

﴿ فصل : في ذكر طرف من أخباره و مصالحته معاوية و ما يتصل بذلك ﴾

قال أصحاب السير : لما استشهد علي عليه السلام عمد أهل العراق إلى ابنه الحسن فبايعوه ثم أشاروا عليه بالمسير ليأخذ الشام من معاوية ، و سار معاوية بجيش الشام لقصده فلما تقارب الجيشان و ترآء الجمعان بموضع يقال له مسكن بناحية الأنبار من أرض السواد علم الحسن أنه لم تغلب إحدى الفئتين حتى يذهب أكثر الأخرى فرأى أن المصلحة في جمع الكلمة و ترك القتال فكتب إلى معاوية يراسله و يخبره بأنه يصير الأمر إليه و ينزل عنه علي أن يشترط عليه أن لا يطالب أحداً من أهل المدينة و الحجاز و العراق بشيء مما كان في أيام أبيه و أن يكون ولي العهد من بعده ، و أن يمكنه من بيت المال ليأخذ حاجته منه .

ففرح معاوية و أجاب إلى ذلك فاصطلحا على ذلك ، فكتب الحسن عليه السلام كل ما اشترط عليه من الأمور المذكورة و اشترط أن يكون له الأمر بعده ، فالتزم ذلك كله معاوية ، فخلع الحسن عليه السلام نفسه^١ و سلم الأمر إلى معاوية تورعاً و قطعاً للشر .

فلما اصطلحا دخل معاوية الكوفة و ارتحل الحسن إلى المدينة و أقام بها .
(وكان) نزوله عنها سنة إحدى و أربعين في ربيع الأول و قيل في جمادي الأولى و قيل غير ذلك و ذلك مصداق قوله صلى الله عليه وآله في حق الحسن : « إنَّ ابني هذا سيد و سيصلح الله به بين فئتين عظيمتين^٢ من المسلمين » رواه البخاري .

١ - لا يخفى على المتأمل أن هذا الخلع كان بالنسبة إلى الخلافة الظاهرية و الحكومية ، لا الخلافة الإلهية الحقيقية و الإمامة الواقعية ، و لتفصيلها مقام آخر يظهر من مطاوي هذا الكتاب . فراجع .

٢ - الظاهر أن لفظ « عظيمتين » إضافة من الراوي لأنه ليس في رواية أبي نعيم عن أبي بكر السابقة و كيف تكون فئة معاوية عظيمة على لسان رسول الله صلى الله عليه وآله بعد ما لقبها « الفئة الباغية » في حديثه



و لكونه نزل عنها ابتغاء وجه الله عوّضه الله و أهل بيته عنها بالخلافة الباطنة حتى ذهب قوم إلى أن قطب الأولياء في كل زمان لا يكون إلا من أهل البيت .
 [موعظة] من مواعظ الحسن عليه السلام كان يقول : يا ابن آدم ! عَفَّ عن محارم الله تكن عابداً ، و ارض بما قسم الله لك تكن غنياً ؛ و أحسن جوار من جاورك تكن مسلماً ، و صاحب الناس بمثل ما تحب أن يصاحبوك بمثله تكن عادلاً ، إنه كان بين أيديكم قوم يجمعون كثيراً و يننون مشيداً ، و يأملون بعيداً ، أصبح جمعهم بوراً ، و عملهم غروراً و مساكنهم قبوراً .

يا ابن آدم ! إنك لم تزل في هدم عمرك ، مذ سقطت من بطن أمك ، فجد بما في يدك لما بين يديك فإنّ المؤمن يتزوّد ، و الكافر يتمتّع .
 و كان يتلو هذه الآية بعدها ﴿ و تزوّدوا فإن خير الزاد التقوى ﴾ كذا في 'فصول المهمة' ٢ .

﴿ فصل : في ذكر نبذة من كلامه عليه السلام ﴾

قال الشبلنجي :

نقل الحافظ أبو نعيم في حليته بسنده أنّ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام سأل ابنه الحسن عليه السلام فقال : يا بني ما السّداد ؟

مصدر : يا عمار تقتلك الفئة الباغية . (راجع الاستيعاب ج ٢ ص ٤٣٦) .

٦ - سورة البقرة ٢ : ١٩٧

٣ - نور الأبصار ص ١٣٤ .

- فقال : يا أبت السّداد دفع المنكر بالمعروف .
- قال : فما الشرف ؟ قال : اصطناع العشيرة و الاحتمال للجريرة .
- قال : فما السماح ؟ قال : البذل في العسر و اليسر .
- قال : فما اللؤم ؟ قال : إحراز المرء ماله و بذله عرضه .
- قال : فما الجبن ؟ قال : الجراءة على الصديق و النكول عن العدو .
- قال : فما الغنى ؟ قال : رضا النفس بما قسم الله لها و إن قلّ .
- قال : فما الحلم ؟ قال : كظم الغيظ و ملك النفس .
- قال : فما المنعة ؟ قال : شدة البأس و منازعة أعزّ الناس .
- قال : فما الذلّ ؟ قال : الفزع عند الصدمة .
- قال : فما الكلفة ؟ قال : كلامك فيما لا يعينك .
- قال : فما المجد ؟ قال : أن تعطي في الغرم و تعفو في الجرم .
- قال : فما السؤدد ؟ قال : اتيان الجميل و ترك القبيح .
- قال : فما السفه ؟ قال : اتباع الدناءة و صحبة الغواة .
- قال : فما الغفلة ؟ قال : ترك المسجد و طاعة المفسد^١ .

و من كلامه عليه السلام : لا أدب لمن لا عقل له ، و لا مودة لمن لا همّة له ، و لا حياء لمن لا دين له ، و رأس العقل معاشرّة الناس بالجميل ، و بالعقل تدرك الداران جميعاً ، و من حرم العقل حرمهما جميعاً .

و قال عليه السلام : هلاك الناس في ثلاث : في الكبر و الحرص و الحسد ، فالكبر

هلاك الدين و به لعن إبليس ، و الحرص عدو النفس و به أخرج آدم من الجنة ، و الحسد رائد السوء و منه قتل قابيل هايل .

و قال عليه السلام : دخلت على علي بن أبي طالب عليه السلام و هو يجود بنفسه لما ضربه ابن ملجم ، فجزعت لذلك فقال لي أتجزع ؟ فقلت و كيف لا أجزع و أنا أراك على هذه الحالة !

فقال : يا بني احفظ عني خصلاً أربعاً إن أنت حفظتهن نلت بهن النجاة ، يا بني ! لا غنى أكثر من العقل ، و لا فقر مثل الجهل ، و لا وحشة أشد من العجب ، و لا عيش ألد من حسن الخلق ؛ و اعلم أن مروءة القناعة و الرضا أكبر من مروءة الإعطاء ، و تمام الصنعة خير من ابتدائها .

و قال عليه السلام : حسن السؤال نصف العلم .

و قال : من بدأ الكلام قبل السلام فلا تجيبوه .

و سئل عن الصمت فقال : هو ستر العي و زين العرض و فاعله في راحة و جليسه في أمن .

(و قيل) له إن أبا ذر يقول : الفقر أحب إلي من الغنى ، و السقم أحب إلي من الصحة .

فقال : رحم الله أبا ذر أما أنا فأقول : من اتكل على حسن اختيار الله لم يتمن غير الحالة التي اختارها الله له .

(و كان) يقول لبنيه و بني أخيه تعلموا العلم فإن لم تستطيعوا حفظه فاكتبوه و وضعوه في بيوتكم^١ .

﴿ من كلامه عليه السلام المنظوم ﴾

ذكره العلامة عبدالقادر الطبري المالكي في شرح الدرّية :

اغن عن المخلوق بالخالق	تغن عن الكاذب و الصادق
و استرزق الرحمان من فضله	ليس غير الله بالرازق
من ظنّ أنّ الناس يغنونه	فليس بالرحمان بالوائق
من ظنّ أنّ الرزق من كسبه	زلّت به النعلان من حالق ^١

﴿ كرمه عليه السلام ﴾

قال الشبلنجي : فمن كرمه ما نقل عنه أنه سمع رجلاً يسأل ربه أن يرزقه عشرة آلاف درهم فانصرف الحسن إلى منزله و بعث بها إليه .
 و منه أنّ رجلاً سأله و شكّا إليه حاله ، فدعا الحسن و كيّله و جعل يحاسبه على نفقاته و مقبوضاته حتى استقصاها ، فقال له هات الفاضل ، فأحضر خمسين ألف درهم ، ثم قال ما فعلت بالخمسمائة دينار التي معك ؟ قال : عندي قال : فأحضرها ، فلما أحضرها دفع الدراهم و الدنانير إلى الرجل و اعتذر منه .
 (و منه) ما رواه أبو الحسن المدائني قال : خرج الحسن و الحسين و عبدالله بن جعفر رضي الله عنهم حجّاجاً فلما كانوا ببعض الطريق جاعوا و عطشوا و قد فاتتهم

أثقالهم فنظروا إلى خباء فقصدوه فإذا فيه عجوز فقالوا هل من شراب؟ فقالت نعم، فأناخوا بها وليس عندها إلا شويهة، فقالت احلبوها واشربوا لبنها، ففعلوا ذلك. فقالوا: هل من طعام؟ قالت: هذه الشويهة ما عندي غيرها فأنا أقسم عليكم بالله إلا ما ذبحها أحدكم حتى أهيبء لكم الحطب فاشووها وكلوا.

ففعلوا ذلك وأقاموا عندها حتى أبردوا فلما ارتحلوا من عندها قالوا لها يا هذه نحن نفر من قريش نريد هذا الوجه فإذا رجعنا سالمين فألمى بنا فإنا صانعون بك خيراً إن شاء الله تعالى ثم ارتحلوا.

و أقبل زوجها فأخبرته الخبر فغضب وقال ويحك تذبحين شاتنا لقوم لا نعرفهم ثم تقولين نفر من قريش.

ثم بعد دهر طويل أصابت المرأة و زوجها السنة فاضطرتهم الحاجة إلى دخول المدينة فدخلاها يلتقطان البعر فمّرت العجوز في بعض سكك المدينة ومعها مكتلتها تلتقط فيه البعر والحسن عليه السلام جالس على باب داره فنظر إليها، فعرفها فنادها، وقال لها يا أمة الله هل تعرفيني؟

فقالت: لا، فقال: أنا أحد ضيوفك يوم كذا سنة كذا في المنزل الفلاني.

فقالت: بأبي أنت و أمي لست أعرفك.

قال: فإن لم تعرفيني فأنا أعرفك فأمر غلامه فاشترى لها من غنم الصدقة ألف شاة و أعطها ألف دينار.

و بعث بها مع غلامه إلى أخيه الحسين عليه السلام فلما دخل بها الغلام على الحسين عليه السلام عرفها وقال بكم وصلها أخي الحسن؟ فأخبره بذلك فأمر لها بمثل ذلك.

ثم بعث بها مع الغلام إلى عبدالله بن جعفر رضي الله عنهما فلما دخلت عليه عرفها و أخبره الغلام بما فعل معها الحسن و الحسين عليه السلام فقال و الله لو بدأت بي



لأتعبتهما و أمرلها بألفي شاة و ألفي دينار فرجعت و هي من أغنى الناس .

و عن الحسن بن سعد عن أبيه قال متّع الحسن عليه السلام امرأتين من نسائه بعد طلاقهما بعشرين ألفاً و زقّين من عسل فقالت إحداهما و أراها الحنفية : متاعٌ قليل من حبيب مفارق ، انتهى من الفصول المهمة^١ .

[تنبيهان : الأول] قيل للحسن عليه السلام لأبي شيء نراك لا تردّ سائلاً و إن كنت على فاقة ؟ فقال : إنّي لله سائل و فيه راغب و أنا أستحي أن أكون سائلاً و أردّ سائلاً ، و أن الله تعالى عودني عادة عودني أن يفيض نعمه عليّ ، و عودته أن أفيض نعمه على الناس فأخشى إن قطعت العادة أن يمنعني العادة و أنشاء يقول :

إذا ما أتاني سائلٌ قلت مرحباً بمن فضله فرض عليّ معجل

و من فضله فضل عليّ كل فاضل و أفضل أيام الفتى حين يُسأل

(الثاني) كان يوماً جالساً فأتاه رجلٌ و سأله أن يعطيه شيئاً من الصدقة و لم يكن عنده ما يسدّ به رمقه ، فاستحيا أن يرده فقال : ألا أدلك على شيء يحصل لك منه البر ؟ فقال ماذا تدلني عليه ؟

فقال : اذهب إلى الخليفة فإن ابنته توقّيت و انقطع عليها و ما سمع من أحد تعزية ، فعزّه بهذه التعزية يحصل لك بها الخير .

فقال : حفّظني إياها ، قال : قل له : الحمد لله الذي سترها بجلوسك على قبرها ، و لا هتكها بجلوسها على قبرك .

فذهب إلى الخليفة و عزّاه بهذه التعزية ، فسمعها فذهب عنه الحزن ، فأمر له بجائزة و قال : بالله عليك أكلامك هذا ؟ قال : لا ، بل كلام فلان ، قال : صدقت فانه

معدن الكلام الفصيح و أمر له بجائزة أخرى كذا في الكنز المدفون .

﴿فائدة﴾ كان عطاؤه عليه السلام مائة ألف فحبسها عنه معاوية في بعض السنين فحصل له ضيق شديد ، قال الحسن عليه السلام فدعوت بدواة لأكتب إلى معاوية لأذكره نفسي ثم أمسكت فرأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في المنام ، فقال : كيف أنت يا حسن ؟ فقلت بخير يا أبت و شكوت اليه تأخر المال عني قال : أدعوت بدواة لتكتب الي مخلوق مثلك تذكره ؟ فقلت نعم يا رسول الله فكيف أصنع ؟ قال قل :

اللَّهُمَّ اقْدِفْ فِي قَلْبِي رَجَاءَكَ وَ اقْطَعْ رَجَائِي عَمَّنْ سِوَاكَ حَتَّى لَا أَرْجُو أَحَدًا غَيْرَكَ ، اللَّهُمَّ مَا ضَعُفَتْ عَنْهُ قُوَّتِي وَ قَصُرَ عَنْهُ عَمَلِي وَ لَمْ تَنْتَه إِلَيْهِ رَغْبَتِي وَ لَمْ تَبْلُغْهُ مَسْئَلَتِي وَ لَمْ يَجْرِ عَلَيَّ لِسَانِي مِمَّا أُعْطِيتَ أَحَدًا مِنَ الْأَوَّلِينَ وَ الْآخِرِينَ مِنَ الْيَقِينِ فَخُصَّنِي بِهِ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ .

قال فو الله ما ألححت به أسبوعاً حتى بعث الي معاوية بألف ألف و خمسمائة ألف فقلت الحمد لله الذي لا ينسى من ذكره ، و لا يخيب من دعاه ، فرأيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال يا حسن كيف أنت ؟ فقلت بخير يا رسول الله و حدثته بحديثي ، فقال يا بني هكذا من رجا الخالق و لم يرج المخلوق ، أوردتها الأجهوري في مشارق الأنوار^١ .

﴿ شهادته عليه السلام ﴾

قال السبلنجي :

قال أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي في كتابه اعلام الورى : بعد أن تمّ الصلح بين الحسن و معاوية و خرج الحسن إلى المدينة أقام بها عشر سنين و سقته زوجته جعدة بنت الأشعث بن قيس الكندي السمّ ، فبقي مريضاً أربعين يوماً ، و كان قد سألها يزيد في ذلك و بذل لها مائة ألف درهم و أن يتزوجها بعد الحسن ففعلت .

و لما مات الحسن بعثت إلى يزيد تسأله الوفاء بما وعدّها ، فقال إنا لن نرضاك للحسن أفرضاك لأنفسنا .

قال الحافظ أبو نعيم في حليته : لما اشتدّ الأمر بالحسن قال أخرجوا فراشي إلى صحن الدار لعلّي أتفكر في ملكوت السموات يعني الآيات ، فلما خرجوا به قال : اللهم اني أحسب نفسي عندك فانها أعز الأنفس عليّ .

و عن عمرو بن إسحق قال دخلت على الحسن أنا و رجل نعوده ، فقال : يا فلان سلني ، فقال له و الله لا أسالك حتى يعافيك الله و أسألك ، قال لقد ألقيت طائفة من كبدي و أنّي سقيت السمّ مراراً فلم أسقه مثل هذه المرّة .

ثم دخلت عليه من الغد فوجدت أخاه الحسين عليه السلام عند رأسه فقال له الحسين من تتهم يا أخي ؟

قال : ليمّ ، لأن تقتله ؟ قال : نعم ، قال : إن يكن الذي أظنه فالله أشدّ بأساً و أشدّ تنكياً و ان لم يكن هو فما أحبّ أن يقتل بي برىء .

(و روي) أنه لما حضرته الوفاة قال لأخيه الحسين : يا أخي قد حضرت وفاتي و حان فراقي لك و اني لاحق برّتي ، و أجد كبدي تقطّع ، و أنّي لعارف من أين ذهبت و أنا أخاصمه إلى الله تعالى .

ثم توفّي لخمس خلون من شهر ربيع الأول سنة خمسين ، و قيل تسع و



أربعين وقيل غير ذلك من الهجرة و صلى عليه سعيد بن العاص^١ فانه كان والياً يومئذ بالمدينة من جهة معاوية ، و دُفن بالبقيع عند جدته فاطمة بنت أسد و كان عمره اذ ذاك سبعاً و أربعين سنة و كانت مدة خلافته منها ستة أشهر و خمسة أيام^٢.

﴿ أولاده عليّاً ﴾

فقال ابن الخشاب أحد عشر ابناً و بنت واحدة و هم : عبدالله ، و القاسم ، و الحسن ، و زيد ، و عمر ، و عبدالله ، و عبد الرحمان ، و أحمد ، و اسماعيل و الحسين ، و عقيل ، و البنت اسمها فاطمة ، و كنيته أم الحسن ، و هي أم محمد الباقر بن علي عليّاً .

(و قال) الشيخ أبو عبدالله محمد بن النعمان في الإرشاد : أولاد الحسن بن علي عليّاً خمسة عشر ولداً ما بين ذكر و أنثى ، و هم : زيد ، و أختاه أم الحسن و أم الحسين أمهم أم بشر بنت أبي مسعود عقبة بن عمرو بن ثعلبة الخزرجية ، و الحسن و أمه خولة بنت منصور الفزارية ، و عمر ، و أخوه القاسم ، و عبدالله أمهم أم ولد و استشهدوا ثلاثتهم بين يدي عمهم الحسين بن علي بطف كربلاء ، و عبدالرحمان أمه أم ولد ، و الحسين الملقب بالأشرم ، و أخوه طلحة ، و أختها فاطمة أمهم أم اسحاق بنت طلحة بن عبدالله ، و أم عبدالله ، و فاطمة ، و أم سلمة ، و رقية بنات الحسن لأمهات أولاد شتى . قال الشيخ كمال الدين بن طلحة لم يكن لأحد من

١ - الصحيح انه صلى عليه الامام الحسين عليّاً لأن الامام لا يصلي عليه الا الامام .

٢ - نور الأبصار ص ١٣٦

أولاد الحسن عقب غير اثنين و هما الحسن و زيد^١ .

﴿ ٣ ﴾

﴿ الامام الثالث الحسين بن علي عليه السلام ﴾

و هو الامام أبو عبدالله الحسين السبط ابن علي بن أبي طالب سيد الشهداء عليه السلام ، قال الشبلنجي :

﴿ فصل : في ذكر مناقب سيدنا الحسين السبط ابن الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام ابن فاطمة بنت رسول الله ﷺ ﴾ .

﴿ مولد الامام الحسين عليه السلام ﴾

(ولد) الحسين عليه السلام بالمدينة لخمس خلون من شعبان سنة أربع من الهجرة ، وكانت أمه علقت به بعد أن ولدت أخاه الحسن عليه السلام بخمسين ليلة ، و هكذا صح النقل في ذلك .

(و حنكه) ﷺ بريقه و أذن في أذنه و دعا له ، و سماه حسيناً يوم السابع و عرق عنه بكبش ، و قال لأمه احلقي رأسه و تصدقي بزنة شعره فضة كما فعلت بأخيه الحسن .

(وكنيته) أبو عبدالله لاغير .

(وألقابه) الرشيد، والطيب، والزكي، والوفى، والسيد، والمبارك، والتابع لمرضاة الله، والسبط؛ وأشهرها الزكي؛ وأعلىها رتبة مالقبة ﷺ في قوله عنه و عن أخيه: إنهما سيذا شباب أهل الجنة، وكذلك السبط فإنه صح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «حسين سبط من الأسباط».

(وكان) الحسين عليه السلام أشبه الخلق بالنبي ﷺ من سرته إلى كعبه .

(ومعاصره) يزيد بن معاوية وعبيدالله بن زياد .

(ومروياته) من الأحاديث ثمانية .

[وهذه نبذة من الأحاديث الواردة في حقه] .

(١) أخرج الحاكم و صححه عن يعلي العامري أن النبي ﷺ قال : «حسين مني و أنا من حسين اللهم أحب من أحب حسيناً ، حسين سبط من الأسباط» .

(٢) وروى ابن حبان و ابن سعد و أبو يعلي و ابن عساكر عن جابر بن عبدالله قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : «من سره أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة - و في لفظ - إلى سيد شباب أهل الجنة فلينظر إلى الحسين بن علي» .

(٣) وروى أبو الحسن بن الضحاک عن أبي هريرة قال : «رأيت رسول الله ﷺ يمتص لعاب الحسين كما يمتص الرجل التمرة» .

(٤) وروى عن جعفر الصادق بن محمد عليه السلام قال : «اصطرع الحسن و حسين بين يدي رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ [إيه] حسن ، فقالت : قاطمة يارسول الله تستنهض الكبير على الصغير؟ فقال ﷺ هذا جبريل يقول [إيه] حسين خذ الحسن» .

(٥) و عن زيد بن أبي زيادة قال : « خرج رسول الله ﷺ من بيت عائشة فمرّ على بيت فاطمة فسمع حسيناً يبكي ، فقال ألم تعلمي أنّ بكاءه يؤذيني .»

(٦) و عن البراء بن عازب قال : « رأيت رسول الله ﷺ حامل الحسين بن علي عليه السلام على عاتقه و هو يقول : اللهم إني أحبّه فأحبّه .»

(٧) و روى البخاري و الترمذي يرفعه إلى ابن عمر أنه سأله رجل عن دم البعوضة فقال له : ممن أنت ؟ فقال : رجل من أهل العراق ، فقال : انظروا إلى هذا يسألني عن دم البعوضة و قد قتلوا ابن رسول الله ﷺ ، و سمعت النبي ﷺ يقول هما ريحائتي من الدنيا.

(٨) و روت أم الفضل بن العباس رضي الله عنهم قالت : « دخلت على رسول الله ﷺ فقلت يارسول الله رأيت البارحة حلماً منكراً قال و ما هو ؟ قلت رأيت كأنّ قطعة من جسدك قطعت فوضعت في حجري ، فقال رسول الله ﷺ : خيراً رأيت تلد فاطمة غلاماً يكون في حجرك ، فولدت فاطمة الحسين ، قالت فكان في حجري كما قال رسول الله ﷺ فدخلت به عليه فوضعت في حجره ثم حانت به مني التفاتة . فإذا عينا رسول الله ﷺ تدمعان ، فقلت : بأبي و أمي يارسول الله ما يبكيك ؟ قال : جاء جبريل عليه السلام فأخبرني أنّ أمتي ستقتل ابني هذا و أتاني بترية من تربة حمراء .»

(٩) و روى البغوي بسنده يرفعه إلى أم سلمة أنها قالت : « كان جبريل عليه السلام عند النبي ﷺ و الحسين معي فغفلت عنه فذهب الى النبي ﷺ فأخذه النبي ﷺ و جعله على فخذه ، فقال له جبريل : أتحتبه يا محمد ؟ قال : نعم ، قال : إن أمتك ستقتله و إن شئت لأريتك تربة الأرض التي يقتل بها ثم بسط جناحه إلى



الأرض و أراه أرضاً يقال لها كربلاء تربة حمراء بطف العراق».

(١٠) و روى الحافظ عبد العزيز الجنازدي في كتابه معالم العترة الطاهرة مرفوعاً إلى الأصبع بن نباته عن علي بن أبي طالب عليه السلام قال : أتينا مع علي عليه السلام في سفرة فمررنا بأرض كربلاء فقال علي عليه السلام ههنا مناخ ركابهم و موضع رحالهم و مهراق دمائهم ، فثمة من أمة محمد صلى الله عليه وآله يقتلون في هذه العرصة تبكي^١ عليهم السماء و الأرض»^٢.

﴿ فصل : في خروجه إلى العراق و استشهاده عليه السلام ﴾

قال أبو عمرو : لما مات معاوية في غرة رجب سنة ستين و أفضت الخلافة إلى يزيد و وردت بيعته على وليد بن عتبة بالمدينة ليأخذ البيعة على أهلها أرسل إلى الحسين بن علي و الي عبدالله بن الزبير ليلاً و أتى بهما فقال : بايعا ، فقالا : مثلنا لا يبايع سراً فرجعا الى بيوتهما و خرجا من ليلتهما إلى مكة و ذلك ليلة الأحد لليلتين بقيتا من رجب فأقام الحسين بمكة شعبان و رمضان و شوالاً و ذا القعدة و خرج يوم التروية يريد الكوفة نقله ابن عبد البر^٣.

١ - قد ذكرنا سابقاً بكاء السماوات و الأرض عليه فراجع أحوال يزيد بن معاوية في هذا الكتاب .

٢ - نور الأبصار ص ١٣٨ - ١٤٠ .

٣ - نور الأبصار ص ١٤٠ .

﴿ شهادة مسلم بن عقيل ﴾

قال الشبلنجي^١: (و في الفصول المهمة) لما بلغ أهل الكوفة موت معاوية و امتناع الحسين و ابن عمر و ابن الزبير من البيعة و أنّ الحسين عليه السلام سار إلى مكة و نزل بها اجتمعت الشيعة في منزل سليمان بن صرد بالكوفة و تذاكروا أمر الحسين عليه السلام و سيره إلى مكة ، و قالوا نكتب له كتاباً يأتينا الكوفة ، فكتبوا له كتاباً و أرسلوه مع القاصدين ، و صورته :

« بسم الله الرحمن الرحيم - الى الحسين بن علي أمير المؤمنين من شيعة و شيعة أبيه عليه السلام ، أما بعد فإنّ الناس منتظرون لا رأى لهم في غيرك فالعجل العجل يا ابن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم لعل الله أن يجمعنا بك على الحق و يؤيد الإسلام بك بعد أجزل السلام و أتمه عليك و رحمة الله و بركاته»

فكتب اليهم الحسين عليه السلام :

« أما بعد فقد وصلني كتابكم و فهمت ما اقتضته آراؤكم و قد بعثت إليكم أخي و ثقتي و ابن عمي مسلم بن عقيل و سأقدم عليكم اثره إن شاء الله تعالى . »

و أرسل مسلم بن عقيل اليهم صحبة قاصديهم ، فلما وصل اليهم مسلم و دخل الكوفة اجتمعت عليه الشيعة و أخذ عليهم البيعة للحسين عليه السلام فبلغ ذلك و الي الكوفة يومئذ و هو النعمان بن بشير فكتب فيه إلى يزيد بن معاوية ، فجهز يزيد على الفور

١ - و قد مضى سابقاً معنى الشيعة في مثل هذه الموارد من أنهم لم يكونوا من الشيعة المخلصين لعلي أمير المؤمنين عليه السلام و لا متبرئين من مخالفه كالشيعة في زماننا هذا ، بل أنهم كانوا شيعة علي في قبال شيعة معاوية فكانوا منحرفين عن معاوية و أكثرهم موافقين للخلفاء الثلاثة .

عبيدالله بن زياد إلى الكوفة ، و لما قرب منها عبيدالله بن زياد تنكر و دخلها ليلاً و أوهم أنه الحسين ، و دخلها من جهة البادية في زي أهل الحجاز ، فصار كلما اجتاز بجماعة قاموا له و هم يظنون أنه الحسين ، و يقولون : مرحباً بابن رسول الله ﷺ قدمت خير مقدم و هو يكلمهم و لما رأى تباشرهم بالحسين ساءه ذلك و انكشفت له أحوالهم .

ثم انه قصد قصر الامارة يريد الدخول فيه فوجد النعمان بن بشير و أصحابه أغلقوه عليهم ، و ذلك لظنّ النعمان بن بشير أن ابن زياد هو الحسين ، فصاح عليهم عبيدالله بن زياد افتحوا لبارك الله فيكم ، و لاكثر من أمثالكم ، فعرفوا صوته و قالوا ابن مرجانة ، فنزلوا و فتحوا له فدخل القصر و بات فيه .

و لما أصبح جمع الناس فصال و جال و قال و أطال و قتل جماعة من أهل الكوفة و تحيل بعد ذلك حتى ظفر بمسلم بن عقيل فقبض عليه و قتله و لم يقم الحسين عليه السلام بعد مسير ابن عمه مسلم بمكة الا قليلاً حتى تجهز للمسير في أثره فخرج و معه جميع أهله و ولده و خاصته و حاشيته و من يليه .^١
(و ساق الشبلنجي الكلام الى أن ذكر نزول الحسين عليه السلام بكربلاء فقال).

﴿ نزول الحسين عليه السلام بأرض كربلاء ﴾

فنزل الحسين و حطّ بتلك الأرض التي أصبح بها و سأل عنها فقيل له هذه

كربلاء وكان ذلك يوم الأربعاء الثامن^١ من المحرم سنة إحدى وستين فقال عليه السلام: « هذه كربلاء موضع كرب و بلاء ، هذا مناخ ركابنا ، و محط رحالنا ، و مقتل رجالنا » و كتب الحرّ إلى زياد يخبره بنزول الحسين بأرض كربلاء ، فكتب عبیدالله بن زياد إلى الحسين كتاباً يقول فيه : « أمّا بعد فإنّ يزيد بن معاوية كتب إليّ أن لا تغمض جفحك من المنام ، و لا تشبع بطنك من الطعام إما أن يرجع الحسين إلى حكمي أو تقتله و السلام »

فلما ورد الكتاب على الحسين و قرأه ألقاه من يده و قال للرسول ماله عندي جواب .

فلما رجع الرسول إلى ابن زياد و أخبره بذلك اشتدّ غضبه و جمع الجموع ، و جهّز إليه العساكر ، و جعل على مقدمتها عمر بن سعد و كان والياً بالرّي^٢ و أعمالها و استعفى من خروجه إلى قتال الحسين عليه السلام . و تقدّمه على العسكر ، فقال له ابن زياد : إمّا أن تخرج له أو تخرج من عملنا فخرج عمر بن سعد إلى الحسين عليه السلام .

و صار ابن زياد يمدّه بالجيوش شيئاً فشيئاً إلى أن اجتمع عند عمر بن سعد ألف مقاتل ما بين فارس و راجل و أول من خرج مع عمر بن سعد شمر بن ذي الجوشن في خيل كثيرة^٣ .

١ - الصحيح أنه عليه السلام نزل كربلاء في ثاني المحرم و لعل الثامن تصحيف الثاني .
 ٢ - لم يكن والياً بالرّي بل أطمعه ابن زياد بذلك كما سيأتي عن قريب .
 ٣ - نور الأبصار ص ١٤٣ .

﴿ منع الحسين عليه السلام و أطفاله عن الماء ﴾

ثم ساروا جميعاً حتى نزلوا بشاطئ الفرات فحالوا بين الحسين و بين الماء فعند ذلك ضاق الأمر على الحسين عليه السلام و على أصحابه و اشتد بهم العطش .
و كان مع الحسين رجل من أهل الزهد و الورع يقال له يزيد بن حصين الهمداني فقال للحسين انذن لي يا ابن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم في أن آتي عمر بن سعد مقدم هؤلاء فأكلّمه في الماء لعلّه أن يرتدع ، فأذن فجاء الهمداني إلى عمر بن سعد و كلمه في الماء فامتنع و لم يجبه إلى ذلك ، فقال له هذا ماء الفرات يشرب منه الكلاب و الدواب و تمنعه ابن بنت رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و أولاده و أهل بيته ، و العترة الطاهرة يموتون عطشاً و قد حلت بينهم و بين الماء و تزعم أنك تعرف الله و رسوله ؟

فأطرق عمر بن سعد ثم قال يا أبا همدان إني لأعلم ما تقول و أنشأ يقول :
دعاني عبيدالله من دون قومه إلي خصلة فيها خرجت لحيني
فو الله ما أدري و إنني لواقف على خطر لا أرتضيه و مين
أ آخذ ملك الري و الري بغيتي و أرجع مطلوباً بدم الحسين
و في قتله النار التي ليس دونها حجاب و ملك الري قرّة عيني
ثم قال يا أبا همدان ما أجد نفسي تجبيني إلى ترك ملك الري لغيري .
فرجع يزيد بن حصين الهمداني إلى الحسين و أخبره بمقالة ابن سعد .
فلما عرف الحسين ذلك منهم تيقن أنّ القوم مقاتلوه فأمر أصحابه فاحتفروا حفيرة شبيهة بالخندق و جعلوا جهة واحدة يكون القتال منها .



﴿ هداية الحر بن يزيد و التحاقه بالحسين عليه السلام ﴾

ثم إنَّ عسكر ابن زياد برزوا لمقاتلة الحسين عليه السلام و أصحابه [في يوم عاشوراء] و أحدقوا بهم من كل جانب و وضعوا السيوف في أصحاب الحسين و رموهم بالنبل و هم يقاتلونهم إلى أن قتل من أصحاب الحسين عليه السلام ما يزيد عن الخمسين ، فعند ذلك صاح الحسين عليه السلام أما من ذات يذب عن حرم رسول الله ﷺ و إذا بالحرّ بن يزيد الرياحي المتقدم ذكره الذي كان عيناً على الحسين من جهة ابن زياد قد خرج من عسكر عمر بن سعد راكباً على فرسه ، و قال : « أنا يا ابن رسول الله ﷺ كنت أول من خرج اليك عيناً و لم أظن أنّ الأمر يصل إلى هذا الحال و أنا الآن في حزبك و أنصارك أقاتل بين يديك حتى أقتل أرجو بذلك شفاعة جدك محمد رسول الله ﷺ »^١ .

فقاتل بين يديه حتى قُتل .

﴿ مقتل الحسين عليه السلام ﴾

فلما فنى أصحاب الحسين عليه السلام و قُتلوا جميعهم و بقي وحده حمل عليهم فقتل كثيراً من الرجال و الأبطال و رجع سالماً إلى موقفه عند الحريم .

ثم حمل عليهم حملةً أخرى و أراد الكثر راجعاً إلى موقفه فحال شمر بن ذي الجوشن بينه و بين الحريم في جماعة من أبطالهم و أحدقوا به ، ثم إنَّ جماعة

آخرين تبادروا إلى الحریم و الأطفال يريدون سلبهم ، فصاح الحسين :
 « ويحكم يا شيعۃ الشيطان كفوا سفهاءكم عن الحریم و الأطفال فانهم لم
 يقاتلوكم » .

فقال شمر لأصحابه كفوا عنهم و اقصدوا الرجل ، فلم يزل يقتل هو و هم إلى
 أن أثنونه جراحاً فسقط عن فرسه إلى الأرض و نزلوا و حزوا رأسه .
 (قيل) الذي قتله سنان بن أنس النخعي ، و قيل شمر بن ذي الجوشن و
 الصحيح المنقول عن السدي أن الذي قتله سنان و أرسل عمر بن سعد بالرأس إلى
 ابن زياد مع سنان بن أنس النخعي فلما وضع الرأس الشريف بين يدي عبيدالله ابن
 زياد قال :

املاً ركابي فضة و ذهباً اني قتلت السيد المحجّباً

قتلت خير الناس أمماً و أباً و خيرهم إذ يذكرون نسبا

فغضب عبيدالله بن زياد و قال : إذا علمت ذلك فلم قتلته ؟ و الله لا نلت مني
 خيراً و لألحقنك به ثم ضرب عنقه ١ .

(و قال ابن حجر) قُتل (مع الحسين بن علي عليه السلام) من إخوته و بنيه و بني
 أخيه الحسن و من أولاد جعفر و عقيل تسعة عشر رجلاً ، و قيل أحد و عشرون .
 قال الحسن البصري : ما كان على وجه الأرض يومئذ لهم شبيه ٢ .

١ - المصدر .

٢ - الصواعق المحرقة ص ١١٨ .

﴿ رأس الحسين عليه السلام بين يدي ابن زياد ﴾

و لما حمل رأسه لابن زياد جعله في طشت و جعل يضرب ثناياه بقضيب و يقول : ما رأيت مثل هذا حسناً ان كان لحسن الشجر ، و كان عنده أنس فبكي و قال : كان أشبههم برسول الله ﷺ رواه الترمذي و غيره .
و روى ابن أبي الدنيا : أنه كان عنده زيد بن أرقم فقال له ارفع قضيبك فوالله لطالما رأيت رسول الله ﷺ يقبل ما بين هاتين الشفتين ثم جعل زيد يبكي ، فقال ابن زياد : أبكى الله عينيك لولا أنك شيخ قد خرفت لضربت عنقك ، فنهض و هو يقول :

« أيها الناس أنتم العبيد بعد اليوم قتلتم ابن فاطمة و أمرتم ابن مرجانة و الله ليقتلن خياركم و يستعبدن شراركم فبعداً لمن رضي بالذلة و العار » .
ثم قال : يا ابن زياد لأحدثك بما هو أغبط عليك من هذا ، رأيت رسول الله ﷺ أقعد حسناً على فخذه اليمنى و حسيناً على اليسرى ثم وضع يده على يافوخهما ثم قال :

« اللهم إني استودعك إياهما و صالح المؤمنين »^١

١ - و مراد رسول الله ﷺ من « صالح المؤمنين » أمير المؤمنين علي عليه السلام إشارة الى ما ورد من لقبه في القرآن الكريم : ﴿ ان تتوبا الى الله فقد صغت قلوبكما و ان تظاهرا عليه فان الله هو مولاه و جبريل و صالح المؤمنين ﴾ (التحریم ٦٦ : ٤) ذكره كثير من علماء أهل السنة كالسيوطي في الدر المنثور (ج ٦ ص ٢٤٤) و المتقي في كنز العمال (ج ١ ص ٢٣٧) و ابن حجر في الصواعق (ص ١٤٤) و العسقلاني في فتح الباري (ج ١٣ ص ٢٧) و غيرهم.



فكيف كانت وديعة النبي ﷺ عندك يا ابن زياد!

و قد انتقم الله من ابن زياد هذا فقد صحّ عن الترمذي أنه لما جرى برأسه و نصب في المسجد مع رؤس أصحابه جاءت حية فتخللت الرأس حتى دخلت في منخره فمكثت هنيهة ثم خرجت ثم جاءت ففعلت كذلك مرتين أو ثلاثاً و كان نصبها في محل نصبه لرأس الحسين و فاعل ذلك به هو المختار بن أبي عبيد^١.

﴿ سبي حرم رسول الله ﷺ ﴾

و قال الشبلنجي: ثم إن القوم ساقوا الحريم و الأطفال كما تساق الأسارى حتى أتوا الكوفة فخرج الناس فجعلوا ينظرون اليهم و يبكون.

و كان علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام معهم قد أنهك جسمه المرض فجعل يقول: « إن هؤلاء يبكون من أجلنا فمن قتلنا؟ »

فلما دخلوا بهم على عبيدالله بن زياد أرسل بهم و رأس الحسين معهم إلى الشام إلى يزيد بن معاوية مع شخص يقال له زجر بن قيس، و معه جماعة هو مقدمهم.

و أرسل بالنساء و الصبيان على أقتاب و معهم علي بن الحسين و قد جعل ابن زياد الغلّ في يده و عنقه، و لم يزالوا سائرين بهم على تلك الحالة إلى أن وصلوا إلى الشام.

﴿ رأس الحسين عليه السلام بين يدي يزيد ﴾

ثم انهم دخلوا بالرأس فوضعوها بين يدي يزيد ، وكان في يده قضيب فجعل ينكت به في ثغره ثم قال : ما أنا و هذا الا كما قال الحصين :

أبى قومنا أن ينصفونا و أنصفت قواضب في أيماننا تقطر الدما
يفلقن هاماً من رؤس أعزّة علينا و هم كانوا أعتق و أظلما

فقال أبو بردة الأسلمي ، و كان حاضراً : أتنتكت بقضيبك في ثغره ، أما إني قد رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يرشفه ، و رضيت يا يزيد أن يجيء عبيد الله بن زياد شفيحك يوم القيامة ، و يجيء هذا و محمد صلى الله عليه وآله وسلم شفيعه ، ثم قام من المجلس ، فقال يزيد : و الله لو آتني صاحبه ما قتلته .^١

(أقول) إنّ قول يزيد « و الله لو آتني صاحبه ما قتلته » و أمثال ذلك من معاذيره التي كانت في نور الأبصار و حذفناها للاختصار ، كل ذلك كذبٌ محضٌ فهي إمّا اضافة من الرواة المحبّين ليزيد و الأعداء لأهل البيت عليهم السلام ، أو انها صدرت (على فرض صحة نقلها) من يزيد مكرراً و تبرئةً له من ملامة جماهير المسلمين الموجهة اليه بعد قتل الحسين عليه السلام و أصحابه و أقاربه . و الدليل على كذب هذه المعاذير أمورٌ :

الأول - كيف وقع قتل الحسين عليه السلام بلا رضا يزيد و انه نفسه أمر ابن زياد بذلك في رسالته القائلة : « لا تغمض جفنك من المنام ، و لا تشبع بطنك من الطعام

إما أن يرجع الحسين الى حكمي أو تقتله و السلام»^١.

الثاني - لم لم يقتصّ يزيد ابن زياد اذ أتى بهذه الجرائم الهائلة ، فانه قتل ابن رسول الله ﷺ و اسرته عطاشى .

الثالث - ما كان ذنب النساء و الأطفال حتى أحضروا أمام يزيد مكبتلين حاسرين ؟ فهل عزّر يزيد ابن سمية على هذا العمل الجنائي ؟

الرابع - كيف يتخلص يزيد من هذا الإجرام و يحيله الى ابن سمية مع اعترافه بأنّ قواضبه التي تقطر دماً قتلت الحسين عليه السلام كما مضى في تمثله بقول الحصين « قواضب في أيماننا تقطر الدما » و أقواله الأخرى التي ذكرها المؤرّخون في غير هذا الكتاب (نور الأبصار) ، كتمثله بقول ابن الزبيرى :

ليت أشياخي ببدر شهدوا جَزَع الخزرج من وقع الأسل
لأهلّوا و استهلّوا فرحاً ثم قالوا يا يزيد لا تُشَلْ
قد قتلنا القرم من ساداتهم و عدلناه ببدر فاعتدل
لعبت هاشمٌ بالملك فلا خبرٌ جاء و لا وحيٌّ نزل
لست من خندفٍ ان لم أنتقم من بني أحمد ما كان فعل^٢

الخامس - أنه اذا كان غير راض بقتل الحسين عليه السلام كيف تجاسر على رأسه الشريف ناكثاً ثناياه بقضيبه ، حتى لم يقدر بعض الصحابة على النظر الى هذا المنظر الفظيع .

(و الخلاصة) أنّ تبرئة يزيد عن قتل الحسين عليه السلام أو تبرير أفعاله كل ذلك

١ - قد مضى ذكر هذه الرسالة قبيل صفحات فراجع .

٢ - مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي ج ٢ ص ٦٦ شرح ابن أبي الحديد ج ٣ ص ٢٨٣ .

طعام و بيل لا يقدر على هضمه أحد ، و حقيقة واضحة لا يسترها جحود من جحد ، و ان يزيداً هو السبب الأصلي لهذه الجريمة ، بل المسئول عنها هو و أبوه معاوية حيث نصبه خليفته ، و المسئول عن معاوية : هما أبو بكر و عمر اللذان نصباه على حكومة الشام ، و عثمان بن عفان الذي قواه بالمال و العدة و العدد ، و المسئول عن هؤلاء الثلاثة هي حادثة السقيفة ، و لهذا قيل : قتل الحسين يوم السقيفة^١ .

﴿ تأثير هذه الكارثة في رسول الله ﷺ ﴾

قال الشبلنجي : عن ابن عباس رضي الله عنه قال : رأيت النبي ﷺ في المنام نصف النهار أشعث أغبر بيده قارورة فيها دم قلت : يا رسول الله ما هذا ؟ قال دم الحسين و صحبه أرفعه إلى الله عز و جل ، فجاء الخبر بعد أيام أنه قتل ذلك اليوم و تلك الساعة رواه البيهقي^٢ .

﴿ تأثير هذه الواقعة في أمير المؤمنين عليه السلام ﴾

قال الشبلنجي : حكى الشيخ نصرالله بن يحيى و كان من الثقات الخيبرين قال رأيت في المنام علي بن أبي طالب عليه السلام فقلت : يا أمير المؤمنين تقولون يوم فتح مكة من دخل دار أبي سفيان فهو آمن ثم يتم علي و لذلك الحسين بكر بلائ منهم ما

١ - كشف الغمة ج ١ ص ٥٠٥

٢ - نور الأبصار ص ١٤٦ .

يتم؟

فقال لي كرم الله وجهه : أتعرف أبيات ابن الصيفي التميمي في هذا المعنى؟
فقلت : لا ، فقال : اذهب إليه و اسمعها منه .

فاستيقظت من نومي مفكراً ثم إنني ذهبت إلى دار ابن الصيفي وهو الحيص
بيص الشاعر الملقب بشهاب الدين ، فطرقت عليه الباب ، فخرج إليّ فقصصت عليه
الرؤيا فشهق وأجهش بالبكاء وحلف بالله ان سمعها مني أحد وان أكون نظمها إلا
في ليلتي هذه ثم أنشد لي :

ملكنا فكان العفو متاً سجيةً فلما ملكتم سال بالدم أبطح
وحللتم قتل الأسارى وطالما غدونا على الأسرى فنعضو ونصفح
وحسبكم هذا التفاوت بيننا وكل إناء بالذي فيه ينضح
أورد ذلك الشيخ نورالدين بن علي بن محمد الصبّاغ المالكي المكي المتوفى
سنة خمس وخمسين وثمانمأة في كتابه (الفصول المهمة) ^١ .

﴿ تأثير هذه المصيبة في العالم ﴾

قال الشبلنجي : و سُمعت الجن تنوح عليه كما أخرجها أبو نعيم وغيره ؛ و ذكر
غير واحد أنهم لما ساروا بالرأس الشريف إلى يزيد بن معاوية نزلوا في الطريق
بدير ليقبلوا به فوجدوا مكتوباً على بعض جدرانها :

أترجو أمة قتلت حسيناً شفاعة جدّه يوم الحساب

و في الخطط للمقريري ما نصّه : لما قتل الحسين بكت السماء و بكأؤها
 حمرتها ؛ و عن عطاء في قوله تعالى ﴿فما بكت عليهم السماء و الأرض﴾^١ قال :
 بكأؤها حمرة أطرافها ؛ و عن الزُّهري : بلغني أنه لم يقلب حجرٌ من أحجار بيت
 المقدس يوم قتل الحسين إلا وجد تحته دم عبيط ، و يقال إنّ الدنيا أظلمت يوم قتل
 ثلاثاً و أصابوا إبلاً في عسكر الحسين يوم قتل فنحروها و طبخوها فصارت مثل
 العلقم و ما استطاعوا أن يسيغوا منها شيئاً . و روي أنّ السماء أمطرت دمًا فأصبح كل
 شيء لهم مملوءاً دمًا انتهى^٢ .
 (أقول) و قد مضى شطرٌ منه في أحوال يزيد بن معاوية فراجع .

﴿عذاب قتلة الحسين عليه السلام﴾

قال الشبلنجي : عن الزُّهريّ أنه لم يبق أحدٌ ممن قتل الحسين إلا عوقب في
 الدنيا قبل الآخرة ، إمّا بالقتل أو سواد الوجه أو تغيير الخلقة أو زوال الملك في مدة
 يسيرة .

و روى سبط ابن الجوزي : أنّ شيخاً حضر قتله فقط ، فعمى فسُئل عن سببه ،
 فقال رأيت النبي ﷺ حاسراً عن ذراعيه ، و بيده سيف و بين يديه نطع و عليه
 عشرة ممن قتل الحسين مذبحين ، ثم لعني و سبني ثم أكحلني بمروء من دم
 الحسين فأصبحت أعمى .

١ - الدخان ٤٤ : ٢٩ .

٢ - نور الأبصار ص ١٤٧ .

و أخرج أيضاً أنّ شخصاً علق رأس الحسين في لب فرسه فرؤي بعد أيام و وجهه أشدّ سواداً من القار ، و مات على أقبح حالة .

و يقال إنّ رجلاً أنكر ذلك فوثبت النار على جسده فحرقتة ^١ .

و عن ابن عباس قال : « أوحى الله إلى محمد ﷺ إني قتلت بيحيى بن زكريا سبعين ألفاً و إني قاتل بابتك سبعين ألفاً و سبعين ألفاً » قال الحافظ ابن حجر ورد عن علي بن أبي طالب عن المصطفى ﷺ أنه قال : قاتل الحسين في تابوت من نار عليه نصف عذاب أهل الدنيا .

قال الجلال السيوطي في المحاضرات و المحاورات : حصل بالكوفة جدرئي في بعض السنين عمي فيه ألف و خمسمائة من ذرية من حضروا قتل الحسين عليهما السلام ^٢ .

﴿ من كلامه عليه السلام ﴾

- ١ - حوائج الناس اليكم من نعم الله عليكم فلا تملّوا النعم فتعود نقماً .
- ٢ - صاحب الحاجة لم يكرم وجهه عن سؤالك فأكرم وجهك عن رده .
- ٣ - من جاد ساد و من بخل ذلّ .
- ٤ - إنّ أجود الناس من أعطى من لا يرجوه ، و أعفى الناس من عفا عن قدرة ، و إنّ أوصل الناس من وصل من قطعه .

١ - المصدر .

٢ - نور الأبصار ص ١٥٢ .

٥ - من أراد بالصنيعة إلى أخيه وجه الله تعالى كافأه الله بها وقت حاجته و صرف عنه من البلاء أكثر من ذلك، و من نفس عن أخيه كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب الآخرة، و من أحسن أحسن الله اليه و الله يحب المحسنين^١.

﴿ من كلامه عليه السلام المنظوم ﴾

و هو ما نقله الشبلنجي عن ابن غنم صاب كتاب الفتوح، و هو أنه عليه السلام لما أحاطت به جموع ابن زياد و قتلوا من قتلوا من أصحابه و منعوهم الماء و أصاب ولده الصغير سهم فقتله فزملته و حفر له بسيفه و صلى عليه و دفنه قال عليه السلام :

غدر القوم و قد مارغبوا	عن ثواب الله رب الثقلين
قتلوا قدماً علياً و ابنه	حسن الخير كريم الأبوين
حسداً منهم و قالوا أقبلوا	نقتل الآن جميعاً الحسين
خيرة الله من الخلق أبي	ثم أمي فأنا ابن الخيرتين
فضةً قد صفيت من ذهب	فأنا الفضة و ابن الذهبين
من له جدّ كجدي في الوري	و كشيخي فأنا ابن القمرين
فاطم الزهراء أمي و أبي	قاصم الكفر ببدر و حنين
و من كلامه عليه السلام :	

فإن تكن الدنيا تعدّ نفيسة

فإنّ ثواب الله أعلى و أنبى

و ان يك لابد من الموت للفتى

و ان تكن الأرزاق قسماً مقدراً

و إن تكن الأموال للترك جمعها

و قال عليه السلام :

إذا ما عَضَّكَ الدهر

و لا تسأل سوى الله

فلو عشت و قد طف

لما صادفت من يقة

فلا تجنح إلى الخلق

المغيث العالم الحق

ت من الغرب إلى الشرق

سدر أن يسعد أو يشقى^١

﴿ ذكر أولاده عليه السلام ﴾

قال الشبلنجي : قال صاحب الإرشاد : أولاد الحسين بن علي ستة علي بن الحسين الأصغر كنيته أبو محمد و لقبه زين العابدين و أمه شاه زنان بنت كسرى أنوشروان ملك الفرس ، و علي بن الحسين الأكبر قتل مع أبيه بالطف ، و أمه ليلى بنت مرة بن عروة بن مسعود الثقفي ، و جعفر بن الحسين ، و أمه قضاة مات في حياة أبيه و لا نسل له ، و عبدالله بن الحسين قتل مع أبيه صغيراً جاءه سهم و هو

بكر بلاء فقتله ، و سكينه بنت الحسين أمها الرباب بنت امرئ القيس بن عدن الكلبيّة و هي أيضاً أم عبدالله بن الحسين ، و فاطمة أمها أم إسحق بنت طلحة بن عبدالله تيمية انتهى و الذي أعقب منهم علي زين العابدين .

(و في بغية الطالب لمعرفة أولاد علي بن أبي طالب) للشّيخ جمال الدين الطاهر حسين بن عبدالرحمان الأهدل ما نصّه :

و كان له يعني للحسين عليه السلام من الولد ست بنين و ثلاث بنات و هم علي الأكبر و أمه ليلى بنت مرة بن عروة بن مسعود الثقفي ، و علي الأوسط ، و عبدالله ، و علي الأصغر زين العابدين ، و منهم من يزعم أنه الأكبر ، و محمد ، و جعفر ، و زينب ، و سكينه ، و فاطمة ؛ فأما محمد و جعفر فماتا في حياة أبيهما ، و أما علي الأكبر و عبدالله فاستشهدا مع أبيهما بالطف ، و علي الأوسط أصابه سهم يومئذ فمات انتهى .

و المعقب من ولد الحسين زين العابدين عليه السلام باتفاق فلم يكن علي وجه الأرض حسيني إلا من نسله^١ .

﴿ تاريخ شهادته عليه السلام ﴾

قال الشبلنجي : (و كان) اليوم الذي قتل فيه الحسين عليه السلام يوم الجمعة عاشر محرم سنة إحدى و ستين من الهجرة و كان عمره إذ ذاك خمساً و خمسين سنة و قيل غير ذلك .

و وجد به ثلاث و ثلاثون ضربة .

قال ابن الصبّاغ : و دفن بأرض كربلاء بالعراق و مشهده عليه السلام بها معروف يزار من جميع الآفاق .

و كانت عدة القتلى التي حملت رؤسها إلى عبيدالله بن زياد صحبة رأس الحسين عليه السلام سبعين انتهى^١ .

﴿ ٤ ﴾

﴿ الامام الرابع علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام ﴾

و هو الامام أبو الحسن علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام .
قال الشبلنجي : قال الإمام مالك : سمّي زين العابدين لكثرة عبادته و هو الإمام الرابع على مذهب الإمامية .

﴿ مولده عليه السلام ﴾

(ولد) زين العابدين عليه السلام بالمدينة الشريفة يوم الخميس خامس شعبان سنة ثمان و ثلاثين في أيام جدّه علي بن أبي طالب قبل وفاته بستين .
(وكنيته) المشهورة أبو الحسن و قيل أبو محمد .

(و ألقابه) كثيرة أشهرها زين العابدين ، و سيد العابدين ، و الزكي ، و الأمين ،
و ذو الثفتان .

(و صفته) أصفر قصير نحيف .

(شاعره) الفرزدق و كثير عزة .

(بوابه) أبو جبلة .

(نقش خاتمه) و ما توفيقني إلا بالله .

(و معاصره) مروان و عبد الملك و الوليد ابنه .

(و أمه) سلافة و لقبها شاه زنان كلمة فارسية ، معناها ملكة النساء ، و هي بنت

يزدجرد ولد أنو شروان العادل ملك الفرس .

ذكر الزمخشري في ربيع الأبرار أنه لما أتى بسبي فارس في خلافة عمر كان

فيهم ثلاث بنات ليزدجرد فباعوا السبايا و أمر عمر ببيع بنات يزدجرد فقال له علي

عليه السلام إن بنات الملوك لا يعاملن معاملة غيرهنّ ، قال كيف الطريق إلى العمل معهنّ ؟

قال تقومهنّ و مهما بلغ ثمنهنّ قام به من يختارهنّ فقومهنّ فأخذهنّ علي بن

أبي طالب عليه السلام فدفع واحدة لولده الحسين فولدت له علياً زين العابدين ، و واحدة

لعبدالله بن عمر فولدت له سالمأ و واحدة لمحمد ابن أبي بكر فولدت له القاسم ،

فهؤلاء الثلاثة بنو خالة انتهى .

و كان علي زين العابدين مع أبيه بكر بلاء مريضاً نائماً على الفراش فلم يقتل

قاله ابن عمر هذا هو الصحيح ، و ليس قول من قال إنه كان صغيراً حينئذ فلم يقتل ،

بشيء .

روى الحديث عن أبيه و عمه الحسن و جابر و ابن عباس و المسور بن

مخرمة و أبي هريرة و صفية و عائشة و أم سلمة أمهات المؤمنين قال الزهري و ابن



عبينة ما رأينا قرشياً أفضل منه ، و قال الزهري ما رأيت أفقه منه ، و قال ابن المسيب ما رأيت أورع منه .

﴿ و مناقبه عليه السلام ﴾ كثيرة . فعن سفيان قال جاء رجل إلى علي بن الحسين عليه السلام فقال له : إن فلانا قد وقع فيك بحضوري ، فقال له : انطلق بنا إليه ، فانطلق معه و هو يرى أنه سينتصر لنفسه منه ، فلما أتاه قال له يا هذا إن كان ما قلت في حقاً فأنا أسأل الله أن يغفر لي ، و إن كان ما قلت في باطلاً فالله تعالى يغفره لك ثم ولي عنه . و عن أبي حمزة قال كان علي بن الحسين عليه السلام يصلي في اليوم و الليلة ألف ركعة .

و كان عليه السلام إذا توضأ للصلاة يصفّر لونه فقيل له ما هذا الذي نراه يعتريك عند الوضوء ؟ فيقول : أما تدرّون من أريد أن أقف بين يديه ! .

و عن طاؤوس قال : دخلت الحجر في الليل ، فإذا علي بن الحسين قد دخل فقام يصلي ما شاء الله ، ثم سجد سجدة فأطالها ، فقلت : رجل صالح من بيت النبوة لأصغين إليه ، فسمعتة يقول :

عَبِيدُكَ بِفَنَائِكَ ، مَسْكِينُكَ بِفَنَائِكَ ، سَائِلُكَ بِفَنَائِكَ .

قال طاؤوس فو الله ما طلبت و دعوت بهنّ في كرب إلا فرّج الله عنيّ .

﴿ فائدة استطرادية ﴾ عن علي بن أبي طالب عليه السلام كان إذا أهتمه أمرٌ يرفع يديه إلى السماء ثم يقول :

يَا كَهَيْعَصَ أَعُوذُ بِكَ مِنَ الذُّنُوبِ الَّتِي تُزِيلُ بِهَا النِّعَمَ ، وَ أَعُوذُ بِكَ مِنَ الذُّنُوبِ الَّتِي بِهَا تُحِلُّ النِّعَمَ ، وَ أَعُوذُ بِكَ مِنَ الذُّنُوبِ الَّتِي بِهَا تُبَيِّرُ الْأَعْدَاءَ ، وَ أَعُوذُ بِكَ مِنَ الذُّنُوبِ الَّتِي بِهَا تُحْسِبُ غَيْثَ السَّمَاءِ .

و هو دعاء مجرّب عند الكرب (انتهى من كتاب قرّة العين في مقتل الحسين) .



(قال) ابن عائشة سمعت أهل المدينة يقولون ما فقدنا صدقة السر إلا بعد موت علي بن الحسين .

(و قال) محمد بن إسحاق كان ناسٌ من أهل المدينة يعيشون لا يدرون من أين معاشهم و ماكلهم فلما مات علي بن الحسين عليه السلام فقدوا ما كانوا يؤتون به ليلاً إلى منازلهم .

(و كان) يحمل جراب الخبز على ظهره في الليل يتصدق به فلما غسلوه جعلوا ينظرون إلى سواد في ظهره ، فقيل ما هذا ؟ فقالوا : كان يحمل جراب الدقيق ليلاً على ظهره يعطيه فقراء أهل المدينة . و لما مات عليه السلام وجدوه كان يقوّت أهل مائة بيت .

قال سفيان : أراد علي بن الحسين الحج فأنفذت إليه أخته سكينه ألف درهم فلحقوه بها بظهر الحرّة فلما نزل فرّقها على المساكين .

و كان عليه السلام إذا هاجت الريح سقط مغمى عليه .
قال المناوي دخل على علي زين العابدين عليه السلام في مرض موته محمد بن أسامة بن زيد يبكي ، فقال له : ما يبكيك ؟ فقال له : علي دين خمسة عشر ألف دينار ، فقال : هي عليّ و وفاها عليه السلام .

(ويروى) أنه مرض فدخل عليه جماعة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يعودونه فقالوا : كيف أصبحت يا ابن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فدتك أنفسنا ، قال : في عافية و الله المحمود على ذلك ، فكيف أصبحتم أنتم جميعاً ؟ قالوا : أصبحنا و الله لك يا ابن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم محبتين وادّين فقال لهم : من أحبنا الله أسكنه الله في ظلّ ظليل يوم القيامة يوم لا ظلّ إلا ظلّه ، و من أحبنا يريد مكافأتنا كافأه الله عتّا الجنة ، و

من أحببنا لغرض دنيا آتاه الله رزقه من حيث لا يحتسب^١.

[نادرة]

قال في درر الأصداف إنه أي علياً زين العابدين عليه السلام خرج يوماً من المسجد فلقيه رجلٌ فسبّه و بالغ في سبّه و أفرط ، فعاد إليه العبيد و الموالي فكفّهم عنه ، و أقبل عليه ، و قال له : ما ستر عنك من أمرنا أكثر ، ألك حاجة نعينك عليها ؟ فاستحيا الرجل ، فألقى إليه خميصة^٢ و ألقى إليه خمسة آلاف درهم ، فقال : أشهد أنك من أولاد المصطفى صلّى الله عليه وآله وسلّم .

و لقيه رجلٌ فسبّه فقال له : يا هذا بيني و بين جهنم عقبةٌ إن أناجزتها فما أبالي بما قلت ، و إن لم أجزها فأنا أكثر مما تقول^٣ .

﴿ الامام زين العابدين عليه السلام و قصيدة الفرزدق ﴾

(و نقل غير واحد) أنّ هشام بن عبد الملك حجّ في حياة أبيه فطاف بالبيت و جهد ان يستلم الحجر الأسود فلم يصل إليه لكثرة الزحام ، فنُصب له منبر إلى جانب زمزم في الحطيم و جلس عليه ينظر إليه الناس ، و حوله جماعة من أهل الشام .

١ - نور الأبصار ص ١٥٤ .

٢ - الخميصة : الثوب .

٣ - المصدر .

فبينما هم كذلك إذ أقبل زين العابدين علي بن الحسين عليهما السلام يريد الطواف ،
فلما انتهى إلى الحجر الأسود تنحى الناس له حتى استلم الحجر الأسود .

فقال رجلٌ من أهل الشام من هذا الذي قد هابه الناس هذه المهابة فتنحوا عنه
يميناً و شمالاً؟

فقال هشام لا أعرفه مخافة أن يرغب فيه أهل الشام ، وكان الفرزدق حاضراً
فقال للشامي أنا أعرفه ، فقال : من هو يا أبا فراس ؟ فقال :

هذا الذي تعرف البطحاء و طأته
هذا ابن خير عباد الله كلهم
إذا رأته قريش قال قائلها
ينمى إلى ذروة العز التي قصرت
يكاد يمسكه عرفان راحته
يُغضي حياء و يغضى من مهابته
من جدّه دان فضل الأنبياء له
ينشق نور الهدى من نور غرّته
مشتقة من رسول الله نبعته
هذا ابن فاطمة ان كنت جاهله
الله فضله قدماً و شرّفه
و ليس قولك من هذا بضائره
كلتا يديه غياث عمّ نفعهما
سهل الخليقة لا تخشى بواده
حمال أثقال أقوام إذا فدحوا

و البيت يعرفه و الحّلّ و الحرم
هذا التقيّ النقيّ الطاهر العلم
إلى مكارم هذا ينتهى الكرم
عن نيلها عرب الإسلام و العجم
ركن الحطيم إذا ما جاء يستلم
فلا يكلم إلا حين يبتسم
و فضل أمّته دانت له الأمم
كالشمس ينجاب عن اشراقها الظلم
طابت عناصره و الخيم و الشيم
بجدّه أنبياء الله قد ختموا
جرى بذاك له في لوحه القلم
العرب تعرف من أنكرت و العجم
يستوكفان و لا يعرفهما العدم
يزينه اثنان حسن الخلق و الكرم
حلو الشمائل تحلو عنده نعم



ما قال لا قطّ الا في تشهده
لا يخلف الوعد ميمون نقيته
عمّ البرية بالاحسان فانفصلت
من معشر حبّهم دينٌ و بغضهم
إن عُدّ أهل التقى كانوا أئمتهم
لا يستطيع جواد بعد غايتهم
همم الغيوث إذا ما أزمة أزمتم
لا ينقص العسر بسطاً من أكفهم
يستدفع السوء و البلوى بحبّهم
مقدّم بعد ذكر الله ذكرهم
يأبى لهم أن يحلّ الذم ساحتهم
أي الخلائق ليست في رقابهم
من يعرف الله يعرف أولية ذا

لولا التشهد كانت لاؤه نعم
رحب الفناء أريب حين يعترم
عنه القتارة و الاملاق و العدم
كفرٌ و قربهم منجٍ و معتصم
أو قيل من خير أهل الأرض قيل همو
و لا يدانيهمو قوم و ان كرموا
و الأسد أسد الشرى و البأس محتدم
سيّان ذلك إن أثروا و إن عدموا
و يستزاد به الإحسان و النعم
في كل بدء و مختوم به الكلم
خيم كريم و أيد بالندى عصم
لأولية هذا أوله نعم
و الدين من بيت هذا ناله الأمم

فلما سمع هشام هذه القصيدة غضب، ثم أخذ الفرزدق و سجنه بعسفان، فبلغ ذلك علي بن الحسين عليه السلام فبعث إليه بأربعة آلاف درهم فردّها و كتب إليه إنّما مدحتك بما أنت أهلها، فردّها عليه عليه السلام و كتب اليه أن خذها و تعاون بها على دهرك فإنّا أهل بيت إذا و هبنا شيئاً لا نستعيده، فقبلها منه .

و في رواية فبعث إليه باثني عشر ألف درهم، و في رواية بعشرة آلاف درهم، و قال اعذرنا يا أبافراس فلو كان عندنا أكثر من هذا نوصلناك به .

و جعل الفرزدق يهجو هشاماً و هو في السجن فبعث و أخرجه . و من هجوه



كما ذكره الخطيب البغدادي وغيره من قصيدة طويلة :

أيحبسني بين المدينة و التي اليها قلوب الناس يهوى منيها
 يقلب رأساً لم يكن رأس سيد و عين له حولاء باد عيوبها
 قال الشيخ عبدالجواد الشربيني في كتاب درر الأصداف في مناقب الأشراف
 كان علي بن الحسين عاملاً على كتمان أسرار الله تعالى في العالم كما أشار إلى ذلك
 في قوله **عليّاً** :

يارُبّ جوهر علم لو أبوح به لقليل لي أنت ممن يعبد الوثنا
 و لا استحلّ رجالٌ صالحون دمي يرون أقبح ما يأتونه حسنا

﴿ شهادته **عليّاً** ﴾

(توفي) علي زين العابدين **عليّاً** في ثاني عشر المحرم سنة أربع و تسعين من
 الهجرة و كان عمره اذ ذلك سبعاً و خمسين سنة .

قال ابن الصباغ المالكي المكي : يقال إنه مات مسموماً و أنّ الذي سمّه الوليد
 بن عبدالملك .

و دُفن بالبقيع عند القبر الذي دفن فيه عمّه الحسن بن علي بن أبي طالب في
 القبة التي فيها العباس بن عبدالمطلب^١ .

﴿ و أولاده عليّاً ﴾

خمسة عشر ولداً ما بين ذكر و أنثى ، أحد عشر ذكراً و أربع إناث ، وهم :
 محمد المكنى بأبي جعفر الملقب بالباقر أمه أم عبدالله بنت الحسن بن علي عم
 زين العابدين ، و زيد ، و عمر ، أمهما أم ولد ، و عبدالله ، و الحسن ، و الحسين ، أمهم
 أم ولد ، و الحسين الأصغر ، و عبدالرحمان ، و سليمان أمهم أم ولد ، و علي ، و كان
 أصغر ولد علي بن الحسين ، و خديجة أمهما أم ولد ، و فاطمة و عليّة ، و أم كلثوم ،
 أمهنّ أم ولد فهؤلاء أولاده رضي الله عنهم أجمعين (انتهى من الفصول المهمة) لكن
 سقط منهم واحد لأنّ المعدود في عبارته عشرة و قد قال من الذكور أحد عشر ذكراً .
 هذا و في بغية الطالب أن أولاد علي زين العابدين الذكور عشرة فقط و الله أعلم .
 [و من كلامه] عجبت لمن يحتمي من الطعام لمضرته و لا يحتمي من الذنب
 لمعرته .

و قال : من قنع بما قسم الله له فهو من أغنى الناس و كان يتصدق سرّاً و
 يقول : صدقة السر تطفئ غضب الرب .

[موعظة] قال أبو حمزة الثمالي : أتيت باب علي بن الحسين فكرهت أن
 أنادي فقعدت على الباب إلى أن خرج فسلمت عليه و دعوت له ، فردّ علي ثم انتهى
 بي إلى حائط فقال : يا أبا حمزة ألا تنظر إلى هذا الحائط ؟

قلت : بلى ياسيدي ، قال : فاني متكئ عليه و أنا حزين مفكر إذ دخل علي
 رجل حسن الثياب ، طيب الرائحة ثم نظر في وجهي و قال يا علي بن الحسين أراك
 كثيراً حزيناً على الدنيا فهو رزقٌ حاضرٌ يأكل منه البارّ و الفاجر .

فقلت : ما عليها أحزن و انه كما تقول ، قال : فعلام حزنك ؟



قلت : أتخوف من فتنة ابن الزبير .

قال : فضحك ثم قال يا علي هل رأيت أحداً خاف الله فلم ينجه ؟

قلت : لا ، قال : يا علي هل رأيت أحداً سأل الله فلم يعطه ؟

قلت : لا ، ثم نظرت فاذا ليس قدامي أحداً فعجبت من ذلك و إذا بقائل أسمع
صوته و لا أرى شخصه يقول يا علي بن الحسين هذا الخضر ناجاك كذا في الفصول
المهمة^١ .

(أقول) هذا على مذاق العامة ، و الآ فان اعتقاد الشيعة أن الامام أكثر علماً من

الأنبياء ما سوى خاتم النبيين صلى الله عليه وآله وسلم .

﴿ ٥ ﴾

﴿ الامام الخامس محمد بن علي الباقر عليه السلام ﴾

هو الامام أبو جعفر محمد بن علي عليه السلام ، قال المناوي في طبقاته سمى باقراً
لأنه بقر العلم أي شقّه فعرف أصله .

﴿ مولده عليه السلام ﴾

(ولد) محمد الباقر بالمدينة في ثالث صفر سنة سبع و خمسين من الهجرة

قبل قتل جدّه الحسين بثلاثة سنين .

(وكنيته) أبو جعفر لا غير .

(ولقابه) ثلاثة : الباقر و الشاكر و الهادي و أشهرها الباقر .

(روي) عن الزبير بن محمد بن مسلم المكي قال : « كُنّا عند جابر بن عبد الله رضي الله عنهما فأتاه علي بن الحسين عليه السلام و معه ابنه محمد و هو صبي ، فقال علي لابنه محمد : قتل رأس عمك ، فدنا محمد من جابر فقبل رأسه ، فقال جابر من هذا ؟ وكان قد كُفّ بصره فقال له علي بن الحسين : هذا ابني محمد ، فضمّه جابر اليه ، و قال يا محمد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يُقرئك السلام .

فقالوا : كيف ذلك يا أبا عبد الله ؟

قال كنت عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و الحسين في حجره و هو يلاعبه فقال : يا جابر يولد لابني الحسين ابن يقال له علي فاذا كان يوم القيامة ينادي مناد ليقيم سيد العابدين فيقوم علي بن الحسين ، و يولد لعلي بن الحسين ابن يقال له محمد ، يا جابر ! إن أدركته فأقرئه منّي السلام ، و إن لاقيته فاعلم أنّ بقاءك بعده قليل « فلم يعيش جابر رضي الله عنه بعد ذلك غير ثلاثة أيام .

(و روي) أنّ محمداً الباقر بن علي سأل جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنهما لما دخل عليه عن عائشة و ما جرى بينها و بين علي عليه السلام .

فقال له جابر : دخلت عليها يوماً و قلت لها ما تقولين في علي بن أبي طالب عليه السلام ؟ فأطرقت رأسها ثم رفعتة و قالت :

إذا ما التبرحك على محكّ تبين غشّه من غير شكّ

و فينا الغشّ ، و الذهب المصفى عليّ بيننا شبه المحكّ

(و أم محمد الباقر) أم عبد الله بنت الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام فهو

هاشمي من هاشميين ، وعلوي من علويين .

(نقش خاتمه) ربّ لا تذرني فرداً .

(ونقل الثعلبي) في تفسيره أنّ الباقر نقش في خاتمه هذه الكلمات :

ظنّي بالله حسن و بالنبي المؤتمن

و بالوصي ذي المنن و بالحسين و الحسن

(و معاصره) الوليد و أولاده يزيد و إبراهيم .

(صفته) أسمر معتدل .

(و شاعره) الكميّ و السيد الحميري .

(و بوابه) جابر الجعفي .

(قال صاحب الإرشاد) لم يظهر عن أحد من ولد الحسن و الحسين عليهما السلام من

علم الدين و السنن و علم القرآن و السير و فنون الأدب ما ظهر عن أبي جعفر

الباقر ، روى معالم الدين عن بقايا الصحابة و وجوه التابعين .

و سارت بذكر علومه الأخبار و أنشدت في مدائحه الأشعار فمن ذلك ما قاله

مالك بن أعين الجهني من قصيدة يمدحه فيها :

إذا طلب الناس علم القرآ ن كانت قريش عليه عيالا

و إن فاه ابن بنية النبي تلقف يداك فروعاً طوالا

و فيه يقول الرضي :

ياباقر العلم لأهل التقى و خير من لبّي على الأجل

[و مناقبه عليه السلام كثيرة مشهورة] حكى مولاه أفلح قال : حججت مع أبي جعفر

محمد الباقر فلما دخل المسجد و نظر البيت بكى .

فقلت : بأبي أنت و أمي إنّ الناس ينظرون إليك فلو خفضت صوتك قليلاً .



فقال : و يحك يا أفلح ! و لم لا أرفع صوتي بالبكاء لعل الله ينظر إليّ برحمة منه فأفوز بها غداً .

ثم طاف بالبيت و جاء حتى ركع خلف المقام فلما فرغ إذا موضع سجوده مبتل من دموع عينيه .

(و روى) عنه ابنه جعفر عليه السلام ، قال : كان أبي يقول في جوف الليل في تضرّعه :

« أَمْرَتِي فَلَمْ أُتَمِّمْ ، وَ نَهَيْتَنِي فَلَمْ أَنْزِجْ ، فَهَذَا أَنَا عَبْدُكَ بَيْنَ يَدَيْكَ ، مُقِرّاً لَأَعْتَدُ » .

قال خالد بن الهيثم : قال أبو جعفر محمد الباقر :

« ما اغرورقت عين من خشية الله تعالى إلا حرّم الله وجه صاحبها على النار ، فإن سألت على الخدين دموعه لم يرهق وجهه قترًا و لا ذلّةً ، و ما من شيء إلا و له جزاءٌ إلا الدمعة فإن الله تعالى يكفر بها بحوراً من الخطايا ، و لو أنّ باكياً يبكي في أمّةٍ لحرّم الله تلك الأمّة على النار » .

﴿ فائدتان : الأولى ﴾ روى الزهريّ قال حجّ هشام بن عبد الملك فدخل

المسجد الحرام متوكئاً على سالم موله ، و محمد بن علي في المسجد .

فقال له سالم : يا أمير المؤمنين هذا محمد بن علي بن الحسين في المسجد المفتون به أهل العراق ، فقال اذهب إليه و قل له يقول لك أمير المؤمنين ما الذي يأكله الناس و يشربونه إلى أن يفصل بينهم يوم القيامة ؟

فقال له قل : يحشر الناس على مثل قرص من نقى فيها أنهار متفجرة يأكلون و يشربون منها حتى يفرغوا من الحساب .

قال : فلما سمع هشام ذلك رأى أنّه قد ظفر به فقال : الله أكبر ارجع إليه فقل له



ما أشغلهم عن الأكل و الشرب يومئذ ؟

فقال محمد : قل له هم في النار و لم يشغلوا أن قالوا : ﴿ أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله ﴾^١ فسكت هشام و لم يرجع كلاماً .

[الثانية] و روى أن العلاء بن عمرو بن عبيد قدم على محمد بن علي بن الحسين عليه السلام يمتحنه ، فقال له جعلت فداك ما معنى قوله تعالى ﴿ أو لم ير الذين كفروا أن السموات و الأرض كانتا رتقا ففتقناهما ﴾^٢ ما هذا الرتق و الفتق ؟ فقال له أبو جعفر محمد عليه السلام : كانت السماء رتقاً لا تنزل مطراً و كانت الأرض رتقاً لا تخرج النبات ففتقهما بنزول المطر و خروج النبات .

فسكت أبو عمرو و لم يجد اعتراضاً ثم سأله عن قوله تعالى ﴿ و من يحلل عليه غضبي فقد هوى ﴾^٣ ما غضب الله تعالى ؟

فقال : طرده و عقابه يا أبا عمرو و من ظن أن الله يغيره شيء فقد كفر .
(و سئل) عن قوله تعالى ﴿ أولئك يجزون الغرفة بما صبروا ﴾^٤ فقال : بصبرهم على الفقر و مصائب الدين .

حكى سلمى مولاة أبي جعفر عليه السلام : أنه كان يدخل عليه بعض إخوانه فلا يخرجون من عنده حتى يطعمهم الطعام الطيب ، و يكسوهم في بعض الأحيان ، و يعطيهم الدراهم ، قالت : فكنت أكلمه في ذلك لكثرة عياله و توسط حاله ، فيقول : ياسلمى ! ما حسنة الدنيا إلا صلة الإخوان و المعارف ، فكان يصل بخمسة مائة درهم

١ - الأعراف ٧ : ٥٠ .

٢ - الأنبياء ٢١ : ٣٠ .

٣ - طه ٢٠ : ٨١ .

٤ - الفرقان ٢٥ : ٧٥ .

و بست مائة إلى ألف درهم .

﴿كرامة﴾ قال أبو بصير: قلت يوماً للباقر عليه السلام أنتم ورثة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟ قال: نعم، قلت: و رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وارث الأنبياء جميعهم؟ قال: وارث جميع علومهم، قلت: و أنتم ورثتم جميع علوم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟ قال: نعم، قلت: فأنتم تقدرون أن تُحيوا الموتى و تبرئوا الأكمه و الأبرص و تخبروا الناس بما يأكلون و ما يذخرون في بيوتهم؟ قال نعم، ففعل ذلك بأذن الله تعالى .

ثم قال ادن مني يا أبابصير! و كان أبو بصير مكفوف النظر، قال: فدنوت منه فمسح بيده على وجهي فأبصرت السماء و الجبل و الأرض، فقال: أتحتب أن تكون هكذا تبصر و حسابك على الله، أو تكون كما كنت و لك الجنة؟ قلت: الجنة، فمسح بيده على وجهي فعدت كما كنت .

﴿كرامتان: الأولى﴾ عن جعفر الصادق عليه السلام قال كان أبي في مجلس عام ذات يوم إذ أطرق برأسه الى الأرض ثم رفعه فقال: يا قوم كيف أنتم اذا جاءكم رجلٌ يدخل عليكم مدينتكم هذه في أربعة آلاف حتى يستعرضكم على السيف ثلاثة أيام متوالية، فيقتل مقاتلكم، و تلقون منه بلاء لا تقدرتون عليه و لا على دفعه و ذلك من قابل، فخذوا حذرکم و اعلموا أن الذي قلت لكم هو كائن لا بد منه .

فلم يلتفت أهل المدينة إلى كلامه و قالوا لا يكون هذا أبداً، فلما كان من قابل تحمّل أبو جعفر من المدينة بعياله هو و جماعة من بني هاشم و خرجوا منها، فجاءها نافع بن الأزرق فدخلها في أربعة آلاف و استباحها ثلاثة أيام، و قتل فيها خلقاً كثيراً لا يحصون و كان الأمر على ما قال .

[الثانية] من كتاب الدلائل للحميري عن زيد بن حازم قال كنت مع أبي جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام فمرّ بنا زيد بن علي أخوه فقال أبو جعفر أما رأيت



هذا ليخرجن بالكوفة و ليقتلن و ليطافن برأسه فكان كما قال ^١.

[و من كلامه عليه السلام] :

ما دخل قلب امرىء شىء من الكبر إلا نقص من عقله مثل ذلك قل أو أكثر .

و قال عليه السلام : سلاح اللثام قبيح الكلام .

و كان يقول : و الله لموت عالم أحب إلى الشيطان من موت سبعين عابداً .

و قال عليه السلام شيعتنا من أطاع الله .

[موعظة] قال جابر الجعفي قال لي محمد بن علي بن الحسين عليه السلام يا جابر !

إنني لمشتغل القلب ، قلت : و ما يشغل قلبك ؟

قال : يا جابر ! إنه من يدخل قلبه دين الله الخالص شغله عما سواه .

يا جابر ! ما الدنيا و ما عسى أن تكون هل هي إلا مركب ركبتة أو ثوب لبسته

أو امرأة أصبتها .

يا جابر ! إن المؤمنين لم يطمئنا إلى الدينا لزوالها ، و لم يأمنوا الآخرة

لأهوالها ، و إن أهل التقوى أيسر أهل الدنيا مؤنةً ، و أكثرهم لك معونة ، إن نسيت

ذكروك ، و إن ذكرت أعانوك ، أليسوا قوالين لحق الله قائمين بأمر الله ، فاجعل الدنيا

كمنزل نزلت به و ارتحلت منه ، و كمال أصبته في منامك ثم استيقظت و ليس معك

منه شىء .

و احفظ الله فيما استرعاك من دينه و حكمته .

(و قال عليه السلام) الغنى و الفقر يجولان في قلب المؤمن فإذا وصلا إلى مكان

التوكل استوطناه .

[و من كلامه عليه السلام] الصواعق تصيب المؤمن و غيره و لا تصيب ذاكر الله عز و جل .

(و قال عليه السلام) ما من عبادة أفضل من عفة بطن و فرج .

(و قال عليه السلام) بئس الأخ يرعاك غنياً و يقطعك فقيراً .

(و قال لابنه) يا بني إذا أنعم الله عليك نعمة فقل : الحمد لله ، و إذا أحزنك أمر فقل : لا حول و لا قوة إلا بالله العلي العظيم ، و إذا أبطأ عليك الرزق فقل : أستغفر الله .

(و قال عليه السلام) اعرف المودة في قلب أخيك بما له في قلبك .

و في كتاب نثر الدرر لأبي سعيد منصور بن الحسين إن محمد بن زين العابدين قال لابنه جعفر الصادق عليه السلام : يا بني إن الله خبأ ثلاثة أشياء في ثلاثة أشياء : خبأ رضاه في طاعته فلا تحقرن من الطاعة شيئاً فلعل رضاه فيه ، و خبأ سخطه في معصيته ، فلا تحقرن من معصيته شيئاً فلعل سخطه فيه ، و خبأ أوليائه في خلقه فلا تحقرن أحداً فلعله ذلك الولي^١ .

﴿ تنمة ﴾ في الكلام على وفاته و أولاده عليهم السلام (مات) أبو جعفر محمد الباقر عليه السلام سنة سبع عشرة و مائة و له من العمر ثلاث و ستون سنة ، و قيل ثمان و خمسون ، و قيل غير ذلك ، و أوصى أن يكفن في قميصه الذي كان يصلي فيه . و في درر الأصداف مات مسموماً كأبيه و دفن بقبة العباس بالبقيع . و مثله في الفصول المهمة .

عن ابنه جعفر الصادق عليه السلام قال : كنت عند أبي في اليوم الذي قبض فيه فأوصاني بأشياء في غسله و تكفينه و دفنه و دخول القبر ، قال فقلت : يا أبت و الله

ما رأيك منذ اشتكيت أحسن منك اليوم ولا أرى عليك أثر الموت .
فقال يابني أما سمعت علي بن الحسين يناديني من وراء الجدار يا محمد
عجل .

[و أولاده عليه السلام] ستة وقيل سبعة وهم أبو عبدالله جعفر الصادق - وكان
يكنى به - و عبدالله أمهما أم فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر ، و إبراهيم ، و
عبدالله و أمهما أم حكيم بنت أسد بن المغيرة الثقفية ، و علي ، و زينب ، لأم ولد نقله
صاحب الإرشاد^١ .



﴿ الامام السادس جعفر بن محمد الصادق عليه السلام ﴾

هو الامام أبو عبدالله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام ، قال الشبلنجي في وصفه :
﴿ ذكر مناقب سيدنا جعفر بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي
بن علي بن طالب عليه السلام ﴾ .

﴿ مولده عليه السلام ﴾

(ولد) جعفر الصادق بالمدينة سنة ثمانين من الهجرة ، و قيل سنة ثلاث و



ثمانين قال بعضهم و الأول أصح .

و أمه الفروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر و أم القاسم أسماء بنت عبدالرحمان بن أبي بكر .

(كنيته) أبو عبدالله ، و قيل أبو إسماعيل .

(و ألقابه) ثلاثة الصادق و الفاضل و الطاهر ، و أشهرها الصادق .

(صفته) معتدل آدم اللون .

(و شاعره) السيد الحميري .

(و بوابه) المفضل ابن عمرو .

(نقش خاتمة) ما شاء الله لا قوة إلا بالله أستغفر الله .

(و معاصره) أبو جعفر المنصور .

(و مناقبه عليه السلام كثيرة) تكاد تفوت عدّ الحاسب ، و يحار في أنواعها فهم اليقظ

الكاتب .

قال أبو حاتم : جعفر الصادق عليه السلام ثقة لا يسئل عن مثله .

(قال) ابن أبي حازم : كنت عند جعفر الصادق عليه السلام يوماً إذا سفيان الثوري

بالباب ، فقال ائذن له ، فدخل فقال له جعفر : يا سفيان ! إنك رجلٌ يطلبك السلطان

في بعض الأحيان و تحضر عنده و أنا أتقي السلطان فاخرج عتي غير مطرود .

فقال سفيان : حدّثني حديثاً أسمعه منك و أقوم .

فقال : حدّثني أبي عن جدّي عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال : « من أنعم الله

عبيه فليحمد الله ، و من استبطأ الرزق فليستغفر الله ، و من حزنه أمرٌ فليقل : لا حول

و لا قوة إلا بالله » فلما قام سفيان قال جعفر : خذها ياسفيان ثلاثاً و أي ثلاث .



و في (حياة الحيوان الكبرى) قال ابن قتيبة في كتاب أدب الكاتب : وكتاب الجفر كتبه الإمام جعفر الصادق بن محمد الباقر عليهما السلام فيه كل ما يحتاجون علمه إلى يوم القيامة ، و إلى هذا الجفر أشار أبو العلاء المعري بقوله :

لقد عجبوا لآل البيت لَمَّا
أَتَاهُمْ عِلْمُهُمْ فِي جِلْدِ جُفْرِ
و مَرَاةِ الْمُنْجَمِ وَ هِيَ صَغْرَى
تُرِيهِ كُلَّ عَامِرَةٍ وَ قَفْرٍ
و الجفر من أولاد المعز ما بلغ أربعة أشهر و انفصل عن أمه .

و في (الفصول المهمة) نقل بعض أهل العلم أن كتاب الجفر الذي بالغرب يتوارثه بنو عبد المؤمن بن علي من كلام جعفر الصادق عليه السلام و له فيه المنقبة السنية ، و الدرجة التي في مقام الفضل عليه .

(و كان) جعفر الصادق عليه السلام مجاب الدعوة إذا سأل الله شيئاً لا يتم قوله إلا و هو بين يديه ^١ .

﴿ الامام الصادق عليه السلام و جابر بن حيان ﴾

قال ابن خلكان : أبو عبدالله جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام : أحد الإثمة الاثنا عشر على مذهب الامامية ، و كان من سادات أهل البيت عليهم السلام ، و لُقّب بالصادق لصدق مقالته ^٢ و فضله أشهر من أن يذكر ، و له كلامٌ في صنعة الكيمياء و الزجر و الفأل :

١ - نور الأبصار ص ١٦٠ - ١٦١ .

٢ - أليس من العجب العجاب أن الامام الصادق عليه السلام الذي يسميه العامة و الخاصة جميعاً، صادقاً



وكان تلميذه أبو موسى جابر بن حيان الصوفي الطرطوسي قد ألف كتاباً يشتمل على ألف ورقة تتضمن رسائل جعفر الصادق ، وهي خمسمائة رسالة^١ .
وقال ابن حجر : نقل الناس عنه (أي جعفر الصادق عليه السلام) من العلوم ما سارت به الركبان ، وانتشر صيته في جميع البلدان ، وروى عنه الائمة الأكابر كيحيى بن سعيد ، وابن جريح ، ومالك ، والسفيانين ، وشعبة ، وأيوب السختياني ، وأمه فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر^٢ .

﴿ الامام الصادق عليه السلام و أبو حنيفة ﴾

قال الشبلنجي : (عن درر الأصداف) قال جعفر الصادق لأبي حنيفة بلغني أنك تقيس في الدين وأول من قاس ابليس ، فقال أبو حنيفة انما أقيس فيما لا أجد فيه نصاً^٣ .

(أقول) لقد فات الشبلنجي تكملة هذه الواقعة ، لكن ابن خلكان المتوفى (٦٨١) ذكرها في وفيات الأعيان على ما يلي :

ليست في صحيح البخاري رواية عنه مع رواية سائر العلماء الأعلام عنه كما سيأتي ، ومنشأ العجب أن البخاري يمتنع عن الرواية عن الامام الصادق عليه السلام ولا يمتنع عن الرواية عن عمران بن حطان الناصبي الذي انشد قصيدة في مدح عبدالرحمان بن ملجم المرادي التي مضت في ترجمة أميرالمؤمنين عليه السلام (فاعتبروا يا أولي الأبصار) .

١ - وفيات الأعيان ج ١ ص ٣٢٧ .

٢ - الصواعق المحرقة ص ١٢٠ .

٣ - نور الأبصار ص ١٦٠ .

قال ابن شبرمة : دخلت أنا و أبو حنيفة على جعفر بن محمد الصادق ، قلت له : هذا رجلٌ من أهل العراق له فقهٌ و علمٌ ، فقال جعفر : لعله الذي يقيس الدين برأيه هو النعمان بن ثابت . قال : و لم أعلم باسمه الا ذلك اليوم ، فقال له أبو حنيفة : نعم ! أنا ذلك أصلحك الله .

فقال له جعفر : اتق الله و لا تقس الدين برأيك فإن أول من قاس ابليس ، اذ قال : ﴿ أنا خيرٌ منه خلقتني من نار و خلقتة من طين ﴾^١ فأخطأ بقياسه فضل . ثم قال له : أتحسن أن تقيس رأسك من جسدك ؟

قال : لا . قال جعفر : فأخبرني لم جعل الله الملوحة في العينين و المرارة في الأذنين و الماء في المنخرين و العذوبة في الشفتين لأي شيء جعل الله ذلك ؟ قال : لا أدري . قال جعفر : إن الله تعالى خلق العينين فجعلهما شحمتين و خلق الملوحة فيهما مناً منه على ابن آدم و لولا ذلك لذابتا فذهبتا . و جعل المرارة في الأذنين مناً منه عليه و لولا ذلك لهجمت الدواب فأكلت دماغه .

و جعل الماء في المنخرين ليصعد منه النفس و ينزل و يجد منه الريح الطيبة من الريح الرديئة .

و جعل العذوبة في الشفتين ليجد ابن آدم لذة الطعام و المشرب . ثم قال لأبي حنيفة : أخبرني عن كلمة أولها شرك و آخرها إيمان ؟ قال : لا أدري . قال جعفر : هي كلمة (لا إله إلا الله) فلو قال لا إله ثم سكت كان شركاً .

ثم قال : و يحك أيّما أعظم عند الله إثماً : قتل النفس التي حرّم الله بغير حقّ أو الزنا ؟

قال : بل قتل النفس . قال جعفر : إنّ الله تعالى قد قبل في قتل النفس شهادة شاهدين و لم يقبل في الزنا إلا شهادة أربعة ، فأنتى يقوم لك القياس ؟
ثم قال : أيّما أعظم عند الله الصّوم أو الصّلاة ؟

قال : الصّلاة ، قال : فما بال الحائض تقضي الصّوم و لا تقضي الصّلاة ؟
(ثم قال الصادق عليه السلام) اتق الله يا عبدالله ! و لا تقس الدين برأيك فإننا نقف غداً و من خالفنا بين يدي الله فنقول : قال الله و قال رسول الله ، و تقول أنت و أصحابك : سمعنا و رأينا فيفعل الله بنا و بكم ما يشاء .

و الجواب : أنّ الزنا لا يقبل فيه إلا أربعة طلباً للستر ، و أنّ الحائض لا تقضي الصّلاة دفعاً للمشقة لأنّ الصّلاة متكررة في اليوم و الليلة خمس مرات بخلاف الصوم فإنه في السنة مرة .

و حكى كشاجم في كتاب « المصايد و المطارد » أنّ جعفرأ المذكور سأل أبا حنيفة ، فقال : ما تقول في محرم كسر رباعية ظبي ؟
فقال : يا ابن رسول الله ، ما أعلم ما فيه .

فقال له : أنت تتدهى و لا تعلم أنّ الظبي لا يكون له رباعية و هو ثنيّ أبداً^١ .

﴿ و من مكاشفاته عليه السلام ﴾

ما نقله ابن حجر في صواعقه : أنّ ابن عمه عبدالله المحض كان شيخ بني

هاشم و هو والد محمد الملقب بالنفس الزكية ففي آخر دولة بني أمية و ضعفهم أراد بنو هاشم مبايعة محمد و أخيه ، و أرسل إلي جعفر ليبايعهما فامتنع فاتهم أنه يحسدهما فقال : و الله ليست لي و لا لهما انها لصاحب القباء الأصفر ليلعبن بها صبيانهم و غلمانهم و كان المنصور العباسي يومئذ حاضراً و عليه قباء أصفر فما زالت كلمة جعفر تعمل فيه حتى ملكوا ، و سبق جعفر الى ذلك و الده الباقر عليه السلام فانه أخبر المنصور يملك الأرض شرقها و غربها و طول مدته .

فقال له : و ملكنا قبل ملككم ؟ قال : نعم ، و يملك أحد من ولدي ؟ قال : نعم ، قال : فمدة بني أمية أطول أم مدتنا ؟ قال : مدتكم ، و ليلعبن بهذا الملك صبيانكم كما يلعب بالكرة ، هذا ما عهد الي أبي .

فلما أفضت الخلافة للمنصور و ملك الأرض تعجب من قول الباقر^١ .

﴿ و من معاجزه عليه السلام ﴾

ما نقله أيضاً : (و أخرج) أبو القاسم الطبري من طريق ابن وهب قال سمعت الليث بن سعد يقول : حججت سنة ثلاث عشرة و مائة ، فلما صليت العصر في المسجد رقيت أبا قيس فاذا رجلٌ جالسٌ يدعو فقال يا ربّ يا ربّ حتى انقطع نفسه ، ثم قال يا حيّ يا حيّ حتى انقطع نفسه ، ثم قال ألهي أني أشتهي العنب فأطعمنيه اللهم و أنّ برداي قد خلقتا فاكسني .

قال الليث : فو الله ما استتم كلامه حتى نظرت الى سلّة مملوءة عنباً و ليس على الأرض يومئذ عنب ، و اذا بردان موضوعتان لم أر مثلهما في الدنيا فأراد أن

يأكل فقلت : أنا شريكك ، فقال : ولم ؟ فقلت : لأنك دعوت و كنت أوّمن ، فقال :
تقدّم وكل ، فتقدّمت و أكلت عنباً لم آكل مثله قطّ ما كان له عجم ، فأكلنا حتى
شبعنا ، و لم تتغيّر السلّة فقال : لا تدخر و لا تخبأ منه شيئاً .

ثم أخذ أحد البردين و دفع إليّ الآخر ، فقلت : أنا بي غني عنه فأتترز
باحدهما و ارتد بالآخر ثم أخذ برديه الخلقين فنزل و هما بيده فلقيه رجل بالمسعى
فقال اكسني يا ابن رسول الله مما كساك الله فانني عريان ، فدفعهما اليه ، فقلت : من
هذا ؟ قال : جعفر الصادق ، فطلبته بعد ذلك لأسمع منه شيئاً فلم أقدر عليه انتهى^١ .

﴿ من كلامه عليه السلام ﴾

قال الشبلنجي : و من كلامه عليه السلام : لا يتمّ المعروف الا بثلاث : تعجيله ، و
تصغيره ، و ستره .

و قال : تأخير التوبة اغترار ، و طول التسوية حيرة ، و الاعتلال على الله
هلكة ، و الإصرار على الذنب أمنٌ من مكر الله و لا يأمن مكر الله إلا القوم
الخاسرون .

و قال : أربعة أشياء القليل منها كثير : النار ، و العداوة ، و الفقر ، و المرض .
و سئل لم سمي البيت العتيق ؟ قال : لأنّ الله تعالى عتقه من الطوفان .
و قال : صحبة عشرين يوماً قرابة .

و قال : كفارة عمل السلطان الإحسان إلى الإخوان .

وقال : إذا دخلت منزل أخيك فاقبل الكرامة ما خلا الجلوس في الصدر .
وقال : البنات حسنات و البنون نعم و الحسنات يثاب عليها و النعم مسئول عنها .

وقال : من لم يستح عند العيب ، و يرع عند الشيب ، و يخش الله بظهر الغيب ، فلا خير فيه .

وقال : من أكرمك فأكرمه و من استخف بك فأكرم نفسك عنه .

وقال : منع الجود سوء ظن بالمعبود .

وقال : دعا الله الناس في الدنيا بآبائهم ليتعارفوا و دعاهم في الآخرة بأعمالهم ليجازوا فقال يا أيها الذين آمنوا و يا أيها الذين كفروا .

وقال : إن عيال المرء أسراؤه فمن أنعم الله عليه نعمة فليوسع على أسرائه ، فإن لم يفعل يوشك أن تزول تلك النعمة عنه .

وقال : ثلاثة لا يزيد الله بها الرجل المسلم إلا عزاً : الصفح عمن ظلمه ، و الإعطاء لمن حرمه ، و الصلة لمن قطعه .

وقال : المؤمن إذا غضب لم يخرج غضبه عن حق و إذا رضي لم يدخله رضاه في باطل .

(قال) بعض شيعة جعفر الصادق عليه السلام دخلت عليه و موسى ولده بين يديه و هو يوصيه بهذه الوصية فحفظتها فكان مما أوصى به أن قال : يابني اقبل وصيتي و احفظ مقالتي فإنك إن حفظتها تعيش سعيداً و تمت حميداً .

يابني ! إنه من قنع بما قسم الله له استغنى ، و من مد عينيه إلى ما في يد غيره مات فقيراً ، و من لم يرض بما قسم الله له اتهم ربّه في قضائه ، و من استصغر زلة نفسه استصغر زلة غيره .



يابني! من كشف حجاب غيره إنكشفت عورته ، و من سل سيف البغي قتل به ، و من احتفر لأخيه بئراً سقط فيها ، و من داخل السفهاء حُقر ، و من خالط العلماء وُقر ، و من دخل مداخل السوء اتهم .

يابني! قل الحق لك أو عليك ، و إيتاك و النميمة فإنها تزرع الشحناء في قلوب الرجال .

يابني! إذا زرت فزر الأخيار و لا تزر الأشرار ، فإنهم صخرة لا يتفجر ماؤها ، و شجرة لا يخضر ورقها ، و أرض لا يظهر عشبها .

(قال) أحمد بن عمر بن مقدم الرازي : وقع الذباب على وجه المنصور فذبه فعاد حتى أضجره و كان عنده جعفر بن محمد عليه السلام في ذلك الوقت فقال له المنصور : يا أبا عبدالله لم خلق الله الذباب ؟ قال : ليذل به الجبارة ، فسكت المنصور .

روى محمد بن حبيب عن جعفر الصادق بن محمد عن أبيه عن جده عليه السلام و رفعه قال : ما من مؤمن أدخل على قوم سروراً إلا خلق الله من ذلك السرور ملكاً يعبد الله و يحمده و يمجده فإذا صار المؤمن في لحدته أتاه ذلك السرور الذي أدخله على أولئك ملكاً فيقول أنا اليوم أونس و حشتك و ألقنك و أثبتك بالقول الثابت و أشهد بك مشاهد القيامة و أشفع لك إلى ربك و أريك منزلتك في الجنة . كذا في الفصول المهمة^١ .

و قال الصادق عليه السلام لأبي جعفر المنصور : حدثني محمد بن علي عن أبيه علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : « إن الرجل

ليصل رحمه و قد بقي من عمره ثلاث سنين فيصله الله إلى ثلاث و ثلاثين سنة ، و إن الرجل ليقطع رحمه و قد بقي من عمره ثلاث و ثلاثون سنة فينزلها إلى ثلاث سنين « .

فقال المنصور : آله سمعت هذا من أبيك ؟ فقلت : و الله لقد سمعتها منه فرددها عليّ ثلاثاً .

روي عن جعفر الصادق عليه السلام أنه قال لغلامه ناقد : يا ناقد ! إذا كتبت كتاباً في حاجة و أردت أن تنجح حاجتك التي تريد فاكتب في رأس الورقة :

بسم الله الرحمن الرحيم و عد الله الصابرين المخرج مما يكرهون و الرزق من حيث لا يحتسبون جعلنا و إياكم من الذين لا خوف عليهم و لا هم يحزنون .
قال ناقد : فكنت أفعل فتنجح حوائجي .

قال جعفر الصادق عليه السلام : للصدقة خمس شروط ، فمن كانت فيه فانسبوه إليها و من لم تكن فيه فلا تنسبوه إلى شيء منها ، و هي : أن يكون زين صديقه زينه ، و سريرته له كعلائيته ، و أن لا يغيره عليه مالٌ و أن يراه أهلاً لجميع مودته ، و لا يسلمه عند النكبات .

﴿ تممة ﴾ في الكلام على وفاته و أولاده عليهم السلام (قال ابن الصبّاغ) مات جعفر الصادق بن محمد عليه السلام سنة ثمان و أربعين و مائة في شوال و له من العمر ثمان و ستون يقال إنه مات بالسم في أيام المنصور^١ و دفن بالبقيع عند القبر الذي دفن فيه أبوه و جده و عم جده فلله درّه من قبر ما أكرمه و أشرفه انتهى .

﴿ و أولاده عليهم السلام كانوا سبعة و قيل أكثر ستة ذكور و بنت واحدة و هم :

إسماعيل و محمد و علي و عبد الله و إسحاق و موسى الكاظم و البنت اسمها فروة كذا في الفصول المهمة .

(و في الملل و النحل) للشهرستاني كان لجعفر الصادق خمسة أولاد محمد و إسماعيل و عبد الله و موسى و علي ، و أسقط إسحاق و البنت .

(و في بغية الطالب) أن أولاد جعفر تسعة ، إلا أنه لم يسردهم جميعهم إنما عد ما في الفصول المهمة و اقتصر و لم يذكر البنت^١ .



﴿ الامام السابع موسى الكاظم بن جعفر عليه السلام ﴾

هو أبو الحسن موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام ، و صفه ابن حجر هكذا : هو وارثه (أي جعفر الصادق عليه السلام) علماً و معرفةً و كمالاً و فضلاً سمي الكاظم لكثرة تجاوزه و حلمه و كان معروفاً عند أهل العراق بباب قضاء الحوائج عند الله . و كان أعبد أهل زمانه و أعلمهم و أسخاهم^٢ . و قال الشبلنجي : كان موسى الكاظم عليه السلام أعبد أهل زمانه و أعلمهم و أسخاهم كفاً و أكرمهم نفساً و كان يتفقّد فقراء المدينة فيحمل إليهم الدراهم و الدنانير إلى بيوتهم ليلاً و كذلك النفقات و لا يعلمون من أي جهة و صلهم ذلك و لم

١ - نور الأبصار ص ١٦٢ .

٢ - الصواعق ص ١٢١ .

يعلموا بذلك إلا بعد موته (وكان) كثيراً ما يدعو: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الرَّاحَةَ عِنْدَ الْمَوْتِ
وَالْعَفْوَ عِنْدَ الْحِسَابِ .
أُمهُ أُمٌ وَلِدٌ يُقَالُ لَهَا حَمِيدَةُ الْبَرْبَرِيَّةِ .

﴿ مولده عليه السلام ﴾

(ولد) موسى الكاظم بالأبواء^١ سنة ثمان و عشرين و مائة من الهجرة .
(وكنيته) أبو الحسن .
(و ألقابه كثيرة) أشهرها الكاظم ثم الصابر و الصالح و الأمين .
(صفته) أسمر عتيق^٢ .
(شاعره) السيد الحميري .
(بوابه) محمد بن الفضل .
(نقش خاتمه) الملك لله وحده .
(معاصره) موسى الهادي و هارون الرشيد .

قال بعض أهل العلم: الكاظم هو الإمام الكبير القدر الأوحد الحجة ، الحبر
الساھر ليله قائماً، القاطع نهاره صائماً، المسمّى لفرط حلمه و تجاوزه عن المعتدين
كاظماً، و هو المعروف عند أهل العراق بباب الحوائج إلى الله و ذلك لنجح قضاء
حوائج المتوسلين به .

١ - قرية من أعمال الفُرع من المدينة، بينها و بين الجُحفة ثلاثة و عشرون ميلاً (مرصد الاطلاع) .

٢ - العتيق: الخيار من كل شيء .



﴿ مناقبه عليه كريمة وشهيرة ﴾

يحكى أن الرشيد سأله يوماً فقال: كيف قلتُم نحن ذرية رسول الله ﷺ و
 أنتم بنو علي و إنما ينسب الرجل إلى جدّه لأبيه دون جدّه لأمه؟
 فقال الكاظم: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ و من
 ذريته داود و سليمان و أيوب و يوسف و موسى و هارون و كذلك نجزي المحسنين و
 زكريا و يحيى و عيسى ﴿^١ و ليس لعيسى أب و إنما الحق بذرية الأنبياء من قبل أمه،
 و كذلك ألقنا بذرية النبي ﷺ من قبل أمنا فاطمة، و زيادة أخرى قال الله
 عز و جل ﴿ فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا و أبناءكم
 و نساءنا و نساءكم و أنفسنا و أنفسكم ثم نبتهل ﴿^٢ و لم يدع النبي ﷺ عند مباهلة
 النصارى غير علي و فاطمة و الحسن و الحسين عليه و هم الأبناء^٣.

﴿ معاجزه عليه ﴾

قال الشبلنجي: كراماته: [الأولى] قال حسام بن حاتم الأصم: قال لي شقيق
 البلخي خرجت حاجاً سنة ست و أربعين و مائة فنزلت بالقادسية فبينما أنا أنظر
 الناس في مخرجهم إلى الحجّ و زينتهم و كثرتهم إذ نظرت إلى شاب حسن الوجه

١ - الأنعام ٦ : ٨٤ .

٢ - آل عمران ٣ : ٦١ .

٣ - نور الأبصار ص ١٦٢ - ١٦٤ .

شديد السمرة نحيف فوق ثيابه ثوب صوف مشتمل بشملة و في رجله نعلان و قد جلس منفرداً فقلت في نفسي هذا الفتى من الصوفية و يريد أن يخرج مع الناس فيكون كلاً عليهم في طريقهم و الله لأمضين إليه و لأوبخته، فدنوت منه فلما رأني مقبلاً نحوه قال يا شقيق ﴿ اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن إثم ﴾^١ .

ثم تركني و ولّى فقلت في نفسي إن هذا الأمر عجيب تكلم بما في خاطري ، و نطق باسمي هذا عبداً صالحاً لألحقته و أسألته الدعاء و أتحلله بما ظننت فيه ، فغاب عني و لم أره .

فلما نزلنا وادي فضة فإذا هو قائمٌ يصلي، فقلت هذا صاحبي أمضي إليه و أستحلّه، فصبرت حتى فرغ من صلاته فالتفت إليّ و قال: يا شقيق! اتل : ﴿ و آتي لغفار لمن تاب و آمن و عمل صالحاً ثم اهتدى ﴾^٢ ثم قام و مضى و تركني فقلت هذا الفتى من الأبدال قد تكلم على سري مرتين .

فلما نزلنا بالأبواء إذا أنا بالفتى قائم على البئر و أنا أنظر إليه و بيده ركوة^٣ فيها ماء فسقطت من يده في البئر فرمق إلى السماء بطرفه و سمعته يقول :

أنت شربي إذا ظمئت من الماء و قسوتي إذا أردت طعاما

ثم قال إلهي و سيدي مالي سواك فلا تعدمنيها، فوالله لقد رأيت الماء قد ارتفع إلى رأس البئر و الركوة طافية عليه فمدّ يده فأخذها فتوضأ منها و صلّى أربع ركعات ، ثم مال الى كتيب رمل فجعل يقبض بيديه و يجعل في الركوة و يحركها و

١ - الحجرات ٤٩ : ١٢ .

٢ - طه ٢٠ : ٨٢ .

٣ - الرّكوة : اناء صغير من جلد يشرب فيه الماء .



يشرب فأقبلت نحوه و سلمت عليه فردّ عليّ السلام ، فقلت أطمعني من فضل ما أنعم الله عليك .

فقال يا شقيق ! لم تزل نعم الله على ظاهرة و باطنة فأحسن ظنك بربك .
ثم ناولني الركوة فشربت منها فإذا سويق بسكر فوالله ما شربت قطّ ألدّ منه و لا أطيب فشربت و رويت حتى شبع ، فأقمت أياماً لا أشتهي طعاماً و لا شرباً .

ثم لم أره حتى نزلنا بمكة فرأيت له ليلةً إلى جنب قبة الشراب نصف الليل و هو قائمٌ يصليّ بخشوع و أنين و بكاء ، فلم يزل كذلك حتى طلع الفجر ، ثم قام إلى حاشية المطاف فركع ركعتي الفجر هناك ثم صلىّ الصبح مع الناس ، ثم دخل المطاف فطاف إلى بعد شروق الشمس ، ثم صلىّ خلف المقام ، ثم خرج يريد الذهاب ، فخرجت خلفه أريد السلام عليه ، و إذا بجماعة أحاطوا به يميناً و شمالاً و من خلفه ، و من أمامه ، و خدمٌ و حشمٌ و أتباعٌ خرجوا معه .

فقلت لأحدهم : من هذا الفتى ياسيدي ؟ فقال هذا موسى الكاظم بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام .

و هذه الكرامة رواها جماعة من أهل التأليف ، و رواها ابن الجوزي في كتابه (مثير الغرام الساكن إلى أشرف الأماكن) و رواها الجنازدي في (معالم العترة النبوية) و الرامهرمزي في كتابه (كرامات الأولياء) و هي كرامة اشتملت على كرامات .

[الثانية] من كتاب الدلائل للحميري روى أحمد بن محمد عن أبي قتادة عن أبي خالد الزبالي قال قدم علينا أبو الحسن موسى الكاظم زبالاً و معه جماعة من أصحاب المهدي بعثهم في إحضاره لديه إلى العراق من المدينة ، و ذلك في مسكته



الأولى .

فأتيته فسلمت عليه فسرّ برؤيتي و أوصاني بشراء حوائج و بتبقيتها عندي له ، فرآني غير منبسط فقال ما لي أراك منقبضاً ؟ فقلت : كيف لا أنقبض و أنت سائر الى هذه الفئة الطاغية و لا آمن عليك .

فقال : يا أبا خالد ! ليس عليّ بأس ، فإذا كان في شهر كذا في اليوم الفلاني منه فانتظرنى آخر النهار مع دخول الليل فإني أوافيك إن شاء الله تعالى .

قال أبو خالد فما كان لي همٌّ إلا إحصاء تلك الشهور و الأيام إلى ذلك اليوم الذي وعدني المجيء فيه ، فخرجت غروب الشمس فلم أر أحداً فلما كان دخول الليل إذا بسواد قد أقبل من ناحية العراق فقصدته فإذا هو على بغلة أمام القطار ، فسلمت عليه ، و سررت بمقدمه و تخلّصه .

فقال لي : أ داخلك الشكّ يا أبا خالد !

فقلت : الحمد لله الذي خلّصك من هذا الطاغية .

فقال : يا أبا خالد ! إنّ لهمّ إليّ عودة لا أتخلّص منها .

(أقول) ذكرها ابن حجر أيضاً فى الصواعق ص ١٢١ .

[الثالثة] عن عيسى المدائني قال خرجت سنة إلى مكة فأقمت بها مجاوراً ثم قلت أذهب إلى المدينة فأقيم بها سنةً مثل ما أقمت بمكة فهو أعظم لثوابي ، فقدمت المدينة فنزلت طرف المصلّى إلى جنب دار أبي ذر رضي الله عنه و جعلت أختلف إلى سيدنا موسى الكاظم عليه السلام فبينما أنا عنده في ليلة ممطرة إذ قال لي : يا عيسى ! قم فقد انهدم البيت على متاعك فقامت فإذا البيت قد انهدم على المتاع ، فاكتريت قوماً كشفوا عن متاعي و استخرجت جيمعه و لم يذهب لي غير سطل للوضوء .

فلما أتته من الغد قال : هل فقدت شيئاً من متاعك فندعو الله لك بالخلف ؟



فقلت : ما فقدت غير سطل كان لي أتوضأ منه .

فأطرق رأسه ملياً ثم رفعه فقال قد ظننت أنك أنسيته قبل ذلك ، فأت جارية ربّ الدار فاسألها عنه ، و قل لها أنسيت السطل في بيت الخلاء فردّيه ، قال فسألها عنه فردّته .

[الرابعة] عن عبدالله بن إدريس عن ابن سنان قال حمل الرشيد في بعض الأيام إلى علي بن يقطين ثياباً فاخرة أكرمه بها ، و من جملتها دُرّاعة منسوجة بالذهب سوداء من لباس الخلفاء .

فأنفذها علي بن يقطين لموسى الكاظم فردّها و كتب إليه احتفظ عليها و لا تخرجها عن يدك فسيكون لك بها شأن تحتاج معه إليها .

فارتاب علي بن يقطين لردها عليه و لم يدر ما سبب كلامه ذلك ، ثم إنه احتفظ بالدُرّاعة و جعلها في سَفَطٍ^١ و ختم عليها فلمّا كان بعد مدة يسيرة تغيّر علي بن يقطين على بعض غلمانه ممن كان يختصّ بأمره و يطّلع عليها فصرفه عن خدمته و طرده لأمر أوجب ذلك منه .

فسعى الغلام بعلي بن يقطين إلى الرشيد ، و قال له إنّ علي بن يقطين يقول بإمامة موسى الكاظم عليه السلام و أنه يحمل إليه كل سنة زكاة ماله و الهدايا و التحف و قد حمل إليه في هذه السنة ذلك و صحبته الدُرّاعة السوداء التي أكرّمته بها يا أميرالمؤمنين في وقت كذا .

فاسشاط الرشيد لذلك غيظاً و قال لأكشفت عن ذلك فإن كان الأمر على ما ذكرت أزهدت روحه ، و ذلك من بعض جزائه .

فأنفذ في الوقت و الحين من أحضر علي بن يقطين ، فلما مثل بين يديه ، قال : ما فعلت بالدَّرَاعَة السوداء التي كسوتكها و اختصصتك بها من مدة من بين سائر خواصي ؟

قال : هي عندي يا أمير المؤمنين في سَفَط فيه طيب مختوم عليها .

فقال : أحضرها السَّاعَة ، قال نعم يا أمير المؤمنين السَّمْع و الطاعة ، و استدعى بعض خدمه فقال امض و خذ مفتاح البيت الفلاني من داري و افتح الصندوق الفلاني و آتني بالسَّفَط الذي فيه على حالته بختمه فلم يلبث الخادم إلا قليلاً حتى عاد و في صحبته السَّفَط مختوماً فوضع بين يدي الرشيد .

فأمر بفك ختمه ففكّ و فتح السَّفَط و إذا بالدَّرَاعَة فيه مطوية على حالها لم تلبس و لم تدنس و لم يُصبها شيء من الأشياء .

فقال لعلي بن يقطين ردّها إلى مكانها و خذها و انصرف راشداً فلن نصدق بعدها عليك ساعياً و أمر أن يتبع بجائزة سنية و بأن يضرب السَّاعِي ألف سوط فضرب فلما بلغوا خمسمائة سوط مات تحت الضرب قبل الألف .

[الخامسة] روى إسحاق بن عمّار قال : لما حبس هارون الرشيد موسى

الكاظم عليه السلام دخل الحبس ليلاً أبو يوسف و محمد بن الحسن صاحباً أبي حنيفة ، فسألما عليه ، و جلسا عنده و أرادا أن يختبراه بالسؤال لينظرا مكانه من العلم ، فجاء بعض الموكلين به ، فقال له إنّ نوبتي قد فرغت و أريد الانصراف من غد إن شاء الله تعالى ، فإن كان لك حاجة تأمرني أن آتيك بها غداً إذا جئت .

فقال : مالي حاجة انصرف ، ثم قال لأبي يوسف و محمد بن الحسن : إنّي لأعجب من هذا الرجل يسألني أن أكلفه حاجة يأتيني بها معه غداً إذا جاء و هو ميت في هذه الليلة .



فأمسكا عن سؤاله و قاما و لم يسألاه عن شيء و قالوا : أردنا أن نسأله عن
الفرض و السنة فأخذ يتكلم معنا في علم الغيب ، و الله لنرسلن خلف الرجل من
بيت على باب داره و ينظر ماذا يكون من أمره .

فأرسلا شخصاً من جهتهما جلس على باب ذلك الرجل فلما كان أثناء الليل و
إذا بالصراخ و الناعية فقليل لهم ما الخبر ؟ فقالوا مات صاحب البيت فجأة
فعاد إليهما الرسول و أخبرهما فتعجبا من ذلك غاية العجب ، من الفصول
المهمة^١ .

﴿ من كلامه عليه السلام ﴾

قال الشبلنجي :

عن اسحاق بن جعفر قال سألت أخي موسى الكاظم بن جعفر عليه السلام قلت :
أصلحك الله أيكون المؤمن بخيلاً ؟ قال : نعم ، قال فقلت : أيكون خائناً قال لا و لا
يكون كذاباً ثم قال حدّثني أبي جعفر عن آبائه قال : سمعت رسول الله ﷺ
يقول : « كل خلة يطوى المؤمن عليها ليس الكذب و الخيانة » .

و روى عن جدّه رسول الله ﷺ قال : نظر الولد الى والديه عبادة^٢ .

١ - نور الأبصار ص ١٦٥ - ١٦٦ .

٢ - نور الأبصار ص ٦٤ .

﴿ شهادته عليه السلام ﴾

قال ابن حجر في سبب شهادته : قال له الرشيد حين رآه جالساً عند الكعبة : أنت الذي يبائعك الناس سرّاً ؟ فقال : أنا امام القلوب و أنت امام الجسوم .
و لمّا اجتمعا أمام الوجه الشريف على صاحبه أفضل الصلاة و السلام قال الرشيد : السلام عليك يا ابن عم ! سمعها من كان حوله .
فقال الكاظم : السلام عليك يا أبتِ ، فلم يحتملها و كانت سبباً لامساكه و حمله معه الى بغداد و حبسه فلم يخرج من حبسه الا ميّتاً مقيداً و دفن جانب بغداد الغربي^١ .

و قال الشبلنجي : روى أحمد بن عبدالله بن عمّار عن محمد بن علي النوفلي قال كان السبب في أخذ الرشيد لموسى بن جعفر عليه السلام و حبسه إياه أنه سعى به جماعة و قالوا إنّ الأموال تحمل إليه من جميع الجهات و الزكاة و الأخماس ، فخرج الرشيد في تلك السنة يريد الحج و بدأ بدخوله المدينة فلما أتاها استقبله موسى الكاظم عليه السلام في جماعة من الأشراف فلما دخلها و استقرّ و مضى كل واحد الى سبيله ذهب موسى على جاري عادته الى المسجد ، و أقام الرشيد الى الليل و سار إلى قبر رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله إنني أعتذر إليك من أمر أريد فعله و هو أن أمسك موسى الكاظم فإنه يريد التشغيب بين أمتك و سفك دماهم و إنني أريد حقنها .

ثم خرج فأمر به فأخذ من المسجد فدخل به إليه فقيده في تلك الساعة و

استدعى بقبطين فجعل كل واحدة منهما على بغل و سترهما بالسقلاط و جعله في إحدى القبطين و جعل مع كل واحدة منهما خيلاً و أرسل بواحدة منهما على طريق البصرة و بواحدة على طريق الكوفة و إنما فعل ذلك الرشيد ليعمى على الناس أمره و كان موسى الكاظم بالقبة التي أرسلها بطريق البصرة .

و أوصى القوم الذين كانوا معه أن يسلموه إلى عيسى بن جعفر بن المنصور ، و كان على البصرة يومئذٍ والياً فسلموه له و حبسه عنده سنة .

فبعد السنة كتب إليه الرشيد في سفك دمه و إراحته منه فاستدعى عيسى بن جعفر بعض خواصه و ثقاته الناصحين له فاستشارهم بعد أن أراهم ما كتبه له الرشيد ، فقالوا نشير عليك بالاستعفاء من ذلك ، و أن لاتقع فيه .

فكتب عيسى بن جعفر للرشيد يقول :

يا أمير المؤمنين ! كتبت اليّ في هذا الرجل و قد اخترته طول مقامه في حبسي فلم يكن منه سوء قطّ و لم يذكر أمير المؤمنين إلا بخير ، و لم يكن عنده تطعّ للولاية ، و لا خروج و لا شيء من أمر الدنيا ، و لا دعا قط على أمير المؤمنين ، و لا على أحد من الناس ، و لا يدعو إلا بالمغفرة و الرحمة له و لجميع المسلمين ، مع ملازمته للصيام و الصلاة و العبادة ، فإن رأى أمير المؤمنين أن يعفني من أمره و يأمر بتسليمه متي ، و إلا سرتحت سبيله فإنني منه في غاية الحرج .

فلما بلغ الرشيد كتاب عيسى بن جعفر كتب إلى السندي بن شاهك أن يتسلم موسى الكاظم بن جعفر من عيسى بن جعفر و أمره فيه بأمره ، فكان الذي تولى به السندي قتله أن جعل له سمّاً في طعام و قدّمه له ، و قيل في رطب فأكل منه موسى الكاظم ثم إنه أقام موعوكاً ثلاثة أيام و مات ﷺ .



ولما مات أدخل السندي الفقهاء ووجوه أهل بغداد وفيهم الهيثم بن عدي وغيره ينظرون إليه أنه ليس به أثر من جرح أو قتل أو خنق وأنه مات حتف أنفه .

(وروي) أنه لما حضرته الوفاة سأل السندي أن يحضر مولى له مدنياً ينزل عند دار العباس بن محمد ليتولى غسله ودفنه وتكفينه ، فقال له السندي أنا أقوم لك بذلك على أحسن شيء وأتمه ، فقال إنا أهل بيت مهور نساونا وحج صرورتنا وكفن موتانا وجهازنا من خالص أموالنا وأريد أن يتولى ذلك مولاي هذا ، فأجابه إلى ذلك وحضره له فوصاه بجميع ما يفعل فلما مات تولى ذلك مولاه المذكور كذا في الفصول المهمة^١ .

(و من) كتاب الصفوة لابن الجوزي قال بعث موسى بن جعفر الكاظم إلى الرشيد من الحبس برسالة كتب فيها بأنه : لم ينقض عني يوم من البلاء إلا انقضى معه يوم عنك من الرخاء حتى نمضي جميعاً إلى يوم ليس له انقضاء هناك يخسر المبطلون .

وقد كان قوم من الشيعة زعموا أن موسى الكاظم هو القائم المنتظر وجعلوا حبسه هو الغيبة المذكورة للقائم ، فأمر هارون الرشيد يحيى بن خالد أن يضعه على الجسر ببغداد وأن ينادي هذا موسى بن جعفر الذي تزعم الرافضة أنه لا يموت^٢

١ - قد مضى سابقاً أنّ الامام لا يتولى غسله وكفنه والصلاة عليه الا الامام .

٢ - لا يمكن أن يكون في الشيعة من يقول أنّ الامام موسى بن جعفر عليه السلام لا يموت وانه هو القائم المنتظر لانفاق المسلمين كلهم على أنّ اسمه م ح م د على اسم نبينا محمد صلى الله عليه وآله فكيف يدّعي مدع أنّ الامام موسى هو القائم المهدي . بل الواقع أنّ هارون أمر السندي بوضع الجنازة على الجسر لاختفاء قتله ولاظهار أنه مات حتف أنفه، ويؤيده ما رواه الشبلنجي نفسه قبيل هذه السطور أنه مات حتف أنفه =

فانظروا إليه ميتاً ففعل ونظر الناس إليه ثم حمل و دفن موسى الكاظم في مقابر
قريش بباب التين ببغداد كذا في كتاب الأنساب وغيره .
و كانت وفاته لخمس بقين من شهر رجب سنة ثلاث و ثمانين و مائة و له
من العمر خمس و خمسون سنة .

﴿ أما أولاده عليه السلام ﴾ ففي الفصول المهمة كان له سبعة و ثلاثون ولداً مابين
ذكر و أنثى و هم علي الرضا و العباس و القاسم و إسماعيل و جعفر و هارون و
الحسن و عبدالله و إسحاق و عبدالله و زيد و الحسن و أحمد و محمد و الفضل و
سليمان و فاطمة الكبرى و فاطمة الصغرى و رقية و حليلة و أم أسماء و رقية
الصغرى و أم كلثوم و ميمونة اهد و لكنه لم يستوف العدد المذكور .

و من أولاد الكاظم كما في بغية الطالب : عون .
و إليه يرجع نسب سيدنا و مولانا الشيخ الكبير الولي المقرب جامع الشرفين
شرف النسب و شرف المعرفة بالله و الأدب ذي الكرامات الظاهرة و الغارات
المتظاهرة أبي الاشبال علي الأهدل^١ .

= و قال العلامة الأربلي بعد ما نقل قضية تسميمه بالرطب : لما مات موسى عليه السلام أدخل السندي بن
شاهك الفقهاء و وجوه أهل بغداد و فيهم الهيثم بن عدي و غيره فنظروا اليه و لا أثر به من جراح و لا
خفق و أشهدهم على أنه مات حتف أنفه ، فشهدوا على ذلك و أخرج و وُضع على الجسر ببغداد ، و
نودي هذا موسى بن جعفر قد مات فانظروا اليه (كشف الغمة ج ٢ ص ٢٣٤) .

﴿ ٨ ﴾

﴿ الامام علي بن موسى الرضا عليه السلام ﴾

و هو أبو الحسن الامام علي بن موسى الرضا عليه السلام ، قال الشبلنجي :

﴿ مولده عليه السلام ﴾

- (ولد) علي بن موسى عليه السلام بالمدينة سنة ثمان و أربعين و مائة من الهجرة و قيل سنة ثلاث و أربعين و مائة ، و أمه أم ولد يقال لها أم البنين و اسمها أروي .
 (وكنيته) أبو الحسن .
 (و ألقابه) الرضا و الصابر و الزكي و الولي و أشهرها الرضا .
 (شاعره) دعبل الخزاعي .
 (بوابه) محمد بن الفرات .
 (نقش خاتمه) حسبي الله .
 (معاصره) الأمين و المأمون .

﴿ أبيات أبي نواس ﴾

عن محمد بن يحيى الفارسي قال نظر أبو نواس الى علي بن موسى الكاظم ذات يوم و قد خرج من عند المأمون على بغلة فارهة فدنا منه و سلّم عليه و قال : يا



ابن رسول الله ﷺ قلت فيك أبياتاً أحب أن تسمعها مني .

فقال له : قل ، فأنشأ أبو نواس يقول :

مطهرون نقيتاً ثيابهم
من لم يكن علويّاً حين تنسبه
تجري الصلاة عليهم كلّما ذكروا
أولئك القوم أهل البيت عندهم
فماله في قديم الدهر مفتخر
علم الكتاب و ما جاءت به السور

قال : قد جئتنا بأبيات ما سبقك إليها أحدٌ ، ما معك يا غلام من فاضل نفقاتنا ؟
قال ثلاثمائة دينار ، قال : ادفها إليه ، ثم بعد أن ذهب إلى البيت قال لعله يستقلها سق
يا غلام إليه البغلة^١ .

﴿ قصيدة دعبل الخزاعي ﴾

و نقل الطوسي في كتابه عن أبي الصلت الهروي ، قال : دخل دعبل الخزاعي
على علي بن موسى عليه السلام بمرور ، فقال يا ابن رسول الله ﷺ إني قلت فيكم أهل
البيت قصيدة و آليت على نفسي أن لا أنشدها أحداً قبلك ، و أحب أن تسمعها مني .

فقال له علي الرضا بن موسى عليه السلام : هات قل ، فأنشأ يقول :

مدارس آيات خلت عن تلاوة
و منزل وحي مقفر العرصات
لآل رسول الله بالخيف من منى
و بالبيت و التعريف و الجمرات
ديار علي و الحسين و جعفر
و حمزة و السجاد ذي الثفتات
منازل كانت للصلاة و للتقى
و للصوم و التطهير و الحسنات

من الله بالتسليم و الرحمات
 سبيل رشاد واضح الطرقات
 متى عهدها بالصوم و الصلوات
 فأمسين في الأقطار مفترقات
 و أهجر فيهم أسرتي و ثقاتي
 و هم خير سادات و خير حماة
 و تؤمن منهم زلة العثرات
 و زد حبهم يا رب في حسناتي
 و اني لأرجو الأمن بعد وفاتي
 أروح و أغدو دائم الحسرات
 و أيديهم من فيئهم صفرات
 و آل زياد أغلظ القصرات
 و نادى منادي الخير بالصلوات
 و بالليل أبكيهم و بالغدوات
 و آل زياد تسكن الحجرات
 و آل رسول الله في الفلوات
 لقطع نفسي إثرهم حسراتي
 يقوم على اسم الله بالبركات
 و يجزي عن النعماء و النقمات
 فغير بعيد كل ما هو آت

منازل جبريل الأمين يحلها
 منازل وحي الله معدن علمه
 قفا نسأل الدار التي خف أهلها
 و أين الألى شطت بهم غربة النوى
 أحب فضاء الدار من أجل حبهم
 و هم أهل ميراث النبي إذا انتموا
 أئمة عدل يقتدى بفعالهم
 فيا رب زد قلبي هدئ و بصيرة
 لقد آمنت نفسي بهم في حياتها
 ألم تر أني من ثلاثين حجة
 أرى فيئهم في غيرهم متقسماً
 و آل رسول الله نحف جسومهم
 سأبكيهم ما ذر في الأفق شارق
 و ما طلعت شمس و حان غروبها
 ديار رسول الله أصبحن بلقماً
 و آل زياد في القصور مصونة
 فلولا الذي أرجوه في اليوم أو غد
 خروج إمام لا محالة خارج
 يميز فينا كل حق و باطل
 فيا نفس طيبي ثم يا نفس فاصبري

و هي قصيدة طويلة عدة أبياتها مائة و عشرون بيتاً .



و لما فرغ دعبيل من أنشادها نهض أبو الحسن علي الرضا عليه السلام و قال لا تبرح
فأنفذ اليه صرة فيها مائة دينار و اعتذر اليه ، فردّها دعبيل و قال و الله مالها جئت و
إنما جئت للسلام عليه و للتبرك بالنظر إلى وجهه الميمون ، و إنني لفي غنىّ فان رأى
أن يعطيني شيئاً من ثيابه للتبرك فهو أحبّ إليّ ، فأعطاه علي الرضا جبة و ردّها عليها
الصرة و قال للغلام : قل له خذها و لا تردّها فانك ستصرفها أحوج ما تكون إليها
فأخذها و أخذ الجبة ثم أقام بمر و مدة فتجهّزت قافلة تريد العراق ، فتجهّز دعبيل
صحبتها فخرجت عليهم اللصوص في الطريق و نهبوا القافلة عن آخرها و أمسكوا
جماعة من جملتهم دعبيل ، فكثفوهم و أخذوا ما معهم فساروا بهم غير بعيد ثم
جلسوا يقسمون أموالهم فتمثل مقدّم اللصوص بقوله :

أرى فيهم في غيرها متقسماً و أيديهم من فيهم صفرات

و دعبيل يسمعه فقال أتعرف هذا البيت لمن ؟

قال و كيف لا أعرفه هو لرجل من خزاعة يقال له دعبيل شاعر أهل البيت
قاله في قصيدة مدحهم بها .

فقال : دعبيل أنا صاحب القصيدة و قائلها فقال : ويلىك أنظر ما تقول ، فقال :
والله الأمر أشهر من ذلك و اسأل أهل القافلة و هؤلاء الممسكون معكم يخبرونكم
بذلك .

فسألوهم فقالوا بأسرهم هذا دعبيل الخزاعي شاعر أهل البيت المعروف
الموصوف ، ثم إن دعبلاً أنشدهم القصيدة من أولها إلى آخرها عن ظهر قلب .
فقالوا قد وجب حقك علينا و قد أطلقنا القافلة و رددنا جميع ما أخذناه منها
كرامةً لك يا شاعر أهل البيت .

ثم إنهم أخذوا دعبلاً معهم و توجّهوا به إلى قم و وصلوه بمال و سألوه في بيع



الجبة التي أعطاها له أبو الحسن الرضا و دفعوا له فيها ألف دينار ، فقال و الله لا أبيعها و إنما أخذتها للتبرك من أثره .

ثم ارتحل عنهم من قم بعد ثلاثة أيام فلما صار خارج البلد على نحو ثلاثة أميال خرج عليه قوم من أحداثهم فأخذوا الجبة منه فرجع إلى قم و أخبر كبارهم بذلك فأخذوا الجبة منهم و ردوها عليه ، ثم قالوا نخشى أن تؤخذ هذه الجبة منك و يأخذها غيرنا ثم لا ترجع عليك فبالله إلا ما أخذت الألف منا و تركتها فأخذ الألف منهم و أعطاهم الجبة ثم ارتحل عنهم .

و عن أبي الصلت الهروي قال قال دعبل الخزاعي : لَمَّا أَنشَدت مولاي الرضا عليه السلام هذه القصيدة و انتهيت فيها إلى قولي :

يقوم على اسم الله بالبركات خروج إمام لا محالة خارج
و يجزي على النعماء و النقمات يميز فينا كل حق و باطل
بكى الرضا عليه السلام ثم رفع رأسه إليّ و قال يا خزاعي ! لقد نطق روح القدس
على لسانك بهذين البيتين^١ .

﴿ مكارمه و مآثره عليه السلام ﴾

قال الشبلنجي : أنه كان قليل النوم ، كثير الصوم ، لا يفوته صوم ثلاثة أيام من كل شهر و يقول : ذلك صيام الدهر ، و كان كثير المعروف و الصدقة ، و أكثر ما يكون ذلك منه في الليالي المظلمة ، و كان جلوسه في الصيف على حصير و في

الشتاء على مسح .

قال إبراهيم بن العباس : سمعت الرضا عليه السلام يقول و قد سأله رجل يكلف الله العباد ما لا يطيقون ؟ فقال : هو أعدل من ذلك ، قال : فيقدرون على كل ما يريدون ؟ قال : هم أعجز من ذلك .

و عن ياسر الخادم قال : سمعت علياً الرضا بن موسى عليه السلام يقول : أوحش ما يكون هذا الخلق في ثلاثة مواضع : يوم يولد إلى الدنيا و يخرج المولود من بطن أمه فيرى الدنيا ، و يوم يموت فيعابن الآخرة و أهلها ، و يوم يبعث فيرى أحكاما لم يرها في دار الدنيا ، و قد سلم الله تعالى على يحيى في هذه الثلاثة المواطن و آمن روعته فقال : ﴿ و سلامٌ عليه يوم ولد و يوم يموت و يوم يبعث حياً ﴾^١ و قد سلم عيسى بن مريم على نفسه في هذه الثلاثة مواطن فقال : ﴿ و السلام عليّ يوم ولدت و يوم أموت و يوم أبعث حياً ﴾^٢ .

﴿ دخوله عليه السلام نيسابور ﴾

أورد صاحب كتاب تاريخ نيسابور : أنّ علياً الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق ابن محمد الباقر بن علي بن الحسين عليه السلام لما دخل نيسابور كان في قبة مستورة على بغلة شهباء ، و قد شقّ بها السوق ، فعرض له الإمامان الحافظان أبو زرعة و أبو مسلم الطوسي و معهما من أهل العلم و الحديث ما لا يحصى ، فقالا : يا

١ - مريم ١٩ : ١٥ .

٢ - مريم ١٩ : ٣٣ .

أيها السيد الجليل! ابن السادة الأئمة! بحق آباءك الأطهرين و أسلافك الأكرمين إلا ما أريتنا وجهك الميمون و رويت لنا حديثاً عن آباءك عن جدك نذكرك به .
 فاستوقف غلماناه ، و أمر بكشف المظلة ، و أقرّ عيون الخلائق برؤية طلعتاه ،
 و إذاله ذؤابتان متعلقتان على عاتقه ، و الناس قيام على طبقاتهم ينظرون ما بين باك
 و صارخ ، و متمرغ في التراب ، و مقبّل حافر بغلته ، و علا الضجيج ، فصاحت
 الأئمة الأعلام : معاشر الناس ! أنصتوا و اسمعوا ما ينفعكم و لا تؤذونا بصراخكم .
 و كان المستملي أبا زرعة و محمد بن مسلم الطوسي .

فقال على الرضا عليه السلام حدّثني أبي موسى الكاظم ، عن أبيه جعفر الصادق ،
 عن أبيه محمد الباقر ، عن أبيه علي زين العابدين ، عن أبيه شهيد كربلاء ، عن أبيه
 علي المرتضى ، قال : حدّثني حبيبي و قرّة عيني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، قال حدّثني
 جبريل عليه السلام ، قال : حدّثني ربّ العزة سبحانه و تعالى ، قال : « كلمة (لا إله إلا الله)
 حصني فمن قالها دخل حصني و من دخل حصني أمن من عذابي » .

ثم أرخى الستر على المظلة و سار قال فعُدّ أهل المحابر و أهل الدواوين
 الذين كانوا يكتبون فأنافوا على عشرين ألفاً قال عليه السلام لو قرىء هذا الإسناد على
 مجنون لأفاق من جنونه . و قال أبو القاسم القشيري : إتصل هذا الحديث بهذا السند
 ببعض أمراء السامانية فكتبه بالذهب و أوصى أن يدفن معه في قبره فرؤى في
 المنام بعد موته فقيل ما فعل الله بك ؟ فقال غفر لي بتلفظي بلا إله إلا الله و تصديقي
 أن محمداً رسول الله أوردته المناوي في شرحه الكبير على الجامع الصغير و غيره^١ .

﴿ علمه عليه السلام وإخباره بالغيب ﴾

قال الشبلنجي: قال ابراهيم بن العباس ما رأيت الرضا عليه السلام سئل عن شيء الا علمه ، و لا رأيت أعلم منه بما كان في الزمان الى وقت عصره ، و كان المأمون يمتحنه بالسؤال عن كل شيء فيجيبه الجواب الشافي^١ .
ثم ذكر الشبلنجي: في نور الأبصار و ابن حجر في الصواعق قضايا في إخباره عن المغيبات :

[الاولى] من كتاب إعلام الوري للطبرسي قال روى أبو عبدالله الحافظ باسناده عن محمد بن عيسى عن أبي حبيب قال رأيت النبي ﷺ في المنام و كان قد وافى المسجد الذي كان ينزله الحجاج من بلدنا في كل سنة و كأني مضيت إليه و سلمت عليه و وقفت بين يديه فوجدته و عنده طبق من خوص المدينة فيه تمر صيحاني و كأنه قبض قبضة من ذلك التمر فناولنيها فعددتها فوجدتها ثماني عشرة ثمرة فتأولت أنني أعيش بكل ثمرة سنة .

فلما كان بعد عشرين يوماً و أنا في أرض لي تعمر للزراعة إذ جاءني من أخبرني بقدم أبي الحسن علي الرضا بن موسى الكاظم عليه السلام و نزوله بذلك المسجد و رأيت الناس يسعون له من كل جهة يسلمون عليه ، فمضيت نحوه فاذا هو جالس في الموضع الذي رأيت النبي ﷺ جالسا فيه و تحته حصير مثل الحصير الذي كان تحته ﷺ و بين يديه طبق من خوص المدينة و فيه تمر صيحاني فسلمت عليه فرد السلام و استدانني و ناولني قبضةً من ذلك التمر فعددتها فاذا هي

بعدد ما ناولني رسول الله ﷺ في النوم ثمان عشرة تمرّة ، فقلت زدني فقال لو زادك رسول الله ﷺ لزدتك .

[الثانية] روى الحاكم أيضاً باسناده عن سعيد بن سعيد أنّ أبا الحسن عليّاً الرضا نظر إلى رجل فقال يا عبدالله أوص بما تريد و استعد لما لا بد منه ، فمات الرجل بعد ثلاثة أيام .

[الثالثة] عن صفوان بن يحيى قال لما مضى موسى الكاظم عليه السلام و ظهر ولده من بعده علي الرضا خفنا عليه و قلنا إنا نخاف عليك من هذا يعني هارون الرشيد ، قال : ليجهدنّ جهده فلا سبيل له عليّ ، قال صفوان : فحدّثني ثقة أنّ يحيى بن خالد البرمكي قال لهارون الرشيد : هذا علي بن موسى قد تقدّم و ادعى الأمر لنفسه ، فقال هارون يكفيننا ما صنعنا بأبيه تريد أن نقتلهم جميعاً؟! .

[الرابعة] عن مسافر قال : كنت مع أبي الحسن علي الرضا عليه السلام فمرّ يحيى بن خالد البرمكي و هو مغط و وجهه بمنديل من الغبار ، فقال الرضا : مساكين هؤلاء لا يدرون ما يحلّ بهم في هذه السنة ، فكان من أمرهم ما كان .

قال : و أعجب من هذا أنا و هارون كهاتين ، و ضمّ إصبعه السبابة و الوسطى . قال مسافر : فوالله ما عرفت معنى حديثه في هارون إلا بعد موت الرضا عليه السلام و دفنه إلى جانبه .

[الخامسة] عن الحسين بن يسار قال : قال علي الرضا عليه السلام : إنّ عبدالله يقتل محمداً ، فقلت : عبدالله بن هارون يقتل محمد بن هارون ؟ قال : نعم ، عبدالله المأمون يقتل محمداً الأمين ، فكان كما قال .

[السادسة] عن الحسين بن موسى قال : كنّا حول أبي الحسن علي الرضا بن موسى عليه السلام و نحن شباب من بني هاشم إذ مرّ علينا جعفر بن عمر العلوي و هو رثّ



الهيئة، فنظر بعضنا إلى بعض نظر مستررٍ لهيئته و حالته، و قال الرضا عليه السلام سترونه عن قريب كثير المال كثير الخدم حسن الهيئة .
فما مضى إلا شهرٌ واحدٌ حتى ولي أمر المدينة و حسنت حالته و كان يمر بنا كثيراً و حوله الخدم و الحشم يسرون بين يديه فنقوم له و نعظمه و ندعوه له .

[السابعة] روى عن جعفر بن صالح قال : أتيت الرضا عليه السلام فقلت : امرأتي أخت محمد بن سنان ، و كان من خواص شيعتهم ، و بها حمل فادع الله أن يجعله ذكراً ، قال هما اثنان ، فوليت و قلت (في نفسي) : أستي واحداً علياً و الآخر محمداً ، فدعاني فأتيته فقال : سمّ واحداً علياً و الآخر أم عمرو ، فقدمت الكوفة فولدت غلاماً و جاريةً فسّميت الذكر علياً و الأنثى أم عمرو كما أمرني ، و قلت لأُمّي مامعنى أم عمرو ؟ قالت : جدتك كانت تسمى أم عمرو .

[الثامنة] عن حمزة بن جعفر الأرجاني قال : خرج هارون الرشيد من المسجد الحرام من باب و خرج علي بن موسى الرضا عليه السلام من باب ، فقال الرضا عليه السلام و هو يعني هارون الرشيد : يا بعد الدار و قرب الملتقى ياطوس ستجمعيني و إياه .

[التاسعة] عن موسى بن عمران قال رأيت علياً الرضا بن موسى عليه السلام في مسجد المدينة و هارون الرشيد يخطب قال تروني و إياه ندفن في بيت واحد^١ .

﴿كرامته عليه السلام عند الله تعالى﴾

قال الشبلنجي: لما جعله المأمون وليّ عهده و أقامه خليفة بعده ، كان في حاشية المأمون أناس كرهوا ذلك و خافوا على خروج الخلافة من بني العباس و عودها لبني فاطمة فحصل عندهم من علي الرضا بن موسى نفور و كان عادة الرضا عليه السلام إذا جاء إلى دار المأمون ليدخل بادر من بالداهليز من الحجاب و أهل النوبة من الخدم و الحشم بالقيام له و السلام عليه و يرفعون له الستر حتى يدخل ، فلما حصلت لهم هذه النفرة و تفاوضوا في أمر هذه القصة و دخل في قلوبهم منها شيء قالوا فيما بينهم إذا جاء يدخل على الخليفة بعد اليوم نعرض عنه و لا نرفع له الستر و اتفقوا على ذلك .

فبينما هم جلوس إذ جاء علي الرضا عليه السلام على جاري عاداته فلم يملكوا أنفسهم أن قاموا و سلّموا عليه و رفعوا الستر على عاداتهم فلما دخل أقبل بعضهم على بعض يتلاومون لكونهم ما فعلوا ما اتفقوا عليه و قالوا الكرة الآتية إذا جاء لا نرفعه ، فلما كان في اليوم الثاني و جاء الرضا عليه السلام على عاداته قاموا و سلّموا عليه و لم يرفعوا الستر ، فجاءت ريح شديدة فرفعت الستر أكثر مما كانوا يرفعونه فدخل ثم عند خروجه جاءت ريح من الجانب الآخر فرفعته له و خرج .

فأقبل بعضهم على بعض و قالوا إن لهذا الرجل عند الله منزلة و له منه عناية أنظروا إلى الريح كيف جاءت و رفعت له الستر عند دخوله و عند خروجه من الجهتين ارجعوا إلى ما كنتم عليه من خدمته فهو خير لكم^١ .

﴿ من كلماته و حديثه عليه السلام ﴾

قال صاحب كتاب نثر الدرر : سأل الفضل بن سهل علياً الرضا بن موسى عليه السلام في مجلس المأمون فقال : يا أبا الحسن الخلق مجبرون ؟ قال : الله تعالى أعدل من أن يجبر ثم يعذب . قال : فمطلقون ؟ قال : الله تعالى أحكم من أن يهمل عبده و يكله إلى نفسه . و عن أبي الحسن القرظي عن أبيه قال حضرنا مجلس أبي الحسن الرضا فجاء رجل فشكا إليه أخاه فأنشأ الرضا يقول :

اعذر أخاك على ذنوبه و اصبر و غط على عيوبه
و اصبر على سفه السفيف و للزمان على خطوبه
و دع الجواب تفضلاً و كل الظلوم على حسيه

دخل على علي بن موسى بنيسابور قوم من الصوفية فقالوا : إن أمير المؤمنين المأمون نظر فيما ولاه الله تعالى من الأمور ثم نظر فراكم أهل البيت أولى من قام بأمر الناس ثم نظر في أهل البيت فرآك أولى الناس بالناس من كل واحد منهم فردّ هذا الأمر إليك و الناس تحتاج إلى من يأكل الجشب و يلبس الخشن و يركب الحمار و يعود المريض و يشيع الجنائز .

قال : و كان علي الرضا عليه السلام متكئاً فاستوى جالساً ثم قال : كان يوسف بن يعقوب نبياً فلبس أقيية الديداج المزرّة بالذهب و القباطي المنسوجة بالذهب و جلس على متكآت آل فرعون ، و حكم و أمر و نهى و إنما يراد من الإمام القسط و العدل ، إذا قال صدق و إذا حكم عدل ، و إذا وعد أنجز ، إنّ الله لم يحرم ملبوساً و لا مطعموماً ، و تلا قوله تعالى ﴿ قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده و الطيبات من



الرزق ﴿ ١ ﴾ .

و عن علي الرضا بن موسى عن آباءه عن النبي ﷺ أنه قال : « من لم يؤمن بحوضي فلا أورده الله تعالى حوضي ، و من لم يؤمن بشفاعتي فلا أناله الله شفاعتي ثم قال إنما شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي فأما المحسنون فما عليهم من سبيل . »

و عن علي الرضا عليه السلام أيضاً قال : قال رسول الله ﷺ : « الشيب في مقدم الرأس يمنٌ و في العارضين سخاء و في الذوائب شجاعة و في القفا شؤم . »
و عنه عن آباءه عن علي بن أبي طالب عليه السلام قال : قال رسول الله ﷺ : « لما أسري بي الى السماء رأيت رجماً معلقة بالعرش تشكو رجماً إلى ربها أنها قاطعة لها قلت : كم بينك و بينها من أب ؟ قالت نلتقي في أربعين أباً . »
و عنه أنه قال : « من صام من شعبان يوماً واحداً ابتغاء ثواب الله دخل الجنة . و من استغفر الله تعالى في كل يوم سبعين مرة حشر يوم القيامة في زمرة النبي ﷺ و وجبت له من الله الكرامة . »

و من تصدق في شعبان بصدقة و لو بشقة تمره حرّم الله جسده على النار . »
و عنه أنه قال : « من صام أول يوم من رجب رغبة في ثواب الله و وجبت له الجنة . »

و من صام يوماً من وسطه شقّع في مثل ربيعة و مضر .
و من صام يوماً في آخره جعله الله من أملاك الجنة و شفّعه الله في أمّه و أبيه و إخوانه و أعمامه و عمّاته و أخواله و خالاته و معارفه و جيرانه و إن كان فيهم من هو

مستوجب النار»^١.

﴿شهادته عليه السلام﴾

قال الشبلنجيُّ: عن هرثمة بن أعين وكان من خدم الخليفة عبد الله المأمون وكان قائماً بخدمة الرضا عليه السلام قال: طلبني سيدي أبو الحسن الرضا عليه السلام في يوم من الأيام قال لي: يا هرثمة! اني مطلعك على أمر يكون سرّاً عندك لا تظهره لأحد مدة حياتي، فان أظهرته حال حياتي كنت خصماً لك عند الله. فحلفت له إنّي لا أتفوّه بما يقول لي لأحد مدة حياته.

فقال لي: اعلم يا هرثمة! أنه قد دنا رحلي و لحوقي بأبائي و أجدادي، و قد بلغ الكتاب أجله و إنّي أطعم عنباً و رماناً مفتوتاً فأموت، و يقصد الخليفة أن يجعل قبري خلف قبر أبيه هارون الرشيد و إنّ الله لا يُقدره على ذلك، و إنّ الأرض تشتدّ عليهم فلا تعمل فيها المعاول، و لا يستطيع حفرها، فاعلم يا هرثمة! إنّ مدفني في الجهة الفلانية من اللحد الفلاني لموضع عينه لي، فاذا أنا متّ و جهزت فأعلمه بجميع ما قلت لك لتكونوا على بصيرة من أمري و قل له: إذا أنا وضعت في نعشي و أرادوا الصلاة عليّ فلا يصلّ عليّ و ليتأنّ قليلاً يأتكم رجلٌ عربي متلثم على ناقة له مسرع من جهة الصحراء فينيخ ناقته و ينزل عنها فيصليّ عليّ فصلّوا معه عليّ فإذا فرغتم من الصلاة عليّ و حملت إلى مدفني الذي عينته لك فاحفر شيئاً يسيراً من وجه الأرض تجد قبراً مطبقاً معموراً في قعره ماء أبيض فاذا كشفت عنه الطبقات

نضب الماء فهذا مدفني فادفونوني فيه ، الله الله يا هرثمة أن تخبر بهذا .

قال هرثمة : فوالله ما طالت أيامه حتى أكل الرضا عند الخليفة عنباً و رماناً فمات .

(عن أبي الصلت الهروي) قال : دخلت على الرضا عليه السلام و قد خرج من عند المأمون فقال يا أبا الصلت ! قد فعلوها و جعل يوحد الله و يمجده فأقام يومين و مات في اليوم الثالث .

قال هرثمة : فدخلت على الخليفة المأمون لما بلغه موت أبي الحسن علي الرضا عليه السلام فوجدت المنديل بيده و هو يبكي عليه ، فقلت يا أمير المؤمنين ! ثم كلام أتأذن لي أن أقوله لك ؟ قال : قل ، فقصصت القصة عليه التي قالها لي الرضا عليه السلام من أولها إلى آخرها فتعجب المأمون من ذلك .

ثم إنه أمر بتجهيزه و خرجنا بجنائزته إلى المصلى و أخرجنا الصلاة عليه قليلاً فاذا بالرجل العربي قد أقبل على بعيره من جهة الصحراء كما قال ، فنزل و لم يكلم أحداً فصلّى عليه و صلّى الناس معه ، و أمر الخليفة بطلب الرجل فلم يروا له أثراً و لا لبعيره .

ثم إن الخليفة قال : نحفر له من خلف قبر الرشيد لننظر ما قاله لك فكانت الأرض أصلب من الصخر الصوان عجزوا عن حفرها فتعجب الحاضرون من ذلك ، و تبين للمأمون صدق ما قلته له ، فقال أرني الموضع الذي أشار اليه فجئت بهم اليه فما كان إلا أن انكشف التراب عن وجه الأرض ، فظهرت الطبقات فرفعناها فظهر قبرٌ معمورٌ فاذا في قعره ماء أبيض و أشرف عليه المأمون و أبصره ثم إن ذلك الماء نضب من وقته ، فواريناه فيه ورددنا الطبقات على حالها و التراب .

و لم يزل الخليفة المأمون يتعجب مما رأى و مما سمعه مني و يتأسف عليه و



يندم ، و كلما خلوت معه يقول لي ياهرثمة كيف قال لك أبو الحسن الرضا فأعيد عليه الحديث فيتلهف و يتأسف و يقول إنا لله و إنا اليه راجعون .
و كانت وفاته سنة ثلاث و مائتين في آخر صفر و قيل غير ذلك و له من العمر إذ ذاك خمس و خمسون سنة في قرية يقال لها سنا باد من رستاق من أعمال طوس من خراسان و قبره في قبال هارون الرشيد .

﴿ أولاده علياً ﴾

فقد قال ابن الخشاب في كتابه مواليد أهل البيت : ولد الرضا علياً خمسة بنين و ابنة واحدة و هم : محمد القانع ، و الحسن ، و جعفر ، و إبراهيم ، و الحسين ، و البنت^١ .

﴿ ٩ ﴾

﴿ الامام التاسع محمد بن علي الجواد عليه السلام ﴾

و هو أبو جعفر محمد الجواد بن علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن حسين الشهيد بن علي امير المؤمنين بن أبي طالب عليه السلام ذكره الشبلنجي هكذا :

- أمّه أم ولد يقال لها سكينه المريسية .
 (كنيته) أبو جعفر ككنية جده محمد الباقر .
 (ألقابه كثيرة) الجواد والقانع والمرضى وأشهرها الجواد .
 (صفته) أبيض معتدل .
 (شاعره) حمّاد .
 (بوابه) عمر بن الفرات .
 (نقش خاتمه) نعم القادر الله .
 (معاصره) المأمون والمعتصم .

﴿ مولده ﷺ ﴾

(ولد) أبو جعفر محمد الجواد بالمدينة تاسع عشر شهر رمضان المعظم سنة
 خمس و تسعين و مائة من الهجرة .
 قال صاحب كتاب مطالب السؤل في مناقب آل الرسول ﷺ : هذا محمد
 أبو جعفر الثاني فانه قد تقدّم في آباءه أبو جعفر محمد الباقر بن علي فجاء هذا باسمه
 و كنيته و اسم أبيه فعرف بأبي جعفر الثاني و ان كان صغير السن فهو كبير القدر
 رفيع الذكر و مناقبه ﷺ كثيرة^١ .

﴿ غزارة علمه ﷺ ﴾

(نقل) غير واحد أنّ والده علياً الرضا ﷺ لما توفي و قدم المأمون بغداد بعد وفاته بسنة اتفق أنّ المأمون خرج يوماً يتصيد فاجتاز بطريق البلد و ثم صبيان يلعبون و محمد الجواد واقفٌ عندهم .

فلما أقبل المأمون فرّ الصبيان و وقف محمد و عمره اذ ذاك تسع سنين .
فلما قرب منه الخليفة نظر اليه فألقى الله على قلبه حبه ، فقال له : يا غلام ! ما منعك من الانصراف كأصحابك ؟

فقال له محمد مسرعاً : يا أمير ! لم يكن بالطريق ضيقٌ فأوسّعه لك ، و ليس لي جرم فأخشاك ، والظن بك حسن أنك لا تضرّ من لا ذنب له .

فأعجبه كلامه و حسن صورته ، فقال له : ما اسمك و اسم أبيك ؟

فقال : محمد بن علي الرضا ، فترحم على أبيه و ساق جواده إلى مقصده ، و كان معه بزاة الصيد فلما بعد عن العمران أرسل بازاً على درّاجة فغاب عنه ، ثم عاد من الجوّ و في منقاره سمكة صغيرة فيها بقايا الحياة فتعجّب من ذلك غاية العجب ، و رجع فرأى الصبيان على حالهم و محمد عندهم ففرّوا إلا محمد فدنا منه و قال له يا محمد ما في يدي ؟

فقال : يا أمير ! إنّ الله تعالى خلق في بحر قدرته سمكاً صغيراً تصيده بازات الملوك و الخلفاء كي يختبر بها سلالة بني المصطفى ﷺ كرامة له .

فقال له : أنت ابن الرضا حقاً و أخذه معه و أحسن اليه و قرّبه و بالغ في اكرامه .

و لم يزل مشعوراً به لما ظهر له بعد ذلك من فضله و علمه و كمال عقله و



ظهور براهينه مع صغر سنه و عزم على تزويجه بابنته أم الفضل و صمّم على ذلك ، فمنعه العباسيون من ذلك خوفاً من أن يعهد اليه كما عهد إلى أبيه ، فلما ذكر لهم أنه إنما اختاره لتميّزه عن كافة أهل الفضل علماً و معرفةً و حليماً مع صغر سنه ، نازعوه في اتصاف محمد بذلك .

ثم تواعدوا على أن يرسلوا اليه من يختبره ، فأرسلوا الى يحيى بن أكثم و وعدوه بشيء كثير إن قطع لهم محمداً و خجّله .

فحضر الخليفة و خواص الدولة و معهم يحيى بن أكثم ، فأمر المأمون بفراش حسن لمحمد ، فجلس عليه ، و سأله يحيى مسائل فأجاب عنها بأحسن جواب و أوضحها^١ .

١ - لا يخفى أنّ الشيلنجي قد حذف عن العبارة اسئلة القاضي يحيى بن أكثم و كذا أجوبة الامام الجواد عليه السلام عنها و نحن نذكرها من كتاب تذكرة خواص الأمة ص ٣٧٠ اتماماً للمطلب و هو على ما يلي .

قال يحيى بن أكثم للمأمون : أتأذن لي يا أمير المؤمنين أن أسأل أبا جعفر ؟ فقال له المأمون : استأذنه في ذلك .

فأقبل عليه ابن أكثم فقال : أتأذن لي جعلت فداك في مسألة ؟

قال له أبو جعفر عليه السلام : سل ان شئت .

قال يحيى : ما تقول جعلني الله فداك في محرم قتل صيداً ؟

فقال له أبو جعفر عليه السلام : قتله في جِلٍّ أو حرم ؟ عالماً كان المحرم أم جاهلاً ؟ قتله عمدأ أو خطأ ؟

حرأ كان المحرم أم عبدأ ؟ صغيراً كان أم كبيراً ؟ مبتدءاً بالقتل أم معيدأ ؟

من ذوات الطير كان الصيد أم من غيرها ؟ من صغار الصيد كان أم من كباره ؟ مصرأ على ما فعل أو

نادماً ؟ في الليل كان قتله للصيد أم نهارأ ؟

محرمأ كان بالعمرة اذ قتله أو بالحج كان محرمأ ؟

فتحير يحيى بن أكثم و بان في وجهه العجز و الانقطاع و تلجلج حتى عرف جماعة من أهل =



فقال له الخليفة : أحسنت يا أبا جعفر ! فإن أردت أن تسأل يحيى و لو مسألة

= المجلس أمره .

فقال المأمون : الحمد لله على هذا النعمة و التوفيق لي في الرأي ، ثم نظر الى أهل بيته و قال لهم : أعرفتم الآن ما كنتم تتكرونها ؟ ثم أقبل على أبي جعفر عليه السلام فقال له أتخطب يا أبا جعفر ! (ثم ذكر ابن الجوزي قصة زواجه عليه السلام من أم الفضل ابنة المأمون و بعد ما فرغ المأمون من مراسم هذا الزواج أقبل على أبي جعفر عليه السلام و قال) ان رأيت - جعلت فداك - أن تذكر الفقه فيما فصلته من وجوه قتل المحرم الصيد لتعلمه و نستفيده ؟

فقال أبو جعفر عليه السلام : نعم ! انّ المحرم اذا قتل صيداً في الحلّ و كان الصيد من ذوات الطير و كان من كبارها ، فعليه شاةٌ ، فان أصابه في الحرم فعليه الجزاء مضاعفاً .

فاذا قتل فرخاً في الحلّ فعليه حمل قد فطم من اللبن ، و اذا قتلته في الحرم فعليه الحمل و قيمة الفرخ .

و ان كان من الوحش و كان حمار و حش فعليه بقرة .

و ان كان نعامة فعليه بدنة .

و ان كان ظيباً فعليه شاة .

فان قتل شيئاً من ذلك في الحرم فعليه الجزاء مضاعفاً ﴿ هدياً بالغ الكعبة ﴾ المائدة ٥ : ٩٥ .

و اذا أصاب المحرم ما يجب عليه الهدى فيه و كان احرامه للحجّ نحره بنى ، و ان كان إحرامه

بالعمرة نحره بمكة .

و جزاء الصيد على العالم و الجاهل سواء .

و في العمد : المأثم ، و هو موضوع عنه في الخطاء .

و الكفارة على الحرّ في نفسه ، و على السيد في عبده .

و الصغير لا كفارة عليه ، و هي على الكبير واجبة .

و النادم يسقط بندمه عنه عقاب الآخرة ، و المصّرّ يجب عليه العقاب في الآخرة .

فقال له المأمون ! أحسنت يا أبا جعفر ! أحسن الله اليك ، فان رأيت أن تسأل يحيى عن مسألة كما

سألك الخ .



واحدة .

فقال يحيى : يسأل فان كان عندي جواب أجبت به وإلا استفتدت الجواب و الله أسأله أن يرشدني للصواب .

فقال له أبو جعفر محمد الجواد : ما تقول في رجل نظر إلى امرأة في أول النهار بشهوة فكان نظره إليها حراماً عليه ، فلما ارتفع النهار حلّت له ، فلما زالت الشمس حرمت عليه ، فلما كان وقت العصر حلّت له ، فلما غربت الشمس حرمت عليه ، فلما كان وقت العصر حلّت له ، فلما غربت الشمس حرمت عليه ، فلما دخل وقت العشاء الآخر حلّت له ، فلما انتصف الليل حرمت عليه ، فلما طلع الفجر حلّت له ، فبماذا حلّت هذه المرأة لهذا الرجل ؟ و بماذا حرمت عليه في هذه الأوقات ؟ فقال يحيى بن أكثم : لا أدري فإن رأيت أن تفيد الجواب فذلك .

فقال أبو جعفر : هذه أمة لرجل نظر إليها شخص في أول النهار بشهوة وذلك حرام عليه ، فلما ارتفع النهار ابتاعها من صاحبها فحلّت له ، فلما كان الظهر أعتقها فحرمت عليه ، فلما كان وقت العصر تزوجها فحلّت له ، فلما كان وقت المغرب ظاهر منها فحرمت عليه ، فلما كان وقت العشاء كفر عن الظهار فحلّت له ، فلما كان نصف الليل طلقها طليقة واحدة فحرمت عليه ، فلما كان وقت الفجر راجعها فحلّت له .

فأقبل المأمون على من حضر من أهل بيته فقال هل فيكم أحدٌ يستحضر أن يجيب عن هذه المسألة بمثل هذا الجواب ؟ فقالوا : ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء .

فقال : قد عرفتم الآن ما تنكرون ، و ظهر في وجه القاضي يحيى الخجل و التغير ، و عرف ذلك كل من بالمجلس .



فقال المؤمنون: الحمد لله على ما من به عليّ من السداد في الأمر، و التوفيق في الرأي .

و أقبل على أبي جعفر و قال: إنّي مزوّجك ابنتي أم الفضل و إن رغم لذلك أنوف قوم فاخطب لنفسك فقد رضيتك لنفسي و ابنتي .

فقال أبو جعفر: الحمد لله إقراراً بنعمته، و لا إله إلا الله إخلاصاً بواحدنيته، و صلى الله على سيدنا محمد سيد بريته و على الأصفياء من عترته؛ أما بعد فقد كان من فضل الله على الأنام أن أغناهم بالحلال عن الحرام فقال تعالى: ﴿ و أنكحوا الأيامي منكم و الصالحين من عبادكم و إمائكم إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله و الله واسع عليم ﴾^١ ثم إن محمد بن علي بن موسى خطب إلى عبدالله المؤمن ابنته أم الفضل و قد بذل لها من الصّداق مهر جدته فاطمة بنت رسول الله ﷺ و له خمسمائة درهم جياذ فهل زوّجتني إياها على هذا الصّداق؟ فقال المؤمنون زوّجتك ابنتي أم الفضل على هذا الصّداق المذكور فقال أبو جعفر قبلت نكاحها لنفسي على هذا الصّداق المذكور .

(قال الرمالي): و أخرج الخدم مثل السفينة من الفضة مطلية بالذهب فيها الغالية مضروبة بأنواع الطيب و الماورد و المسك فتطيب منها الحاضرون على قدر منازلهم .

ثم وضعت موائد الحلواء فأكل الحاضرون و فرقت عليهم الجوائز على قدر رتبهم .

ثم انصرف الناس و تقدّم المؤمنون بالصدقة على الفقراء و المساكين و أهل

الأربطة و الخوانيق و المدارس و لم يزل عنده محمد الجواد معظماً مكرماً إلى أن توجه بزوجه أم الفضل إلى المدينة الشريفة .
 (روي) أنّ أم الفضل بعد توجهها مع زوجها إلى المدينة كتبت إلى أبيها المأمون تشكو أبا جعفر و تقول إنه يتسرى عليّ ، فكتب إليها أبوها يقول يا بنية إنا لم نزوجك أبا جعفر لتحرمي عليه حلالاً فلا تعاوديني بذكر شيء مما ذكرت^١ .

﴿ معجزتان ﴾

رواهما الشبلنجي :

﴿ الأولى ﴾ عن أبي خالد قال : كنت بالعسكر فبلغني أنّ هناك رجلاً محبوساً أتى به من الشام مكبلاً بالحديد ، و قالوا إنه تنبأ .

قال : فأتيت باب السجن و دفعت شيئاً للسجان حتى دخلت عليه ، فإذا برجل ذو فهم و عقل و لبّ فقلت : يا هذا ما قصتك ؟

فقال : إني كنت رجلاً بالشام أعبد الله تعالى في الموضع الذي يقال إنه نصب فيه رأس الحسين عليه السلام ، فبينما أنا ذات ليلة في موضعي مقبلاً على المحراب أذكر الله تعالى إذ رأيت شخصاً بين يدي ، فنظرت إليه فقال لي : قم فقمّت معه فمشى قليلاً فإذا أنا في مسجد الكوفة ، فقال لي تعرف هذا المسجد ؟ فقلت : نعم هذا مسجد الكوفة ، قال : فصلّيت معه .

ثم انصرف فانصرفت معه قليلاً فإذا نحن بمكة المشرفة فطاف بالبيت فطفت

معه .

ثم خرج فخرجت معه فمشى قليلاً فإذا أنا بموضعي الذي كنت فيه أعبدالله تعالى بالشام ثم غاب عني فبقيت متعجباً حولاً مما رأيت .

فلما كان العام المقبل إذ ذاك الشخص قد أقبل علي فاستبشرت به ، فدعاني فأجبت ففعل معي كما فعل بالعام الماضي ، فلما أراد مفارقتي قلت له : بحق الذي أقدرك على ما رأيت منك إلا ما أخبرتني من أنت ؟ فقال : أنا محمد بن علي الرضا بن موسى بن جعفر .

فحدثت بعض من كان يجتمع بي في ذلك الموضع ، فرفع ذلك إلى محمد بن عبدالمك الملك الزييات فبعث إليّ من أخذني من موضعي و كبلني بالحديد ، و حملني إلى العراق ، و حبسني كما ترى و ادعى عليّ بالمحال .

فقلت له : أفأرفع قصّتك إلى محمد بن عبدالمك الزييات ؟

قال : افعل فكتبت عنه قصّته و شرحت فيها أمره و رفعتها إلى محمد بن عبدالمك الملك ، فوَقَّع على ظهرها قل للذي أخرجك من الشام إلى هذه المواضع التي ذكرتها يخرجك من السجن قال أبو خالد : فاغتممت لذلك و سقط في يدي، و قلت إلى غد آتية و أمره بالصبر و أعدّه من الله الفرج ، و أخبره بمقالة هذا الرجل المتجبر .

فلما كان من الغد قال باكرت إلى السجن فإذا أنا بالحرس و الموكلين بالسجن في هرج ، فسألت ما الخبر ؟

فقال لي : إنّ الرجل المتنبئ المحمول من الشام فقد البارحة من السجن وحده بمفرده و أصبحت قيوده و الأغلال التي كانت في عنقه مرماة في السجن لا ندرى كيف خلص منها ؟ و طُلب فلم يوجد له أثرٌ و لا خبرٌ و لا يدرون أنزل في



الأرض أم عرج به إلى السماء .

فتعجبت من ذلك و قلت في نفسي استخفاف ابن الزيات بأمره و استهزاؤه بقصته خلّصه من السجن كذا (نقله ابن الصباغ) .

﴿ الثانية ﴾ حكى أنه لما توجه أبو جعفر محمد الجواد إلى المدينة الشريفة خرج معه الناس يشيّعونه للوداع فسار إلى أن وصل إلى باب الكوفة عند دار المسيّب، فنزل هناك مع غروب الشمس و دخل إلى مسجد قديم مؤسس بذلك الموضع ليصلي فيه المغرب و كان في صحن المسجد شجرة نبق لم تحمل قط فدعا بكونز فيه ماء فتوضأ في أصل الشجرة و قام ليصلي ، فصلى معه الناس المغرب ثم تنقل بأربع ركعات و سجد بعدهن للشكر ، ثم قام فودّع الناس و انصرف فأصبحت النبقة و قد حملت من ليلتها حملاً حسناً فرآها الناس و قد تعجبوا من ذلك غاية العجب^١ .

﴿ من كلماته عليه السلام ﴾

قال الشبلنجي : و من كلامه عليه السلام كما في (الفصول المهمة) إنّ الله عبداً يخصّهم بدوام النعم فلا تزال فيهم ما بذلوا فان منعها نزعها الله عنهم و حولها إلى غيرهم .

(و قال عليه السلام) ما عظمت نعمة الله على أحد الا عظمت اليه حوائج الناس فمن لم يتحمّل تلك المؤنة عرض تلك النعمة للزوال .

(و قال ﷺ) أهل المعروف إلى اصطناعه أحوج من أهل الحاجة إليه لأن لهم أجره و فخره و ذكره فمهما اصطنع الرجل من معروف فانما يبتدىء فيه بنفسه .

(و قال ﷺ) من أجل إنساناً هابه ، و من جهل شيئاً عابه ، و الفرصة خلصة ، و من كثر همه سقم جسمه ، و عنوان صحيفة المسلم حسن خلقه ، و في موضع آخر عنوان صحيفة المسلم السعيد حسن الثناء عليه .

(و قال ﷺ) من استغنى بالله افتقر الناس إليه ، و من اتقى الله أحبته الناس .

(و قال ﷺ) الجمال في اللسان و الكمال في العقل .

(و قال ﷺ) العفاف زينة الفقر ، و الشكر زينة البلاء ، و التواضع زينة الحسب ، و الفصاحة زينة الكلام ، و الحفظ زينة الرواية ، و خفض الجناح زينة العلم ، و حسن الأدب زينة الورع ، و بسط الوجه زينة القناعة ، و ترك ما لا يعني زينة الورع .

(و قال ﷺ) حسب المرء من كمال المرءة أن لا يلقى أحداً بما يكره ، و من حسن خلق الرجل كفه أذاه ، و من سخائه بره بمن يجب حقه عليه ، و من كرمه إثاره على نفسه ، و من إنصافه قبول الحق إذا بان له ، و من نصحه نهيه عما لا يرضاه لنفسه ، و من حفظه لجوارك تركه توبيخك عند ذنب أصابك مع علمه بعيوبك ، و من رفقته تركه عدلك بحضرة من تكره ، و من حسن صحبته لك إسقاطه عنك مؤنة التحفظ ، و من علامة صداقته كثرة موافقته و قلة مخالفته ، و من شكره معرفة إحسان من أحسن إليه ، و من تواضعه معرفته بقدره ، و من سلامته قلة حفظه لعيوب غيره و عنايته باصلاح عيوبه .

(و قال عليه السلام) العامل بالظلم و المعين عليه و الراضي به شركاء .

(و قال عليه السلام) من أخطأ وجوه المطالب خذلته الحيل ، و الطامع في وثاق الذل ، و من طلب البقاء فليعد للمصائب قلباً صبوراً .

(و قال عليه السلام) العلماء غرباء لكثرة الجهال بينهم .

(و قال عليه السلام) الصبر على المصيبة مصيبة على الشامت .

(و عنه عليه السلام) ثلاث يبلغن بالعبد رضوان الله : كثرة الاستغفار و لين الجانب و كثرة الصدقة ؛ و ثلاث من كنّ فيه لم يندم : ترك العجلة ، و المشورة ، و التوكل على الله عند العزم .

(و قال عليه السلام) لو سكت الجاهل ما اختلف الناس .

(و قال عليه السلام) مقتل الرجل بين فكيه ، و الرأي مع الأناة ، و بئس الظهير الرأي الفطير .

(و قال عليه السلام) ثلاث خصال تجتلب بهنّ المودة : الانصاف في المعاشرة ، و المواساة في الشدة ، و الانطواء على قلب سليم .

(و قال عليه السلام) الناس أشكال و كل يعمل على شاكلته ، و الناس اخوان فمن كانت اخوته في غير ذات الله فانها تعود عداوة ، و ذلك قوله تعالى ﴿ الا خلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين ﴾^١ .

(و قال عليه السلام) من استحسّن قبيحاً كان شريكاً فيه .

(و قال عليه السلام) كفر النعمة داعية المقت ، و من جازاك بالشكر فقد أعطاك أكثر مما أخذ منك .

(و قال ﷺ) لا تفسد الظن على صديق قد أصلحك اليقين له .

(و قال ﷺ) من وعظ أخاه سرّاً فقد زانه و من و عظه علانية فقد شانه .

(و قال ﷺ) لا يزال العقل و الحمق يتغالبان على الرجل إلى أن يبلغ ثماني عشرة سنة ، فإذا بلغها غلب عليه أكثرها فيه ، و ما أنعم الله عزّ و جلّ على عبد نعمة فعلم أنها من الله الا كتب الله على اسمه شكرها له قبل أن يحمدہ عليها ، و لا أذنب عبد ذنباً فعلم أن الله مطلع عليه و أنه ان شاء عذّبه و إن شاء غفر له الآ غفر له قبل أن يستغفره .

(و قال ﷺ) الشريف كل الشريف من شرفه علمه ، و السؤدد كل السؤدد لمن اتقى الله ربه .

(و قال ﷺ) لا تعاجلوا الأمر قبل بلوغه فتندموا و لا يطولن عليكم الأمل فتفسو قلوبكم ، و ارحموا ضعفاءكم و اطلبوا الرحمة من الله بالرحمة منكم .

(و قال ﷺ) من أمل فاجراً كان أدنى عقوبته الحرمان .

(و قال ﷺ) من استفاد أحمأ في الله فقد استفاد بيتاً في الجنة .

(و عنه ﷺ) لو كانت السموات و الأرض رتقاً على عبد ثم اتقى الله تعالى

لجعل الله له منها مخرجاً .

(و عنه ﷺ) أنه قال لبشر بن سعد لما قدم مصر يا بشر إنّ للمحن أخريات

لا بدّ أن تنتهي اليها فيجب على العاقل أن ينام لها إلى إدبارها فان مكابدها بالحيلة عند إقبالها زيادة فيها .

(و عنه ﷺ) من وثق بالله و توكل على الله نجاه الله من كل سوء و حرز من

كل عدو ، و الدين عز ، و العلم كنز ، و الصمت نور ، و غاية الزهد الورع ، و لا هدم للدين مثل البدع ، و لا أفسد للرجال من الطمع ، و بالراعي تصلح الرعيّة ، و بالدعاء



تصرف البليّة ، و من ركب مركب الصبر اهتدى إلى مضمار النصر ، و من غرس أشجار التقى اجتنى ثمار المئني . و في هذا القدر كفاية ، و قفنا الله للعمل المرضي و المسلمين بجاه سيد الأولين و الآخرين سيدنا محمد ﷺ ١ .

﴿ شهادته عليه السلام ﴾

قال الشبلنجي : توفي أبو جعفر محمد الجواد ببغداد و كان سبب وصوله إليها إشخاص المعتصم له من المدينة ، فقدم بغداد و معه زوجته أم الفضل بنت المأمون لليلتين بقيتا من المحرم سنة عشرين و مائتين و كانت وفاته في آخر ذي القعدة من السنة المذكورة و دُفن في مقابر قريش عند قبر جده أبي الحسن موسى الكاظم عليه السلام .

و دخلت امرأته أم الفضل إلى قصر المعتصم .

و كان له من العمر يومئذ خمس و عشرون سنة و يقال إنه مات مسموماً يقال

إن أم الفضل بنت المأمون سقته بأمر أبيها .

(و خلف) من الولد علياً و موسى و فاطمة و أمامة ٢ .

١ - نور الأبصار ص ١٨٠ - ١٨١ .

٢ - نور الأبصار ص ١٨٠ .

﴿ ١٠ ﴾

﴿ الامام العاشر علي بن محمد الهادي عليه السلام ﴾

و هو أبو الحسن علي بن محمد الجواد بن علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين الشهيد بن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام .
 و صفه العلامة الشبلنجي هكذا :
 قال ابن الخشاب في كتابه مواليد أهل البيت عليه السلام :

﴿ مولده عليه السلام ﴾

ولد أبو الحسن علي الهادي بالمدينة في رجب سنة أربع عشرة ومائتين للهجرة .
 (و أمه) أم ولد يقال لها سمانة المغربية و قيل غير ذلك .
 (و كنيته) أبو الحسن لا غير .
 (و ألقابه) الهادي و المتوكل و الناصح و المتقي و المرتضى و الفقيه و الأمين و الطيب ، و أشهرها الهادي .
 و كان ينهى أصحابه عن تلقيبه بالمتوكل لكونه لقباً للخليفة جعفر المتوكل بن المعتصم .
 (صفته) أسمر اللون .
 (شاعراه) العوفي و الديلمي .



(بوابه) عثمان بن سعيد .

(نقش خاتمه) الله ربي و هو عصمتي من خلقه .

(معاصره) الواثق ثم المتوكل ثم أخوه ثم ابنه المنتصر ثم المستعين ابن أخي

المتوكل .

﴿ مناقبه على كثره ﴾

قال في الصواعق : كان أبو الحسن العسكري وارث أبيه علماً و منجاً .

و في حياة الحيوان سمي العسكري لأنّ المتوكل لما كثرت السعاية فيه عنده أحضره من المدينة و أقرّه بسُرّ من رأى على صيغة المبني للمفعول ، و تسمّى العسكر لأنّ المعتصم لما بناها أنتقل إليها بعسكره فقبل لها العسكر .

و في تاريخ القرماني ما نصّه : سُرّ من رأى هي سامراء و هي مدينة عظيمة كانت على شرقي دجلة بين تكريت و بغداد ، بناها المعتصم سنة إحدى و عشرين و مائتين و سكن بها بجنوده حتى صارت أعظم بلاد الله و هي اليوم خراب و بها أناس قلائل كالقرية انتهى^١ .

﴿ إعجازه عليه السلام ﴾

نقل بعض الحفاظ أنّ امرأة زعمت أنها شريفة^١ بحضرة المتوكل فسأل عمن يخبره بذلك فدّل على محمد الجواد فأرسل إليه فجاء فأجلسه معه على سريريه وسأله فقال إن الله حرّم لحم أولاد الحسين عليه السلام على السباع فتلقى للسباع، فعرض عليها ذلك فاعترفت المرأة بكذبها .

ثم قيل للمتوكل ألا تجرّب ذلك فيه ؟

فأمر بثلاثة من السباع فجىء بها في صحن قصره ثم دعا به فلما دخل من الباب أغلقه و السباع قد أصمّت الأسماع من زئيرها فلما مشى في الصحن يريد الدرجة مشى إليه وقد سكنت فتمسّحت به ، و دارت حوله ، و هو يمسحها بكمّته ثم ربيضت ، فصعد للمتوكل فتحدّث معه ساعة ثم نزل ففعلت معه كفعلها الأول حتى خرج فأتبعه المتوكل بجائزة عظيمة .

و قيل للمتوكل افعل كما فعل ابن عمك فلم يجسر عليه و قال تريدون قتلي ؟ ثم أمرهم أن لا يفشوا ذلك .

لكن نقل المسعودي : أنّ صاحب هذه القصة علي أبو الحسن العسكري ولده (المرجم له) و هو وجيهٌ لأنّ المتوكل لم يكن معاصراً لمحمد الجواد بل لولده علي الهادي عليه السلام^٢ .

و أضاف ابن حجر بعد ما قال : مرّ أنّ الصواب في قضية السباع الواقعة من

١ - أي علوية من ذرية الحسين عليه السلام .

٢ - نور الأبصار ص ١٧٩ .



المتوكل أنه هو (أي علي الهادي عليه السلام) الممتحن بها و أنها لم تقربه بل خضعت و اطمأنت لمارأته ، و يوافقها ما حكاها المسعودي و غيره أن يحيى بن عبدالله المحض بن الحسن المثنى بن الحسن السبط لما هرب الى الديلم ثم أتى به الرشيد و أمر بقتله ، فألقي في بركة فيها سباع قد جوعت ، فأمسكت عن أكله ولاذت بجانبه و هابت الدنوّ منه فبنى عليه ركن بالجص و الحجر و هو حي^١ .

﴿ اخباره عليه السلام بالغيب ﴾

(عن الأسباطي) قال قدمت على أبي الحسن علي بن محمد عليه السلام في المدينة الشريفة من العراق ، فقال لي : ما خبر الواثق عندك ؟ فقلت : خلفته في عافية و أنا من أقرب الناس به عهداً و هذا مقدمي من عنده و تركته صحيحاً .
فقال : إنّ الناس يقولون إنه مات ، فلما قال لي إنّ الناس يقولون إنه قد مات ، فهمت أنه يعني نفسه ، فسكتُ .

ثم قال ما فعل ابن الزيات ؟

قلت : الناس معه و الأمر أمره .

فقال : أما إنه شوّم عليه ، ثم قال لا بدّ أن تجري مقادير الله و أحكامه يا جيران ! مات الواثق ، و جلس جعفر المتوكل ، و قتل ابن الزيات .
فقلت : متى ؟ قال : بعد مخرجك بستة أيام .

فما كان إلا أيام قلائل حتى جاء قاصد المتوكل إلى المدينة فكان كما قال^١.

﴿الامام الهادي و المتوكل﴾

(حكى) أن سبب شخوص أبي الحسن علي بن محمد من المدينة إلى سرمن رأى أن عبد الله بن محمد كان ينوب عن الخليفة المتوكل في الحرب و الصلاة بالمدينة فسعى بأبي الحسن إلى المتوكل و كان يقصده بالأذى .

فبلغ أبا الحسن سعائته إلى المتوكل فكتب إلى المتوكل يذكر تحامل عبد الله بن محمد عليه و قصده له بالأذى .

فكتب إليه المتوكل كتاباً يعتذر له فيه و يلين له القول و دعاه فيه إلى الحضور إليه على حيل من القول و الفعل .

و لما وصل الكتاب إلى أبي الحسن تجهز للرحيل و خرج و خرج معه يحيى بن هرثمة بن أعين مولى المتوكل و من معه من الجند حاقين به إلى أن وصل إلى سر من رأى ، فنزل في خان يعرف بخان الصعاليك فأقام فيه يومه ، ثم إن المتوكل أفرد له داراً حسنة و أنزله بها فأقام أبو الحسن مدة مقامه بسر من رأى مكرماً معظماً مبهجلاً في ظاهر الحال ، و المتوكل يتتبع له الغوائل في باطن الأمر فلم يقدره الله تعالى عليه .

(و في) تاريخ ابن خلكان و غيره أنه سعي به إلى المتوكل بأن في منزله سلاحاً و كتباً من شيعته و أنه يطلب الأمر لنفسه ، فبعث إليه جماعته فهجموا عليه

في منزله فوجدوه على الأرض مستقبل القبلة يقرأ القرآن فحملوه على حاله إلى المتوكل و المتوكل يشرب فأعظمه و أجلّه و قال له أنشدني ، فقال له إني قليل الرواية للشعر فقال لابّد فأنشده :

باتوا على قلال الأجيال تحرسهم
و استنزلوا بعد عز من معاقلمهم
ناداهم صارخ من بعد ما رحلوا
أين الوجوه التي كانت محجّبة^١
فأفصح القبر عنهم حين سائلهم
يا طالما أكلوا يوماً و ما شربوا

قال فبكي المتوكل و الحاضرون و قال له المتوكل : يا أبا الحسن هل عليك دين ؟ قال : نعم أربعة آلاف درهم ، فأمر له بها و صرفه معظماً مكرماً^٢ .

و أضاف العلامة الإربلي : فأشفق من حضر على علي (الهادي) و ظنّ أنّ بادرة تبدر اليه ، فبكي المتوكل بكاءً كثيراً حتى بليت دموعه لحيته و بكى من حضر ثم أمر برفع الشراب^٣ .

١ - و في بعض الكتب « منعمة » .

٢ - وفيات الأعيان ج ٣ ص ٢٧٣ .

٣ - كشف الغمّة ج ٢ ص ٢٨٦ .



﴿ من كلماته عليه السلام ﴾

حيث لم نجد شيئاً من كلماته في نور الأبصار و لا في الصواعق و الوفيات
أضفناها من كشف الغمة للعلامة أبي الحسن علي بن عيسى الإربلي (المتوفى ٦٩٣):
قال الامام علي الهادي عليه السلام مخاطباً فتح بن يزيد الجرجاني : من إتقى الله
يُتقى و من أطاع الله يطاع .

(و قال عليه السلام) يا فتح ! من أطاع الخالق لم يبال بالمخلوق ، و من أسخط
الخالق فأيقن أن يحلّ به سخط المخلوق .

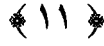
(و قال عليه السلام) إنّ الخالق لا يوصف الا بما وصف به نفسه ، و أتى يوصف
الخالق الذي تعجز الحواس أن تدركه ، و الأوهام أن تناله ، و الخطرات أن تحدّه ، و
الأبصار عن الاحاطة به ، جلّ عمّا يصفه الواصفون ، و تعالى عمّا ينعته الناعتون ،
نأى في قربه ، و قرب في نأيه ، فهو في نأيه قريب ، و في قربه بعيد ، كيف وكيف
فلا يقال كيف ، و أين الأين فلا يقال أين ، اذ هو منقطع الكيفية و الأينية ، هو
الواحد الأحد الصمد لم يلد و لم يولد و لم يكن له كفواً أحد ، فجّلّ جلاله (الى آخر
كلامه الطويل) ^١ .

﴿ شهادته عليه السلام ﴾

قال الشبلنجي : توفي أبو الحسن علي الهادي بن محمد الجواد عليه السلام بسر من

رأى و له من العمر أربعون سنة يوم الاثنين لخمس ليال بقيت من جمادى الآخرة سنة أربع و خمسين و مائتين ، و دفن في داره بسرّ من رأى ، يقال إنه مات مسموماً و الله أعلم .

(و أولاده) محمد و الحسن و محمد أبو جعفر و له ابنة .



﴿ الامام الحادي عشر الحسن بن علي العسكري عليه السلام ﴾

هو أبو محمد الحسن العسكري بن علي الهادي بن محمد الجواد بن علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين الشهيد بن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ، ذكره الشبلني و ابن حجر في كتابيهما ، قال الشبلنجي :

﴿ مولده عليه السلام ﴾

ولد أبو محمد الخالص بالمدينة لثمان خلت من شهر ربيع الآخرة سنة اثنتين و ثلاثين و مائتين من الهجرة .

(أمّه) أمّ ولد يقال لها حديث و قيل سوسن .

(و كنيته) أبو محمد .

(و ألقابه) الخالص و السراج و العسكري .



(صفته) بين السمرة و البياض .

(شاعره) ابن الرومي .

(بوابه) عثمان بن سعد .

(نقش خاتمه) سبحان من له مقاليد السموات و الأرض .

(معاصره) المعتز و المهدي و المعتمد .

﴿ مناقبه عليه السلام كثيرة ﴾

ففي درر الأصداف وقع للبهلول معه أنه رآه و هو صبي يبكي و الصبيان يلعبون فظن أنه يتحسّر على ما بأيديهم ، فقال له أشتري لك ما تلعب به ؟

فقال : يا قليل العقل ! ما للعب خلقتنا .

فقال له : فلماذا خلقتنا ؟

قال : للعلم و العبادة .

فقال له : من أين لك ذلك ؟

فقال : من قوله تعالى ﴿ أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً و أنكم الينا لا ترجعون ﴾^١

ثم سأله أن يعظه ، فوعظه بأبيات ثم خرّ الحسن عليه السلام مغشياً عليه فلما أفاق قال له : ما

نزل بك و أنت صغير و لا ذنب لك ؟

فقال : اليك عني يا بهلول ! اني رأيت و الدتي توقد النار بالحطب الكبار فلا

تتقد إلا بالصغار و آتي أخشى أن أكون من صغار حطب جهنم^١.

﴿ اخباره بالغيب ﴾

قال الشبلنجي :

﴿ كرامات : الأولى ﴾ هي جامعة الكرامات حدّث أبو هاشم داود بن قاسم الجعفري قال : كنت في الحبس الذي في الجوسق^٢ أنا و الحسن بن محمّد و محمّد بن إبراهيم العمري و فلان و فلان خمسة أو ستة إذ دخل علينا أبو محمد الحسن بن علي العسكري عليه السلام و أخوه جعفر فحففنا بأبي محمد و كان المتولي للحبس صالح بن يوسف الحاجب .

و كان معنا في الحبس رجلٌ أعجمي ، فالتفت الينا أبو محمد و قال لنا سرّاً : لولا أنّ هذا الرجل فيكم لأخبرتكم متى يفرّج الله عنكم ، و هذا الرجل قد كتب فيكم قصّة إلى الخليفة يخبره فيها بما تقولون فيه ، و هي في ثيابه يريد الحيلة في إيصالها إلى الخليفة من حيث لا تعلمون ، فاحذروا شرّه .

قال أبو هاشم : فما تمالكنا أن تحاملنا جميعاً على الرجل ففتّشناه فوجدنا القصّة مدسوسة معه في ثيابه و هو يذكرنا فيها بكل سوء فأخذناها منه و حدّزناه .

﴿ الثانية ﴾ كان الحسن عليه السلام في السجن فإذا أفطر أكلنا معه من طعامه ، قال أبو هاشم : فكنت أصوم معه فلمّا كان ذات يوم ضعفت عن الصوم فأمرت غلامي

١ - نور الأبصار ص ١٨٣ و ذكره ابن حجر أيضاً في الصواعق ص ١٢٤ .

٢ - قرية قرب بغداد .

فجاء لي بكعك فذهبت إلى مكان خال في الحبس فأكلت و شربت ثم عدت إلى مجلسي مع الجماعة و لم يشعر بي أحد .

فلما رأني تبسم و قال أفطرت ؟ فنجلت ، فقال : لا عليك يا أبا هاشم إذا رأيت أنك قد ضعفت و أردت القوة فكل اللحم فإن الكعك لا قوة فيه ، و قال عزمت عليك أن تظفر ثلاثاً فإن البنية إذا أنهكها الصوم لا تتقوى إلا بعد ثلاث .

قال أبو هاشم ثم لم تطل مدة أبي محمد الحسن بن علي عليه السلام في الحبس بسبب أن قحط الناس بسر من رأى قحطاً شديداً فأمر الخليفة المعتمد على الله بن المتوكل بخروج الناس إلى الصحراء و خرج معه النصارى و الرهبان و كان فيهم راهب كلما مدّ يده إلى السماء هطلت بالمطر .

ثم خرجوا في اليوم الثاني و فعلوا كفعالهم أول يوم ، فهطلت السماء بالمطر ، فعجب الناس من ذلك و داخل بعضهم الشك و صبأ بعضهم إلى دين النصرانية فشق ذلك على الخليفة فأنفذ إلى صالح بن يوسف أن أخرج أبا محمد الحسن عليه السلام من الحبس و اتني به .

فلما حضر أبو محمد الحسن عليه السلام عند الخليفة قال له أدرك أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم فيما لحقهم من هذه النازلة العظيمة .

فقال أبو محمد عليه السلام : دعهم يخرجون غداً اليوم الثالث .

فقال له : قد استغنى الناس عن المطر و استكفوا فما فائدة خروجهم ؟

قال : لأزيل الشك عن الناس و ما وقعوا فيه .

فأمر الخليفة الجاثليق و الرهبان أن يخرجوا أيضاً في اليوم الثالث على

جاري عادتهم و أن يخرج الناس .



فخرج النصارى و خرج معهم أبو محمد الحسن عليه السلام و معه خلق من المسلمين ، فوقف النصارى على جاري عادتهم يستسقون و خرج راهب معهم و مَدَّ يديه الى السماء و رفعت النصارى و الرهبان أيديهم أيضاً كعادتهم فغيمت السماء في الوقت و نزل المطر فأمر أبو محمد الحسن بالقبض على يد الراهب و أخذ ما فيها ، فإذا ما بين أصابعه عظم آدمي فأخذه أبو محمد الحسن و لَقَّه في خرقة ، و قال لهم استسقوا فانقشع الغيم و طلعت الشمس فتعجب الناس من ذلك و قال الخليفة ما هذا يا أبا محمد ؟

فقال : هذا عظم نبي من الأنبياء ظفر به هؤلاء من قبور الأنبياء و ما كُشف عن عظم نبي من الأنبياء تحت السماء إلا هطلت بالمطر .

فاستحسنوا ذلك و امتحنوه فوجدوه كما قال فرجع أبو محمد الحسن عليه السلام إلى داره بسرّ من رأى و قد أزال عن الناس هذه الشبهة و سرّ الخليفة و المسلمون بذلك و كلم أبو محمد الحسن الخليفة في إخراج أصحابه الذين كانوا معه في السجن ، فأخرجهم و أطلقهم من أجله و أقام أبو محمد بمنزله معظماً مكرماً و صلوات الخليفة و إنعاماته تصل إليه في كل وقت ، نقله غير واحد^١ .

﴿ الثالثة ﴾ عن علي بن إبراهيم بن هشام عن أبيه عن عيسى بن الفتح قال لما دخل علينا أبو محمد الحسن الحبس ، قال لى : يا عيسى ! لك من العمر خمس و ستون سنة و شهر و يومان قال و كان معي كتاب فيه تاريخ ولادتي فنظرت فيه فكان كما قال ثم قال هل رزقت ولداً ؟ قلت : لا ، فقال : اللهم ارزقه ولداً يكون له عضداً فنعم العضد الولد ثم أنشد :

من كان ذا عضد يدرك ظلامته إنَّ الذليل الذي ليست له عضد
فقلت ياسيدي ! وأنت لك ولد؟ فقال: إني والله سيكون لي ولد يملأ الأرض
قسطاً وعدلاً وأما الآن فلا.

﴿الرابعة﴾ عن إسماعيل بن محمد بن علي بن عبدالله بن العباس رضي الله
عنهم قال قعدت لأبي الحسن على باب الدار حتى خرج فقمت في وجهه و شكوت
إليه الحاجة والضرورة وأقسمت أني لا أملك الدرهم الواحد فما فوقه .

فقال : تقسم و قد دفنت مائتي دينار ، و ليس قولي هذا دفعاً لك عن العطية ،
أعطه يا غلام ما معك ، فأعطاني مائة دينار فشكرت له و ولّيت ، فقال : ما أخوفني
أن تفقد المائتي دينار أحوج ما تكون إليها .

فذهبت إليها فافتقدتها فإذا هي في مكانها فنقلتها إلى موضع آخر و دفنتها و
لم يطلع عليها أحد .

ثم قعدت مدة طويلة فاضطرت إليها فجننت أطلبها في مكانها فلم أجدها
فحزنت و شقّ ذلك عليّ فوجدت ابناً لي قد عرف مكانها و قد أخذها و أنفدها و لم
أحصل منها على شيء و كان كما قال .

﴿الخامسة﴾ عن محمد بن حمزة الدوري قال كتبت على يدي أبي هاشم
داود بن القاسم و كان مؤخياً لأبي محمد الحسن عليه السلام أسأله أن يدعو الله لي بالغنى و
كنت قد أملت و خفت الفضيحة .

فخرج الجواب على يده : أبشر فقد أتاك الغنى من الله تعالى ، مات ابن عمك
يحيى بن حمزة و خلف مائة ألف درهم و لم يترك وارثاً سواك ، و هي واردة عليك
عن قريب فاشكر الله و عليك الاقتصاد و إياك و الإسراف .

فورد عليّ المال و الخبر بموت ابن عمي كما قال عن أيام قلائل ، و زال عتي



الفقر و أديت حق الله تعالى فيه و بررت إخواني و تماسكت بعد ذلك و كنت قبل ذلك مبذراً^١

﴿ نبذة من كلماته عليه السلام ﴾

قال الشبلنجيُّ : عن أبي هاشم قال سمعت أبا محمد الحسن يقول « إنَّ في الجنة باباً يقال له المعروف لا يدخل منه إلا أهل المعروف » فحمدت الله في نفسي و فرحت بما أتكلّف من حوائج الناس ، فنظر إليّ و قال يا أبا هاشم دم على ما أنت عليه فإنَّ أهل المعروف في الدنيا هم أهل المعروف في الآخرة .
و عنه أيضاً قال سمعت أبا محمد يقول : بسم الله الرحمن الرحيم أقرب إلى اسم الله الأعظم من سواد العين إلى بياضها^٢ .

﴿ شهادته عليه السلام ﴾

حكى الشبلنجيُّ عن الفصول المهمة : و لما ذاع خبر وفاته ارتجت سرّ من رأى و قامت صيحةٌ واحدةٌ و عطّلت الأسواق ، و غلقت الدكاكين ، و ركب بنو هاشم و القوادم و الكتاب و القضاة و المعدّلون و سائر الناس إلى جنازته ، فكانت سرّ من رأى يومئذ شبيهةً بالقيامة .

١ - نور الأبصار ص ١٨٤ - ١٨٥ .

٢ - المصدر .

فلما فرغوا من تجهيزه بعث الخليفة إلى أبي عيسى بن المتوكل ليصلي عليه
فصلى عليه^١ ودفن في البيت الذي دفن فيه أبوه من دارهما بسر من رأى .
وكانت وفاة أبي محمد الحسن بن علي في يوم الجمعة لثمان خلون من شهر
ربيع الأول سنة ستين و مائتين و خلف من الولد ابنه محمداً^٢ .
وقال ابن حجر : انه مات بسر من رأى و دفن عند أبيه و عمه ، و عمره ثمانية
و عشرون سنة ، و يقال انه سم أيضاً^٣ .

﴿ ١٢ ﴾

﴿ الامام الثاني عشر (محمد) المهدي بن الحسن عليه السلام ﴾

و هو أبو القاسم (محمد) المهدي بن الحسن العسكري بن علي الهادي بن
محمد الجواد بن علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن
علي زين العابدين بن الحسين بن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله عليهم
أجمعين .

قال ابن حجر : و لم يخلف (أي الحسن العسكري عليه السلام) غير ولده (أبي

١ - لا يخفى أن الامام لا يصلي عليه الا الامام و بناءً عليه فالصلاة المذكورة كانت ظاهرية على ما
راه المتوكل ، و روايات الخاصة دالة على أن الامام المهدي عليه السلام هو الذي صلى على أبيه (راجع كتاب
الغيبة للشيخ الطوسي رحمه الله ص ٢٥٨) .

٢ - المصدر .

٣ - الصواعق المحرقة ص ١٢٤ .

القاسم الحجة عليه السلام) وعمره عند وفاة أبيه خمس سنين^١ لكن آتاه الله الحكمة ، و
يسمى القائم المنتظر^٢ .
وقال الشبلنجي :
(أمه) أم ولد يقال لها نرجس و قيل : صقيل و قيل : سوسن .
(كنيته) أبو القاسم .
(لقبه) الإمامية بالحجة ، و المهدي ، و الخلف الصالح ، و القائم ، و المنتظر ،
و صاحب الزمان ، و أشهرها المهدي .
(صفته) شابٌ مربع القامة ، حسن الوجه و الشعر ، يسيل شعره على منكبيه
أقنى الأنف أجلى الجبهة .
(بوابه) محمد بن عثمان .
(معاصره) المعتمد .
و هو آخر الأئمة الاثني عشر على ما ذهب إليه الإمامية .
و في الفصول المهمة^٣ قيل : إنه غاب في السرداب و الحرس عليه ، و ذلك
في سنة ست و ستين و مأتين .

قال الشيخ أبو عبدالله محمد بن يوسف بن محمد الكنجي في كتابه البيان في
أخبار صاحب الزمان : و من الأدلة على كون المهدي عليه السلام حياً باقياً بعد غيبته و إلى
الآن ، و أنه لا امتناع في بقاءه : بقاء عيسى ابن مريم و الخضر و إلياس من أولياء الله

١ - و على هذا كانت ولادته سنة (٢٥٥) لأن وفاة العسكري عليه السلام في سنة (٢٦٠) .

٢ - الصواعق المحرقة : ١٢٤ .

٣ - للشيخ نورالدين علي بن محمد بن الصباغ المالكي المكي المتوفى (٨٥٥) و أتا غيبة الامام الثاني
عشر في السرداب، فلم يقل به من علماء الامامية أحد.



تعالى ، وبقاء الأعور الدجال و إبليس اللعين من أعداء الله تعالى ، و هؤلاء قد ثبت بقاؤهم بالكتاب و السنة .

أما عيسى عليه السلام فالدليل على بقائه قوله تعالى ﴿ و إن من أهل الكتاب إلا ليؤمننّ به قبل موته ﴾^١ و لم يؤمن به مذ نزول هذه الآية إلى يومنا هذا أحدٌ فلا بد أن يكون في آخر الزمان .

و من السنة ما رواه مسلم في صحيحه^٢ عن ابن سمعان في حديث طويل في قصة الدجال قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « فينزل عيسى بن مريم عليه السلام عند المنارة البيضاء بين مهرودتين واضعاً كفيه على أجنحة ملكين »^٣ .

و أمّا الخضر و إلياس فقد قال ابن جرير الطبري : الخضر و إلياس باقيان يسيران في الأرض^٤ .

و أمّا الدجال فقد روى مسلم في صحيحه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : حدثنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حديثاً طويلاً عن الدجال فكان فيما حدثنا أن قال : « يأتي وهو محرّم عليه أن يدخل عتبات المدينة فينتهي إلى بعض السباخ التي تلي المدينة فيخرج إليه رجلٌ هو خير الناس أو من خير الناس ، فيقول الدجال إن قتلت هذا ثم

١ - النساء ٤ : ١٥٩

٢ - صحيح مسلم ج ٤ ص ٢٢٥٣ كتاب الفتن و أشراط الساعة ح ١١٠

٣ - قال في هامش صحيح مسلم : المنارة البيضاء : هذه المنارة موجودة اليوم شرقي دمشق ، و المهرودتان : روي بالبدال المهملة و الذال المعجمة و المهملة أكثر ، و معناه لابسٌ مهرودتين أي ثوبين مصبوغين بورس ثم بزعفران.

٤ - راجع تاريخ الطبري ج ١ ص ٣٦٥ و ٤٦٤ .

أحييته أتشكّون في الأمر؟ فيقولون لا، فيقتله ثم يحييه^١ فيقول حين يحييه والله ما كنت فيك قطّ أشد بصيرة منّي الآن، قال: فيريد الدجال أن يقتله فلن يسلّط عليه، قال إبراهيم بن سعيد: يقال إن هذا الرجل هو الخضر^٢ وهذا لفظ صحيح مسلم. و أما الدليل على بقاء اللعين إبليس فالكتاب وهو قوله تعالى ﴿ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ﴾^٣.

و أما بقاء المهدي فقد جاء في تفسير الكتاب العزيز عن سعيد بن جبير في تفسير قوله تعالى ﴿ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾^٤ قال هو المهدي عليه السلام من ولد فاطمة عليها السلام.

و أما من قال إنه عيسى فلا منافاة بين القولين إذ هو مساعد للمهدي. وقد قال مقاتل بن سليمان ومن تابعه من المفسرين في تفسير قوله تعالى ﴿ وَإِنَّهُ لَعَلَّمَ السَّاعَةَ ﴾^٥ قال: هو المهدي عليه السلام يكون في آخر الزمان و بعد خروجه تكون أمارات الساعة و قيامها^٦.

(ثم قال الشبلنجي) قال القطب الشعراني في اليواقيت و الجواهر: المهدي من ولد الإمام الحسن العسكري ابن الحسين و مولده ليلة النصف من شعبان سنة خمس و خمسين و مائتين و هو باق إلى أن يجتمع بعيسى ابن مريم عليه السلام هكذا

١ - لا يخفى أنّ الإحياء لا يقدر عليه أحدٌ إلا الله القادر المتعال أو من يأذنه .

٢ - صحيح مسلم ج ٤ ص ٢٢٥٦ كتاب الفتن و أشراف الساعة ح ١١٢ .

٣ - الأعراف ٧ : ١٥

٤ - الصّف ٦١ : ٩ .

٥ - الزخرف ٤٣ : ٦١ .

٦ - نور الأبصار ص ١٨٦ .



أخبرني الشيخ حسن العراقي المدفون فوق كوم الريش المطل على بركة الرطل بمصر المحروسة و وافقه على ذلك سيدي علي الخواص .

(صفته) شابٌ أكحل العينين ، أزجّ الحاجبين ، أفتى الأنف ، كَثَّ اللحية ، على خذّه الأيمن خالٌ .

و أخرج الروياني و الطبراني و غيرهما : « المهديُّ عليه السلام من ولدي وجهه كالكوكب الدرّي ، اللون لونٌ عربيّ و الجسم جسمٌ إسرائيليّ أي طويل ، يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً » قال الشيخ محيي الدين في الفتوحات .

و اعلم أنّ المهدي عليه السلام إذا خرج يفرح به جميع المسلمين خاصّتهم و عامّتهم ، و له رجال إلهيون يقيمون دعوته و ينصرونه ، هم الوزاء له يتحملون أثقال المملكة عنه ، و يعينونه على ما قلده الله ، ينزل عليه عيسى ابن مريم عليه السلام بالمنارة البيضاء شرقي دمشق متكئاً على ملكين ملك عن يمينه و ملك عن يساره ^١ .

ثم قال الشبلنجي :

﴿ فوائده : الأولى ﴾ قال في الصواعق الأظهر أنّ خروج المهدي قبل نزول عيسى عليه السلام و قيل بعده .

[الثانية] تواترت الأخبار عن النبي صلى الله عليه وآله أنّه من أهل بيته و أنّه يملأ الأرض عدلاً .

[الثالثة] تواترت الأخبار على أنّه يعاون عيسى على قتل الدجال بباب لد بأرض فلسطين بالشام .

[الرابعة] جاء في بعض الآثار أنّه خرج في وتر السنين سنة إحدى أو ثلاث

أو خمس أو سبع أو تسع .

[الخامسة] أنه بعد أن تعقد له البيعة بمكة يسير منها إلى الكوفة ثم يفرق الجند إلى الأمصار .

[السادسة] أن السنة من سنه مقدار عشر سنين .

[السابعة] أن سلطانه يبلغ المشرق و المغرب تظهر له الكنوز لا يبقى في الأرض خراب إلا عمره^١ .

علامت ظهوره عليه السلام

ثم قال الشبلنجي :

وهذه علامات قيام القائم مروية عن أبي جعفر عليه السلام قال : «إذا تشبه الرجال بالنساء و النساء بالرجال ، و ركبت ذوات الفروج السروج و أمات الناس الصلوات ، و اتبعوا الشهوات ، و استخفوا بالدماء ، و تعاملوا بالربا ، و تظاهروا بالزنا ، و شيدوا البناء ، و استحلوا الكذب ، و أخذوا الرشاً ، و اتبعوا الهوى ، و باعوا الدين بالدنيا ، و قطعوا الأرحام ، و ضنوا بالطعام ، و كان الحلم ضعفاً ، و الظلم فخراً ، و الأمراء فجرة ، و الوزراء كذبة ، و الأمناء خونة ، و الأعوان ظلمة ، و القراء فسقة ، و ظهر الجور ، و كثر الطلاق ، و بدأ الفجور ، و قبلت شهادة الزور ، و استغنت النساء بالنساء ، و اتخذ الفىء مغنماً ، و الصدقة مغرماً ، و اتقى الأشرار مخافة ألسنتهم ، و خرج السفيناني من الشام ، و اليماني من اليمن ، و خسف بالبيداء بين مكة و المدينة ، و قتل غلام من

آل محمد ﷺ بين الركن والمقام، وصاح صائح من السماء بأن الحق معه ومع أتباعه .

قال : فإذا خرج أسند ظهره إلى الكعبة واجتمع عليه ثلاثمائة و ثلاثة عشر رجلاً من أتباعه فأول ما ينطق به هذه الآية : ﴿ بقية الله خير لكم إن كنتم مؤمنين ﴾^١ . ثم يقول : أنا بقية الله وخليفته وحجته عليكم ، فلا يسلم عليه أحد إلا قال السلام عليك يا بقية الله في الأرض ، فإذا اجتمع عنده العقد عشرة آلاف رجل فلا يبقى يهودي ولا نصراني ولا أحد ممن يعبد غير الله تعالى إلا آمن و صدق و تكون الملة واحدة ملة الإسلام ، وكل ما كان في الأرض من معبود سوى الله تعالى تنزل عليه ناراً من السماء فتحرقه والله أعلم^٢ .

(أقول) هذه سلسلة الامامة والخلافة الالهية التي بدأت في « غدير خم » من جانب الله تعالى تدلّ عليها الآية : ﴿ وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا وأوحينا اليهم فعل الخيرات و اقام الصلاة و ايتاء الزكاة و كانوا لنا عابدين ﴾^٣ .

(ان قلت) ان سياق الآية أنّ المراد هم أنبياء الله تعالى كإبراهيم و لوط و اسحاق و يعقوب ، فلا تشمل الأئمة الاثني عشر .

(قلنا) هل تشمل هذه الآية النبي الأعظم محمد ﷺ أم لا؟ والجواب أنها تشملهم يقيناً ، فكذا أوصياهم الاثنا عشر ، اذ لا معنى لوجود الأئمة الهادين في الزمان السابق و عدمهم في اللاحق لا سيما في زماننا هذا الذي مسائله أكثر و أصعب .

١ - هود : ١١ : ٨٦

٢ - المصدر .

٣ - الأنبياء : ٢١ : ٧٣

وقبل ذلك بينا السلسلة التي وضعها الناس بإزاء هذه السلسلة الالهية ، فكأنه هنا طريقان و سبيلان ، كما قال القرآن :

﴿ ألم نجعل له عينين و لساناً و شفيتين و هديناه النجدين ﴾^١

و من البديهي أنّ واحداً من هذين الطريقين حق ، لا كلاهما ، فانظر أيهما هو ؟ لا ريب في أنه هو الطريق الثاني ، أي طريق أهل البيت الطاهرين عليهم السلام و طريق الأئمة الاثنا عشر الذين دلّت عليه أخبار النبي الكريم صلى الله عليه وآله و هم قرناء القرآن في قوله صلى الله عليه وآله : عن زيد بن أرقم قال : قام رسول الله صلى الله عليه وآله يوماً فينا خطيباً بماءٍ يدعى ختماً فحمد الله و أثنى عليه و وعظ و ذكر . ثم قال :

« أما بعد . ألا أيها الناس ! فانما أنا بشرٌ يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب . و أنا تاركٌ فيكم ثقلين : أوّلهما كتاب الله فيه الهدى و النور فخذوا بكتاب الله و استمسكوا به (ثم قال) و أهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي . أذكركم الله في أهل بيتي . أذكركم في أهل بيتي » .

(ثم قال الراوي) فقلنا لزيد بن أرقم : من أهل بيته ؟ نسأوه ؟ قال : لا و أيم الله ! إنّ المرأة تكون مع الرجل العصر من الدهر . ثم يطلقها فترجع الى أبيها و قومها . أهل بيته أصله و عصبته الذين حرّموا الصدقة بعده^٢ .

و هذا الطريق (أي طريق أهل البيت و هم الأئمة الاثنا عشر عليهم السلام) عبّر عنه القرآن الكريم مرةً بلفظ «الصراط» كما في قوله تعالى : ﴿ اهدنا الصراط

١ - البلد ٩٠ : ٨

٢ - صحيح مسلم ج ٤ ص ١٨٧٤ - ١٨٧٣ كتاب فضائل الصحابة باب علي بن أبي طالب عليه السلام
ح ٣٦ - ٣٧ .

المستقيم ﴿١﴾ وقوله تعالى: ﴿و الله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم﴾ ﴿٢﴾ وقوله تعالى: ﴿هذا صراط عليّ مستقيم﴾ ﴿٣﴾.

و روي في تفسير الخازن عن رسول الله ﷺ أنه قال: صراط علي هو المستقيم و صراط غيره غير مستقيم. ﴿٤﴾

وقال القندوزي: ان أمير المؤمنين علياً عليه السلام قام على المنبر بالكوفة و هو يخطب فقال ممّا قال: ... أنا النبا العظيم أنا الصراط المستقيم. ﴿٥﴾

و هذا هو الصراط الذي تهّدّ الشيطان بالقعود عليه و إغواء الناس عنه ، كما قال الله العزيز في القرآن: ﴿لأقعدنّ لهم صراطك المستقيم ثم لآتينهم من بين أيديهم و من خلفهم و عن أيمانهم و عن شمائلهم و لا تجد أكثرهم شاكرين﴾ ﴿٦﴾.

و مرةً أخرى بلفظ «السبيل» أو «سبيل الله» أو «سبيلي» ذكره القرآن في الآيات الآتية:

﴿أنا هديناه السبيل إما شاكراً و إما كفوراً﴾ ﴿٧﴾.
 و ﴿لا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله﴾ ﴿٨﴾.

١ - الفاتحة ١ : ٦

٢ - البقرة ٢ : ٢١٣

٣ - الحجر ١٥ : ٤١

٤ - تفسير الخازن ج ١ ص ١٧ ط مصر .

٥ - ينابيع المودة الجزء ٢ الباب ٦٨ ص ١٥٣ ط ق .

٦ - الأعراف ٧ : ١٦ - ١٧ .

٧ - الانسان ٧٦ : ٣ .

٨ - ص ٣٨ : ٢٦ .



﴿ قل هذه سبيلي أدعو الى الله على بصيرة أنا و من اتبعني ﴾^١ .
 وهذه هي السبيل التي يتحسّر الانسان يوم القيامة على الحرمان منها في دار
 الدنيا ، كما قال القرآن الكريم : ﴿ و يوم يعض الظالم على يديه يقول يا ليتني
 اتخذت مع الرسول سبيلاً يا وليتى ليتنى لم أتخذ فلاناً خليلاً ﴾^٢ .

﴿ عودٌ الى البدء ﴾

لقد طال بنا البحث تحت البرهان السادس في موضوع الامامة في ذيل الآية
 السالفة الذكر و هي : ﴿ يوم ندعو كل اناس بامامهم ﴾^٣ فهذه الآية لا تدلّ على
 ضرورة الامام فحسب ، بل تدلّ على وجوده في كل عصر و زمان ، وكذلك الآية
 التي ذكرناها في البرهان الخامس (في سورة القدر)، و الآفان الآيات الدالة على
 وجوده الشريف كثيرة أشرنا الى بعض منها في طليعة هذا الكتاب ، فراجع .

تفسير الآية ﴿ يوم ندعو كل أناس بامامهم ﴾ من كتب أهل السنة

روى الحافظ سليمان بن ابراهيم القندوزي الحنفي عن أبي هريرة قال :

١ - يوسف ١٢ : ١٠٨ .

٢ - الفرقان ٢٥ : ٢٧ .

٣ - الاسراء ١٧ : ٧١ .



تلا رسول الله ﷺ هذه الآية ﴿ يوم ندعو كل أناس بإمامهم فمن أوتى كتابه بيمينه فأولئك يقرؤون كتابهم ولا يُظلمون فتيلاً و من كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلاً ﴾^١ قال : يدعى أحدهم فيعطى كتابه بيمينه ويمد له في جسمه ستون ذراعاً و يبيض وجهه و يجعل على رأسه تاج من لؤلؤ يتلأأ فينطلق الى أصحابه الذين كانوا يجتمعون اليه في الدنيا فيرونه من بعيد فيقولون اللهم إئتنا بهذا فيأتيهم فيقول لهم : ابشروا لكل رجل منكم مثل هذا [المتبوع على الهدى] و أما الكافر فيعطى كتابه بشماله و يسود وجهه و يمد له في جسمه ستون ذراعاً و يلبس تاجاً من نارٍ اذا رآه أصحابه قالوا : نعوذ بالله من شر هذا ، اللهم لا تأتنا به فيأتيهم فيقولون اللهم أخره ، فيقول لهم : أبعدم الله فان لكل رجل منكم مثل هذا (قال رواه الترمذي أيضاً)^٢ .

(أقول) لا يخفى على المتأمل أنّ الشخص الأول هو الذي قد عرف امامه بالحق و تبعه في دار الدنيا ، و الثاني هو الذي لم يعرفه .

تفسير هذه الآية ﴿ يوم ندعو كل اناس ﴾

من كتب الشيعة

روى الكليني رحمه الله عن أبي جعفر (الامام الباقر) عليه السلام قال : لما نزلت هذه الآية ﴿ يوم ندعو كل أناس بإمامهم ﴾ . قال المسلمون : يارسول الله أأنت امام الناس

١ - المصدر .

٢ - بنابيع المودة ص ٤٨٣ و صحيح الترمذي ج ٢ ص ١٤٥ ط . كراحي .

كلهم أجمعين؟

فقال رسول الله ﷺ: أنا رسول الله الى الناس أجمعين و لكن سيكون من بعدي أئمة على الناس من الله من أهل بيتي ، يقومون في الناس فيكذبون ، و يظلمهم أئمة الكفر و الضلال و أشياعهم ، فمن والاهم و اتبعهم و صدقهم فهو مني و معي و سيلقاني ، ألا و من ظلمهم و كذبهم فليس مني و لا معي و أنا منه بريء^١ . هذا ختام البحث في مقام البرهان السادس و هو الاستدلال بالآية الشريفة : ﴿ يوم ندعو كل اناس بامامهم الخ ﴾ و نبدأ الآن البرهان السابع من سنة النبي الكريم ﷺ (من العامة) .

﴿ تمّ الجزء الثاني و يتلوه الجزء الثالث أوله : البرهان السابع ﴾



الفهرس



﴿ عناوين الكتاب ﴾

- ٥ (٥) هارون الرشيد بن المهدي
- ٦..... الخوض في اللهو و اللذات المحظورة
- ٨..... ابن جامع (المغني) في دار الخلافة
- ١٣..... وفاة الجارية « غادر »
- ١٥..... وفاة الجارية « هيلانة »
- ١٦..... الجوارى المعطرة على الكراسي المبخرة
- ١٧..... شرب الخمر
- ١٧..... الاسراف في بيت المال
- ١٨..... هارون الرشيد و بُهلول
- ١٩..... هارون الرشيد و الفضيل بن عياض
- ٢٠..... هارون الرشيد و القاضي أبو يوسف
- ٢٢..... لمحة الى قضايا أبى يوسف العجبية

- ٢٤ الظلم و الجور و سفك الدماء (في خلافة الرشيد)
- ٢٥ العقاب بلا جنابة
- ٢٧ فتك الرشيد بالبرامكة
- ٣٤ عبرتان من غير الزمان
- ٣٥ أسباب نكبة البرامكة
- ٣٨ مقتل يحيى بن عبدالله
- ٣٩ كتاب الأمان ثم الغدر به
- ٣٩ الآية التي ظهرت في قضية يحيى
- ٤٤ شهادة الامام موسى بن جعفر عليه السلام
- ٤٥ رؤيا الرشيد يؤمر فيها بالتخلى عن موسى بن جعفر عليه السلام
- ٤٧ مقاتل كثيرة من آل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم
- ٤٩ موت الرشيد
- ٥٠ آخر أعماله الذي جعله ذُخراً ليوم مآله
- ٥١ (٦) محمد الأمين
- ٥٢ اللهو و اللعب و الاشتغال بالغلما ن
- ٥٤ كثرة الفساد و خراب بغداد
- ٥٧ حال الخليفة خلال هذه الاضطرابات
- ٥٨ عاقبة أمر الخليفة الأمين
- ٥٩ مقتل الخليفة الأمين
- ٦٣ يا أم قومي و اطلبي الثأر مثل عائشة
- ٦٤ كيف كان انعقاد نطفة المأمون



٦٥	(٧) عبدالله المأمون الرشيد
٦٩ شرب الخمر
٧١ الترف بالجواري
٧٣	الإسراف المفرط
٧٣ الإسراف في العطاء
٧٣ الإسراف في الزواج
٧٥ الإسراف في الطعام
٧٦ سيرة يحيى بن الأکثم القاضي
٧٩	الظلم و الجور و سفك الدماء (في خلافة المأمون)
٧٩ قتل ابن عائشة العبّاسي
٨٠ قتل الوزير ذي الرّياستين
٨١ لم يكن الفضل بن سهل شيعياً
٨٣ المأمون و الامام علي بن موسى الرضا <small>عليه السلام</small>
٨٨ قتل المأمون عدّة من العلويين
٨٩	حلم المأمون عمّن يدّعي النبوة
٨٩ رجل ادّعى الرّسالة
٩٠ المأمون و رجل يدعي انه ابراهيم الخليل <small>عليه السلام</small>
٩٢ موت المأمون الرشيد
٩٣	(٨) المعتصم بالله بن هارون الرشيد
٩٥ حبه الغلمان
٩٦	الظلم و الجور و سفك الدماء (في خلافة المعتصم)



- ٩٦ قتل العباس بن المأمون
- ٩٨ قتل بابك بطرز موحشٍ عجيب
- ١٠٠ عاقبة الأفشين
- ١٠٢ مصائب أحمد بن حنبل صاحب المسند
- ١٠٥ قتل كثير من العلماء
- ١٠٥ شهادة الامام محمد الجواد عليه السلام
- ١٠٥ مقتل عبدالله بن الحسين
- ١٠٦ موت أبي دُلف
- ١٠٧ موت المعتصم
- ١٠٨ (٩) الواثق بالله هارون بن المعتصم
- ١٠٨ قتل أحمد الخزاعي
- ١٠٩ نهاية مصيبة خلق القرآن
- ١١٢ الواثق والغناء
- ١١٢ الواثق وحبّه الغلمان
- ١١٣ اخذ المال قهراً
- ١١٣ موت الواثق
- ١١٥ (١٠) المتوكل على الله بن المعتصم
- ١١٦ مجازاة الاحسان
- ١١٧ نبذة من سيرة المتوكل
- ١١٨ نهمة للطعام
- ١١٩ شرب الخمر



- ١١٩ انهماكه الجاري في شهوات الجواري
- ١٢٠ « محبوبة » جارية أخرى للمتوكل
- ١٢٢ الظلم والاعتساف (في خلافة المتوكل)
- ١٢٢ حلق لحية القاضي أبي بكر
- ١٢٢ سنخ المتوكل على كاتبه الرنجي
- ١٢٣ التعذيب بالماء البارد و التتور المسخر
- ١٢٤ استشهاد ابن السكيت بطرز فجيع
- ١٢٨ جور المتوكل على مشهد الحسين عليه السلام
- ١٢٩ قصة زيد المجنون و بهلول
- ١٣٤ وقوع الزلازل و الآفات السماوية (في أيام المتوكل)
- ١٣٦ إقطاع البلاد بين الأولاد
- ١٣٧ ثراء المتوكل عند موته
- ١٣٨ قتل المتوكل بيد ابنه
- ١٣٩ (١١) المنتصر بالله بن المتوكل
- ١٤٢ (١٢) المستعين بالله بن محمد بن المعتصم
- ١٤٤ مقتل يحيى بن عمر الطالبي
- ١٤٧ خلع المستعين بالله ثم ذبحه
- ١٤٩ (١٣) المعتز بالله بن المتوكل
- ١٥١ الأفراد الذين قتلهم المعتز من آل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم
- ١٥٢ (١٤) المهدي بالله بن الواثق
- ١٥٥ (١٥) المعتمد بالله بن المتوكل



- ١٥٨ موت المعتمد
- ١٥٩ (١٦) المعتمد بالله بن الموفق
- ١٥٩ الاختراعات في أنواع الظلم و القساوة
- ١٦٠ ظلمه لمحمد بن الحسن بن سهل
- ١٦٢ انهاكه في الشهوات
- ١٦٢ زواجه من قطر الندى
- ١٦٤ ثراء ابن الجصاص
- ١٦٥ المقتول من آل الرسول ﷺ (في خلافة المعتمد)
- ١٦٥ سبب قلة القتلى من آل الرسول ﷺ (في خلافة المعتمد)
- ١٦٦ موت المعتمد بالله
- ١٦٦ قتل النفس حتى عند معاناة الموت
- ١٦٧ ثروته عند موته
- ١٦٧ (١٧) المكتفي بالله بن المعتمد بالله
- ١٦٨ (١٨) المقتدر بالله بن المعتمد بالله
- ١٧٢ قتل الوزير ابن الفرات
- ١٧٣ المقتولون من آل رسول الله ﷺ (في خلافة المقتدر)
- ١٧٤ ثروة المقتدر بالله
- ١٧٤ عاقبة أمر المقتدر
- ١٧٦ (١٩) المرتضى بالله بن المعتز بالله
- ١٧٨ (٢٠) القاهر بالله بن المعتمد بالله
- ١٧٩ نبذة من مظالمه العجيبة التي قلّ نظيرها



- ١٨١ عبرة من العبر لمن وعى و اعتبر
- ١٨١ (٢١) الراضي بالله بن المقتدر بالله
- ١٨٣ (٢٢) المتقي لله بن المقتدر بالله
- ١٨٥ (٢٣) المستكفي بالله بن المكتفي بالله
- ١٨٦ (٢٤) الميطع لله بن المقتدر بالله
- ١٨٩ (٢٥) الطائع لله بن الميطع لله
- ١٩٠ (٢٦) القادر بالله بن اسحاق بن المقتدر بالله
- ١٩٠ (٢٧) القائم بأمر الله بن القادر بالله
- ١٩١ (٢٨) المقتدي بأمر الله بن محمد بن القائم بأمر الله
- ١٩٢ (٢٩) المستظهر بالله بن المقتدي بأمر الله
- ١٩٢ (٣٠) المسترشد بالله بن المستظهر بالله
- ١٩٤ (٣١) الراشد بالله بن المسترشد بالله
- ١٩٥ (٣٢) المقتفي لأمر الله بن المستظهر بالله
- ١٩٦ (٣٣) المستنجد بالله بن المقتفي بالله
- ١٩٦ (٣٤) المستضيء بأمر الله بن المستنجد بالله
- ١٩٧ (٣٥) الناصر لدين الله بن المستضيء بأمر الله
- ١٩٨ كان الناصر بالله يتشيع
- ١٩٩ موت الناصر لدين الله
- ٢٠٠ (٣٦) الظاهر بأمر الله بن الناصر لدين الله
- ٢٠٠ (٣٧) المستنصر بالله بن الظاهر بأمر الله
- ٢٠١ (٣٨) المستعصم بالله بن المستنصر بالله (وهو آخر الخلفاء من هذه السلسلة)



- ٢٠٣ كارثة الكرخ
- ٢٠٣ نهاية الخلافة
- ٢٠٤ اغارة التتار على بغداد
- ٢١٤ من هو ابن العلقمي؟
- ٢٢١ تلال من الأموال

نظرة خاطفة الى الامامة

٢٢٦ (التي بدأت من غدیر خم و انتهت الى المهدي عليه السلام)

٢٢٧ (١) امامة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام

- ٢٢٧ ولادته عليه السلام
- ٢٢٩ صفته عليه السلام
- ٢٢٩ اسلامه عليه السلام
- ٢٣١ الآيات التي نزلت في علي بن أبي طالب عليه السلام
- ٢٣٦ الأحاديث الواردة في علي بن أبي طالب عليه السلام
- ٢٤٦ فضائل الجبارة و مآثره الزخارة.
- ٢٤٨ شأن علمه الزخار

٢٥٠ شجاعة علي عليه السلام و جهاده في سبيل الله

- ٢٥١ شجاعته عليه السلام يوم بدر
- ٢٥٢ شجاعته عليه السلام يوم أحد

٢٥٨ وقعة الجمل

٢٥٩ خروج عائشة على أمير المؤمنين عليه السلام للقتال



- ٢٦٠ نباح كلاب حوآب على عائشة
- ٢٦١ توجه أمير المؤمنين عليه السلام الى البصرة
- ٢٦٢ كتاب علي عليه السلام الى طلحة و الزبير
- ٢٦٢ كتاب علي عليه السلام الى عائشة
- ٢٦٤ عاقبة أمر الزبير
- ٢٦٦ عاقبة أمر طلحة
- ٢٦٨ وقعة صفين
- ٢٧٠ شجاعة علي عليه السلام في صفين
- ٢٧٠ قتل المخراق بيد علي عليه السلام
- ٢٧١ قتل كريب و الحارث الحميري بيد علي عليه السلام
- ٢٧٢ علي عليه السلام يدعو معاوية للنزال
- ٢٧٣ قتل أشجع أهل الشام بيد علي عليه السلام
- ٢٧٣ حيلة عمرو بن العاص للنجاة
- ٢٧٥ بسر بن أرطاة يقلد عمراً في كشف سواته
- ٢٧٦ قتل الأحمر بيد علي عليه السلام
- ٢٧٧ قتل حريث مولى معاوية بيد علي عليه السلام
- ٢٧٧ قتل فارسين لخميين بيد علي عليه السلام
- ٢٧٩ ليلة الهرير
- ٢٧٩ حيلة رفع المصاحف
- ٢٨١ مواقف مالك الأشر في المعركة
- ٢٨٢ القرار على الحكمين



- ٢٨٦ عدّة القتلى في حرب صفّين
- ٢٨٦ شهادة عمّار بن ياسر رضي الله عنه
- ٢٨٧ شهادة ذي الشهاداتين وأويس القرني رضي الله عنهما.
- ٢٨٧ نشأة فرقة الخوارج
- ٢٩٥ **وقعة الخوارج**
- ٢٩٩ ردّ الشمس لعلي عليه السلام و الكرامات الأخرى
- ٣٠١ إخباره عليه السلام بالغيب
- ٣٠٢ علي عليه السلام و معاوية
- ٣٠٣ سبب مفارقة أخيه عقيل
- ٣٠٥ أقواله عليه السلام في الحكم و المواعظ
- ٣٠٨ كلامه عليه السلام المنظوم
- ٣٠٩ شهادته عليه السلام
- ٣١٢ وصيته عليه السلام
- ٣١٣ فرح أناس بقتل أمير المؤمنين عليه السلام
- ٣١٣ فرح عائشة بقتله عليه السلام
- ٣١٤ قصيدة عمران بن حطّان الخارجي في مدح ابن ملجم
- ٣١٦ من الذي قتل أمير المؤمنين عليه السلام ؟
- ٣١٨ عاقبة ابن ملجم
- ٣١٩ (٢) الامام الثاني الحسن بن علي عليه السلام
- ٣٢٠ مولد الامام الحسن عليه السلام
- ٣٢١ صفة الحسن عليه السلام



- ٣٢٢ الأحاديث في فضله عليه السلام
- ٣٢٦ (فصل) في ذكر طرف من أخباره و مصالحته لمعاوية
- ٣٢٧ (فصل) في ذكر نبذة من كلامه عليه السلام
- ٣٣٠ من كلامه عليه السلام المنظوم
- ٣٣٠ كرمه عليه السلام
- ٣٣٣ شهادته عليه السلام
- ٣٣٥ أولاده عليه السلام
- ٣٣٦ (٣) الامام الثالث الحسين بن علي عليه السلام
- ٣٣٦ مولد الامام الحسين عليه السلام
- ٣٣٩ (فصل) في خروجه الى العراق و استشهاده عليه السلام
- ٣٤٠ شهادة مسلم بن عقيل
- ٣٤١ نزول الحسين عليه السلام بأرض كربلاء
- ٣٤٣ منع الحسين عليه السلام و أطفاله عن الماء
- ٣٤٤ هداية الحر بن يزيد و التحاقه بالحسين عليه السلام
- ٣٤٤ مقتل الحسين عليه السلام
- ٣٤٦ رأس الحسين عليه السلام بين يدي ابن زياد
- ٣٤٧ سبي حرم رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم
- ٣٤٨ رأس الحسين عليه السلام بين يدي يزيد
- ٣٥٠ تأثير هذه الكارثة في رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم
- ٣٥٠ تأثير هذه الواقعة في أمير المؤمنين عليه السلام
- ٣٥١ تأثير هذه المصيبة في العالم



- ٣٥٢ عذاب قتلة الحسين عليه السلام
- ٣٥٣ من كلامه عليه السلام
- ٣٥٤ من كلامه عليه السلام المنظوم
- ٣٥٥ ذكر أولاده عليه السلام
- ٣٥٦ تأريخ شهادته عليه السلام
- ٣٥٧ (٤) الامام الرابع علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام
- ٣٥٧ مولده عليه السلام
- ٣٦١ الامام زين العابدين عليه السلام و قصيدة الفرزدق
- ٣٦٤ شهادته عليه السلام
- ٣٦٥ أولاده عليه السلام
- ٣٦٦ (٥) الامام الخامس محمد بن علي الباقر عليه السلام
- ٣٧٤ (٦) الامام السادس جعفر بن محمد الصادق عليه السلام
- ٣٧٤ مولده عليه السلام
- ٣٧٦ الامام الصادق عليه السلام و جابر بن حيان
- ٣٧٧ الامام الصادق عليه السلام و أبو حنيفة
- ٣٧٩ من مكاشفاته عليه السلام
- ٣٨٠ من معاجزه عليه السلام
- ٣٨١ من كلامه عليه السلام
- ٣٨٥ (٧) الامام السابع موسى الكاظم بن جعفر عليه السلام
- ٣٨٦ مولده عليه السلام
- ٣٨٧ مناقبه عليه السلام



- ٣٨٧ معاجزه عليه السلام
- ٣٩٣ من كلامه عليه السلام
- ٣٩٤ شهادته عليه السلام
- ٣٩٨ (٨) الامام الثامن علي بن موسى الرضا عليه السلام
- ٣٩٨ مولده عليه السلام
- ٣٩٩ أبيات أبي نواس
- ٣٩٩ قصيدة دعبل الخزاعي
- ٤٠٢ مكارمه و ماثره عليه السلام
- ٤٠٣ دخوله عليه السلام نيسابور
- ٤٠٥ علمه عليه السلام و إخباره بالغيب
- ٤٠٨ كرامته عليه السلام عند الله تعالى
- ٤٠٩ من كلماته و حديثه عليه السلام
- ٤١١ شهادته عليه السلام
- ٤١٣ أولاده عليه السلام
- ٤١٣ (٩) الامام التاسع محمد بن علي الجواد عليه السلام
- ٤١٤ مولده عليه السلام
- ٤١٥ غزارة علمه عليه السلام
- ٤٢٠ معجزتان
- ٤٢٢ من كلماته عليه السلام
- ٤٢٦ شهادته عليه السلام



- ٤٢٧ (١٠) الامام العاشر علي بن محمد الهادي عليه السلام
- ٤٢٧ مولده عليه السلام
- ٤٢٨ مناقبه عليه السلام
- ٤٢٩ إعجازه عليه السلام
- ٤٣٠ إخباره عليه السلام بالغيب
- ٤٣١ الامام الهادي و المتوكل
- ٤٣٣ من كلماته عليه السلام
- ٤٣٣ شهادته عليه السلام
- ٤٣٤ (١١) الامام الحادي عشر الحسن بن علي العسكري عليه السلام
- ٤٣٤ مولده عليه السلام
- ٤٣٥ مناقبه عليه السلام
- ٤٣٦ إخباره بالغيب
- ٤٤٠ نبذة من كلماته عليه السلام
- ٤٤٠ شهادته عليه السلام
- ٤٤١ (١٢) الامام الثاني عشر (محمد) المهدي بن الحسن عليه السلام
- ٤٤٥ صفته عليه السلام
- ٤٤٦ علائم ظهوره عليه السلام
- ٤٥٠ تفسير الآية ﴿ يوم ندعو كل أناس بامامهم ﴾ من كتب اهل السنة
- ٤٥١ تفسير هذه الآية من كتب الشيعة

